يوهان فوك

الدراسات العربية في أوربا

حتى مطلع القرن العشرين

نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه

دكتور/ سعيد حسن بحيري   دكتور/ محسن الدمرداش



يوهان فوك

الدراسات العربية في أوربا
حتى مطلع القرن العشرين

نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه

دكتور / سعيد حسن بحيري   دكتور/ محسن الدمرداش



زهراء الشرق

١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة

تليفون وفاكس : ٣٩٢٩١٩٢

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

فوك، يوهان.

الدراسات العربية في أوربا
حتى مطلع القرن العشرين / يوهان
فوك ؛ ترجمه سعيد حسن بحيري
، محسن الدمرداش . - ط١. -
القاهرة : زهراء الشرق، ٢٠٠٦.
٥٢٤ ص؛ ٢٤ سم
تدمك ٧ ٣٠٠ ٣١٤ ٩٧٧

١- الاستشراق والمستشرقون.
أ - بحيري، سعيد حسن (مترجم) ب -
الدمرداش ، محسن (مترجم) - جـ - العنوان
٩٠٧,٢

اسم الكتاب : الدراسات العربية في أوربا حتى مطلع القرن العشرين

اسم المؤلف : يوهان فوك

ترجمه : دكتور/ سعيد حسن بحيري ، دكتور/ محسن الدمرداش

رقم الطبعة : الأولى

السنة : ٢٠٠٦

رقم الإيداع : ١٩٦٥٩

الترقيم الدولي : I.S.B.N

977 - 317 - 300 - 7

اسم الناشر : زهراء الشرق

العنوان : ١١٦ شارع محمد فريد

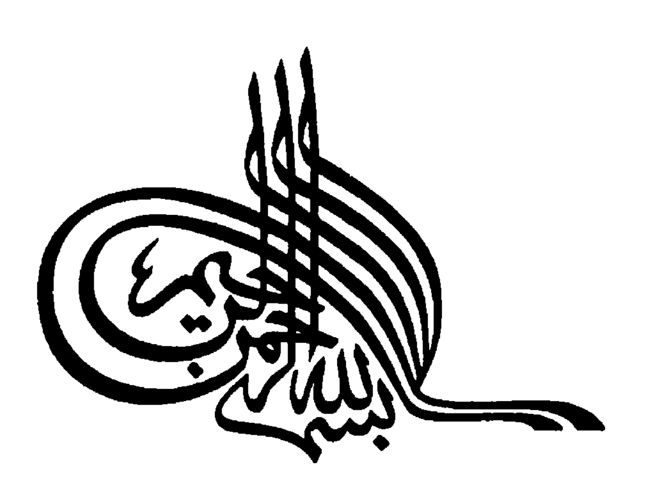
البلد : جمهورية مصر العربية

المحافظة : القاهرة

التليفون : ٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢

فاكس : ٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢

المحمول : ٠٠٢٠١٢٣١٧٧٥١٠


بسم الله الرحمن الرحيم

نُقِل الكتاب عن الأصل الألماني

Johann Fück

Die Arabischen Studien in Europa

bis in den Anfang des 20. Jahrhunderts

Otto Harrassowitz Leipzig 1955

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

في الواقع لترجمة هذا الكتاب حكاية عجيبة، أرى عليَّ أن أحكيها للقراء الكرام، الذين ربما تكون لهم فيها فائدة ما، أما زملائى وأصدقائى فهم يعرفونها جيداً. حين عُدت من ألمانيا سنة ١٩٨٣م اشتركت مع أستاذنا د. محمود حجازى فى مراجعة بروفات كتاب «تاريخ التراث العربى» لفترة طويلة. وفى أثناء الراحة من العمل كنا نتحدث عن كتاب يوهان فوك حول الدراسات العربية الذى لم يترجم إلى أية لغة أوربية، وبطبيعة الحال لم يترجم إلى العربية آنذاك، وهو أكثر ثراءً من كتيبات كثيرة كتبها عدد من المستشرقين، فكان بعضها ينقل عن كتاب فوك، وبعضها يأتى بمعلومات أخرى ولكنها قليلة، كما أن المؤلفات التى استكملت عمل فوك صغيرة ومختصرة ومبعثرة مثلما فعل باريت وليتمان وديتريش ورويمر وغيرهم. ثم أعطانى د. حجازى نسخته لقراءتها أولاً، والتفكير فى الموضوع إلا أننى وجدتها فرصة فقمت بتصويرها، ثم أعدت إليه نسخته وبدأت قراءة الصفحات الأولى فوجدتها عسيرة من جهات عدة، أهمها كثرة النصوص وأسماء المؤلفات باللغة اللاتينية، وهناك عدد كبير من المؤلفات العربية التى لها أسماء خاصة مختصرة مألوفة تماماً للمستشرقين وصعبة علينا، ثم إن الكتاب يضم عدداً كبيراً جداً من كتب التراث العربى الإسلامى فى تخصصات مختلفة لم يكن لدى خبرة بها آنذاك، غير أني رأيت أن أبدأ، ولكن باقتسام العمل بينى وبين زميلي د. محسن الدمرداش، واتفقنا على أن يكون نصيبى من الصفحة الأولى حتى صفحة ١٩٤، ويبدأ هو من الصفحة ١٩٥ حتى صفحة ٣٢٨ آخر الكتاب، على أن أقوم بمراجعة الجزء الخاص به بعد ذلك حتى تصير الترجمة ماءً واحداً، وبدأنا الترجمة على فترات بسبب مشاغل العمل ثم أتيحت لى فرصة السفر إلى الكويت سنة ١٩٨٧/٨٦م فأخذت الترجمة معى إليها سواء الجزء الذى أتممته من الترجمة أو الجزء الذى أتمه د. الدمرداش، وهناك توفر الوقت للانتهاء من الترجمة والمراجعة، وعرضت نموذجاً من ترجمة سيرة حياة نولدكه على د. فؤاد زكريا لكى تنشر الترجمة فى سلسلة عالم المعرفة، ووافقت السلسلة وأرسلت لى الموافقة سنة ١٩٨٨م. ولكن لا أدرى ما الذى جعلنى أتراجع فى اللحظة الأخيرة، فلم أكن راضياً عن أجزاء كثيرة، وكيف أدفع بالكتاب إلى المطبعة، وأنا متردد فى مواضع لم أتبين فيها قصد المؤلف، ولا صحة أسماء الكتب التى ألفها بعض المستشرقين، إذ كانت معرفتى بعالم الاستشراق محدودة جداً، فتراجعت عن تسليم الترجمة للطباعة، وسألت نفسى مراراً كيف أنشر كتاباً كهذا وأنا ما زلت مبتدئاً. وقد حدث هذا أيضاً بالنسبة لترجمتى كتاب «علم النص» لفان دايك. وعدت إلى مصر ووضعت

الكراسات التى ترجمت فيها الكتاب في الأدراج. ومضت سنون لم أتمكن فيها من النظر فيها، وسافرت إلى ألمانيا عدة مرات، وأزلت النقاب عن كثير من أوجه الغموض، وازدادت معرفتى بكثير من أعمال المستشرقين، تأليفاً، وتحقيقاً، وترجمة.

وذات مرة أهدانى أحد الزملاء ترجمة له لبعض المقالات وضعها فى كتاب واحد، وحين قرأته لاحظت أن المعلومات فيه قليلة ومبتسرة فعاودنى الحنين إلى الرجوع إلى كراساتى لعلى أرضى عما قمت به. وحسم الأمر أنه فى أثناء تجوالى فى معرض الكتاب وجدت كتاباً بعنوان: تاريخ حركة الاستشراق عنواناً أساسياً ثم وضع عنوان فرعى تحته هو: الدراسات العربية والإسلامية فى أوروبا حتى بداية القرن العشرين، تعريب عمر لطفى العالم، طبع دار قتيبة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. فاستبشرت خيراً، فلعل المترجم قد تغلب على الصعاب التى واجهتنى وحالت دون دفعى للترجمة إلى المطبعة، فاشتريت نسخة، وذهبت إلى البيت مسرعاً، لأضع النصوص الثلاثة متجاورة؛ الأصل وترجمة الأستاذ عمر لطفى وترجمتى، وظلت المقارنة مستمرة أياماً متفرقة. وانتهيت إلى قرار حاسم وهو أنه لابد أن أنشر ترجمتى، فلا أدرى كيف يجرؤ المرء على نشر عمل لا تخلو صفحة فيه من عشرات الأغلاط من كل نوع. كيف يمكن أن أقدم للقارىء صورة غير أمينة للنص الأصلى بهذه الصورة. لا شك أن القارىء حين يقرأ اسم الكتاب خطأ، والمعلومة خطأ والمؤلف خطأ سوف تتكون لديه صورة رديئة للغاية عن ذلك المستشرق المسكين، الذى سيوصم بالجهل والتزييف والتحريف. وتكون خاتمة الأمر ضياع قيمة هذا الكتاب الذى لا نظير له فى بابه.

فإذا كان المترجم قد سوغ لنفسه وضع عنوان تجارى للكتاب وجعل العنوان الأصلى عنواناً فرعياً، إذ إن عنوان الكتاب هو الدراسات العربية فى أوربا حتى مطلع القرن العشرين:
Die arabischen Studien in Europa bis in den Anfang des 20 Jahrhunderts

وقد أضاف المترجم أيضاً: والإسلامية، وهى إضافة غير موجودة فى الأصل. ومما لا شك فيه أن من حق القارىء أن أقدم له ابتداءً نماذج كافية لبيان الاختلاف بين ترجمة الأستاذ عمر لطفى وبين ترجمتى، وإن كان سيلحظ ذلك فى أثناء قراءة الترجمة التى أقدمها له، وإن أراد المزيد ضاهى بين الترجمتين فى جميع الصفحات. وأشير هنا إجمالاً إلى ما فعله الأستاذ عمر، وأتساءل ابتداءً هل من حق المترجم أن يفعل ذلك: لقد حذف مقدمة الكتاب الأصلى فلم يترجمها، ولم يوضح علة ذلك برغم أنه صدّر الكتاب بمقدمة بلاغية، كشفت عن النهج الذى سيتبعه في كل الكتاب. ولا يمكن تجاهل عبارته البلاغية فى بعض المواضع التى جعلت البون بين الأصل والترجمة واسعاً، فهى عبارة جميلة بلا شك، ولكنها ليست تعبيراً دقيقاً عما أراد المؤلف. على أية حال هذه طريقته الخاصة التى ارتضاها فى الترجمة. الأمر الثانى أنه سوغ لنفسه أيضاً حذف أغلب الهوامش أيضاً وإن لم تكن كلها دون

مبالغة، ونقل فى بعض الصفحات عبارات فالمتن إلى الهامش. الأمر الثالث لقد سوغ لنفسه أن يحذف فقرات كاملة من الأصل، ولا أدرى كيف يفعل ذلك .فالمتن مكون من فقرات ببنط كبير هى نصوص الكتاب الأصلية يتخللها فقرات كبيرة ببنط أصغر عبارة عن تفصيلات مهمة جداً لما ورد مجملاً فى الأصل. فهل يمكن حذفها، هل ظن المترجم أنها ليست مهمة ما دامت هى تفصيلات. إنها تضم معلومات قيمة للغاية، وحذفها يعنى حذف جزء كبير من الكتاب. هل يجوز هذا؟! إذا أراد أن يفعل ذلك فلماذا لم يقل ذلك فى مقدمته ذاكراً الأسباب التى دفعته لذلك، فهل يحق للمرء أن يحذف عند ترجمة أى عمل، أن يحذف منه ما يشاء وما يحلو له؟

الأمر الرابع وهو الأسوأ إذا كان المرء غير عارف بكتب التراث ولا بأسماء المؤلفين لماذا يترجم كتاباً يضم عشرات الأسماء للكتب ومؤلفيها. أكثر الأسماء المذكورة غير صحيحة مطلقة وسوف أقدم نماذج لذلك، وإذا أراد المرء أن يذكر جميع الأسماء المغلوطة لوضع قائمة كبيرة. هل يجوز هذا؟! لقد انتظرت سنوات طويلة حتى أتبين صحة الأسماء بكل أشكالها. فهذه أمانة علمية، ولا يجوز أن يقدم للباحثين ـ الذين سيشككون فيما ينقلون ـ أسماء خاطئة للشعراء والأدباء والبلاغيين والجغرافيين والمؤرخين وغيرهم. هل يصح هذا؟

الأمر الخامس لاحظت أيضاً تصرفاً كبيراً فى صياغة بعض العبارات، فليس فيها من الأصل إلا مجمل المعنى، فإن تجاوز المرء عن ذلك، فإنه لا يمكنه أن يتجاوز عن بعض الصياغات غير الصحيحة إذ إنه المترجم قد فهم بعض العبارات فهماً معكوساً.

الأمر السادس أن الترجمة خلت نهائياً من هوامش للمترجم لتفسير أى نوع من أنواع الغموض فى المصطلح أو العبارة أو النص أو الاقتباس أو المعلومة.. إلخ، وكأن الكتاب الأصلى واضح كل الوضوح.

وفى الحقيقة لا يتسع المقام لاستعراض التجاوزات الأخرى التى أدت فى النهاية إلى ترجمة عدد صفحاتها أقل من الأصل بكثير. وهذا أعجب ما يلحظه المتمرس بالترجمة بل المترجم المبتدىء، ويزول هذا العجب إذا راجع الأمور التى سوغ المترجم لنفسه القيام بها عند الترجمة. لقد كانت إجابة أحد الشبان الباحثين مرة حين سألته: هل قرأت ترجمة كتاب فوك فى الدراسات العربية؟ فقال لى فى سرعة ودون تردد: وهل هذه ترجمة؟ لماذا فعل المترجم ذلك بهذا الكتاب المهم. لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وفى البداية أقدم للقارىء الكريم مقارنات لعدد من الفقرات بين الأصل وترجمة الأستاذ عمر لطفى وترجمتى حتى يمكنه أن يتمثل الفروق، وأتمنى أن يقتنع بهذه النماذج، وإن لم يقتنع فإنى على استعداد أن أضيف نماذج أخرى قد تصل إلى حجم كتاب كامل، ولكن المقام هنا لا يتسع لأكثر مما قدمت، لأنها مقدمة للترجمة. ومن غير المعهود أن تطول المقدمات، ولكنى لما قلت أرى أنها حتمية لإزالة أى لبس عند ظهور ترجمة جديدة لكتاب لا نظير له.

نماذج من الاختلافات بين ترجمتي

وترجمة الأستاذ عمر لطفي

* يقول فوك ص١ :

Noch die alteste lateinische Übersetzung des Korans vom Jahre 1143 trägt den Charakter einer Paraphrase des Gedankeninhalts, bei der auf Form und Stil des arabischen Originals keinerlei Rücksicht genommen wird.

وقد ترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ١١ إلى:

وبرغم المحاولة، فإن أقدم ترجمة لاتينية للقرآن التى ترجع إلى سنة ١١٤٣، اضطلعت بتقديم مضمون الفكرة ولم تكترث بأسلوب الأصل العربى وصياغته.

أما ترجمتى لها فهي:

كما أن أقدم ترجمة لاتينية للقرآن، وهى التى ترجع إلى سنة ١١٤٣م، تحمل طابع إعادة صياغة لمضمون الأفكار، ولم تعن أدنى عناية بالشكل والأسلوب فى الأصل العربى.

ـ الاختلاف بين الترجمتين:

لقد أضاف كلمة محاولة وهى ليست فى الأصل، وحذف كلمة Paraphrase، وهى أساسية لأنها تعنى الاهتمام بالمضمون وإهمال الصياغة، وأخيراً أهمل تركيب الجملة الألمانية الأصلية إذ إن عدم الاكتراث يتعلق بالشكل أولاً ثم الأسلوب ثانياً فى الأصل العربى، ولكن يبدو أن المضمون العام للكلام هو الأهم بالنسبة له، غير أن ذلك لا يعنى إهمال لغة المؤلف وعبارته الدقيقة.

* ويقول فوك ص ٣:

und das Mittelmeer wurde von den sarazenischen Piraten unsicher gemacht.

ترجم الأستاذ عمر لطفى هذه العبارة ص١٣ إلى:

وبذلك أصبح البحر المتوسط غير آمن بسبب القرصنة.

أما ترجمتى لها فهى:

وصار البحر (الأبيض) المتوسط غير آمن بسبب القراصنة السراسنة.

ـ الاختلاف بين الترجمتين:

لم يذكر المؤلف القَرْصَنَة، ولكن ذكر Piraten وترجمتها القراصنة، ثم هى موصوفة

بصفة لم يذكرها المترجم فى كل الترجمة مطلقاً وهى السراسنة، وهو وصف أطلق على فاتحى الأندلس، ولها مدلول عدائى لأن أصلها اليونانى يعنى البدو ساكنى الخيام غير المتحضرين الذين كانوا يغيرون على حدود الدولة الرومانية للسلب. ومن ثم ففى حذفها ضياع دلالة كبيرة للمقصود. ومن ثم فقد استوجب تكرار استعمالها لدى مؤلفى العصور الوسطى وضع هامش يحدد مدلولها الأصلى وتطوره بدقة.

* يقول فوك ص ٤:

nur am Stoff der zu übersetzenden Schriften interessiert, begnügte man sich damit, sich von sprachkundigen Mittelmännern - orientalischen Christen oder Konvertiten, dazu in Spanien den Mozarabern, d.h. den unter islamischer Herrschaft stark islamisierten einheimischen Christen - den Inhalt wiedergeben zu lassen.

ترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ١٤ إلى:

وقد اكتفى الدارسون من مادة المخطوطات المعنية بالترجمة بوسطاء لغويين، كمسيحيين شرقيين أو بمسيحيين محليين اعتنقوا الدين الإسلامى، كانوا يقدمون مضمون المعنى فقط.

أما ترجمتى لها فهى:

فلم يُهتَم إلا بمادة الأعمال المترجمة، واكتُفِى بذلك بنقل المضمون على يد وسطاء على معرفة باللغة ـ سواء أكانوا مسيحيين شرقيين أو مسيحيين أسلموا، إلى جانب المستعربين فى أسبانيا، أى على يد مسيحيين متأثرين بالروح الإسلامية تأثراً شديداً تحت السيادة الإسلامية.

ـ الاختلاف بين الترجمتين:

شتان بين الترجمتين؛ لقد غير المترجم العبارة وحذف وأضاف كيفما شاء. فالجملة الأولى فيها الفعل (يهتم بـ) غير الموجود فى ترجمته، كما ذكر كلمة مخطوطات ولا توجد هنا مخطوطات بل أعمال مترجمة، كما أن لفظ Sprachkundig لا تعنى لغوياً، وإنما من لديه معرفة بلغة ما. وقد حذف بعد ذلك من أول «إلى جانب» إلى آخر الكلام. وربما استغلق عليه فهم لفظ Mozaraber ، وهو فى الحقيقة لفظ صعب له عدة معان كما بينت فى هامش له، وقد اصطلح كثير من المتخصصين فى الدراسات الإسبانية على ترجمته إلى المستعربين.

* ويقول فوك ص ٤:

Je mehr die Aussicht schwand, mit Waffen gewalt den endgültigen Sieg zu erringen, Je deutlicher es wurde, daβ die Eroberung des Heiligen Landes nicht zur

Bekehrung der Sarazenen führte, sondern daß umgekehrt ihre Kultur, Sitte und Lebensart nicht ohne Eindruck auf Kreuzfahrer blieben, desto lauter wurden die Stimmen derer, welche in geistigem Ringen die Irrlehre zu überwältigen hofften.

وقد ترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ١٤ و١٥ إلى:

فكلما تلاشى الأمل فى تحقيق نصر نهائى بقوة السلاح، بدا واضحاً أن احتلال البقاع المقدسة لم يؤد إلى ثنى المسلمين عن دينهم، بقدر ما أدى إلى عكس ذلك، وهو تأثر المقاتلين الصليبيين بحضارة المسلمين وتقاليدهم ومعيشتهم فى حلبات الفكر.

أما ترجمتى لها فهى:

وكلما ذوى الأملُ فى إحراز نصر حاسم بقوة السلاح، صار غزو الأرض المقدسة غير المؤدى إلى ترك السراسنة دينهم أكثر وضوحاً، بل إنه خلافاً لذلك كان لثقافتهم وتقاليدهم وطريقة معيشتهم تأثير على الصليبيين، وصارت أصوات الذين يأملون فى التغلب على الدرس الخاطىء فى الأوساط العقلية أكثر علواً.

- الاختلاف بين الترجمتين:

لعل القارىء قد أدرك ما يحدثه المترجم من تغيير فى الصياغة وتقطيع لأوصال الجمل الألمانية المتماسكة التى يلزم استخدام جمل عربية ليست أقل تماسكاً منها. ما يهم هنا هو ترجمة "Sarazenen" إلى المسلمين، فخفف من عنف العبارة لأن المقصود الذى شاع آنذاك فى أوربا وهو السراسنة، وقد أشرت إلى مغزى استعماله آنفاً ألم يكن من الممكن أن يذكر المؤلف لفظ المسلمين صراحة وهو Muslims. ثم وهو الأهم قام بحذف الجملة الأخيرة بدءاً من «وصارت أصوات حتى أكثر علواً» ووضع بدلاً منها تركيب «فى حلبات الفكر». ما هذا؟!

* ويقول فوك ص ٥:

,sondern auch Gelegenheit fand, die Auseinandersetzung zwischen Islam und Christentum, die Kämpfe zwischen Mauern und Spaniern, den Geist der Reconquista, wie er sich in dem damals entstanden Lied von Cid kundtat.

وقد ترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ١٥ إلى:

بل وجدها فرصة سانحة للتعرف على الحوار القائم بين الإسلام والمسيحية، والمعارك الدائرة بين المسلمين والأسبان، والشعار المرفوع لاسترداد بيت المقدس كما جاء فى أحد الأناشيد.

أما ترجمتى لها فهى:

بل وجد فرصة للتعرف الحوار بين الإسلام والمسيحية والمعارك بين المسلمين المغاربة والأسبان، وروح الاسترداد على النحو الذى شاع فى ملحمة «السيد» التى ألفت آنذاك.

ـ الاختلاف بين الترجمتين:

لم يبين قصد المؤلف باستخدام Mauern لأن الموحدين، وهم أهل المغرب العربى، هم الذين حملوا آنذاك راية القتال ضد الأسبان. المهم هنا أين لفظ «الشعار المرفوع»، وأين بيت المقدس؟ وأين أحد الأناشيد؟ لا أدرى هل يعرف المترجم ملحمة السيد وهى مترجمة إلى اللغة العربية، وهى تشيد ببطولة الأسبان فى حروب الاسترداد كما أسموها.

ويبدو لى أن ما قدمت ليس كافياً فى هذه الترجمة، ولكن يلاحظ هنا ص٦ و٧ أنه أسقط فقرات كاملة لم ير كما يبدو لى فى ترجمتها قيمة، والأرجح أنها حذفت لصعوبتها واشتمالها على عبارات لاتينية. ويفاجىء المرء عند تناول موضوع المعجم اللاتينى العربى أن يحذف كثيراً من الأمثلة، ناهيك عن أخطاء فى الكتابة وفى الترجمة، ولا أرى حاجة ملحة للتمثيل، فربما صعبت ترجمة المفردات اللاتينية وإن كان المؤلف يذكر بجوارها الترجمة الألمانية. على أية حال برغم ذلك لم أر أى مبرر لأن يحذف من منتصف ص١٢ حتى الثلث الأخير من ص١٣، إذ يضم هذا النص الطويل معلومات مفيدة جداً تتعلق بمصير هذا المعجم. ولكن أنى للقارىء أن يعرف ذلك؟! إنه يقرأ ترجمة عربية للكتاب، ولا يعرف ما هو الموجود فى الأصل.

* ويقول فوك فى ترجمة رايموندس لولوس ص ١٦:

Noch bekannter als Raymundus Martini ist ein anderer Muhammedanermissionar des 13. Jahrhunderts, Raymundes Lullus. Er war 1235 (oder 1232) in Palma auf der erst sechs Jahre voher den Almohaden entrissenen Insel Mallorca geboren.

وقد ترجمها الأستاذ عمر لطفى ص ٢٦ إلى:

ولعل الأوسع شهرة من سابقه مبشر آخر حانق على الإسلام هو رايموندس لولوس من القرن ١٣. ولد فى جزيرة مالاقا سنة ١٢٣٥ أو ١٢٣٢ قبل أن يستولى عليها الموحدون بست سنوات.

أما ترجمتى فهى:

ما زال رايموندس لولوس، وهو مبشر فى القرن الثالث عشر الميلادى، أكثر شهرة من رايموندس مارتينى. فقد ولد سنة ١٢٣٥م (أو ١٢٣٢م) فى بالما على جزيرة ميورقة بعد ست سنوات من انتزاعها من الموحدين.

- الفرق بين الترجمتين:

بداية لا أدرى لماذا أضاف «حانق على الإسلام» إلى النص، إن الكلمة المركبة Mahammedanermissionar تعنى المبشر الذى يوجه تبشيره إلى المسلمين (المحمدين أو أتباع محمد). وأين جزيرة مالاقا، ثم إن الفعل الوارد فى صيغة المبنى للمفعول entrissenen يعنى انتزع من أو منتزع من. ومن المعروف أن دولة الموحدين انتهت فى سنة ١٢٢٥م، أى قبل مولد الرجل بست سنوات تقريباً.

* ويقول فوك ص ١٧ :

Nicht zu Unrecht sah er im Islam den gefährlichsten Gegner der Kirche.

ترجم الأستاذ عمر لطفى هذه العبارة ص ٢٦، ٢٧ إلى:

وليس بدون وجه حق إن هو وجد فى الإسلام العدو واللدود الأكبر للكنيسة.

أما ترجمتى لها فهى:

ورأى بما لا يدع مجالاً للشك أن الإسلام هو أخطر خصم للكنيسة.

- الفرق بين الترجمتين:

التفكك ظاهر فى بنية عبارته، وأين العدو واللدود الأكبر فى النص الأصلى؟ لقد حَمَّل العبارة أكثر ما تحتمل. وأجده بعد ذلك يقول بعد سقوط مملكة القدس «وإمارة أريحا» ترجمة Fürstentum Antiochien، وتعنى إمارة انطاكية، ثم يقول بعد ذلك: وأكدت مكانتها (أى مصر) تحت قيادة السلطان المملوكى الحصيف الواعى المدرك لأبعاد الأمور، الظاهر بيبرس. الوصف هنا للسلطان خلافاً للنص: unter der geschickten und zielbewuβ_ten Leitung des Mamluk Sultans Baibars أى تحت قيادة ماهرة وواعية للسلطان المملوكى بيبرس. لماذا نقل الوصف من القيادة إلى الشخص؟

* ويقول فوك ص ١٧، و١٨ :

Noch stand das von den Sarazenen verwaltete Erbe der antiken Wissenschaften im Abendland in hohem Ansehen, und der Averroismus trat gerade damals seinen Siegeszug durch das Abendland an.

ترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ٢٧ إلى:

كما أن تراث الأقدمين من العلوم الذى كان يديره المسلمون، ظل موضع احترام كبير فى نظر الأوربيين، فيما كانت فلسفة ابن رشد قد حققت لتوها مسيرتها الظاهرة فى أوربا.

أما ترجمتى لها فهى:

بالإضافة إلى أن تراث العلوم القديمة الذى حمل السراسنة أمانة نقله كان يحظى باحترام كبير فى الغرب. وبدأت آراء ابن رشد آنذاك تتغلغل فى الغرب.

- الفرق بين الترجمتين:

لا أدرى من أين جاء بالأقدمين؟ إنه تراث العلوم القديمة. وما معنى يدير التراث؟ ولماذا يلجأ إلى كلام طويل يمكن أن يعبر عنه فى العربية بإيجاز؟ ما معنى حققت مسيرتها الظاهرة؟ القصد هنا التغلغل والانتشار والذيوع. ويبدو أن المترجم عنده مشكلة مع الأرقام الرومانية فنادراً ما ذكرها صحيحة، فيقول مثلاً Philipp IV فيليب الرابع صحيحاً ثم يقول لودفيج الرابع بدلاً من لودفيج التاسع Ludwig IX. وهذا كثير، ولكن لا يصعب حصره.

* ويقول فوك ص ١٩:

Solche Erfahrungen machten gegen Lullus' Vorschläge bedenklich und trugen dazu bei, daβ sie an maβgeblicher Stelle abgelent wurden. Um so eifriger vertrat er seine Missionspläne jetzt auch in seiner ausgedehnten Schrift - stellerei,

وترجمها الأستاذ عمر لطفى ص ٢٨ إلى:

إن تجارب كهذه دفعت إلى التفكير فى مقترحات لولوس، ثم أدت إلى رفضها من الجهات صاحبة الحل والعقد. وزاد عن خططه التبشيرية بمزيد من الاجتهاد فى مؤلفاته واسعة الانتشار.

أما ترجمتى لها فهى:

مثل هذه التجارب شككت فى اقتراحات لولوس، وأسهمت فى أن تُرْفَض رفضاً باتاً. وهنا كان عليه أن يحل فى تحمس شديد مؤلفاته الواسعة الانتشار أيضاً محل خططه التبشيرية.

- الفرق بين الترجمتين:

إذا كان ثمة ترادف بين الترجمتين للجملة الأولى، فأين عبارة «من الجهات صاحبة الحل والعقد»، ثم أين الفعل «زاد عن» فى الجملة التالية. إن الفعل المستخدم Vertrat ويعنى أن يحل شيئاً محل شيء أو أن يستبدل شيئاً بشيء. إنه تصرف غير دقيق، ولا يمثل الأصل المترجم عنه بأمانة.

* ويقول فوك ص ٢٠:

Ihre Reiseberichte, die den geographischen Gesichtskreis Europas bedeutend erweiterten, wurden ergänzt durch die Nachrichten, welche der sehr lebhafte Orienthandel vor allem der italienischen Republiken vermittelte.

وترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ٣٠ إلى:

إن تقاريرهم التى وسعت كثيراً من وجه أوربا الجغرافى، ما لبثت أن استكملت بطريق الأخبار التى يقوم الوسطاء التجاريون النشطون فى الشرق بنقلها ولاسيما فى الجمهور الايطالى.

أما ترجمتى لها فهى:

وكانت أخبار رحلاتهم التى وسَّعت من أفق الرؤية الجغرافى لأوربا بصورة جوهرية قد أكملتها الأخبار الذى نقلتها تجارة الشرق النشطة للغاية للجمهوريات الايطالية خاصة.

- الفرق بين الترجمتين:

ابتداءً إذا كانت berichte تترجم إلى أخبار وتقارير فأين ترجمة Reise ، ثم نجده يترجم Gesichtskreis إلى وجه، وهذا غير دقيق، لأن معنى الكلمة المركبة هو أفق أو محيط الرؤية، ثم أين الوسطاء التجاريون فى النص، إن معنى Orienthandel هو تجارة الشرق. والأسوأ فى ذلك أن يترجم Republiken ومعناها الجمهوريات إلى الجمهور. هل يصح فى فقرة واحدة كل هذه الأغلاط؟!

* ويقول فوك ص ٢٠ :

Er fuhr zu Schiff von Genua nach Tunis. das damals als Zufluchtsort der vor der Reconquista aus Spanien geflohenen,, Andalusier "eine bedeutende Rolle spielte. im Sprachgebiet des ihm geläufigen Meghribinisch Arabischen lag und überdies in Folge seines lebhaften Handels mit den christlichen Mittelmeerhäfen auch Christen beherbergte.

وترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ٣٠ أيضاً:

سافر بحراً من جنوه إلى تونس التى كانت ملاذاً للمسلمين الفارين من حرب الاسترداد فى الأندلس، والتى كانت قد لعبت دوراً مهماً فى المجال اللغوى بحكم موقعها الممتاز فى المغرب العربى. واستضافت كذلك المسيحيين بسبب تجارتها النشطة مع الموانىء الأوروبية.

أما ترجمتى لها فهى:

وسافر على ظهر سفينة من جنوه إلى تونس التى لعبت دوراً مهماً، حيث كانت ملاذاً للأندلسيين الفارين من أسبانيا أمام حرب الاسترداد، ومكث فى منطقة لغوية للعربية المغربية المعروفة له، وأوت إليها علاوة على ذلك مسيحيين أيضاً إثر تجارتها النشطة مع موانىء البحر الأبيض المتوسط المسيحية.

ـ الفرق بين الترجمتين:

ابتداءً أقول لقد جانب الصواب نهائياً فى ترجمة هذه الفقرة، لما يأتى: لقد خرج على النص بعبارة إنشائية لا أصل لها، فأين عبارة: بحكم موقعها الممتاز فى المغرب العربى. لقد وضعها بديلة للجملة الأصلية: ومكث فى منطقة لغوية للعربية المغربية المعروفة له. ثم ترجم الفعل beherbergte إلى استضافت. والسياق سياق فرار من الأندلس، ولذا فالمعنى المناسب هو أوت. ثم لماذا أسقط الصفة الأساسية والفرعية. أين كلمة «موانىء أوربية» فى الأصل. الموجود هو: Mittelmeerhäfen أى موانىء البحر المتوسط، ثم الصفة Christlichen أى المسيحية. إن صور الإهمال وعدم الاكتراث كثيرة جداً، ولا أدرى هل يمكن أن تكون هذه ترجمة موثوقاً بها؟!

* ويقول فوك ص ٢٦:

Auch in Zentralasien hatte der Islam sich als der Stärkere erwiesen; die dortigen Christengemeinden gingen im 14. Jahrhundert zugrunde, die einst so blühende nestorianische Kirche schrumpfte zusammen und erstarrte.

وقد ترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ٣٦ إلى:

وفى آسيا الوسطى أيضاً برهن الإسلام على الأنه الأقوى. فالجاليات المسيحية هنالك انحدرت فى القرن ١٤ إلى الحضيض، وبعدما كانت مزدهرة عادت فانكمشت وتجمدت.

أما ترجمتى لها فهى:

وفى آسيا الوسطى أيضاً أثبت الإسلام أنه الأقوى؛ فالجماعات المسيحية هناك قد اندثرت فى القرن الرابع عشر الميلادى، والكنيسة النسطورية التى كانت مزدهرة أصابها الذبول والجمود.

ـ الفرق بين الترجمتين:

لقد بدأ بداية حسنة إذ صحت الجملة الأولى تماماً. ولكن بعد ذلك: ما معنى انحدرت إلى الحضيض؟ فالفعل zusammenschrumfen له عدة معان يناسب السياق هنا معنى: اندثر أو تلاشى. ولكن الخطأ الجوهرى هنا هو حذف الفاعل الحقيقى فى الجملة التالية وهو الكنيسة النسطورية، فهى التى كانت مزدهرة، وليست الجاليات أو الجماعات المسيحية. ومن الإهمال أيضاً فى جملة ,daß al Malik an - Nāṣir im Jahre 701/1300 alte christenfeindliche Bestimmungen erneute, christliche Beamte entließ und zahlreiche Kirchen schließen ließ.

إذ يترجمها ص ٣٦ أيضاً إلى: إذ إنَّ الملك الناصر جدد العمل بالقوانين القديمة المعادية للمسيحية الصادرة فى السنوات ٧٠١ و١٣٠٠، بإقالة الموظفين المسيحيين وإغلاق

عدد كبير من الكنائس.

ولكن ترجمتى تعيد الجملة إلى سياق صحيح، وهو أن الملك الناصر قد جدد سنة ٧٠١هـ/١٣٠٠م أحكاماً قديمة معادية للمسيحيين، فسرح موظفون مسيحيون وأغلقت كنائس كثيرة.

فالقوانين لم تصدر فى السنوات ٧٠١ و١٣٠٠، بل إنها جُدِّدَتْ سنة ٧٠١هـ/١٣٠٠م، كما أن تركيب entließ und schließen ließ يعنى إسناد الفعل إلى مجهول، ومن ثم الأقرب هو بناء الأفعال للمجهول.

* ويقول فوك ص ٢٧:

Auch die Zwangsaushebungen von Kindern der unterworfenen christlichen Bevölkerung, welche der Sultan im Islam aufziehen und dann in die Janitscharenregimenter einreihen ließ, taten dem Christentum des Balkan Abbruch.

ترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ٣٦ و٣٧ إلى:

وقد أدى أخذ الأطفال الإجبارى من الرعايا المسيحيين الخاضعين وتنشئتهم ثم إلحاقهم بالجيش الإنكشارى بإشراف السلطان، أدى إلى ثورة المسيحيين فى البلقان.

أما ترجمتى لها فهى:

كما أن أشكال الفصل الإجبارى لأطفال السكان المسيحيين الخاضعين لهم، الذين ينشئهم السلطان فى ظل الإسلام ويلحقهم بآلايات الانكشارية قد قوض المسيحية فى البلقان.

- الفرق بين الترجمتين:

لقد حذف الفاعل الأساسى فى جملة الصلة وهو السلطان der Sultan، وحذف im Islam «فى ظل الإسلام»، ثم ترجم Janitscharenregimenter إلى الجيش الانكشارى، والمعنى الدقيق هو آلايات أو فصائل، مفردها آلاى وهى كلمة تركية مهمة فى تقسيم الجيش. أما أسوأ ما ورد فهو قوله: أدى إلى ثورة المسيحيين. أين هذا الكلام؟ الفعل هنا Abbruch taten، ويعنى قوّض. هل يجوز أن أتدخل فى الترجمة إلى حد يحول المعنى إلى معنى لم يرد فى الأصل مطلقاً؟! ثم يترجم Meriniden in Marokko إلى الميريديديين فى المغرب. وترجمتها المرينيين فى مراكش.

ويقول فوك ص ٢٧ إلى:

diese hatten nicht mehr die Mittel zu einer großzügigen Eroberungspolitik im Stile der Almoraviden und mußten 1340 von allen weiteren Versuchen, die Reconquista aufzuhalten, ablassen.

ترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ٣٧ إلى:

حيث لم يعد لهؤلاء الوسائل الكافية من أجل سياسة توسعيةعلى غرار المرابطين. وكانوا منشغلين فى سنة (١٣٤٠) بوقف حروب الاسترداد من كل جانب.

أما ترجمتى لها فهى:

ولم يعد لدى هؤلاء (أى المرينيين) الوسائل لسياسة فتح عظيمة على نهج المرابطين. ووجب عليهم سنة ١٣٤٠م أن يكفوا عن أية محاولات أخرى لوقف حركة الاسترداد.

ـ الفرق بين الترجمتين:

لقد أضاف صفة للوسائل وهى «الكافية» لم ترد فى الأصل. لنتجاوز عن ذلك ولكن أين: من أجل سياسة توسعية، هل هى ترجمة بالمعنى للتركيب großzügige Eroberungspolitik ؟ أين الصفة «عظيمة» التى تقيم عمل الموحدين والمرابطين الذى لم يرق إليه جهد المرينيين. المهم هنا الجملة الأخيرة. إن المعنى مختلف تماماً بين الترجمتين إن الجملة الألمانية فيها معنى وجوب التوقف عن الحرب إذ يقول "mußten ablassen"، ثم أين تركيب alle weiteren Versuche (أية محاولات أخرى). إن الترجمة بالمعنى إن صحت فى مواضع فهى شديدة الخطورة فى الأغلب. والأحرى أن يقترب المترجم من النص الأصلى لينقل مراد المؤلف نقلاً دقيقاً أميناً.

* ويقول فوك ص ٢٨:

Sie konnten eine solche als taqiya bezeichnete Verstellung, wie sie vor allem von der Schia geübt wurde, vor sich und anderen Glaubensgenossen damit rechtfertigen, daβ nach sunnitischer Auffassung die Gültigkeit jeder regligions - jesetzlichen Handlung von der Intention des Handelnden abhängt, und daβ bereits im Koran (s. 16, 106/8) damit gerechnet wird, daβ ein Gläubiger unter Zwang seinen Glauben an Allah verleugnet,, während sein Herz im Glauben ruhig ist".

ترجمها الأستاذ عمر لطفى ص ٣٨ إلى:

وقد برر المسلمون هذا الرياء تحت شعار (التقية) التى كان يمارسها الشيعة بشكل خاص فيما بينهم من جهة ومع المعاصرين لهم من جهة ثانية، واستناداً إلى رأى السنة، فى أن الميزان الصحيح لكل تصرف إنما يخضع لنية الفاعل، وأن فى القرآن الكريم ما يؤيد ذلك.

أما ترجمتى لها فهى:

واستطاعوا أن يبرروا ذلك التظاهر الذى يطلق عليه (تقية) كما مارسه الشيعة بوجه خاص، لأنفسهم ولرفاقهم فى العقيدة بأن تطبيق أى سلوك دينى وفق المفهوم السنى يعتمد على نية فاعله. فقد عدّ فى القرآن (انظر سورة ١٦ (النحل): الآيات ١٠٦: ١٠٨) أنه يمكن أن ينكر مؤمن ما ـ مكرهاً ـ إيمانه بالله، بينما قلبه مطمئن بالإيمان.

ـ الفرق بين الترجمتين:

بادىء ذى بدء أعتذر للقارىء عن طول الاقتباس، ولكن الأمر يتعلق بدلالات إسلامية لا يمكننى أن أدلل على التهاون فى التعامل معها إلا بتقديم نص غير مبتور. إن ترجمة Verstellung إلى رياء زيادة فى المعنى إنما هو تظاهر خاص بالمعتقد الشيعى درءاً للخطر، وترجمة الفعل كان يمارسه خطأ لأن الشيعة ما يزالون يمارسون هذا المبدأ، وأما ترجمة vor sich und anderen Glaubengenossen بـ (فيما بينهم من جهة ومع المعاصرين لهم من جهة أخرى) غير دقيق، والأرجح (يبررون لأنفسهم ولرفاقهم فى العقيدة أو إخوانهم فى العقيدة)، ثم نجده يتحول إلى الترجمة بالمعنى من أول استناداً إلى... إلى نية الفاعل»، والجملة واضحة جداً وهو المبدأ الإسلامى: يعتمد أى سلوك دينى على نية فاعلة. أما أسوأ ما فى العبارة فهو حذف الجزء الأساسى من الجملة بقوله: وأن فى القرآن الكريم ما يؤيد ذلك. هل يجوز ذلك؟ المستشرق الأجنبى يمثل تمثيلاً دقيقاً للمعنى، ويذكر الدليل من القرآن. ونقوم نحن بحذف العبرة من النص. لا أظن أن ذلك الأمر مقبول على الإطلاق.

* ويقول فوك ص ٢٩، ٣٠ فى ترجمة بدور دى الكالا (القلعة):

, und überstzte es mit Hilfe einiger in den muslimischen Wissenschaften bewanderter Männer - onrrados y sabios faquis heißen sie in dem an Talavera gerichteten Prolog - in den arabischen Vulgärdialekt von Granada.

ترجم الأستاذ عمر لطفى هذه العبارة ص ٤٠ إلى:

وترجمه بمساعدة بعض الرجال المسلمين بعلوم المسلمين.

وترجمتها إلى:

وترجمه بمساعدة بضع رجال خبراء فى العلوم الإسلامية (الفقهاء المسلمين المحترمين) أسماهم فى المقدمة التى وجهها إلى تلافيرا ـ باللهجة العربية الدارجة فى قرطبة.

ـ الفرق بين الترجمتين:

أظنه واضحاً دون بيان، ومع ذلك أتساءل لماذا حذف العبارة اللاتينية الدالة على

احترام دى الكالا للفقهاء المسلمين. لقد عددهم فى المقدمة اسماً اسماً ثم أين بقية الكلام فى أول: أسماهم... إلى قرطبة. إن هذا الحذف مألوف فى الترجمة بأكملها. ها هو بعد ذلك يسقط نصف ص ٣٠ الخاصة بطريقته فى استخدام الحروف باستخدام حفار يحفرها فى الخشب. ولا أدرى لماذا يقول المترجم هنا ص ٤٠ أيضاً: لابد أنها قد قطعت من صانع قوالب خشبية أمي. يقصد: كان يجب أن يحفرها فى الخشب حفار لأشكال الحروف ليس لديه أدنى معرفة بالعربية. لقد صار الحفار الذى لا يعرف العربية عنده أمياً. ما هذا؟ ويقول ص ٤١: وقد ظهرت كذلك فى سنة ١٥٠٥ فى غرناطة باسم يحمل نفس المعنى. كيف يجوز له أن يقول: لقد كتب دى الكالا فى أخريات حياته كتاباً فى «نحو لهجة غرناطة»، "Arte para ligera mente saber la lengua araviga" وترجمتها: فن معرفة اللغة العربية بسهولة. أظن أنه أراد أن يهرب من ترجمة العنوان اللاتينى، فقال: يحمل نفس المعنى. ولو قال يحمل الاسم ذاته لكان أقرب، ولكنه برغم ذلك غير صحيح لأن الاسم قد تغير كما أوضحت.

* ويقول فوك ص ٣٢:

Obwohl ihm die arabische Nationalgrammtik nicht unbekannt ist, übernimmt er doch nicht ihr System; denn er will die Sprache des gemeinen Volkes darstellen und erkannt, deβ dafür,, die künstlichkei ten der arabischen Grammtik" ungeeignet sind; er unternimmt vielmehr als erster Humanist den kühnen Versuch, die Kategorien der lateinischen Grammtik auf den Dialekt von Granada zu übertragen

ترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ٤١ إلى:

على أنه وإن كانت قواعد العربية غير مجهولة بالنسبة له، فإنه لا يتقيد بها، ويفضل العمل بالقواعد الجارية على ألسن الناس، ويعترف بأن فنون النحو العربى غير ملائمة؛ إنه يخوض، بوصفه أول من اتبع المذهب الإنسانى، غمار تجربة شجاعة، بحمل أشكال قواعد اللغة اللاتينية على عامية غرناطة.

أما ترجمتى لها فهى:

وبرغم أن النحو العربى لم يكن غريباً عنه، فإنه لم يتبع نظامه، لأنه يريد أن يقدم لغة عامة الناس، وأدرك أن أوجه تكلف النحو العربى غير مناسبة لذلك، بل إنه قد قام بوصفه أول من يمثل الحركة الإنسانية، بمحاولة جريئة؛ وهى أن يطبق مقولات النحو اللاتينى على لهجة غرناطة.

ـ الفرق بين الترجمتين:

إذا كان قد ترجم «النحو العربي» إلى قواعد العربية يمكن أن نتجاوز عنه، فلما حذف ihr System : نظامه. أما ما ورد بعد ذلك فأغلبه غلط: أين يفضل العمل بـ... الرجل يريد أن يقدم اللغة التى تتحدثها العامة. ثم ترجم die Künstlichkeiten إلى فنون، وأرى ترجمتها إلى «أوجه تكلف»، وإذا كان «يخوض غمار تجربة شجاعة» قريب من «قام بمحاولة جريئة»، فكيف يمكن أن يقبل المرء أن تترجم عبارة die kategorien der lateinischen G. إلى أشكال النحو اللاتينى. إن مصطلح Kategorie يعنى مقولة أو فصيلة نحوية، وترجمة الفعل übertragen إلى حمل على ترجمة حرفية غير مناسبة. والأحرى أن تترجم إلى يطبق على .ويمكن أن أضيف هنا أيضاً إذا كان بدور دى الكالا قد ذهب إلى خطأ تطبيق مقولات النحو العربى التقليدى على لهجة ما فإن تطبيق مقولات النحو اللاتينى الأكثر بعداً عنها أشد خطأ.

ثم يترجم الأستاذ عمر لطفي هناك أيضاً لمصطلح اللاتينى partes orationis إلى موضوعات، وصحته: أقسام الكلام. أما أغرب ما قرأته فى هذه الترجمة أنه يقول بعد ذلك ص ٤١:

«ثم يعود ويعلق فى أعلى الصفحات قطعاً خشبية تمثل أحرف الهجاء العربية، وما يقابلها بحروف لاتينية».

كيف يمكن لإنسان أن يعلق قطعاً خشبية فى أعلى صفحات كتاب له؟!

العبارة الألمانية هى: Vorangestellt ist ein Abschnitt über das arabische Alphabet (die arabischen Lettern sind im Holzschnitt wiedergegeben), seine Umschrift durch lateinische Buchstaben, die Aussprache von خ ، ث und ع sowie die üblichen Vokalzeichen in arabischer Schrift. هل الجملة السابقة ترجمة صحيحة للجملة الألمانية؟ هذا أمر غير معقول كيف يجرؤ إنسان على فعل هذا التشويه؟

أما ترجمة الجملة كاملة فهى: وقدّم فصلٌ عن الأبجدية العربية (الحروف العربية حفرت على الخشب)، وعن كتابتها بحروف لاتينية، ونطق الخاء والثاء والعين والحركات العربية المألوفة بخط عربى.

فهل يرى القارىء الآن علاقة بين ترجمتي وما قام به الأستاذ عمر لطفى وجرؤ على أن يطلق عليه ترجمة؟! أقول مرة أخرى إن ما أقدمه هنا هو نماذج عابرة، فلا أستطيع أن أتتبع ما فعله سطراً سطراً، فهذا يخرج عن طاقتي، وقبل أن أنتقل إلى ترجمة أخرى. لقد قام الأستاذ عمر بحذف ثلثى صفحة ص ٣٣ من الأصل بدءاً من:... Der Artikel وحتى كلمة versuchte دون أن يقول كلمة واحدة عن حذف هذا الجزء من النص الأصلى، هل هذه أمانة المترجم أن يفعل بالنص هكذا كيفما شاء له أن يفعل؟!

* ويقول فوك ص ٣٦، و٣٧:

Franz I von Frankreich lieβ sich aurch die Katholiche Ideologie, welche in ihm den aller christlichsten König und in der französichen Kirche die älteste Roms sah. nicht daran hindern, in seinem Kämpfe gegen Karl V. den Versuch zu machen, sich der Unterstützüng des osmanischen Sultans zu bedienen.

ترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ٤٦ إلى:

وهكذا فإن فرانس الأول ملك، فرنسا، لم تفلّ الايديولوجيو الكاثوليكية التى كانت ترى فيه الملك الكاثوليكى الأول والأخت الكبرى لروما فى الكنسية الفرنسية، من عزمه على محاولة الحصول على مساندة السلطان العثمانى فى صراعه ضد شارل الرابع.

أما ترجمتى لها فهى:

فلم يتورع فرانس الأول، ملك فرنسا بناءً على عقيدة كاثوليكية، ترى فيه ملك المسيحيين أجمعين، والكنسية الفرنسية أقدم أخت لكنيسة روما، عن أن يحاول أن يستعين بدعم السلطان العثمانى فى حربه ضد كارل (شارل) الخامس.

- الفرق بين الترجمتين:

لقد جانب الصواب فى اختياراته للمفردات وفى تركيب الجمل، إذ استخدم الفعل يفل من عزمه ترجمة لـ hindem daran ومعناه منع من أو حال دون، تورع عن، ثم أين الملك الكاثوليكى الأول؟ إن معنى aller christlichsten König الملك المسؤول عن المسيحيين أجمعين ثم يترجم bedienen إلى الحصول على، وترجمته إلى «يستعين بـ» أدق، ثم يترجم Karl V إلى شارل الرابع، والرقم يعنى الخامس ثم يقول ترجمة لجملة und erwirkte im folgenden Jahre die berühmte Kapitulation. استاطعت... والحصول على الاستسلام المعروف (ص ٤٦ أيضاً)، أى استسلام هذا الذى حصلت عليه؟ إن ترجمة Kapitulation تعنى الامتياز الذى يمنحه السلطان لممارسة التجارة. بدليل قوله: .den Untertanen Franz' I das Recht verlieh, sich in der Türkei niederzulassen und Handel zu treiben. فيقول الأستاذ عمر ترجمة لذلك: الذى يمنح السلطان بموجبه تابعه فرانس الأول الحق للإقامة فى تركيا ومزاولة التجارة. ص ٤٦، ٤٧ الفعل المستخدم هنا فى زمن الماضى verlieh أى منح. ولكن العجيب أنه منح تابعَه فرانس الأول. هل هذا كلام؟ إن ترجمة التركيب den Untertanen Franz' I أتباع فرانس الأول، أى التجار الفرنسيين، ثم يترجم الجملة التالية بطريقة غريبة جداً، فيقول ترجمة لـ: und ihnen weitgehende Selbstverwaltung unter ihren Konsuln und vor allem die Konsulargerichtsbarkeit einräumte. s. 37

والتمتع بحق الحماية القنصلية ص ٤٧ .

هل هذا ممكن، هل تختصر الجملة الألمانية المعقدة إلى هذا الحد؟ إن الترجمة التى أراها مناسبة وكاملة هى: وأقر لهم بإدارة مستقلة إلى حد بعيد تحت إشراف قناصلهم، وبخاصة القضاء القنصلى.

* يقول فوك ص ٣٨:

von einem jüdischen Hofarzt Moses Almālī (?) wurde er in die jüdische Kabbala eingeführt und las den Zohr.

ويقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لهذه العبارة ص ٤٧:

واستدل برفقة (موسى المعلى) وهو يهودى كان يشغل وظيفة الطبيب الخاص للبعثة، استدل على المكتبة اليهودية حيث قرأ (الزهار).

أما ترجمتى فهى:

وتعمق فى القبَّالة اليهودية، وقرأ سفر زُهَر على يد طبيب القصر الطبيب اليهودى موسى المعالى (؟).

ـ الفرق بين الترجمتين:

لقد ترجم الفعل einführen in إلى استدل برفقة.. ما هذا؟ السياق يبين مساعدة الطبيب لبوستل فى التعمق فى قراءة أعمال يهودية، وأظن أنه الطبيب الخاص للبعثة؟ لقد كان هذا الطبيب طبيباً فى البلاط التركى. وأين لم يعرف معنى Kabbala لأنه ترجمها إلى المكتبة اليهودية.

يا سيدي القبَّالة حركة سرية فلسفية ـ لاهوتية في اليهودية، ولم يعرف أيضاً زُهَر الذى أسماه (زهار) الذى له سفر (أى كتاب) فى اليهودية أيضاً.

ثم يترجم الجملة التالية:

Daneben benutzte er jede Gelegenheit, seine Kenntnisse in fremden Sprachen zu erweitern. S. 38

إلى ما يأتى ص ٤٧ أيضاً: وإلى جانب ذلك فقد استغل كل مناسبة لتوسيع مداركه اللغوية. أين مداركه اللغوية فى النص؟ إنه استغل كل فرصة لتوسيع معرفته (أو معارفه) باللغات الأجنبية.

وترجم Psalmenübersetzung إلى: ترجمة التراتيل الدينية ص ٤٨ وصحتها: ترجمة

المزامير، ويترجم schlechte arabische Typen ترجمة حرفية ص ٤٨ إلى الأنماط العربية الرديئة، وصحتها: حروف طباعة النحو العربية الرديئة. فكلمة Typ تعنى هنا حرف الطباعة.

* ويقول فوك ص ٣٩:

In der Praefatio, welche aus dem Kapitel über das Arabische im Linguarum XII Alphabetum übernommen ist, geht Postal von der Verbreitung des Islams aus.

ويقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لهذه العبارة ص ٤٨:

ويؤخذ من مقدمة بوستل، أنه انطلق فى تعليله حول ما كتب عن القواعد وأحرف الهجاء العربية، من توسع الإسلام...

أما ترجمتى لها فهى:

وفى المقدمة التى أُخذت من باب عن العربية فى: (كتاب) اللغة، الباب الثانى عشر: الأبجدية، ينطلق بوستل من انتشار الإسلام...

ـ الفرق بين الترجمتين:

لقد قلب الأستاذ عمر الكلام فى الجملتين: إن المقدمة قد أخذها بوستل من كتاب العربية، ثم أين الزمن الماضى انطلق وهو فى الألمانية geht aus أى ينطلق.ثم أين فى تعليله حول...؟ ولماذا حذف الفعل durchdringt الذى جاء بعد ذلك، ويدل على تغلغل الإسلام فى أفريقيا كلها... ثم يترجم الجملة القصيرة اللاحقة: Auch in Europa ist er eingedrungen s. 39 إلى: وكذلك الحال فى أوربا (ص ٤٨) أى حال هذه؟ هل يفهم المرء منها شيئاً؟ إنه يقصد بالضمير er (الإسلام) ولذلك ترجمتها إلى: وقد نفذ (أى الإسلام) إلى أوربا أيضاً.

ويترجم Neoteristae إلى الكُتّاب، أى كتاب يا رجل. إن الجملة الألمانية هى: und polemisiert gegen die Neoteristae, welche ihren Wert bekitteln. s. 39، فيقول ص ٤٨:

ويهاجم الكتاب الذين انتقصوا من قيمتها. وأرى أن ترجمتها هى: ويهاجم المتطببين الجدد الذين شككوا فى قيمته. لأن الكلام عن الطب العملى praktische Heilkunde.

* ويقول فوك ص ٤٠:

Sie enth ält zuvörderst unter der Überschrift Alphabetum Arabicum vel Punicum das Alphabet mit einer inkonsequenten und weiterhin nicht ängstlich befolgten Umschrift (ohne diakritische Punkte), behandelt Vokal - und Lesezeichen, Abgad und indische Ziffern.

ويقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لهذه الفقرة ص ٤٩ :

فهى تحتوى قبل كل شيء تحت العنوان (Alphabetum Arabicum) (أبجدية العربية) الحرف الآبجدى متبوعا بكتابة صوتية (بدون نقط) متناقضة وغير محتاطة.

أما ترجمتى لها فهى:

ويضم قبل كل شيء تحت عنوان (الأبجدية العربية أو الفنيقية) الأبجدية فى رسم متباين ومقلق فى اتباعه باستمرار (دون تنقيط)، ويتناول الحركات والتشكيل التى تسهم فى القراءة الجيدة، وترتيب أبجد، والأرقام الهندية.

- الفرق بين الترجمتين:

ابتداءً هل يجوز أن يتناول المرء طريقة تعامل عالم مع النحو العربى بهذه الطريقة التى يحذف فيها المرء ما يشاء وأن يقول أى شيء؟ إن المؤلف بدأ بالضمير sie وهو يعود إلى Grammatik النحو وهو اسم مؤنث فى الألمانية، مذكر فى العربية، ثم ما معنى كتابة صوتية (بدون نقط) متناقضة وغير محتاطة؟ الرجل يقصد أن الرسم فيه اختلاف ومضطرب ومن ثم يصعب اتباعه، ثم لماذا حذف الجملة الأخيرة بدءاً من: ويتناول الرموز الدالة على الحركات والتشكيل التى تسهم فى القراءة الجيدة، التى لا يمكن أن تستغنى عنها العربية ثم قائمة ترتيب الحروف بطريقة أبجد هوز، والأرقام العربية التى يطلق عليها الأرقام الهندية. ثم يحذف نصف صفحة بعد ذلك دون سبب، هل رأى أن النص اللاتينى غير مهم. ولكنه بهذا الحذف قد أغفل معلومة فى غاية الأهمية، وهى أنه من المحتمل أن يكون بوستل قد اعتمد كما نوه بذلك على كتاب (التصريف) للعزى.

* ويقول فوك ص ٤٠ و٤١:

In der Nominallehre behält Postal das lateinische Kasus_system bei und schreibt im übrigen aus seiner Vorlage die Nominalklassen aus, ohne ihre Bildungsweise zu erlautern. Unter den Patikeln ist zusammengefegt, was anderswo nicht unterzubringen war: die Pronominalsuffixe, die Demonstrative, einige Adverbia und, nach ein paar Ratschlägen für das Lesen unvokalisieter Texte, die Zahlwörter.

ويقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لهذه الفقرة ص ٤٩ :

وفيما يتعلق بالمبتدأ، يُبقى بوستل على نظام الحالات اللاتينى، وينقل طبقات الاسم من حافظته دون أن يتعرض لطريقة صياغته. وبين الأدوات ينضوى ما لم يكن ليندرج فى أى موضع آخر: ملحقات الضمير (المقاطع المضافة بقصد تغيير المعنى)، أسماء الإشارة، بعض

الظروف، ومن ثم ويعد إسداء بعض النصائح حول قراءة النصوص غير المعجمة، تلى كلمات الحروف.

أما ترجمتى لها فهى:

وفى قسم الاسم يبقى پوستل على نظام الحالات الإعرابية اللاتينى، وينقل كذلك أقسام الاسم من نموذجه دون أن يفسر طريقة بنائه، ولملم تحت الأدوات ما لم يمكن إيراده فى مكان آخر: اللواحق الضميرية وأسماء الإشارة وبعض الظروف، ونصوص غير مشكلة للقراءة بناءً على بضع نصائح، والأعداد.

ـ الفرق بين الترجمتين:

ابتداءً هل لما كتبه معنى؟ إنه كلمات متراصة ليس بينها علاقة. لقد ترجم Nominallehre إلى مبتدأ، أى مبتدأ، إنه يتحدث فى جزء الصرف، وفيه يقسم الحديث إلى الأسماء وأبنيتها والأفعال وأبنيتها. الأغرب قوله بعد ذلك: وينقل طبقات الاسم من حافظته. أى حافظة؟، وما معنى طبقات الاسم. إن ترجمة Nominalklassen أقسام الاسم أو الأقسام الاسمية، ويترجم التركيب الفعلى: ist zusammengefegt إلى ينضوى، والأحرى أن يترجم إلى لملم أو جمع. وهل يجوز ترجمة مصطلح Pronominalsuffixe إلى ملحقات الضمير، وهل تدل العبارة، التى أضافها إلى المصطلح لتفسيره، على شيء؟ إنه فى كتب المصطلحات اللغوية لواحق ضميرية، مثل السوابق والحشو. ومن أين جاء بعبارة: ويعد إسداء بعض النصائح. إنه يقصد بناءً على أو وفقاً لبعض النصائح. وهل يجوز أن يترجم Zahlworter إلى كلمات الحروف: ما هذا الذى صنعه فى هذه الترجمة. إن المصطلح فى كتب النحو يعنى باب العدد أو الأعداد. انظر كيف يترجم العبارة الواصفة لكتاب پوستل: Grammatica Arabica ist Postels letzter unmittelbarer Beitrag zu den arabischen Studien.. s. 41، يقول: إن كتاب بوستل... (قواعد العربية) كان آخر اتهامات المؤلف المذكور فى الدراسات العربية. هل هذا معقول؟ إن المؤلف يقصد: ويعد هذا الكتاب (النحو العربى) آخر إسهام مباشر لپوستل فى الدراسات العربية. كيف تحول Beitrag (إسهام) إلى (اتهامات)؟ ويترجم بعد ذلك Weltverbessarungspläne بخطط لتحسين العالم، والأدق لإصلاح العالم، ويترجم Bekehrung إلى تنصير، والمعنى هنا يعنى تحول عن عقيدة إلى أخرى. ويترجم die Jesuiten (اليسوعيون) إلى الفرنسيين ص ٥٠ وحول رجل الدين اليسوعى اجناتيوس دى لايولا إلى المركيز اجناتوس ص ٥٠. ويترجم Evangelium (الإنجيل) إلى الكتاب المقدس ص ٥٢، أظن أن القارىء فى حاجة إلى المزيد حتى يتكون له تصور متكامل عن هذه الترجمة الغريبة جداً.

* يقول فوك ص ٤٣:

Mehrere seiner Schriften waren auf den Index gesetzt worden, und er versuchte, sich zu rechtfertigen. Sein Einspruch hatte aber nur die Wirkung, daβ man ihm bescheinigte, nicht böswillig, sondern aus Unverstand gefehlt zu haben.

ويقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لهذه الفقرة ص ٥٢:

وقد وضعت له بضع مؤلفات فى الفهرسة، وحاول تبرئة نفسه من التهم التى نسبت إليه، إلا أن اعتراضه لم يلق تجاوباً باستثناء منحه شهادة تنص على أن ما صدر عنه لم يبيت به شراً، وأنه وقع بسوء تقدير منه.

أما ترجمتى للفقرة فهى:

وقد حرمت قراءة كثير من مؤلفاته، وحاول أن يبرأ نفسه، غير أن اعتراضه لم يثمر إلا فى أن يقر له بأن ماوقع فيه من خطأ لم يكن عن سوء نية، بل عن سوء تقدير.

ـ الفرق بين الترجمتين:

العبرة فى هذه الفقرة، كما أظن، غابت عنه فلم يدرك المعنى المجازى للجملة الأولى. ولكن مراعاة السياق يفسر المقصود، فمعنى التركيب auf Index gesetzt worden waren أى مؤلفاته وضعت على القائمة السوداء البابوية. ومن ثم حرم على الناس قراءتها،ومعنى التركيب die Wirkung haben: له تأثير، أو جدوى، ولذلك قلت: لم يثمر، وترجم التركيب ihm bescheinigte منحه شهادة، أى شهادة هذه؟ إنه قد كتب له أو أقر له بأن خطأه لم يكن عن سوء نية böswillig، أى لم يتعمده، بل عن سوء تقدير unverstand، أى لم يكن واعياً به. وأخيراً فهم جملة أخرى فهماً مقلوباً، وهى von den Klosterinsassen wegen seiner abstrusen Gelehrsamkeit geachtet und wegen seiner Herzenzgüte geliebt. S. 44 يقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لهذه العبارة ص ٥٣: محتقراً من قبل المشرفين على السجن بسبب انحرافه العلمى ومحبوباً منهم بسبب طيبة قلبه.

هل هذا كلام؟ أيكون الرجل محتقراً ومحبوباً فى الوقت نفسه؟ إن الفعل المستخدم geachtet أى محترماً، مثل geliebt محبوباً، ثم أين المشرفون على السجن، أى سجن هذا؟ لقد وضع الرجل فى أخريات حياته فى دير حتى لا تنتشر آرؤاه الجريئة المنصفة التى لا تروق الكنيسة، لقد استخدم المؤلف التركيب Klosterinsassen أى المقيمون فى الدير، فإذا كان يقصد بالدير سجناً فى إطار هذا الجو العام فربما كان ذلك مقبولاً على أنها ترجمة بالمعنى كعادته. كما أن كلمة abstruse لا تعنى انحرافاً، بل تعنى مبهماً، غامضاً، مريباً من وجهة نظر الكنيسة طبعاً.

وفى موضوع «بداية الدراسات العربية فى ألمانيا» أجده أسقط عدة أسطر فى وسط الصفحة بعد قوله: ضمن المنحى الإصلاحى (اللوثرى) ص ٥٤ وقبل قوله: إن أول شخص تعامل...

ولا أدرى ما علة ذلك؟! ويترجم التركيب: Abu' l - Fidā's Kosmographie ص ٥٥ إلى كوزموجوافيا أبى الفداء والمقصود: تاريخ أبى الفداء المعروف وهو (المختصر فى تاريخ البشر)، ويترجم التركيب ein grammatisches Lehrgebäude ص ٥٥ أيضاً: صرحاً علمياً لغوياً. الرجل يقصد عملاً نحوياً، أى دراسة نحوية للغة الكتاب.

* ويقول فوك بعد ذلك ص ٤٦: dann werde es gelingen, das Arabische grundlich zu reforschen und den Wust von Korruptelen zu beseitigen, welche sich in die Übersetzungen eingeschlichen haben.

ويقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لهذه العبارة ص ٥٥، و٥٦:

بعدئذ سيتسنى اكتشاف العربية من الجذور واستبعاد الغث الذى تسرب إلى الترجمان.

أما ترجمتى لها فهى:

ثم يكون من المستطاع بعد ذلك دراسة العربية دراسة أساسية، والتغلب على حفنة من التحريفات التى تسربت إلى الترجمات.

ـ الفرق بين الترجمتين:

كعادته في التصرف أضاف فى الجملة الأساسية: اكتشاف. إن الفعل erforschen يعنى بحث أو درس، أين الاكتشاف المزعوم هذا؟ وترجم ببساطة شديدة التركيب den Wust von Korruptelen إلى الغث، وفى هذا التبسيط ـ حقيقة ـ إخلال، ولذا أرجح أن تكون: حفنة من التحريفات أو الأغلاط، وأخيراً أين الترجمان فى النص الأصلى. لعل ذلك خطأ طباعى إذ المقصود الترجمات.

* يقول فوك ص ٤٦:

Neben Christmann beschäftigte sich ein anderer Theologe... Ruthger Spey, mit der arabischen Bibelübersetzung, auf die er gestoβen war als er im Auftrag des Kurfürsten die talmudischen Bücher der Heidelberger Bibliothek ordnete.

ويقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لهذه الفقرة ص ٥٦:

وإلى جانب كريستمان اشتغل رجل لاهوت آخر... روثر سباى، بترجمة الكتاب المقدس إلى العربية حين التقاه بينما كان ينظم الكتب التلمودية لمكتبة هايدلبرج بتكليف من أمير المقاطعة.

أما ترجمتى لها فهى:

وعمل إلى جانب كريستمان، عالم لاهوت آخر، هو روتجر شباى، بالترجمة العربية للكتاب المقدس التى وقع عليها صدفةً حين كان ينظم بتكليف من الأمير الكتب التلمودية فى مكتبة هايدلبرج.

ـ الفرق بين الترجمتين:

الغريب الذى استوقفنى فى هذه الفقرة هو قوله: اشتغل بترجمة الكتاب المقدس إلى العربية حين التقاه ... ذلك يعنى أنه كان يقوم بترجمة عربية للكتاب المقدس، وأنه عثر على الكتاب المقدس فى أثناء تنظيمه لمكتبة هايدلبرج. فهل هذا هو قصد المؤلف؟ بالطبع لا. هذا تحريف. إن الرجل يقول: إن هذا الراهب عثر مصادفة على الترجمة العربية، فشغل بدراستها. أى أن الترجمة موجودة من قبل، وليس هو المنشىء لها.

ويترجم بعد ذلك جملة: Aus der mehrfach erwähnten Postelschen Handschrift gab er 1583 den Galaterberief und fügte den Dekalog, das Glaubensbekenntnis, das Vaterunser und einige weitere Bibelworte hinzu. S. 46: 47 إلى: ويستفاد من الإشارة المتكررة لمخطوط بوستل أنه أصدر فى سنة ١٥ رسالة جالات وألحقها بالوصايا العشر، وبشهادة الدخول فى الدين، والصلاة الربانية، ويضع كلمات أخرى من الكتاب المقدس.

وأقف هنا عند بداية الجملة: ويستفاد من الإشارة المتكررة لمخطوط بوستل أنه أصدر فى سنة ١٥ رسالة جالات. ما هذا؟ إن الرجل يقصد: ونشر من مخطوطة بوستل المذكورة مراراً رسالة جلتر سنة ١٥٨٣م. ويترجم الكلمة المركبة Glaubensbekenntnis (وهى الشهادة أو شهادة الاعتقاد) إلى بشهادة الدخول فى الدين. لقد احترت فى مسلك هذه الترجمة. إن الأستاذ عمر لطفى لا يسير على نهج واحد فى الترجمة؛ فتارة يترجم المضمون ويهمل الألفاظ، وتارة أخرى يترجم ترجمة حرفية محضنة. هل يجوز ذلك فى عمل واحد؟

وأخيراً يترجم Anregungen إلى محاولات ص ٥٦. والأخرى أن تترجم إلى محفزات، مثيرات، مقترحات... إلخ، ويترجم التركيب um des Nutzens willen إلى: بهدف عائد الثقافة الشخصى. لم كل هذا التكلف؟ إنه يقصد: من أجل النفع، وكفى!

* يقول فوك ص ٤٧:

Freilich merkte er bald, daβ Postel im Arabischen nicht so zu Hause war, wie er gerne glauben machen wollte, und daβ er überhaupt keine Sprache wirklich von Grund aus beherrschte. „Postellus excellens philosophus..., mit diesen Worten ist in der ersten Sammlung seiner Aussprüche sein Urteil über ihn zusammen gefaβt.

ويقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لهذه الفقرة ص ٥٧:

ومن البديهى أن سكاليجر سرعان ما لاحظ بأن بوستل لم يعش فى موطن اللغة كما كان يتمنى، وأنه لم يتح له بحق تعلم اللغة بحسب أصولها. وبهذه الكلمات تكون اعترافاته حول نفسه قد أوجزت.

أما ترجمتى لها فهى:

ومن البديهى أنه سرعان ما لاحظ أن بوستل لم يكن راسخاً فى العربية على النحو الذى أراد أن يقنعنا به، ولم يتمكن على الإطلاق من أية لغة تمكناً تاماً حقاً. «كان بوستل فيلسوفاً، جغرفياً، رياضياً مؤرخاً... ممتازاً، وبهذه الكلمات يجمِل فى أول مجموعة من أقواله حكمَه فيه.

ـ الفرق بين الترجمتين:

فى الواقع الفرق ظاهر بينهما، ولكن لمزيد من التوضيح للقارىء. لقد ترجم zu Hause war إلى: لم يعش فى موطن اللغة، أى موطن؟ وأى لغة؟ التعبير يقصد به فى الألمانية معنى غير حرفى وهو عدم تمكن شخص من اللغة. وهل معنى التركيب الفعلى glauben machen wollte، كما يقول: كما كان يتمنى. إن كلمة wollte تعنى تمنى أو أراد. فأين الأفعال الأخرى؟ إن يريد أن يقول: أراد أن يقنعنا بشىء غير متحقق فيه. ثم الأغرب من ذلك أن يترجم er überhaupt keine Sprache beherrschte إلى لم يتح له تعلم لغة. ما هذا؟ الفعل beherrschen معناه يتسيد، يسيطر، يتمكن من... إلخ، والأنسب مع اللغة أن يقال: تمكن من اللغة، ثم يترجم التركيب von Grund aus إلى بحسب أصولها، أى أصول؟ إنها لا تصلح حتى ترجمة حرفية، إنها تعني من الأساس، أصلاً، على الإطلاق. ثم حذف الحكم الذى حكم به سكاليجيه على بوستل لأنه مكتوب باللغة اللاتينية. لنتجاوز عن ذلك لأنه باللاتينية، ولكن هل نتجاوز عن الجملة اللاحقة له وهى وقوله: وبهذه الكلمات تكون اعترافاته حول نفسه قد أوجزت. هل هذا معقول؟ أين اعترافاته حول نفسه. إن التركيب الأغانى هو sein Urteil über ihn، أى حكم سكاليجيه فى بوستل. إن هذا هو تفسير الضمائر الصحيح، ثم أين التركيب الممتد فى الأصل الألمانى: in der ersten Sammlung seine Aussprüche (أى فى أول مجموعة من أقواله).

هل يمكن أن يثق المرء فيما ينقله عن ترجمة فيها كل هذا التصرف؟!

آه لو كان فى مستطاعى أن أُوَسِّع المقدمة لقدمت مئات الأمثلة، ولكنى مغلول اليد!!!

* يقول فوك ص ٤٨:

Gänzlich fremd aber war ihm seines Lehrers Missionseifer und fern lag ihm jeder Gedanke, seine Sprachkenntnisse in den Dienst der christlichen Religion stellen zu wollen. Ihm ging es um die geschichtliche Wahrheit, hatte er für seine Forschungen einen Würdigen Gegenstand gefunden, so ging er daran, unter Einsatz aller ihm zu Gebote stehenden Mittel nüchtern und unvoreingenommen die Tatsachen festzustellen.

ويقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لهذه الفقرة ص ٥٧ إلى:

لكن الشيء الذى كان غريباً عنه كل الغربة، هو سعى أستاذه التبشيرى، بل كل فكرة ترمى إلى وضع معرفته اللغوية فى خدمة الديانة المسيحية. لقد انصب همه الأكبر على الحقيقة التاريخية، فإذا ما حدث وعثر على ما يدل على نتيجة مثمرة لبحوثه، مضى بحصانة وبغير تحيز، وبكل ما أتيح له من وسائل فى إثبات الحقائق.

أما ترجمتى لها فهى:

بيد أن تحمس أستاذه للتبشير كان غريباً عنه كل الغرابة. وكان بينه وبين كل فكرة تميل إلى تسخير معرفته اللغوية فى خدمة الدين المسيحى بون شاسع. فلم تهمه إلا الحقيقة التاريخية. وقد صادفت أبحاثه وضعاً مناسباً. ومن ثم أقبل على أن يؤكد الحقائق مستعيناً بكل ما يقع تحت يديه من وسائل على نحو واقعى وغير متحيز.

ـ الفرق بين الترجمتين:

لقد ترجم Missionseifer إلى سعى أستاذ التبشيرى. وفى هذا تخفيف للمعنى إذ المراد تحمسه للتبشير، وما معنى الغربة؟ إنها الغرابة. ويعنى التركيب ihm ging es um لم تهمه أو تعنيه. إن عبارة: «انصب همه الأكبر» أشد وأقوى من التركيب الألمانى. وأين النتيجة المثمرة؟ وهل هو الذى عثر على نتيجة؟ إن قوله: فإذا ما حدث وعثر على... فيه تزيد ومجانب للصواب. إن المراد أن بحوثه هى التى صادفت وضعاً مناسباً. ولقد قلب أخيراً الجملة فقال: مضى بحصانة وبغير تحيز، وبكل ما أتيح له من وسائل فى إثبات الحقائق؟ إن الفعل (مضى) غير موجود فى الجملة الألمانية. الفعل الأساسى هو feststellen أى أثبت أو أكد. وأين الحصانة المزعومة؟ هل يقصد بها كلمة nüchtern. إنها تعنى بحصافة أو بواقعية، ولذلك قلت: أن يؤكد الحقائق مستعيناً بكل ما لديه من وسائل على نحو واقعى أو حصيف وغير متحيز.

الأغرب من ذلك ما فعله فى الجملة اللاحقة؛ فقد قال فوك ص ٤٨ أيضاً:

Das glänzendste Beispiel hierfür ist sein Hauptwerk de emendatione temporum, die Frucht einer Wißbegier, welche aus Jener Verwunderung entwuchs, der alle Philosophie entsammt.

ويترجم الأستاذ عمر لطفى ذلك ص ٥٧، و٥٨ إلى: ويُعد عمله الذى أطلق عليه اسم (ثمرة النهم إلى المعرفة) والذى نبع من الإعجاب ونشأ من كل الفلسفات، أنصع دليل على ذلك. أسأل نفسى أية جرأة هذه؟ لقد جعل الاسم اللاتينى للكتاب جزءاً من جملة وصف الكتاب. إن الرجل يقول: وأبرز مثال على ذلك مؤلفه الأساسى: «حول تهذيب التواريخ» ثمرة

بالعلم، والأدهى والأمر من ذلك الجمل الفرعية، إذ يقول: نبع من الإعجاب. إن التركيب: aus jener Venwunderung entwuchs، أى عدمت أو فقدت أى إعجاب.

وقبل أن أقدم النص التالى أعتذر للقارىء عن طوله، ولكنى لا أستطيع أن أقطع أوصاله لأن الأخطاء فيه متتابعة ومتراكبة.

* يقول فوك ص ٤٩:

,sondern durch die Aufhellung ihres inneren Prinzipes die Epochen und Ären als Seele der Geschichte verstehen gelehrt und damit die Chronologie aus praktischen Handfertigkeit zum Range einer wissenschaftlichen Disziplin erhoben. Seine auf die Höhen weltgeschichtlicher Betrachtung sich erhebende Darstellung bedient sich aller ihm zugänglichen Mittel; er benutzt die griechische und lateinische Literatur, verwertet Inschriften, wie etwa das durch Busbeck bekannt- gewordene Monumentum Ancyranum (p. 449b) und den Griechischen Teil der griechisch - palmyrenischen Bilinguis aus Rom (p. 427b).

ويقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لهذه الفقرة ص ٥٨:

بل درّسها بإماطة اللثام عن مبدئها الداخلى وفهم المراحل والأطوار الزمنية كروح للتاريخ. رفع بذلك التاريخ من مرتبة الاستعمال الخاص إلى مرتبة التشدد العلمى. إن تصوره الذى ارتقى إلى أعلى مراتب التأمل التاريخى العالمى أحرزه بما كان تحت تصرفه من مختلف الوسائل: استخدم المصادر اليونانية واللاتينية.

إلى هنا انتهت ترجمته. هل هذا ممكن؟ لقد اختصر وحذف وغير ما شاء له وكأن النص الأصلى ملك له، يفعل به ما يشاء، هل افترض الجهل فى قرائه؟

إن ترجمتى الكاملة لهذا النص الطويل هى:

بل أمكن من خلال جلاء قانونها الداخلى من أن تُفهم العصور والأزمنة على أنها روح التاريخ، وارتفع بذلك التاريخ من مرتبة المهارة العملية إلى مرتبة النظام العلمى. وسخّر لعرضه الذى يرقى إلى درجة النظرة العلمية كل وسيلة متاحة؛ فقد استعان بالتراث اليونانى واللاتينى، واستفاد من نقوش مثل نقش: ... (P. 449b) الذى كشف عنه بوسبك، والجزء اليونانى من النقش ثنائى اللغة اليونانى ـ التدمرى من روما (P. 427b).

ـ الفرق بين الترجمتين:

الفرق بينهما ابتداء واسع جداً. ففى البداية ترجم التركيب اللغوى الألمانى ...durch

إلى درّسها، والأحرى والأدق: أمكن من خلال كذا من أن يُفهم... verstehen gelehrt hat ويترجم die Epochen und Ären إلى المراحل والأطوار الزمنية. والأحرى: العصور والأزمنة، ثم يقول: رفع بذلك التاريخ، أى أن الفاعل هو سكاليجيه. والجملة الألمانية الفاعل فيها هو التاريخ. المصيبة هنا قوله: من مرتبة الاستعمال الخاص إلى مرتبة التشدد العلمى. إنه قد أتى بمفردات لا علاقة لها بالنص؛ إن كلمة Handfertigkeit تعنى المهارة ووصفت بالعملية، ثم إن كلمة Disziplin تعنى النظام ووصف بالعلمى. ثم يستمر فى الإتيان بالألفاظ التى لا صلة لها بالنص. أظن أنه ترك النص، وألف نصاً آخر. إن الفعل bedient sich سخر لـ، وليس أحرزه، ثم أين التراث اليونانى اللاتينى الذى نص المؤلف عليه بدقة؟ ويقول بعد ذلك ص ٥٨: وفرز المخطوطات ذات الجدوى. أى مخطوطات يا رجل. إنها نقوش. ويقول ترجمة لجملة: und zieht z. B. die Darstellung des gehörnten Alexander auf griechischen Münzen zur Erklärung des Ausdruckes Qu'l - Qarnain heran (p. 425). S. 49

من ذلك مثلاً أنه أعاد ضرب الإسكندر ذى القرنين على قطع النقود المعدنية اليونانية لشرح مصطلح (ذو القرنين) عليها ص ٥٨. هل يرى القارىء فى هذه الجملة معنى معقولاً، هل قام الإسكندر من قبره وأعاد ضرب عملة معدنية ليشرح اسمه؟ إنه لم يفهم الجملة مطلقاً. إن فاعل الجملة هو سكاليجيه المستشرق الذى يتحدث المؤلف عنه، فيقول ـ وهذه ترجمتى ـ وسخّر على سبيل المثال عرض الإسكندر ذى القرنين على العملات اليونانية لشرح مصطلح (ذو القرنين). لينظر القارىء إلى ترجمة هذه الجملة أيضاً: er ist in mittelalterlichen Chroniken zu Hause. S. 49، يقول ص ٥٨: وكان العصر الوسيط فى وطنه.

ما هذا العبث؟ أى وطن هذا؟ إنها ترجمة حرفية رديئة. إن الرجل يقصد: وكان متمكناً من تواريخ العصور الوسطى. لينظر القارىء أيضاً فى الجملة التالية ص ٤٩ أيضاً: und geht mit Vorliebe chronologischen Problemen der frühen fränkischen Geschichte nach.

يقول ص ٥٨ ترجمة لها: فتعقب بولع المعضلات التاريخية لتاريخ أفريقيا المبكرة. ما هذا؟ ما دخل أفريقيا هنا؟ إنها سقطات كبيرة يصعب التساهل معها. إن الرجل يقصد تاريخ الفرنجة أو الأفرنج أو الأفرنك المبكر. وهناك هجرات لهم فى جنوب ألمانيا، لقد صار الإفرنج على يده افريقيا! هل يمكن للمرء أن يستمر على هذا النهج فى تتبع الترجمة سطراً سطراً؟ مستحيل.

* يقول فوك ص ٤٩ أيضاً (ويبدو أنها من من أتعس صفحات المترجم):

Dazu Kommt die bunte Fülle orientalischer Quellen, welche er dank seiner vielseitigen Sprachkenntnisse verwerten kann. Seine Belesenheit im rabbinischen Schrifttum gestattet ihm, die Mischna und die Ritualwerke des Maimonides und des Josef ben Ascher ebenso heranzu ziehen wie Bibelkommentare des David Kimchi. Ger sonides und Arama oder die Liturgien und die Kalender der Judengemeinden Frankreichs.

ويقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لهذه الفقرة ص ٥٨ و٥٩ إلى:

بعدئذ تأتى المصادر الشرقية الغزيرة المزركشة التى قدر على تقييمها بفضل معرفته المتعددة باللغة. إن كثرة اطلاعه على مخطوطات حاخامات اليهود سمحت له بالإقدام على الشروح التوارتية (المشنا) وكتب الشعائر لواضعها مايموند ويوسف بن الشير، وحواشى دافيد كيميشى على التوارة، وطقوس وتقويم الجالية اليهودية فى فرنسا.

أما ترجمتى لها فهى:

يضاف إلى ذلك الغزارة المتنوعة للمصادر الشرقية، التى استطاع أن يستفيد منها بفضل معارفه اللغوية، ومكّنه اطلاعه على تراث الربانيين من أن يستقى من المشنا، والمؤلفات الدينية لموسى بن ميمون، ويوسف بن آشر، وشروح الكتاب المقدس لداود كمشى وابن جرسون وآراما أو الطقوس الدينية للجماعات اليهودية فى فرنسا وتقاويمها.

- الفرق بين الترجمتين:

قبل أى شىء لم أعرف من قبل أن المصادر توصف بأنها مزركشة. والله هذا أمر يثير الضحك المر. لقد ترجم bunte إلى مزركشة. نعم هذا من معانيها. ولكن المناسب هنا للغزارة «المتنوعة أو المفرطة». ثم يترجم welche er verwerten kann إلى: التى قَدر على تقييمها. وهذا تزيّد وانحراف عن المعنى، الأرجح أن يكون المراد: التى استطاع أن يستفيد منها، ثم يترجم بعد ذلك دون اكتراث التركيب الواضح فى الأصل dank seiner vielseitigen Sprachkenntnisse إلى: بفضل معرفته المتعددة باللغة. ما هذا؟ إن الكلمة المركبة Sprachkenntnisse تعنى المعارف اللغوية ثم وصفت بالصفة vielseitige (أى المتعددة) ببساطة شديدة. وأظنه أيضاً لا يعرف هذه الطائفة من العلماء اليهود حين ترجم im rabbinischen Schrifttum قائلاً: مخطوطات حاخامات اليهود. أين مخطوطات ثم أين حاخامات فى هذا التركيب؟؛ إن Schrifttum تعنى تراث، ولقد ترجم كتاب سزجين: تاريخ التراث العربى الذى يحمل هذا العنوان، ثم إن كلمة rabbainisch تعنى ربانى، والربانيون طائفة مشهورة من العلماء اليهود، ولهم تراث كبير يعرفه المتخصصون فى الدراسات العبرية.

وأين سمحت له بالإقدام على؟ هل هذه العبارة ترجمة للتركيب: gestattet ihm etwas heranzuziehan. الأحرى أن تترجم إلى: مكّنه اطّلاعه... من أن يستقى، ثم لماذا أضاف الشروح التوراتية ثم يترجم Maimonides إلى مايمونيد. هل هذا معقول، هل لا يعرف موسى ابن ميمون العالم اليهودى الأندلسى المشهور؟ لقد كتب إسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب) المستشرق المعروف الذى درّس فى جامعة القاهرة كتاباً قيماً عنه. وهل يعنى التركيب Bibelkommentare حواشى التوراة؟ الأصح: شروح الكتاب المقدس، ثم أين بقية أسماء العلماء المذكورين فى النص. ولماذا ترجم Judengemeinden إلى الجالية اليهودية. إن أراد هذه الترجمة كان عليه أن يقول الجاليات لأن الكلمة جمع، وقد فعل ذلك أيضاً مع كلمة die Kalender، إذ قال: تقويم، والكلمة جمع أى تقاويم، لأن المفرد der Kalender. ويترجم كلمة (ترجوم) إلى (توراة)، ويترجم Athiopisch (الأثيوبية أو الحبشية) إلى اللغة الأمهرية ويترجم sie bietet أى تقدمه (أى اللغة) إلى يقدمونه ويترجم جملة الصلة: die er der leydener Bibliothek vermachte ص ٥٩ إلى: أوصى بها لنفسه فى مكتبه ليدن. والجملة تعنى: أوصى بها إلى مكتبة ليدن. أين لنفسه فى الجملة الألمانية؟ ويترجم: الراهب اليعقوبى اجناتيوس الانطاكى إلى المواطن اليعقوبى العكاوى اجناتيوس ص ٥٩.

ويترجم جملة: zu lebhaften Erörterungen geführt s. 50 إلى: وأدى إلى إضفاء وصف حى ص ٥٩. والأرجح: وأفضى إلى نقاشات حية. ويترجم die Antiochenische Kirche s. 51 إلى الكنيسة الفلسطينية من ٦٠. هل هذا ممكن يجعل الكنيسة الانطاكية فلسطينية؟ ثم بعد بضعة أسطر يقول عنها: الكنيسة العكاوية.

لينظر القارىء كذلك إلى ما فعله فى النص التالى، وليحكم بنفسه عليه.

* يقول فوك ص ٥١:

Schwieriger war es ihm, sich über die islamische Zeitrechnung zu unterrichten. Zwar kannte er Werke des Aḇū Ma'šar, al - Qabīṣī, al - Battānī in lateinische Übersetzungen wie die Alfonsinischen Tafeln.

وترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ٦٠ قائلاً:

وقد تعذر عليه استقاء حساب الزمن الإسلامى. لقد عرف أعمال أبو مصار القبيسى التبانى فى الترجمات اللاتينية والجداول الألفونية (نسبة إلى الملك الفون الإسبانى).

أما ترجمتى لها فهى:

وكان وقوفه على الحساب الإسلامى للزمن أكثر صعوبة عليه. حقاً لقد عرف مؤلفات أبى معشر، والقبيصى، والبتّانى فى ترجمات لاتينية، وجداول الفونس أيضاً.

ـ الفرق بين الترجمتين:

هل لاحظ القارىء ماذا فعل بالعلماء المسلمين. بداية لقد ترجم الفعل unterrichten إلى استقاء، والأدق: وقوفه على، ووصف الزمن بأنه إسلامي والوصف هنا للحساب وليس للزمن. والآن انظر ما فعله بثلاثة أعظم علماء الإسلام فى الفلك. يقول: أعمال أبو مصار القبيسى النباني. ليته ما كتبه نهائياً. لقد صار أبو معشر لديه «أبو مصار»، والقبيصى إلى القبيسى، والبتانى عالم الفلك الكبير صاحب الزيج الكبير الذى ترجم إلى اللاتينية، واعتمد عليه علماء الفلك فى أوربا حتى عصر النهضة صار عنده النباني. وجعلهم جميعاً كاسم لشخص واحد. إن كان لا يعرف قراءة الكتابة الصوتية فلابد ما دام قد تصدر لترجمة كتاب عن تراث العرب المسلمين أن يكون عارفاً بالعلماء الذين أنتجوا هذا التراث. أليس كذلك؟ وأخيراً جعل الملك الأسبانى الفونس الملك ألفون.

وأتساءل هل أكتفى بذلك أم استمر فى الكشف عن التدهور الذى حصل للكتاب على يديه؟ إن الأمانة العلمية تفرض علىَّ تقديم أمثلة أخرى.

* يقول فوك ص ٥١:

und auch als er ihn 1583 in Toulouse einem Benediktinermönch zeigte, der vordem Muslim gewesen war und gut Arabisch sprach, fand er keine befriedigende Auskunft, nichtsdesto - weniger gelang es ihm, vor der Higra - Ära eine richtige Darstellung zu geben und islamische Daten in solche nach dem Julianischen Kalender um zurechnen.

وترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ٦٠ إلى:

مثلما أخفق فى الحصول على معلومات شافية، حيث عرضه (أى التقويم الفارسى) سنة ١٥٨٣ على راهب فى تولوز كان يجيد التحدث بالعربية وقضى ردحاً من الزمن مع المسلمين. وقد فشل بنفس القدر فى إعطاء تصور صحيح عن الأزمنة الهجرية والتواريخ الإسلامية بقصد حسابها وفق تقويم جوليان.

أما ترجمتى لها فهى:

وحين أوضحه (أى التقويم الفارسى) له فى تولوز سنة ١٥٨٣م راهب بندكتى، كان مسلماً من قبل، ويتحدث بلغة عربية سليمة، لم يجد أية معلومة مرضية. ولم يوفق مع ذلك فى أن يقدم تصوراً صحيحاً للتأريخ الهجرى وتواريخ إسلامية يمكن أن تحول إلى تواريخ وفق التقويم الجوليانى.

ـ الفرق بين الترجمتين:

أولاً اختصر راهب بندكتى Banediktinermönch إلى راهب وهذا غير صحيح لأن هذا الراهب من أتباع مذهب كاثوليكى ينسب إلى القديس بندكتى Benedicti . الأسوأ ما فعله فى الجملة التالية: المؤلف يقول صراحة der vordem Muslim gewsen war أى أن الراهب كان مسلماً من قبل ثم تنصر. وهو يقول عنه فى ترجمته: وقضى ردحاً من الزمن مع المسلمين. هل لهذه الترجمة علاقة بالنص الأصلى، ثم يزيد الطين بلة إذ ترجم جملة تالية: und gut Arabisch sprach (أى كان يتحدث بلغة عربية سليمة) وهذا بديهى لأنه كان مسلماً، فإذا بالأستاذ عمر يقول: كان يجيد التحدث بالعربية. وكأنه أجنبى، تعلم العربية فأتقنها. ما هذا؟ ثم يستمر فى مسلسل الأخطاء الذى لا ينتهى فيترجم Higra - Ara (أى التأريخ الهجرى) إلى الأزمنة الهجرية، ثم يسقط من الفعل الأخير السابقة التى غيرت معنى الفعل وهى um، فهو لا يقصد rechnen ولكن umerechnen ، أى التحويل من حساب زمنى إلى حساب زمنى آخر. هكذا تعلمنا اللغة على يد أصحابها، ولا يمكن أن نفرط فيها. ويترجم Gälalī - Ära ص ٥١، (أى التاريخ الجلالى) إلى التآريخ، أى تآريخ هذه يقصد؟ ويترجم historische Hintergründe s. 52 (أى خلفيات تاريخية) إلى الدوافع التاريخية ص ٦٠، ويترجم: die islamischen Völker (أى الشعوب الإسلامية) إلى شعوب أخرى. وينتهى إلى فعلة عظمى إذ يترك ثلثى صفحة ٥٢، وثلث صفحة ٥٣. هل هذا ممكن؟ هل يرضى أن يطلق على ما فعل ترجمة؟ آمل أن يراجع نفسه!

* يقول فوك ص ٥٤ و٥٥:

1592 kamen zwei der Orient beliebtesten grammatischen Traktate heraus, die Kāfia des Ibn Ḥāgib und die Āgurrūmīya des Ibn Āgurrūm,... Nuzhat al - muštāq... aus dem Rogerbuch des Idrīsī.

وترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ٦٢ إلى:

وفى سنة ١٢٩٤ ظهر اثنان من مباحث القواعد المفضلة فى الشرق، (الكافية) لابن حقيب، والأجرومية لابن أجروم... (ونزهة المشتاق...) من كتاب الإدريسى لروجر.

أما ترجمتى فهى:

ونُشِر سنةِ ١٥٩٢م مختصرانِ من المختصرات النحوية المفضلة فى الشرق: كافية ابن الحاجب، والآجُرُّومية لابن آجُرُّوم ومسئلة... من كتاب نزهة المشتاق... للإدريسى المعروف باسم كتاب روجر.

- الفرق بين الترجمتين:

أخطأ أولاً فى ذكر السنة، ثم ترجم grammatische Traktate إلى: اثنان من مباحث

القواعد. أى مباحث هذه؟ إنه يقصد مختصرين نحويين. ثم من هو ابن حقيب هذا؟ هل لا يعرف كافية ابن الحاجب فى النحو وشافيته فى الصرف. وتعنى كلمة (Auszug) فى الألمانية مستلة من كتاب وليس الكتاب له، ثم هل يصح أن نقول: من كتاب الإدريسى لروجر. إنه خطأ متكرر مراراً. إنه لا يعرف قصة هذا الكتاب دون شك. لقد كلف الملك روجر الصقلى العالم الجغرافى المسلم الإدريسى بوضع هذا الكتاب، وكان من أهم الكتب الجغرافية آنذاك وترجم إلى اللاتينية ويقول أيضاً ترجمة لجملة: erschien dieser stattliche Foliant von über 1000 Seite jedoch erst 1593. : فلم يصدر هذا الكتاب الضخم الذى أشرفت عليه الدولة فى أكثر من ألف صفحة إلا سنة ١٥٩٣. وأتساءل هنا أين الجملة الفرعية أعنى جملة الصلة فى النص الألمانى، أعنى جملة: الذى أشرفت عليه الدولة... ثم يقول ترجمة للجملة الألمانية.

das ihr den Vertrieb der Elemente des Euklides in der arabischen Übersetzung des Ṭūsī.

إلى: يسمح بموجبه بتسويق كتاب تحرير أصول إقليدس بترجمة عربية لمؤلفة الطوسى. أما ترجمتى فهى: يجيز لها (أى للمطبعة) توزيع كتاب الأصول (الهندسية) لاقليدس، فى ترجمة عربية للطوسى.

وتساؤلى هنا كيف يكتب: كتاب اقليدس لمؤلفة الطوسى؟ هل هذا ممكن؟هل شارك المترجم المؤلف فى التأليف بعد آلاف السنين. إن الرجل لم يكتب الأصول بل كتب تحرير أصول اقليدس.

* ويقول فوك ص ٥٥:

... mit einer - auch separat erschienen - arabischen Übersetzung, welche ein aus Tunesian stammender Konvertit, Dominico Sirleto, angefertigt hatte. Nach diesem auf Geheiß Clemens'VIII (1592 -1605) veranstalten Durcke trat eine langere Pause ein, vermutlich deshalb, weil der Absatz der in den Orient gesandten Exemplare in keiner Weise den gehegten Erwartungen entsprach.

وترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ٦٢ إلى:

كما ظهرت ترجمة عربية مستقلة أنجزها أحد الموالى التونسيين، ويدعى دومينيكو سيرليتو. وبعد الإصدارات التى أنجزت بإيعاز من البابا كليمن السابع (١٥٩٢ ـ ١٦٠٥)، مرت فترة توقف طويلة، ربما كان السبب فيها عدم مطابقة فصول النسخ المرسلة إلى الشرق للتوقعات المرتقبة.

أما ترجمتى له فهى:

ويشكل كتاب... الخاتمة، مع ترجمة عربية ـ ظهرت منفصلة أيضاً ـ أنجزها المسيحي التونسي الأصل دومينكو سيرلتو. وبعد هذا الطبعة بناءً على أمر أصدره كليمنس الثامن (١٥٩٢ ـ ١٦٠٥) حدثت فترة توقف طويلة. وربما كان ذلك بسبب أن توزيع النسخ المرسلة إلى الشرق لم يوائم بأية حال من الأحوال التوقعات المرتقبة.

ـ الفرق بين الترجمتين:

ابتداءً لم أجد ترجمة separat بكلمة (مستقلة) مناسبة. الأدق تترجم إلى منفصلة. المهم أين: أنجزها أحد الموالي التونسيين، في النص الأصلي؟ هذا والله أمر يثير العجب.

النص الألماني يقول: ein aus Tunesien stammender Konvertit وسبق أن قلت أن كلمة Konvertit التي هي محور هذا التركيب تعني الشخص الذي يتحول من دين إلى دين آخر، والغالب الذي ينتصر. ولذا فمعنى التركيب: مسيحي تونسي الأصل. ثم إن التخبط ظاهر جداً في الجملة التالية، إذ يقول: وبعد الإصدارات التي أنجزت بإيعاز من الباب كليمن السابع. أين الإصدارات في النص؟ إن المؤلف يقصد طبعة الكتاب السابق، إذ يقول المؤلف Nach diesem Drucke (مفرد)، ثم ذكر العدد خطأ، هل الرقم الروماني VIII يعني السابع، فماذا يكون الرقم VIIإذن؟ أسوأ ما في هذا الجزء هو قوله: ربما كان السبب فيها عدم مطابقة فصول النسخ المرسلة إلى الشرق... أظنه يترجم هنا نصاً آخر، لا علاقة له بالنص الوارد هنا. من أين أتى بعبارة: عدم مطابقة فصول النسخ المرسلة إلى الشرق؟ إن الرجل يقول ببساطة شديدة: ربما كان السبب هو أن توزيع النسخ المرسلة إلى الشرق لم يوائم التوقعات المرتقبة.

* ويقول فوك ص ٥٥:

Allein die Durckfehler und sonstigen Versehen, wie sie bereits die Titelblätter des Kanons Avicennas und der euclidischen Elemente verunzierten, standen ihrer Verbreitung im Orient, wo man alles Abendländische mit auβerstem Mistrauen aufnahm, hemmend im Wege.

وترجم الأستاذ عمر لطفي هذه الفقرة ص ٦٣ إلى:

ولم تقف عقبة أمام انتشارها في الشرق، حيث كان ينظر الشرقيون بتوجس لكل ما كان يصدر عن الغرب، سوى الأخطاء المطبعية والسهو كما كشفت عنها صفحات الخطأ والصواب لكتابي القانون لابن سينا والأصول لاقليدس.

أما ترجمتي لها فهي:

ولم يَحُلْ دون انتشارها في الشرق إلا الأخطاء المطبعية وأوجه سهو أخرى مثل التي

شوهت صفحة عنوان كتاب القانون لابن سينا وكتاب الأصول لاقليدس، حيث قابل (أى الشرق) كل ما هو غربى بعدم ثقة كبيرة.

ـ الفرق بين الترجمتين:

أولاً الفعل المركب standen hemmend im Wege يعنى أعاق أو حال دون، على أية حال لم يبتعد فى ترجمته كثيراً عن الأصل. المشكلة قوله: حيث كان ينظر بتوجس لكل ما يصدر عن الغرب ترجمة للجملة الفرعية: wo man alles Abendländische mit außerstem Mißtrauen aufnahm. أين ينظر هنا وأين بتوجس. إن الترجمة بالمعنى ليست سليمة فى كل وقت. إن الفعل aufnahm يعنى استقبل، تلقى، قابل، ثم الاسم الموصوف mit außerstem Mißtrauen يعنى منتهى عدم الثقة، وهل عدم الثقة ترادف التوجس؟! ثم أين صفحات الخطأ والصواب التى كشفت عنها؟! إن الفعل verunzierten يعنى شوَّه. إن المترجم هنا يستخدم كما يشاء أى فعل يعجبه وأى تركيب وصفى يتوافق مع مزاجه.

ثم يترجم Paul V (باول الخامس) إلى بولس الرابع. وبعد ذلك يترجم den Taṣrīf des ʿIzzī إلى (كتاب التصريف تأليف الشيخ الإمام العربى). من هذا الإمام العربى المذكور يارجل؟ كتاب التصريف للعزى ذكر مراراً. وفى كل مرة تُترجِمه بطريقة مختلفة. لا قوة إلا بالله. ثم يترجم الجملة الجميلة:

..., in Rom eine neue orientalische Druckerei ins leben rief, deren Erzeugnisse durch die Schönheit und Eleganz ihrer arabischen Typen das Auge des Beschauers entzücken. S. 56 إلى: أنشأ... فى روما مطبعة شرقية جديدة، بهرت برونق إنتاجها وجمال حروفها العربية عيون الناظرين. ص ٦٣.

أما ترجمتى لها فهى: فأحيا... فى روما مطبعة شرقية جديدة، سَرَّ إنتاجها عين الناظر من خلال جمال حروفها العربية ورشاقتها. فالفرق بين الترجمتين جلى. إن المؤلف إستخدم الفعل ins Leben rief أى أحيا، بعث... وليس أنشأ، لأنه فى روما كانت هناك مطبعة أوقِفَتْ عن العمل زمناً طويلاً، ولا يعيدها إلى العمل إلا الجهود المخلصة.ثم يقول: بهرت برونق إنتاجها وجمال حروفها عيون الناظرين. وهذا خلط وتخبط فى تركيب الجملة. لقد استخدم المؤلف الفعل entzücken ومعناه: سر، فتن، خلب النظر، واستخدم كلمتين مفردتين هما: das Auge des Beschauers. المهم أن الذى خلب النظر ليس رونق الإنتاج وجمال الحروف معاً كما ذكر. إنه تصرف مخل: إن الذى خلب النظر هو الإنتاج فقط من خلال جمال الحروف المستخدمة ورشاقتها. هل لى أن أسأل هل يحق لى أن أتدخل فى النص لأنى مترجم؟ من قال هذا؟ إن المترجم يكون بذلك قد خان المؤلف وخدع القارىء، بكل بساطة.

وبعد ذلك يترجم der Vertrag العقد (الذى أبرمه باسم هنرى الرابع مع السلطان أحمد الأول) . يا رجل، هذا ليس عقد زواج؛ إنه اتفاقية.

ويترجم جملة: Die eleganten arabischen Typen der mediceischen Druckerei regten bald anderwärts zur Nachahmung an. S. 57 إلى: لكن حروف الطباعة العربية الجميلة لمطبعة ميديتشى سرعان ما استنهضت الهمم للتقليد فى مسار مغاير. ص ٦٤ إن إضافته للتركيب: فى مسار مغاير غير الموجود فى الأصل قد قلب المعنى فى الجملة إذ المقصود أنه قد أنشئت مطابع أخرى على غرارها، مقلدة لها. ولذلك فإن ترجمة الجملة هى: لقد حفزت الحروف العربية الرشيقة لمطبعة ميديتشى إلى تقليدها فى مكان آخر. والدليل على ذلك أنه هناك فى هولندا من حاول تقليدها، ولكن التقليد لم يكن متقناً.

ويترجم الجملة التالية مقلوبة أيضاً، إذ يقول المؤلف ص ٥٧ أيضاً:

ließ ein Breslauer Arzt, Peter Kirsten (1575-1640), auf eigene Kosten von Peter von Selau arabische Typen schneiden und gießen.

إلى: فقد أوصى الطبيب بيتر كيرستن (١٥٧٥ ـ ١٥٤٠) من مدينة برسلاو، وبتمويل من بيتر فون زيلاو بقطع قوالب أحرف عربية وبسكبها ص ٦٤.

فى النص الألمانى الطبيب كيرستن هو الذى دفع مصاريف صب الحروف، ولذلك فالترجمة هى: حفر بيتر فون زيلاو، وصب حروفاً عربية لطبيب من بريسلاو، هو بيتر كيرسين (١٥٧٥ ـ ١٦٤٠م) على نفقته. أى على نفقة كيرسين. لقد كتب تاريخ حياته خطأ أيضاً، ربما كان خطأ طباعياً، ولكن: ما معنى: بقطع قوالب أحرف عربية وبسكبها؟ أظنه لا يعرف كيف كانت تصنع حروف الطباعة فى الماضى. إنها كانت تحفر على الخشب أو تحفر فى الخشب ويصب الرصاص فى التجاويف فتتشكل الحروف.

والأغرب بعد ذلك أن يطلق على كتاب الأَجُرُّومية لابن آجروم الذى ذكر آنفاً: كتاب الجرومية ص ٦٤، ويترجم التركيب: die Viten der vier Evangelisten إلى: وبعض من الأناجيل الأربعة. وصحته: سير أصحاب الأناجيل الأربعة.

والآن هل أكتفى فى هذه الترجمة بالمثال الأخير الآتى حتى لا يصاب القارىء بالملل أم أنه ما يزال إلى مزيد من الاقتناع؟!

* يقول فوك ص ٥٨:

Kirsten trieb Arabisch häuptsächlich um des Nutzens willen, den er sich von einem Studium der bisher nur in fehlerhaften Übersetzungen zugänglichen Werke des Avicenna und anderer Ärzte und Philosophen im Urtext versprach; denn als Student

der Medizin hatte er oft von seinen Lehrern die Ansicht vernommen, daβ ein Arzt. Avicennist sein müsse.

يقول الأستاذ عمر لطفي ترجمة لهذه الفقرة ص ٦٥:

وقد اهتم بدراسةٍ بهدف الاستعمال الشخصي بشكل خاص. وكان قد استقى عربيته من دراسة ترجمات متداولة ملآى بالأخطاء لكتاب ابن سينا وغيره من الأطباء والفلاسفة فى نصها الأصلى، ذلك أنه، بوصفه طالب طب، استلهم وجهة نظر أساتذته القائلة بأن الطبيب الذى يريد أن يحقق نجاحاً فى حياته العملية، لابد أن يكون سينائياً جيداً (نسبة إلى ابن سينا).

أما ترجمتى لها فهى:

وقد دَرَس كيرستن العربيةَ أساساً للاستفادة بها فى تطلعه لدراسة (أصول) مؤلفات ابن سينا وأطباء وفلاسفة آخرين في نصوصها الأصلية التى لم تكن متاحة حتى ذلك الوقت إلا فى ترجمات مليئة بالأخطاء، لأنه حين كان طالباً للطب تلقى غالباً من أساتذته وجهة النظر القائلة بأن الطبيب الذى يرغب أن يصير ممارساً جيداً يجب أن يكون فى مهارة ابن سينا.

- الفرق بين الترجمتين:

بادىء ذى بدء لا أدرى لمَ يقطّع أوصال الجمل بهذه الصورة؟ إن ذلك يضعف العربية التى هى قادرة على التعبير المركب، وليس كما يزعم أعداؤها. المهم: ما معنى اهتم بدراسة العربية بهدف الاستعمال الشخصى؟ هل هى خلاط أو موسى للحلاقة؟ إن التعبير الألمانى: um des Nutzens willen يعني: من أجل الإفادة أو الاستفادة. ثم أين استقى عربيته من دراسة...؟ إن معنى الفعل الأساسى هنا sich etw. versprechen منى نفسه بـ، أمّل فى، تطلّع إلى. ولذلك ترجمته إلى: فى تطلّعه لدراسة. ثم يقول: ترجمات متداولة ملآى بالأخطاء، والأرجح حتى ذلك الوقت - وهَذا الظرف مهم جداً وحذفه خطأ كبير لأنه يغير المعنى، والمؤلف قد استخدم كلمة bisher - إلا فى ترجمات مليئة بالأخطاء. وترجم التركيب: von seinen Lehren die Ansicht vernommen إلى استلهم وجهة نظر أساتذته... والأحرى: تلقى عن أساتذته وجهة النظر... ثم يترجم ein guter Praktiker إلى: يحقق نجاحاً فى حياته العملية. والرجل يريد أن يقول: يصير ممارساً جيداً، وأخيراً يترجم ein guter Avicennist ترجمة حرفية إلى: أن يكون سينائياً جيداً. والأحرى أن تحور قليلاً كما قلت: أن يكون فى مهارة ابن سينا.

أما الجملة التالية فعجيبة جداً، إذ يقول: كما أن سكاليجر سبق له أن ذكر له، أن الطبيب الناجح يمكن أن يستغنى عن اللاتينية قبل أن يستغنى عن العربية واليونانية. ص ٦٥ ترجمة للجملة الألمانية: und Scaliger hatte ihm gesagt, ein richtiger Arzt könne eher ohne Latein als ohne Arabisch und Griechisch auskommen. S. 58

أما ترجمتى لها فهى: وقد قال له سكاليجيه إن الطبيب الحقيقى لا يمكن أن يصير كذلك دون معرفة اللاتينية، والعربية واليونانية أيضاً. ويقول فوك بعد ذلك ص ٥٨ أيضاً عن سكاليجيه:

Er blieb ein Dilettant, welcher die knapp bemessenen Mußestunden, die sein Beruf ihm ließ, den arabischen Studien widmete, ohne daß seine Begeisterung imstande gewesen wäre, die Unzulänglichkeiten seiner wissenschaftlichen Ausrüstung wettzumachen.

ويقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لهذه الفقرة ص ٦٥:

وهكذا فقد بقى ذلك الشخص غير المتخصص، الذى لم تُتح له مهنته التى لم تُبق له سوى سويعات قليلة يخصصها لدراسة العربية، فرصة لتعويض العجز فى تسلحه العلمى.

أما ترجمتى لها فهى:

فقد ظل غير خبير، خصَّص أوقات فراغه الضئيلة، التى سمحت بها مهنته لدراسة العربية، دون أن يمكنه تحمسه من أن يراهن على جوانب القصور فى إعداده العلمى.

ـ الفرق بين الترجمتين:

بداية لقد غير نظام الجمل، ومن ثم كان عليه أن يؤخر ويقدم ويضيف ويغير حتى يستقيم الكلام. على أية حال. لقد غير زمن الفعل widmete أى خصص أو وهب إلى (يخصصها). وحول كلمة Mußestunden (أى أوقات الفراغ) إلى (سويعات). ثم حذف الجملة الفرعية: ohne daß seine Begeisterung imstande gewesen wäre، أى دون أن يمكنه تحمسه من. ثم حذف الفعل wettmachen أى يراهن، وربما أحل محله فرصة لتعويض، ثم يترجم die Unzulänglichkeiten (أى جوانب القصور) إلى (العجز).

* ويقول فوك ص ٥٩:

Sie gaben ihm die Möglichkeit, seine Talente zu entfalten, indem sie für ihn eine Profssur für orientalische Sprachen (mit Ausnahme des Hebräischen) schufen. So gewann in dem Wettstreit der europaischen Nationen die Niederlande für nahezu zwei Jahrhunderte die Führung.

ويترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ٦٦ إلى:

فيما مكنه رجال... للتعبير عن مواهبه، فعينوا له أستاذاً للغات الشرقية باستثناء العبرية. وهكذا كسبت هولندا قصب السبق فانتزعت الريادة بين الأمم الأوربية على مدى قرنين من الزمان تقريباً.

أما ترجمتى لها فهى:

ومنحه رجال... الفرصة لأن يظهر مواهبه، فأوجدوا له فيها وظيفة أستاذ للغات الشرقية (باستثناء العبرية). فكان لهولندا الريادة فى المنافسة بين الأمم الأوربية طيلة قرنين من الزمان تقريباً.

- الفرق بين الترجمتين:

الجملة الأولى موفقة جداً، ولكن ماذا فعل فى الجملة الثانية لقد ترجم: sie für ihm ... eine Professur für orientalische Sprachen schufen إلى: فعينوا له أستاذاً للغات الشرقية. هل هذا كلام؟ الحديث عن ارينيوس أن أولى الأمر أعطوه الفرصة ليكشف عن مواهبه فأوجدوا له وظيفة، لأن: عينوا له تعنى أن هناك شخصاً آخر قد عين إلى جانب ارينيوس.

أما الجملة الأخيرة فليس لى حولها تعليق إلا التكلف والتَزَيُّد. الرجل حقق لهولندا الريادة، والمكون الأساسى فى الجملة الألمانية هو: (er) gewann die Niederlande die Führung الفعل gewann يعنى حقق، منح، وهب، أكسب، والاسم die Führung الريادة أو قصب السبق كما قال: ولذا يكون المعنى حقق الريادة أو قصب السبق. انتهى الأمر فأين: انتزعت الريادة، هل هى ترجمة للتركيب: in dem Wettstreit (فى المنافسة). لا علاقة بين المعنين، لأنه قال قبل ذلك قصب السبق وهى تعنى أن هناك منافسة. وأجده يترجم قبل ذلك wußte man ... إلى عرف النقاد. أين النقاد هنا؟ إن المقصود: عرف المرء أو عرف، لأن استخدام man غالب فى جملة البناء للمجهول الألمانية. ويترجم جملة: doch fand er dafür weder in Holland noch auf einer Reise im England die richtigen Hilfsmittel إلى: فلم يجد من أجل هذا الهدف لا فى هولندا ولا فى رحلته إلى انجلترا... لم يجد فيهم الوسيلة الصحيحة المساعدة. ولا أدرى لماذا غير «من أجل هذا الهدف» إلى «فهم»؟ الرجل لم يجد الوسائل الناجعة لذلك (هدفه) فى هولندا ولا فى رحلة إلى انجلترا. ونجد عدم الدقة والخروج على النص فى الجملة التالية وهى: Erst als er zu Anfang des Jahres 1609 nach Paris ging, traf er auf Männer, die ihn auf diesem damals noch sehr unzugänglichen Gebiete wirklich fördern konnten.

يترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الجملة الممتدة ص ٦٦ إلى:

إلى أن سافر فى بداية سنة ١٦٠٩ إلى باريس، حيث قابل هناك رجالاً وجد فيهم النفع الذى لم يكن متيسراً ذلك الوقت فى هذا المجال.

أما ترجمتى لها فهى:

وحين ذهب إلى باريس فى مطلع سنة ١٦٠٩م، قابله رجال، استطاعوا أن يشجعوه تشجيعاً حقيقياً فى هذا الحقل الذى كان ما يزال غير ممهد آنذاك إلى حد بعيد.

أريد هنا أعرف من أين جاء بجملة: وجد فيهم النفع الذى لم يكن متيسراً؟ هل هذا كلام؟ إن التركيب الألمانى هو: Männer, die ihn wirklich fördern konnten. فالفعل الأساسى هنا هو fördern أى شجع، وkonnten استطاع، وwirklich حقيقى. ولذلك يكون التركيب مجتمعاً: استطاعوا يشجعوه تشجيعاً حقيقياً. ثم هناك تركيب حرفى مركب ومهم جداً وهو: auf diesem damals noch sehr unzugänglichen Gebiete فقد ترجمه إلى: لم يكن متيسراً ذلك الوقت فى هذا المجال، جملة وصفية لكلمة النفع. هل يمكن أن أسأله أين النفع هذا الذى أقحمه هنا؟

إن الجملة صفة للحقل أو المجال، أى فى هذا الحقل الذى... ثم يأتى ظرفان مهمان هما noch وdamals أى ليس بعد وآنذاك، ولذلك قلت: الذى كان ما يزال غير ممهد آنذاك.ثم الظرف الأخير لكلمة غير ممهد وهو جداً sehr، واستحسنت أن أترجمها إلى: إلى حد بعيد. هذه هى أمانة النقل من لغة إلى لغة. إن لكل كلمة قيمة تعبيرية كبيرة، لأن المؤلف قد وضعها فى الجملة عن قصد. فإذا حذفتها عند الترجمة فعلىّ أن أعترف أنى لم أكن أميناً لأنى تدخلت فى النص وحذفت منه ما لم أره مهماً من وجهة نظرى.

ويترجم بعد ذلك الجملة الفرعية: welcher seine Sprachkenntnisse im Orient erworben hatte. S. 60 إلى: الذى اكتسب علومه العربية فى الشرق، وأتساءل من أين جاء بعلومه العربية، المؤلف يقصد معارفه اللغوية.

* ويقول فوك ص ٦٠:

Casaubonus faβte eine tiefe Zuneigung zu dem Jungen Hollander, dessen Sprachbegabung er rasch erkannte, und gestattete ihm groβmütig die Benutzung seiner arabischen Bücher und Handschriften sowie der grammatischen und lexikalischen Aufzeichnungen, die er besaβ.

يقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لهذه الفقرة ص ٦٧:

وشد الفضول كاساوبونوس نحو الشاب الهولندى الذى سرعان ما اكتشف فيه موهبته، فشجعه على استعمال كتبه ومخطوطاته العربية ومدوناته فى القواعد والمعاجم التى كان يقتنيها.

أما ترجمتى لها فهى:

وأبدى كازوبونوس ميلاً عميقاً إلى الهولندى الشاب الذى سرعان ما تعرف موهبته اللغوية، وسمح له بصدر رحب باستخدام كتبه ومخطوطاته العربية التى يقتنيها، ومدوناته النحوية والمعجمية أيضاً.

ـ الفرق بين الترجمتين:

أولاً الفعل الأساسى هنا هو faβte، ويعنى هنا أبدى أو اعترى. فأين شد الفضول هنا؟ إذا كان يقصد المركب الاسمى tiefe Zuneigung فإن معناه: ميل عميق، ثم أين الفعل اكتشف هنا. إن المؤلف قد استخدم الفعل erkannte، أى عرف، خبر أو تعرف، ولم يستخدم الفعل entdecken. المصيبة الثالثة الفعل فشجعه. أين هو فى النص؟ إن المؤلف استخدم gestattete أى سمح لـ أو أجاز لـ، ولم يستخدم الفعل fördern، وأخيراً أين القواعد والمعاجم؟ هذه أسماء، وهما فى النص صفتان للمدونات، ولذا قلت: مدوناته النحوية والمعجمية.

ويترجم بعد ذلك und auch Aufzeichungen zur arabischen Grammatik hinterlassen hatte. S. 60 إلى: وخلّف انطباعات حول قواعد اللغة العربية ص٦٧. لقد حول: مدونات أو ملحوظات حول النحو العربى إلى انطباعات. وكأن المؤلف استخدم كلمة Eindrücke. لماذا يغير الأسماء لأفعال والصفات كيفما شاء. أظنه كتب نصاً آخر له وليس ترجمة. ويترجم اسم اليعقوبى المصرى يوسف بن أبى ذقَن إلى: يوسف بن أبى داقان ص ٦٧.

ويترجم: وكان وقتئذٍ فى الخامسة والعشرين، إلى: لقد بلغ الآن خمسة وعشرين سنة من العمر. ص ٦٧ لقد جعل المستشرق الذى توفى سنة ١٦٢٣م يبلغ الآن ٢٥ سنة. هل هذا معقول؟ ويترجم التركيب in klein_mütigem Zweifel S. 60 إلى: وفى لحظة يأس من مقدرته. ص ٦٧ أين اليأس هذا المزعوم؟ إن الرجل يقصد: لشك ضئيل فى قدراته الخاصة.

انظر كيف كتب كتاب الآجُرُّومية هنا ص ٦٧: مثل (كتب الجوروميـة، الكيفية، والمئة عامل للجرجانى وغيرها). هل هذا ممكن يتحول كتاب الآجرُّومية على يده إلى الجوررومية وكتاب الكافية إلى الكيفية، وكتاب العوامل المئة إلى المئة عامل؟!

انظر أيضاً كيف يفعل مع القرآن الكريم، يقول ترجمة لجملة: Er vertiefte sich jetzt in die grammatischen Traktate. S.60-61 إلى: وتعمق فى دراسة بحوث العربية ص ٦٧. أين البحوث العربية هذه. إن الرجل يقول: وحينئذ تعمق فى المختصرات النحوية.

ويقول فوك ص ٦١ بعد ذلك: und suchte dazu im Koran, den er in einer aus des Hadrianus Besitz stammenden Handschrift benutzen konnte

ويترجمها الأستاذ عمر لطفى ص ٦٧: كما نظر فى القرآن الكريم حيث وجد بعض مخطوطاته فى مقتنيات هادريانوس.

أما ترجمتى لها فهى: ويحث بالإضافة إلى ذلك فى القرآن الكريم الذى استطاع أن يستخدمه فى مخطوطة يقتنيها هدريانوس. أين وجد بعض مخطوطاته هنا؟ إن الفعل benutzen konnte أى استطاع أن يستخدمه. والمخطوطة هنا واحدة فى تركة هدريانوس.

ويترجم جملة فوك ص ٦١: Mit dem scharfen Blick des geborenen Sprachforschers überschaute er den Formenreichtum des Arabischen.

يقول الأستاذ عمر لطفى ص ٦٧: وبالنظرة الثاقبة لباحث لغوى موهوب قلّب أبنية العربية الغنية.

أما ترجمتى لها فهى: وأدرك بنظرة ثاقبة لباحث لغوى موهوب ثراء صيغ العربية.

هل لجملته معنى، أين قلّب؟ الفعل المستخدم هنا هو: überschaute معناه أدرك أو سبر. وقَلّبَ التركيب الجميل الذى يصف جزءاً مهماً من اللغة وهو deβ die Verschiedenheit, zwischen Arabisch und Hebräisch gesetzmäβig sei und sich nach festen Regeln der Lautvertretung erklären lasse. S.61

إلى: أن الفارق بين العربية والعبرية حتمى، وأنه يتضح بموجب قواعد السياق الثابتة. ص ٦٧.

أما ترجمتى لها فهى: أن الاختلاف بين العربية والعبرية اختلاف مقنن، كما اتضح له التبادل الصوتى بينهما وفق قواعد ثابتة.

لقد ترجم gesetzmäβig إلى حتمى. هذا كثيرجداً إنها ترجمة حرفية كما وردت فى القاموس. إن هذه الصفة الألمانية من الاسم Gesetz أى قانون، فالاختلاف بين اللغتين مقعد أو مقنن، أى يسير على سنن أو قواعد. المهم هنا الجزء الثانى من الجملة الممتدة، يقول الأستاذ عمر لطفى: وأنه يتوضح. فالضمير هنا يعنى أنه عائد إلى الفارق، وهذه مصيبة، لأنه حذف الفاعل Lautvertretung أى التبادل الصوتى بين اللغتين، ثم أين قواعد السياق هذه؟ إنها قواعد التبادل الصوتى.

ثم يترجم التركيب: einer anonymen Sammlung von 200 arabischen Sprichwärtern. S. 61، إلى جملة عجيبة: وهى كناية عن مجموعة من المترادفات العربية لملتى قول غربى مأثور. أين كناية فى الجملة، هل يقصد كلمة anonymen إن الكلمة تعنى مجهولة المؤلف، وهى صفة للمجموعة. ولذلك فإن المعنى هو: مجموعة مجهولة المؤلف مكونة من ملتى مثل عربى. ويترجم Ludwig XIII (أى لودفيج الثالث عشر) إلى لودفيج السابع.

* ويقول فوك ص ٦٢:

,natürlich reichten seine Kenntnisse und seine Hilfsmittel nicht aus, den sachlich schwierigen und dazu schecht überlieferten Text überall richtig zu verstehen.

وترجم الأستاذ عمر لطفى هذه العبارة ص ٦٨ إلى:

ومن البديهى أن معرفته ووسائله المساعدة المساعدة لم تكن كافية لتمكينه من فهم النص السىء والصعب موضوعياً بكامله.

أما ترجمتى لها فهى:

وبديهى أن معارفه ووسائله المعاونة لم تكن كافية لفهم النص الصعب من جهة الموضوع، والمروى أيضاً رواية رديئة، فهماً صحيحاً بوجه عام.

أولاً يترجم seine Kenntnisse (أى معارفه) إلى معرفته، ثم يترجم النص بأنه سىء. هكذا ببساطة مخلة. أظن أنه لم يعن نفسه محاولة فهم التركيب الألمانى الصعب، وهو المكون من جزئين يتقدمهما الاسم الرئيسى وهو Text أى نص، وصف بالجزء الأول sachlich schwierig أى صعب من جهة الموضوع أى موضوعه، والجزء الثانى schlecht überliefert أى روى رواية رديئة. ومن ثم يكون التركيب الكلى: النص الصعب من جهة الموضوع، المروى رواية رديئة. وترك ترجمة ظرف الفعل أعلى richtig والظرف السابق العام وهو überall يترجمه إلى بكامله. ما هذا؟ الرجل يريد: يفهم فهماً صحيحاً بوجه عام.

ويترجم التركيب: freilich ohne immer des Rechte zu treffen S. 61 إلى: غير متناس أنه قد حاد فى بعض الأحيان عن الصواب بالطبع. ص ٦٨ لماذا كل هذا التعقيد والتزيد. إن الرجل يريد أن يقول: دون أن يصيب بداهة بشكل دائم.

* ويقول فوك ص ٦٢:

Er merkte, daβ der Koran nicht die einzige Grundlage ist, auf der der Islam ruht, und daβ die in der christlichen Polemik beliebte Verwendung einzelner Koranverse von den Muslims entweder mit einer aus ihrer eignen Koranexegese (Tafsir) stammenden Deutung oder aber mit dem Hinweis auf einen Ausspruch oder eine Handlung Muhammads (Sunna) beantwortet wird.

وترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ٦٩ إلى:

وأعرب عن رأيه فى أن القرآن ليس الأساس الوحيد الذى يقوم الإسلام عليه، وأن الاستعمال المستحب لبعض آيات الذكر الحكيم من قبل المسيحيين، إما أن يرد عليه المسلمون

بمعنى ينتزعونه من كتب التفاسير أو بسنة قولية أو فعلية للرسول.

أما ترجمتى لها فهى:

ولاحظ أن القرآن ليس الأساس الوحيد الذى يرتكز عليه الإسلام، وأن الاستعمال المحبب فى الجدل المسيحى لآيات قرآنية متفرقة ردّ عليه المسلمون بشرح يرجع إلى تفسيرهم الخاص للقرآن أو بالإشارة إلى قول محمد (ﷺ) أو فعله (السنة).

ـ الفرق بين الترجمتين:

أولاً غير الفعل الأساسى من لاحظ (merkte) إلى أعرب عن رأيه. ولكن المشكلة فيما بعد: ما معنى: وأن الاستعمال المحبب لبعض آيات الذكر الحكيم من قبل المسيحيين؟ هل هى ترجمة لجملة: die bliebte Verwendung einzelner Koranverse von den Muslims هل هذا معقول؟ يحول الاستعمال من المسلمين إلى المسيحيين الرجل يقول: von Muslims ، ثم أين التركيب الحرفى السابق الذى لا يمكن حذفه لأنه يبين سياق الاستعمال وهو in den christlichen Polemik، أى فى الجدل المسيحى. أريد أن أفهم ماذا فعل المترجم بالنص؟! ثم يقول: إما أن يرد عليه المسلمون بمعنى ينترعونه من كتب التفسير. هل يفعل المسلمون ذلك عند تقديم الأدلة والحجج من القرآن الكريم على صحة رأيهم؟ ينتزعون من كتب التفسير. والله هذا حرام. إن فى ذلك تقولاً على هذا المستشرق الأمين فى عرض كيفية الدليل إذ قال: entweder einer aus ihrer eignen Koranexgese (Tafsîr) stammenden Deutung ... beantwortet wird الفعل الأساسى هنا beantwortet wird بمعنى يرد عليه (أى من قبل المسلمين)، ولذا رأيت الجملة المبنية للمجهول المحببة فى اللغة الألمانية ثقيلة فى هذا السياق، فرددت الفعل إلى المبنى للمعلوم لأبين أن الأمر يتعلق بالمسلمين، ثم اختصر بعد ذلك بقية الجملة فى (كتب التفسير) هل هذا ممكن؟ إن الرجل يقصد: الشرح أو التوضيح الذى يرجع إلى التفسير الخاص بالمسلمين للقرآن، ثم أخيراً لماذا قلب الجزء الأخير. على أية حال لا بأس به ما دام قد أدى الغرض منه.

ووصف المؤلف السنة وصفاً رائعاً حين قال عنها: und ihrer alles überragenden Bedeutung S. 62 إشارة إلى الأهمية البالغة لمضمونها لدى المسلمين، فإذا به يختصر ذلك كله قائلاً: ومعناها الرفيع. والرجل يريد: وأهميتها التى تفوق كل شىء. إنه قد استعمل الصفة überragenden من تجاوز أو فاق أو تعدى، ولم يستخدم الصفة hervorragenden بمعنى رائع أو عظيم أو رفيع كما قال. أظن أنه قد حدث لبس لديه فى هذا الموضع. ثم يترجم التركيب Verzicht auf so weitgende Pläne. S. 63 إلى: الاستغناء عن خطط أخرى بعيدة ص ٦٩. الرجل يريد: التخلى عن خطط طويلة كهذه، أى خطط تمتد لمدة طويلة. إذا تجاوزنا عن

ذلك. ما الذى دفعه لحذف الجملة اللاحقة وهى: Im März 1612 war er in Venedig und im Sommer des gleichen Jahres wieder im Elternhause.

أى: وكان فى مارس سنة ١٦١٢م فى البندقية، وفى صيف العام ذاته عاد إلى وطنه. أظنه سهواً قد وقع فيه.

ثم يترجم الجملة الفرعية: die erste von einem Europäer geschriebene methodische Darstellung der klassischen arabischen Sprache. S. 64 إلى: وهو أول كتاب فى اللغة العربية القديمة كتب بيد وتصور أوربى. ص ٦٩.

أما ترجمتى فهى: وهو أول عرض منهجى للغة العربية الكلاسيكية كتبه أوربى. لقد قلب حال الجملة وتصرف فيها فجعل: أو عرض منهجى - أول كتاب. ثم أين تصور فى الجملة هذه؟ أظنه وقع فى لبس هنا، فالرجل استخدم كلمة Darstellung أى عرض، ولم يستخدم كلمة Vorstellung أى تصور. ثم انظر كيف يترجم الجملة الآتية: der Schreibung des Arabischen mit hebraischen und mit syrischen Buchstaben dargestellt.. s. 64 إلى: وكِتابه العربية، يمثل هذا بحروف عربية وسريانية. ص ٦٩ أما الرجل فيريد أنه عرَض أو قدّم فى العرض المنهجى المشار إليه آنفاً كتابة العربية بحروف عبرية وسريانية. الكلام بسيط إذن، ولا يحتاج إلى التواء وتصرف وقلب للجملة.

وإليك مثالاً لعدم القدرة على ذكر المصطلح صحيحاً، والتفريق بين المصطلح النحوى والمصطلح الصرفى برغم وضوح النصوص وضوحاً شديداً.

* يقول فوك ص ٦٤:

In der Formenlehre wird die Verbalbildung (p.43-119) einschlieβlich der Verba hamzate sowie der schwachen Verba (de quiescente Ain bzw. de quiescente lam) und der doppelt schwachen Verben (dupliciter imperfecta) gründlich erörtert.

ويترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ٧٠ إلى:

وفى علم الصرف يتعرض بالتفصيل للحديث عن بناء الفعل، والفعل المهموز، والفعل المنقوص، والماضى البعيد.

أما ترجمتى لها فهى:

وفى علم الصرف بحث أو درس بناء الفعل أساساً بما فيه الأفعال المهموزة والأفعال المعتلة، والأفعال المضعفة.

- الفرق بين الترجمتين:

هل يصح أن يطلق على مصطلح die schwachen Verba الفعل المنقوص؟ الخطأ هنا من جهتين: الفعل مفرد والمصطلح هنا Verba جمع مفرده Verbum، وأتساءل هنا هل المنقوص مصطلح خاص بالأسماء أو بالأفعال. إنه مصطلح للأسماء يا أخى. وأخيراً أين الماضى البعيد هنا. لقد حاول أن ينقل المصطلح اللاتينى. يا أخى أمامك المصطلح الألمانى doppelt schwachen Verben. إن المستشرقين يستخدمون مصطلح schwachen للإشارة إلى الأفعال المعتلة أو المضعفة، ولكن يضيفون للثانى كلمة doppelt للإشارة إلى التضعيف لأن تقسيمهم للأفعال فى لغتهم إلى starke Verben وschwache Verben .

انظر ماذا يفعل بعد ذلك يطلق على مصطلح Nominalbildung (أى بناء الاسم) صيغ الأسماء، ويطلق على Kasussystem (أى نظام الحالات الإعرابية) الحال، أو صيغ الحال، أى حال يقصد هنا؟ حتى مصطلح die gebrochenen Plurale (أى جموع التكسير أو الجموع المكسرة) يترجمه إلى:وجمع الكسور. هل هذا معقول؟ ثم يترجم Partikeln und Syntax إلى الأدوات والمبنى ص ٧٠ الجزء الأول صحيح والثانى خطأ. إن الرجل يقصد به النحو أو التركيب اللذين لم يخصص لهما إلا بضع صفحات.

ويستمر فى مسلسل الأخطاء فى الأفعال والأسماء والمصطلحات، وإليك مثالاً إضافياً على ذلك.

* يقول فوك ص ٦٦:

Während dieser Zeit trat das Arabische den meisten, welche sich in Europa mit ihm beschäftigten, zuerst in der entarteten Sprache der Fabeln Luqmāns mit ihren vulgären Wortformen und Ausdrücken, ihrer Nichtachtung der klassischen Kongruenzregeln und ihren groben Verstößen gegen die Kasus -und Modussystem entgegen.

وترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ٧١ قائلاً:

فى تلك الأثناء دخلت العربية، أول ما دخلت، على معظم المهتمين بتعلمها فى أوربا كلغة مهلهلة كتبت بها، بأمثال لقمان، وبالمفردات المصطلحات العامية، وعدم اكتراثها بالقواعد القديمة الملائمة، ومخالفتها الفظة لحالة ونظام الإعراب.

أما ترجمتى لها فهى:

وفى أثناء تلك الفترة واجهت العربية أغلب من اشتغل بها فى البداية فى اللغة المتدنية لحكايات لقمان بصيغها وتعبيراتها الدارجة وعدم مراعاتها لقواعد التطابق الكلاسيكية ومخالفتها الحادة لنحو الحالات الإعرابية للاسم وحالات الفعل.

ـ الفرق بين الترجمتين:

فى البداية غير الفعل الرئيسى من واجه، قابل، (entgegen trat) إلى: دخلت العربية أول ما دخلت. ثم حذف فعل الجملة الفرعية وهو sich mit ihm beschäftigten (أى اشتغل بها)، ثم ترجم التركيب in der entarten Sprache إلى: كلغة مهلهلة. هذا كثير. إن الرجل يقصد لغة متدنية عن اللغة الفصحى من وجوه كثيرة. ثم يقول: وبالمفردات المصطلحات العامية، ترجمة للتركيب: mit ihrem vulgären Wortformen und Ausdrücken. وهو هنا غير موفق لأن Wortformen تعنى صيغاً أو صيغ الكلمات وليس بالمفردات، وAusdrücken هنا تعنى تعبيرات وليس مصطلحات. ثم يقول بعد ذلك: بعدم اكتراثها بالقواعد القديمة الملائمة، ترجمة للتركيب الممتد: Nichtachtung der klassischen Kongruenzregeln فهل تُتَرْجَم الكلمة الرئيسية هنا وهي: Kongruenzregeln إلى القواعد القديمة الملائمة. هل هذا معقول؟ إنه مصطلح نحوى معروف فى النحو العربى يسمى: قواعد المطابقة أو التطابق. وأخيراً يقول: ومخالفتها الفظة لحالة ونظام الإعراب. لا حول ولا قوة إلا بالله. لقد حول الجمع إلى مفرد لأن كلمة Verstößen جمع ثم وصف مخالفاتها بالصفة فظة. وكأنه يصف تعاملاً إنسانياً. إنه يقصد: أنها مخالفات حادة أو شديدة، ثم ما معنى حالة ونظام الإعراب؟ إن مصطلح Modussystem يعنى حالات الفعل، أى الماضى والحال والاستقبال والأمر... أظنه غير مصيب هنا إطلاقاً.

ويقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة للجملة:

er gibt, da diese Interlinearversion den Sinn kaum erraten läβt, am Rande eine freie Übersetzung ins Lateinische. S. 67.

وحيث إن الرواية المقحمة بين الأسطر قلما تسمح بتخمين المعنى، فإنه يقدم على الحاشية ترجمة إلى اللاتينية القديمة. ص ٧٢.

أما ترجمتى لها فهى:

ويقدم فى الهامش، حين لا تعين هذه الصياغة بين السطور على إدراك المعنى، ترجمة حرة إلى اللاتينية.

أسأله الآن ما معنى الرواية المقحمة. إن الرجل كما قال من قبل يضع فوق كل كلمة عربية المقابل اللاتينى لها. فنحن هنا بصدد صياغة خاصة توضع بين السطور، ثم أين

جملة: قلما تسمح بتخمين المعنى. إن الجملة الألمانية den Sinn kaum erraten läßt أى تعين بالكاد على إدراك المعنى، ثم كيف يتحول التركيب الوصفى eine freie Übersetzung على يديه إلى: اللاتينية القديمة إن المؤلف يقصد: ترجمة حرة أو غير حرفية أو ليست مقيدة بالنص.

وهنا أيضاً ترجم eine Ausgabe der Āgurrūmīya sowie des Traktats des Gurgānī uber die,, 100 Regentien" إلى كتاب الجرومية، وكتاب الجرجانى حول «مائة عامل» (الولاة). ص ٧٢ إنه يقلد الاسم الخاطىء الذى ورد فى هامش (١٧٨). ويترجم النص الذى طبع فى روما إلى النص الرومانى ص ٧٢. ثم يترجم جملة: mit einer äuβerst fehlerhaften und fast unverständlichen lateinischen Übersetzung versehen S. 67 إلى: صارفاً النظر عن الترجمة اللاتينية غير المفهومة المليئة بالأخطاء ص ٧٢.

إن الفعل هنا هو mit ... versehen أى زوّد بـ وليس صارفاً النظر عن. ثم إن الترجمة ليست غير مفهومة كما قال، بل الأخطاء هى غير المفهومة. ولذلك تكون الجملة مكتملة: وزوّدها بترجمة لاتينية مليئة بالأخطاء بصورة ظاهرة وغير مفهومة تقريباً.

* يقول فوك ص ٦٨:

Ohne Kenntnis über Terminologie sind weder die einheimischen Wörterbücher noch die Scholien zu den Dichter diwānen, weder die Kommentare zum Koran noch die zu den kanonischen Sammlungen, weder Gāhiz noch Harīrī zu verstehen.

ويقول الأستاذ عمر لطفى ص ٧٣ ترجمة لهذه الفقرة إلى:

وبدون معرفة بمصطلحاتها، فلا سبيل إلى فهم معاجم المفردات المحلية، ولا الدراسات حول دواوين الشعراء، ولا تفاسير القرآن، ولا شروح مجموعات اللغة، ولا الجاحظ ولا الحريرى.

أما ترجمتى لها فهى:

ولا يمكن أن تُفْهَم المعاجمُ العربية دون معرفة مصطلحاتهم، ولا شروح دواوين الشعراء ولا تفاسير القرآن ولا تفسيرات المجاميع الكنسية ولا الجاحظ ولا الحريرى.

ـ الفرق بين الترجمتين:

أولاً ما سبب استخدام ضمير الغائب هنا فقال بمصطلحاتها ترجمة لـ ihrer Terminologie. إن الحديث عن النحاة العرب ولذلك يجب أن يستخدم الضمير العائد إليهم، أى: مصطلحاتهم. ثم يترجم التركيب die einheimischen Wörterbücher ترجمة حرفية إلى

معاجم المفردات المحلية. إن الرجل يقصد: المعاجم العربية. ثم يترجم die Scholien إلى الدراسات. هذا يعكس عدم خبرة بمعرفة مصطلحات التحقيق. إن الكلمة تعنى الشروح أو الهوامش الموضحة الضرورية عند تحقيق دواوين صعبة.

ثم يترجم: We gzu den Nationalgrammatikern (أى الطريق إلى النحاة العرب) إلى: العربية الفصحى. هل هذا معقول؟ ثم وصف المؤلف القرآن الكريم بأنه nur als Sprachdenkmal فإذا صاحبنا يترجمه دون اكتراث إلى مجرد (نصب تذكارى) ص ٧٣.

والرجل يقصد بأنه (أى القرآن) ليس إلا أثراً لغوياً عظيماً. وهو موقف معتدل من القرآن لأننا لا ننتظر من أى مستشرق الإيمان بالقرآن.

ويترجم rabbinisches Schriftum (التراث الربانى) إلى الكتب اليهودية. ثم يترجم الجملة الفرعية: .der im Koran nichts anders sehen konnte als eine Travestie der Bibel, S. 69 فخلص إلى أن ما فى القرآن لا يعدو أن يكون تقليداً (مضحكاً) للكتاب المقدس ص ٧٣. هذا تصرف مخل ويعطى انطباعاً سيئاً. الرجل يقول: فلم يستطع أن يرى فى القرآن شيئاً آخر أكثر من إعادة تأليف للكتاب المقدس. إن كلمة Travestie تعنى إعادة تأليف. فأين: تقليداً مضحكاً؟ إذا كان موقفهم من القرآن سيئاً، فهل نزيده سوءاً. ثم يوضح الكلام تكملة لذلك موقفهم من النبى الكريم، إذ يتلخص موقف الغرب فى العصور الوسطى فى: in dem er einen Betrüger sah und gegen seine Lehre, die ihm abgeschmackt und lächerlich vorkam S. 69 (النفور من النبى العربى) ومن تعاليمه التى لم تلائم ذوقه، وبدت مضحكة له. فحذف هنا رأى اربينوس فى النبى: إنه سيء حقاً، ولا يعنى ذلك أن نحذفه. لقد قال الرجل: رأى فيه مخادعاً، وكان ضد تعاليمه التى بدت له غير مستساغة (أو سخيفة) ومثيرة للضحك (أو مضحكة).

* يقول فوك ص ٦٩:

Nichts kann seine lebhafte Anteilnahme an den Aufgaben der philologia sacra besser beweisen als sein gewaltiger Phan, das Neue Testament und seine Versionen in einer groβen Polyglotte zu veröffentlichen. Sie sollte den griechischen Urtext nach der Ausgabe des Stephanus mit kritischem Apparat und der verbesserten lateinischen Interlinearüberstzung des Arias Montanus.

ويقول الأستاذ عمر لطفى ص ٧٤ ترجمة لهذه الفقرة إلى:

وليس ثمة ما يمكن أن يعبر عن مشاركته الفاعلة فى فقه اللغة أكثر من خطته الجبارة فى نشر العهد الجديد وإصحاحاته فى مؤلف بعدة لغات. وقد تقرر أن يكون النص اليونانى

الأصلى كما أصدره ستيفانوس مع الحواشى إلى جانب ترجمة آرياس مونتاس اللاتينية المصححة المقحمة فى النص.

أما ترجمتى لها فهى:

ولا شيء يمكن أن يدلل على إسهامه النشط فى مهام الفيلولوجيا المقدسة أكثر من خطته القوية لنشر العهد الجديد وصياغاته فى عمل ضخم بعدة لغات، ينبغى أن يورد النص اليونانى الأصلى وفق طبعة اسطفانوس مع حاشية نقدية، والترجمة اللاتينية المنقحة بين السطور لارياس مونتانوس.

ـ الفرق بين الترجمتين:

لقد اضطرب المترجم هنا اضطراباً شديداً، فترجم المصطلح المشهور Philologia Sacra (الفيلولوجيا المقدسة) إلى فقه اللغة، ثم يترجم seine Versionen (صياغاته) إلى اصحاحاته، ثم يترجم mit kritischem Apparat (مع حاشية نقدية) إلى مع الحواشي. ثم يضيف جملة «ومن ثم الترجمة اللاتينية للكتاب» ثم يسقط جملة وهى: الصياغة الأثيوبية مع ترجمة لاتينية بين السطور أيضاً، ثم الاتيالا والفولجاتا.

أما أسوأ ما ورد هنا فهو قوله: والسويسرية لكاستيلو وبيزا هل يقصد: die syrische Version ؟ هذا خطأ، لأنه يقصد بذلك الترجمة السريانية. فإذا كان كذلك فهو خطأ كبير. ثم يترجم مخطوطة كتبت فى تيباس إلى مخطوط كتب بالطوبية. ص ٧٤ ما معنى الطوبية، هل هى لغة أم مكان أم ماذا؟ ويترجم: nach einem andern Kodex Scaligers etwas stilwidrig mit arabischen statt hebräischen Lettern zum Abdruck brachte.

إلى: كذلك فإنه نهج.. نهج مخطوط آخر للمستشرق سكاليجر مناقض فى أسلوبه، وبحروف عبرية بدل الحروف العربية. ص ٧٤ وبذلك حذف وغيّر، قد غيّر الفعل Abdruck brachte (أى قدم للطبع) إلى نهج نهج، وحذف Kodex فقال مخطوط آخر: مخطوط قديم آخر. ويترجم stilwidrig (أى ركيك الأسلوب) إلى مناقض فى أسلوبه. ويترجم: عدم مراعاة تركيب الصيغ والحالات الإعرابية إلى عدم الاكتراث بالمنهج القديم. كيف تحول نحو أو تركيب الصيغ والحالات الإعرابية إلى المنهج القديم وتركيب الجملة على يديه. ثم حذف الأمثلة بعد ذلك. ويترجم فى آخر هذه الترجمة: Wohl damit die Arbeit so vieler Jahre nicht ganz verloren sei, entschloβ er sich am Ende dennoch dazu, den Text mit einer lateinischen Übersetzung zu veröffentlichen. S. 71 إلى: ولكى لا يبقى عمله ضائعاً كل هذه السنوات، فقد عزم فى نهاية الأمر على نشر النص بعد ترجمته إلى اللاتينية.

لقد ترجم الفعل الأساسى: entschloβ er sich (أى قرر) إلى عزم على، ويمكن التجاوز

عن ذلك برغم الفارق بينهما، ويقول: لا يبقى عمله ضائعاً كل هذه السنوات، ترجمة للجملة الفرعية: حتى لا يضيع العمل لسنوات طوال هدراً تماماً. وأخيراً يقول: بعد ترجمته إلى اللاتينية، ترجمة للتركيب: مع ترجمة لاتينية. ولا شك أن الفارق بينهما جميعاً كبير.

انظر كيف ترجم الجملة الفرعية: welche mit einer Biographie Muhammeds beginnend bereits in der Darstellung der Umaiyadenzeit die Kämpfe im Westen basonders berücksichtigt.S. 72

(فإن تاريخ العرب) قد بدأ بسيرة للرسول فى سياق التحدث عن العصر الأموى، وأعار أهمية خاصة للمواجهات العسكرية التى دارت فى الغرب بشكل خاص ص ٧٦.

الكلام هنا حول كتاب دون رودريجو Historia Arabum (تاريخ العرب) الذى يعنى ـ بادئاً بسيرة محمد (ﷺ) ـ بوجه خاص فى عرض العصر الأموى بالحروب فى الغرب (أو المغرب، ويعنى بذلك أسبانيا أيضاً). لقد تحول هذا الكلام على يده إلى: بدأ بسيرة للرسول فى سياق التحدث عن العصر الأموى. كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ والله لا أدرى. ربما فسر هو لنا ذلك.

وبعد... فليسمح لى القارىء الكريم أن أكتفى هنا بهذه المقابلات، لأنى لو تتبعت كل التراجم التى وردت فى الكتاب لانتهيت إلى كتابة مجلد ضخم، وهو ما يخرج عن الغرض الأساسى من هذه المقابلات، ولعل فى ذلك الكفاية لأن يقتنع القارىء بصواب قرارى حول ضرورة دفع ترجمتى إلى المطبعة بعد فترة طويلة من التردد.

وسوف أقدم فيما يأتى نماذج أخرى من مواضع متفرقة أرى وجوب تنبيه القارىء إليها.

يترجم جملة: Während sein Lehrer niemals den Orient mit eigenen Augen gesehen hatte, war es ihm vegönnt.. S. 80 يترجمها الأستاذ عمر لطفى ص ٨٣ إلى: وفيما لم يرَ الشرق البتةَ بأم عينيه، أتيحت له الفرصة...

ويبدو أنه لم يلحظ أن الحديث هنا عن أستاذه sein Lehrer فأستاذه هو الذى لم يرَ الشرق، أما هو فقد أتيحت له الفرصة لرؤيته.

ويترجم الاسم التالى: in der Chronik des Ibn Abī Zarʿ S. 80 إلى: فى تاريخ ابن أبى زار، وهو كما ورد فى النص: ابن أبى زرع، واسم كتابه فى التاريخ هو (روض القرطاس) ويترجم جملة: Anderthalb Jahre hielt er sich in Aleppo auf. S. 80 إلى: وطال به المقام فى مدينة حلب، حيث قضى فيها ثلاث سنين. ص ٨٣والجملة بسيطة جداً وترجمتها: وتوقف فى النصف الثانى من العام فى حلب. فهل هناك علاقة بين الترجمتين؟

ويترجم جملة: Die reichen Bücherschätze, welche Leyden zum Mekka aller abendlichen Arabisten machten, geben der Arbeit des Golius den Soliden Untergrund. S. 81.

إلى: إن وفرة نفائس الكتب التى قدمتها مكتبة لايدن لكل المستعربين الأوربيين حول مكة، أضفت على عمل جوليوس أساساً راسخاً. ص ٨٤ هل لهذه الجملة معنى؟ هل النفائس حول مكة هو المعنى المقصود منها. انظر إلى ترجمتى لها:

وقد هيأت هذه الكنوز الغنية من الكتب التى جعلت من ليدن كعبة كل المتخصصين فى الدراسات العربية فى الغرب، أساساً راسخاً لعمل جوليوس. أى أن الكتب النفيسة جعلت من ليدن مقصدهم، وكأنها الكعبة التى يحجون إليها.

* ويترجم الجملة الممتدة: und machte dadurch das Abendland zum erstenmal mit einem auch durch seinen Gegenstand fesselnden Musterbeispiel arabischer Reimprosa und des für den literarischen Geschmack des Ostens so kennzeichnenden rhetorischen Zierstils bekannt. S. 82

إلى: وبهذا وعبر نموذج عمله الآسر فى السجع العربى وروعة بلاغة الأسلوب المميزة للذوق الأدبى الشرقى، جعل أوربا تعرف به لأول مرة كذلك. ص ٨٥ إنه ينقل الكلام بطريقة عجيبة التركيب. ما معنى عمله الآسر فى السجع العربى؟ من أين جاء بتركيب: بروعة بلاغة الأسلوب؟

انظر إلى ترجمتى: وعرّف الغرب من خلاله (أى كتاب ابن عربشاه) للمرة الأولى بنموذج مقيد بهدفه من النثر العربى الفنى، والأسلوب المزخرف البلاغى المميز لذوق الشرق الأدبى.

فهل يتَرجم Reimprosa (النثر الفنى) إلى السجع؟، ثم لماذا أسقط جزءاً من الكلام متعلقاً بالوصف fesselnden (أى مقيد بـ) وهو durch seinen Gegenstand (بهدفه أو الغرض منه). ثم يترجم التركيب (rhetorischer Zierstil)، أى الأسلوب المزخرف البلاغى، وليس: روعة بلاغة الأسلوب.

انظر إلى الإهمال فى ترجمة عنوان كتاب ورد ص ٨١، يقول: (سدرة الأدب من كلام العرب) ص ٨٤ ما هذا؟ إن الكتاب اسمه (شذرات الأدب من كلام العرب). أظنه لا يتقن قراءة الكتابة الصوتية.

* ويترجم عبارة فوك ص ٨١: aber entscheidend blieb doch, daβ die Lernenden jetzt mit den groβen Meistern der arabischen Sprache bekanntgemacht wurden und daβ

das islamische Schriftum mit einigen seiner bedeutendsten Vertreter in ihren Gesichtskreis trat.

قائلاً: ولعل الأهم فى هذا كله، أن الدراسين باتوا يعرفون الآن واحداً من أكبر أساتذة العربية، وأن الكتاب الإسلامى دخل إلى مجتمعهم بيد بعض أشهر نوابهم المشاهير ص ٨٥.

انظر إلى ترجمتى وتدبر الفروق، لعلك تهتدى إلى حكم حاسم: غير أنه ظل مع ذلك على يقين بأن المتعلمين يجب أن يتعرفوا الآن العلماء العظام فى اللغة العربية، وأن يدخل التراث العربى فى إطار بعض ممثليه فى محيط رؤيتهم.

إن عبارته كلام محرف لا علاقة له بالنص الأصلى؛ ما معنى: الكتاب الإسلامى دخل إلى مجتمعهم بيد... إن الرجل يقصد: ضرورة تعرف التراث العربى من قراءة أهم أعمال علمائه، بدليل أنه قدم نماذج كثيرة لكتب التراث التى كانت متوفرة لديه.

وينقل كنز اللغة لابن معروف إلى (اللغة) لابن معروف ص ٨٥، وحياة الحيوان للدميرى إلى كتاب الحيوان للدميرى ص ٨٦، ويترجم جملة:

nahm Golius den vierhundert Jahre älteren und von den einheimischen Sprachgelehrten durchweg als besser aner kannten Ṣaḥāḥ des Gauharī zur Grundlage seines Wörterbuch. s. 83

يقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لهذه الجملة المركبة ص ٨٦:

فقد اتخذ جوليوس من (صحاح) الجوهرى الذى يرجع تاريخه لأكثر من أربعمائة سنة، ويشهد له من لدن علماء اللغة المحليين، اتخذ منه أساساً لمعجمه.

هل أدرك ما كتب؟ لقد جعل معجم الجوهرى يرجع إلى أربعمائة سنة. إن الرجل يقول: جعل جوليوس معجم صحاح العربية للجوهرى الذى يرجع القرن الرابع (الهجرى)، ويفضله اللغويون العرب بوجه عام، أساس معجمه.

ويترجم: die persischen und türkischen Übersetzer (أى المترجمون الفرس والأتراك) إلى المراجع التركية والفارسية ص ٨٦ أى مراجع هذه التى يقصدها؟ ويترجم der Naturgeschichte des Qazwini (أى كتابه المعروف: عجائب المخلوقات) إلى: والتاريخ الطبيعى للقزوينى. ويترجم Aḫtarī (أى الاخترى) إلى: الأختارى، ويترجم: - das syrisch arabische Lexikon des Bar ʿAlī إلى: والمعجم السورى العربى للبار على. والرجل يقصد: المعجم السريانى ـ العربى لبر على.

ويترجم: Auf eine übersichtliche Ordnung des gesamten Stoffes, die in den

einheimischen Wörterbüchern meist viel zu wünschen übrig laβt, hat Golius Gewicht gelegt. s. 83

يقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لهذه الجملة ص ٨٦:

وهو يعطى وزناً لاتساق المادة الشمولى، الذى يعمل على الترغيب فيه فى المعاجم المحلية.

من أين جاء بكلمة اتساق؟ إن الرجل لم يعجبه الترتيب فى المعاجم العربية، فأعطى من معجمه أهمية أو وزناً لترتيبه.ولذلك ترجمت الجملة إلى: وأعطى أهمية (وزناً) لترتيب شامل للمادة بأكملها، إذ لم يكن (أى الترتيب) على نحو مرضٍ غالباً فى المعاجم العربية.

ويترجم المصطلحات على هواه، مثل Wurzel (أى جذر وجمعها جذور) إلى: أصول، وStammformen أى صيغ الأصول (يعنى صيغ الأفعال)، إلى: الصيغ الأصلية، وdie nominalen Abtleitungen (أى المشتقات) إلى الاشتقات ص ٨٦.

ويختم الترجمة بنقل المركب الوصفى: die europäische Arabistik إلى المستعربين ص ٨٧. وهذا خطأ ظاهر لأن المقصود: الدراسات العربية فى أوربا.

* ويقول فوك ص ٨٤: Durch Golius war ein beträchtliches Stück islamischer Literatur in arabischer Sprache in den Gesichtskreis des Abendlandes getreten.

ويترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الجملة ص ٨٨ إلى:

إنه من خلال جوليس، يكون جانب مهم من الأدب الإسلامى قد وفد على الواجهة الاجتماعية الأوربية باللغة العربية.

هذه ترجمة حرفية رديئة جداً كيف يترجم islamische Literatur ترجمة حرفية إلى الأدب الإسلامى. إنه الخطأ ذاته حين أُطلق على كتاب بروكلمان «تاريخ الأدب العربى»، إن كلمة Literatur تعنى أساساً المصادر أو المراجع أو التراث.إنها أقرب إلى Schrifttum. وما معنى: وفد على الواجهة الاجتماعية الأوربية؟ إن التركيب: in Gesichtskreis treten يعنى دخل فى محيط الرؤية أو البصر، أى عرف.

ويترجم الجملة التالية الفرعية: er bezeichnet sein Lexikon im Vorwort als ein Dolmetscher, der des Beste, was die arabisch sperechende Welt besitzt. S. 84

يقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لها ص ٨٨ أيضاً:

فقد عُد عمله الخاص فى لب عمل المؤلفين المسلمين.

هل هذا ممكن من أين جاء بهذه الجملة؟ أين عمل، ولب عمل، و«المؤلفين المسلمين» فى النص؟

إن الرجل يقول: إذ يصفه معجمه فى المقدمة بأنه ترجمان لأفضل ما يتملكه العالم المتحدث بالعربية.

ثم يحذف الجملة التالية لها وهى: يمكن أن يُنقل إلى الشعوب المسيحية.

ويترجم التركيب: außerordentlich umfangreiche Wortschatz إلى: الثروة اللفظية الفخمة وغير العادية. أين الصفتان المذكورتان هنا؟ لا توجد إلا صفة واحدة مقيدة. إن الرجل يقصد: الثروة اللغوية (اللفظية) الضخمة بصورة غير عادية.

* ويقول فوك ص ٨٥، ٨٦:

Vor allem aber dürfte der Exeget Belehrung aus den reichen Schätzen der alle Wissensgebiete umfassenden arabischen Literatur erwarten, die gleich der Bibel im Osten entstanden, an Umfang und Bedeutung das ganze Schriftum der christlichen Volker des Orients in den Schatten stellte.

ويترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة ص ٨٨ إلى:

ولاسيما أن للشارح أن ينتظر الفهم والسداد من رصيد النفائس الضخم للمراجع العربية ا لشاملة فى كل ميادين المعرفة، التى نشأت فى ذات الوقت عن الكتاب المقدس فى الشرق، وعتّمت على سائر وثائق الشعوب المسيحية الشرقية حجماً ومعنى.

أما ترجمتى لها فهى:

بيد أنه قد جاز للشارح أن يتوقع استفادةً من الذخائر الغنية للتراث العربى الشامل، الذى يضم كل فروع المعرفة، الذى أقصى كل تراث الشعوب المسيحية فى الشرق سواء فى حجمه أو أهميته كالكتاب المقدس الناشىء فى الشرق.

ـ الفرق بين الترجمتين:

أسأله ابتداءً أين الفهم والسداد فى الجملة الأولى، هل يقصد بهما كلمة Belehrung؟ إذن فقد أخطأ لأن الكلمة تعنى استفادة أو إفادة أو نفع. ثم أين رصيد النفائس الضخم؟ هل يقصد بذلك: den reichen Schätzen، فقد أضاف وأخطأ وغيّر!

أضاف كلمة رصيد غير الموجودة فى الأصل، وأخطأ لأنه ترجم الصفة reich (بمعنى غنى أو ثرى) إلى ضخم، وغير لأنه قدم تركيباً غيرٌ مقصود. أسأله أيضاً لماذا تراجع وترجم Literatur هنا بالمراجع، ولا أدرى لماذا قسم الكلام وفرّعه فقلب كيانه. وأتساءل أين نشأ عن

الكتاب المقدس؟ إن الرجل يقول ببساطة: إن التراث نشأ فى الشرق، مثل الكتاب المقدس، وليس عن الكتاب المقدس. وأخيراً أين: عتّمت على سائر وثائق...؟ هل هذه الجملة ترجمة حرفية للجملة الألمانية: die das ganze Schriftum in den Schatten stellte. إن المعنى غير الحرفى: أبعد أو أقصى أو نحى (لأن ما يوضع فى الظل فإنه يهمل ويستبعد).

ومن السقطات الغريبة قول الأستاذ عمر لطفى ص ٩١:

إن أول طبعة من كتاب (لامية العجم) لمؤلفها (كارمن توجراى). هل هذا كلام يقوله أحد؟ من أين جاء بهذا الاسم الغريب. إن الرجل يقول: إن نشرة لامية العجم للطغرائى (التى لم تطبع إلا سنة ١٦٦١م).

ويترجم zufällig ص ٩٢ إلى عضوياً، ومعناها: عَرَضاً. ويترجم eine lateinische Umschrift (أى كتابة صوتية لاتينية) إلى: لكلمة مرادفة لاتينية ص ٩٢.

* انظر إلى ما فعله بالجملة الواردة لدى فوك ص ٨٨، وهى:

Den Ausgangspunkt bilden die paar Seiten aus der arabischen Weltchronik des Jakobiten Abu 'l - Farag Gregorius (bekannter unter dem Nahmen Bar Hebraeus, 688/1289), mit denen dieser seine Darstellung der islamischen Geschichte einleitet: sie enthalten einige dürftige, aus den Ṭabaqāt al-ʾUmam des Ibn Ṣāʿid ausgezogene Notizen über die vorlstamischen Araber.

يقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لها ص ٩٢:

وتشكل الصفحتان المقتبستان من التاريخ العربى العالمى لمؤلفه القبطى أبو الفرج جريجوريوس المشهور باسم (بارهيبرايوس المتوفى سنة ٦٨٨/١٢٨٩) اللتان قدم بهما لتصوره لتاريخ الإسلام، تشكلان نقطة الانطلاق. وتحتويان على بعض الملاحظات الضرورية المقتبسة من (طبقات ابن سعد) حول العرب فى العصر الجاهلى.

أما ترجمتى لها فهى:

وتشكل النهاية عدة صفحات من تاريخ العالم باللغة العربية للقبطى (اليعقوبى) أبى الفرج جرجوريوس (المعروف بابن العبرى ت ٦٨٨هـ/١٢٨٩م) وبها صدّر عرضه للتاريخ الإسلامى. وتضم بعض ملحوظات ضرورية مقتبسة من طبقات الأمم (لابن) صاعد الأندلسى عن العرب فيما قبل الإسلام.

ـ الفرق بين الترجمتين:

إن الفقرة مليئة بالأخطاء بشكل فظ، لا يقع فيها مبتدىء فى الترجمة!

لقد ترجم paar Seiten إلى (الصفحتان). هذه ترجمة حرفية المقصود: بضع صفحات. ثم يترجم arabische Weltchronik (تاريخ العالم باللغة العربية) إلى: التاريخ العربى العالمى. فى مقدمة الكتاب كتب اسمه (بارهيبرايوس) أى: ابن العبرى. أخيراً إنه لا يفرق بين كتاب طبقات ابن سعد، وهو غير المقصود هنا، وطبقات الأمم لصاعد الأندلسى. لقد قرأ الاسم Ṣā'id خطأ دون شك. وبعد ذلك بسطر خطأ إسلامى فادح. لقد ترجم die funf Grundpfeiler des Islams (أى أركان الإسلام الخمس) إلى الشعائر الإسلامية الرئيسة ص ٩٣. هل يعقل هذا؟

وترجم التركيب اللاتينى Notae miscellaneae الذى يعنى: تعليقات متنوعة إلى حواشى ميشيلانى ص ٩٣، ويبدو أنه لا يعرف مصطلح Eschatologie لأنه ترجمه ص ٩٣ أيضاً إلى: الموسوية، والله حرام! هل يصل الإهمال إلى هذه الدرجة؟ إن المصطلح دقيق جداً ويعنى مسائل يهودية تتعلق بالآخرة أو العقائد الآخروية عند اليهود، وعند المسلمين أيضاً.

ويترجم الجملة البسيطة: es dauerte fast noch ein Jahrnundert، إلى: واستغرق الأمر زهاء السنة ص ٩٤ تحول القرن على يديه إلى سنة. ويترجم الرواية الفلسفية المشهورة (رسالة حى بن يقظان لابن الطفيل) إلى: السيرة الفلسفية الذاتية ص ٩٤ أيضاً.

وفى بداية الترجمة رقم (١٩): يقول الأستاذ عمر لطفى ص ٩٥: وقد عثر فى مكتبة لايدن على مخطوط لابن مسكويه بترجمة عربية (تنكارسيس). لقد أثارتنى الكلمة الأخيرة التى لا معنى لها. إن نص المؤلف الأصلى هو: Er fand in der Leydener Handschrift von Miskawaihs Ǧāwīdān ḫirad in arabischer Übersetzung... S. 91، أى فقد وجد فى مخطوطة ليدن لمسكويه «جاويذان خرذ»، أى الحكمة الخالدة، فى ترجمة عربية.

أريد من القارىء أن يحكم حقيقة هل هناك علاقة بين ترجمته والأصل.

ويقول ص ٩٦: من مخطوط سويسرى للقرآن جدول بالاختصارات.

ترجمة لنص: ferner aus einer Basler Koranhandschrift ein Verzeichnis. S. 92، أى وفهرس للمختصرات من مخطوطة للقرآن من مكتبة بازل. ثم يتحول التعبير: قُرّاء القرآن المختلفون على يده إلى: مختلف القراءات. ويتحول التعبير: مقدمة المعجم السريانى ـ العربى لبرعلى، على يده إلى: مقدمة المعجم السريانى العربية لمؤلفه (على بار).

ويترجم التركيب الصعب حقاً: als Muster einer künftigen arabischen Prosopographie s. 92 إلى: كنموذج لمعجم عربى مستقبلى. ص ٩٦ ولكن هل تدبر ما كتب ليعيد النظر فيه. إن الرجل يقصد: بوصفه نموذجاً لفهرسة عربية فى المستقبل وفق الحروف الهجائية. وهذا هو معنى المصطلح: Prosopographie وبعد ذلك بسطور، يقول: وأفاد كذلك

من جزء الفهرست الخاص بتصوره لتراث سابير. ص ٩٦، ثم يكتب في الهامش في أسفل الصفحة: لم نتمكن من معرفة أي سابير عنى به المؤلف. ولم نجد لهذا الاسم أي حاشية في معاجم الأعلام المتوافرة. لنعد إلى الجملة في الأصل التي صنعت هذه المشكلة للمترجم.

يقول فوك ص ٩٢: ebenso machte er in seiner Darstellung des Sabiertums von dem entsprechenden Abschnitt des Fihrist ausgiebig Gebrauch.

ومعناها: واستفاد أيضاً في عرضه لتراث طائفة الصابئة من الفصل المماثل في الفهرست استفادة وافرة.

لقد تحولت تراث طائفة الصابئة على يديه إلى: تراث سابير. ولا تعليق عندي على ذلك.

وبعد ذلك يقول أيضاً ص ٩٧: أفاد... من المصادر العربية وبالأخص تواريخ يوتيشيوس والمكين فائدة كبرى.

والمقصود: وبخاصة كتاب: ابن البطريق (نظم الجوهر) والمكين (تاريخ العالم «المجموع المبارك»)التاريخيان. لقد نقل اسمه اللاتيني Eutychius إلى اللغة العربية! وطبعاً المكين هو جرجيس المكين بن العميد (ت: ٦٧٢/١٢٧٣) مؤرخ آخر غير المؤرخ القبطي اليعقوبي أبي الفرج جريجوريوس المعروف بابن العبري (ت: ٦٨٨/١٢٨٩) صاحب: تاريخ مختصر الدول.

ويقول فوك ص ٩٢ في آخر هذه الترجمة:

Es fehlte ihm indessen an einer gründlichen philologischen Schulung: seine arabischen Zitate sind nicht frei von schweren Fehlern und die Übersetzungen dementsprechend ungenau.

أيها القارىء الكريم أمعن النظر في ترجمة صاحبنا ص ٩٧:

وفي هذه كان يفتقر إلى التتلمذ الأساسي في العلوم اللغوية، فأقوال العرب المأثورة لا تخلو من أخطاء جسيمة، كما أن الترجمات ليست دقيقة.

أما ترجمتي فهي:

وافتقر فيها إلى دراسة فيلولوجية أساسية. فاقتباساته العربية لا تخلو من أخطاء جسيمة، وترجماته لا تطابق الأصل مطابقة دقيقة.

انظر ماذا فعل. لقد ترجم philologische Schulung (أي دراسة فيلولوجية) إلى التتلمذ في العلوم اللغوية، وترجم seine arabischen Zitate (أي اقتباساته العربية) إلى أقوال العرب

المأثورة. وامصيبتاه! وأخيراً تتحول جملة:وترجماته لا تطابق الأصل مطابقة دقيقة، على يديه إلى: كما أن الترجمات ليست دقيقة.

انظر أيضاً ماذا فعل بالجملة التالية. يقول فوك ص ٩٣:

Während der Protestantismus dem Arabischen wenigsten im Rahmen der sacra philologia ein bescheidenes Plätzchen einräumte, kümmerten sich die katholischen Länder Deutschlands überhaupt nicht um seine Pflege.

ويقول صاحبنا ص ٩٧ ترجمة لهذه الفقرة:

وفى الوقت الذى خصصت فيه البروتستانية حيزاً متواضعاً فى مجال التحدث بالعربية، لم تعن بها الدول الكاثوليكية مطلقاً.

أما ترجمتى لها فهى:

وبينما وفرت البروتستانتية حيزاً متواضعاً للعربية على الأقل فى إطار الفيلولوجيا المقدسة، لم ترعاها مطلقاً المقاطعات الكاثوليكية فى ألمانيا.

لا أدرى من أين جاء بالتركيب: فى مجال التحدث بالعربية؟ هل حول: للعربية على الأقل فى إطار الفيلولوجيا المقدسة، إلى هذا التركيب المخل الذى لا علاقة بالنص الأصلى مطلقاً. ثم تحول التركيب: المقاطعات الكاثوليكية فى ألمانيا، على يديه إلى: الدول الكاثوليكية. ما هذا؟ ألا تعرف أن ألمانيا مقسمة إلى مقاطعات (لأن Land هنا تعنى مقاطعة وليس دولة كما قال) بينها اتحاد فيدرالى، بعضها يغلب عليها المذهب البروتستانتى والآخر المذهب الكاثوليكى.

ويترجم الجملة الفرعية: daβ man wenigstens dem türkischen einige Aufmerksamkeit schenkte S. 93 إلى: أدت إلى عدم إعارة اللغة التركية لفتة تذكر. ص ٩٧ وهذا عكس المعنى. إن الرجل يريد: أعيرت التركية على الأقل بعض الاهتمام.

ويترجم جملة: Er hatte 1673 in Rom bei Marracci Arabisch getrieben S. 93 إلى: وكان قد مارس فى روما سنة ١٦٧٣ اللغة العربية ص ٩٧. وترجمتى لها هى: وقد درس سنة ١٦٧٣م فى روما لدى مارتشى العربية.

ويترجم جملة: und wuβte wie Meninski, daβ zum Verständnis der türkischen Amtssprache die Kenntnis des Arabischen und Persischen unerläβlich ist. S. 93

إلى: وعرف كما عرف منينسكى، أنه لا غنى عن معرفة العربية والفارسية من أجل تفهم اللغة العربية. ص ٩٧. هل هذا كلام له معنى؟ هل راجع صاحبنا هذه الجملة ليتدبر

معناها؟ إن فوك يريد أن يقول: وأدرك مثل منينسكى أن معرفة العربية والفارسية لا محيد عنها لفهم لغة الدواوين (الإدارة) التركية.

ويترجم المكون اللاتينى: Exercitium Arabicum (أى تدريباً عملياً بالعربية) إلى: عملاً مدرسياً منزلياً خطياً.

وأخيراً يترجم جملة: Irgendeine nachhaltige Wirkung war indessen Podestas Bemuhüngen nicht beschieden. S. 94 إلى: ولا نستبعد استمرار نوع من التأثير بسبب ما بذل من جهود. ص ٩٧.

إن معنى: war nicht beschieden تعنى لم تفلح أو لم توفق، ومن ثم فترجمة الجملة: ولم تفلح جهود بودستا فى إحداث أى أثر عميق فى هذا الأمر.

وبعد هذه المقابلات المتفرقة أترك للقارىء أن يعلق على ما فعل صاحبنا بالكتاب.

* ويقول فوك فى ترجمته عن الطبعات الأولى للقرآن الكريم ص ٩٥:

, daβ er das günstige Angebot, seine Arbeit in Holland drucken zu lassen, deshalb ausschlug, weil die Holländer seine Refutationes mit der Begrundung streichen wollten, daβ jeder Christ schon an sich in der lage sei, die Irrtümer des Korans zu erkennen.

يترجم الأستاذ عمر لطفى هذه الفقرة البالغة الأهمية الحرجة ص ٩٩ إلى:

بحيث قرر لهذا السبب الاستفادة من العرض السخى المقدم له والسماح بطبع كتابه فى هولندا، ذلك أن الهولنديين رغبوا في أن يزين اعتراضه بسبب، وبحيث يكون كل مسيحى فى وضع يؤهله من معرفة خطأ القرآن.

أما ترجمتى لها فهى:

إلى حد أنه رفض العرض المناسب لطبع عمله فى هولندا لأن الهولنديين أرادوا أن يحذفوا تفنيده، بحجة أن كل مسيحى يجب أن يكون بذاته قادراً على معرفة الأخطاء فى القرآن.

ـ الفرق بين الترجمتين:

بداية حاشا لله أن يكون قد وقعت أخطاء فى القرآن. ولكن ماذا تنتظر من مبشر معتصب مثل مارتشى؟! على أية حال هذا موضوع آخر. المهم هنا ألا يلاحظ القارىء أن الفقرة مهلهلة والمعانى منحرفة. وإليك الأدلة:

لقد ترجم الفعل ausschlug وهو ماضي ausschlagen ويعني رفض إلى قرر، وترجم التركيب الاسمي das günstige Angebot (أى العرض المناسب) إلى العرض السخي، وأضاف إلى ذلك الفقرة: المقدم له والسماح. ويفسد أهم جزء في الفقرة وهو الفعل streichen، الذي له معان كثيرة؛ منها دهن ومسح وشطب وحذف... إلخ والمعنى هنا يتطلب معنى الهجوم على الإسلام، وترك أمر التفنيد لكل مسيحي.

ولذلك استخدم: er an sich in der lage sei أن يكون بذاته قادراً أو مؤهلاً لمعرفة الأخطاء (جمع) وليس مفرداً كما قال (لأن الكلمة الألمانية die Irrtümer) . وترجم اسم كتاب لوتر Katechismus (أى قواعد الدين المسيحي) إلى (في الدفاع عن العقيدة المسيحية). ص١٠١ وترجم das neute Testament (أى العهد الجديد) إلى العهد القديم ص ١٠١ أيضاً. ثم حذف جزءاً من آخر الترجمة (انظر الأصل ص ٩٧، والترجمة ص ١٠٢).

وفي ص ١٠٤ من ترجمة الأستاذ عمر لطفي العجب العجاب. انظر كيف يكتب أسماء الكتب ومؤلفيها، على سبيل التمثيل:

(تاريخ جُزيد) لحمد الله قزويني صار عنده: تاريخ القصيدة، و(تاريخ السراسنة) لمكين (وهو جزء من تاريخ العالم، صار عنده: تاريخ العرب)، و(نظم الجوهر) لابن البطريق صار عنده: نظم الجوهر ليوتيشيوس، و(تاريخ مختصر الدول) لبرهيبرابوس (ابن العبري) صار عنده: لبارهيرووس، و(حسين واعظ كاشفي) صار عنده: حسين واعظ قاصفي. ص١٠٤ ثم حذف فقرة طويلة لأنها تضم نصوصاً لاتينية ص ١٠٠ في الأصل، ووسط صفحة ١٠٥ من الترجمة. وگلستان سعدى صار عنده: وسعدى جولشتان. وسير الشعراء التركية للطيفي صار عنده: من حياة الشاعر التركي لطيفي.

والترجمة التي تصرف فيها، صارت لديه: الترجمة المتحررة ص١٠٦ وقبل أن أختم هذه المقابلات التي تتوقف عند الترجمة رقم (٢٢) في الأصل لأني كما قلت لا أستطيع أن أتتبع الترجمة في الكتاب كله، فهذا يخرج الهدف المرسوم. ولا أجد أفضل من نص فريد فيه إنصاف كبير لنبي الإسلام، ولكن لننظر ماذا فعل المترجم به.

يقول فوك بعد أن ذكر أن القرآن الكريم آنذاك (أى في القرن الثامن عشر تقريباً) قد قُرِئ بأعين أخرى واكتشف أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) لم يكن شريراً كما صورته العصور الوسطى المسيحية، بل نجد مستشرقاً مثل رايسكه قد فقد عمله وعزل وضيق عليه، وكاد يموت جوعاً، لأنه وقف من الإسلام والنبي موقفاً منصفاً، بل كان مفتوناً بهما في كتاباته، وأحياناً مناصراً لهما، فمنعت كتبه من التداول وحاصرته الكنيسة حصاراً شديداً، وتحمل ذلك كله، ورفض أن يخالف ضميره، ويتبنى أفكار التبشير والمبشرين. إن قضيته

قصة رائعة تحتاج إلى وقفة طويلة، لا يتسع المقام لها، ولكنى أعد القارىء بالكتابة حول هؤلاء المستشرقين العلميين المنصفين. يقول فوك ص ١٠٣ :

Leibniz und viele andere Aufklärer sehen in ihm ein Verkünder der natürlichen Reglion, Ja Henry Boulainvilliers (1658- 1722) machte ihn zum Helden eines (erst 1730 im Druck erschienen) ,, antiklerikalen Romans", in dem er als Schöfer einer vernünftigen, dem Christentum weit überlegenen Religion geschildert wird.

يقول الأستاذ عمر لطفى ترجمة لهذه الفقرة ص ١٠٨ :

فلقد رأى فيه لا يبنز وكثيرون آخرون من المتنورين داعية للدين الطبيعى، بل إن هنرى بولنفليير (١٦٥٨ ـ ١٧٢٢) جعل من الرسول بطلاً رومانياً مضاداً للرهبنة، حيث يوصف بكونه ناقلاً لدين الهدى الذى يتفوق على المسيحيين لحد كبير.

ليقرأ الإنسان هذه الترجمة مرة بعد مرة لهذا المترجم الذى جعل الإسلام الدين الطبيعى، ومحمداً بطلاً رومانياً!

لقد ترجمت هذه الفقرة إلى:

فقد رأى فيه لايبنيتس وآخرون كثيرون من عصر التنوير داعياً (أو مبشراً) إلى دين الفطرة، بل جعله هنرى بوليا نفييه (١٦٥٨ ـ ١٧٢٢م) بطلاً لإحدى رواياته المناهضة للكنيسة (ظهرت سنة ١٧٣٠م)؛ فقد صوره فيها مبدع دين عقلى، يفوق المسيحية إلى حد بعيد.

ـ الفرق بين الترجمتين:

لقد ترجم التركيب andere Aufklärer إلى: آخرون من المتنورين. وفى هذا الاختيار لبس، لأن متنور لها معنى آخر الآن، ولذا فضلت: من عصر التنوير Aufklärung، وترجم natürliche Religion إلى الدين الطبيعى، وأظن أن دين الفطرة أدق، وترجم zum Helden eines, antiklerikalen Romans إلى: بطلاً رومانياً مضاداً للرهبنة. هل هذا معقول؟ ما معنى بطل رومانى، وما معنى مضاد للرهبنة، والله حرام. الرجل يقول: بطلاً لإحدى رواياته المناهضة للكنيسة. وأخيراً وصف النبى بأنه als Schöpfer einer vernünftigen Religion، فترجمه صاحبنا إلى: يوصف بكونه ناقلاً لدين الهدى. بالذمة هل هذا كلام؟ لقد أفسد المعنى الرائع فى النص الألمانى وإن كنت أتشكك بعض الشىء فى كلمة Schöpfer، لأنها تعنى خالق، مبدع، موجد، والنبى ليس مبدع الدين الإسلامى، بل هو هو النبى الموحى إليه، الرسول الذى حمل إلى الإنسانية دستورها إلى الأبد وهو القرآن. ولكن وصفه للإسلام بأنه vernünftige Religion دين عقلى، وصف منصف، وزاد على ذلك dem Christentum weit

überlegenen أى يفوق المسيحية، وليس: يتفوق على المسيحيين، كما قال صاحبنا، وكان ختامها مسكاً إذ قال صاحبنا: لحد كبير، وهو تعبير عامى، وصحته: إلى حد بعيد.

أخيراً أحب أن أنوه إلى أننا قد بذلنا فى هذه الترجمة مجهوداً كبيراً، واجتهدت مع زميلى د. الدمرداش قدر المستطاع لنقدم للقارىء معلومات دقيقة سليمة عن الدراسات العربية (والإسلامية دون شك) فى أوربا حتى ما قبل سنة ١٩٥٥م حيث توقف المؤلف. وقد توفى بعد ذلك بقليل، فى أواخر الستينيات تقريباً.

وثمة أشياء أحب أن أنبه إليها، لأنى قد كُلِّفتُ بالصياغة النهائية للكتاب، وكذلك بمهمة وضع هذه المقدمة. أولها أنه فى بعض الأحيان وضعت مرادفاً للكلمة الواردة فى النص بين قوسين، لأنى شعرت أحياناً بصعوبة الكلمة التى اخترتها، ومن ثم وضعت الكلمة الأسهل المرادفة بعدها حتى لا تستعصى العبارة على الفهم أو يحدث أى نوع من اللبس. أما الشىء الثانى فهو اقتصادى فى الهوامش، فلم أثبت منها إلا ما يحتاج إليه فى الفهم حتى لا يتضخم الكتاب، وبخاصة أن المؤلف نفسه قد استخدم ألواناً مختلفة من الهوامش. وميزت هوامشى بوضع نجمة مشعة فى بداية كل هامش. أما الشىء الثالث فقد حرصت كما هى عادتى فى الترجمة على إثبات الصفحات المقابلة للترجمة فى النص الأصلى بوضع أرقام الصفحات الأصلية فى الهامش جهة اليسار، ويقابل كل رقم شرطة مائلة تحدد بداية صفحة الأصل. وهدفى من ذلك واضح، وهو أن أيسر على القارىء العودة إلى قراءة النص الأصلى إن أراد، ليتأكد من صحة الترجمة إذا شك فى شىء أو استغلق المعنى المراد عليه.

وأخيراً أطمع فى أن تكون هذه الترجمة قد قدمت للقارىء الكريم نصاً واضحاً لهذه الكتاب المهم، وآمل أن يتجاوز عن الأخطاء الطباعية، فقد راجعت النص أكثر من مرة، وفى كل مرة أجد أشياء تفوتنى، لأنى أقرأ المعنى، وربما غابت عن عينى صورة الكلمات. ومع ذلك فإنى سأكون شاكراً ومعترفاً بالجميل لكل من يمدنى بتصويب لأية أخطاء حتى أستدرك ما فاتنى، وأصوب كل ما يمكننى تصويبه فى طبعات قادمة إن شاء الله، للوصول إلى نص خالٍ من الأخطاء قدر المستطاع. وأعتذر للقارىء الكريم مسبقاً عن أى تقصير، وآمل أن يتقبل جهدنا المتواضع.

﴿ ربنا لا تؤخذانا إن نسينا أو أخطأنا. إنك نعم المولي ونعم النصير ﴾.

سعيد بحيرى

القاهرة

فى فبراير ٢٠٠٦م/

محرم ١٤٢٧هـ

تقديم

في عام ١٩٤٤ ظهر عملي «الدراسات العربية في أوربا في القرن الثاني عشر حتى مطلع القرن التاسع عشر في الكتاب الذي نشره كل من ريشارد هارتمان وهليموت شل «إسهامات في الدراسات العربية، والسامية، والإسلام» وقد نقلت الأجزاء من ٢: ٢٩ بلا تغير من تلك الدراسة إلى هذه الطبعة من الكتاب، إلا أنه قد استُدرِكَتْ الأخطاء المطبعية بقدر ما يسمح هذا الإجراء التنقيحي بتصويب بضع هفوات أخرى. وبخلاف المدخل أضيفت بعد ذلك الأجزاء من ٣٠: ٨٧ حيث استكمل فيها العرض حتى سنة ١٩١٤، ولم أتخطَّ هذا الحد إلا في تلك الحالات التي صلح أن يعرض فيها بصورة إجمالية عمل عالمٍ راحلٍ.

ولن نتوقف طويلاً عند قرناء التخصيص كما هي الحال مع علماء راحلين شرعوا في نشاطهم العلمي بعد سنة ١٩١٤.

وقد عاونني في أوجه البحث والتقصي المتعلقة بالفهرسة والتراجم التي تستغرق وقتاً طويلاً مساعدي السيد د. مانفرد فلايشهامر، والسيد أمين المكتبة فولفجانج رويشل في ليبزج، والباحث في الدراسات الشرقية فولفجانج هلمهولت معاونة لا تعرف الملل. وكثيراً ما طرقت على أبواب غريبة، ونادراً ما سرت بلا مشورة وقد أبلغني عن طيب خاطر زملائي بروفيسور د. جين كانتينو في باريس، وبروفيسور د. فريتس ماير في بازل، وبروفيسور د. جيمس روبسن في مانشستر، تواريخ كثير من علماء العربية في بلادهم. وقد قدم لي بروفيسور د. هـ. فليش س. ج. في بيروت في عون عظيم معلومات من ملفات الإرسالية السورية عن باتر ف. كوش، و ج - ب بلوث و ج - م هافا، وأوضح في استقصاء مستمر العلاقة بين معجم بلوت سنة ١٨٨٣ وقاموس كوش سنة ١٨٦٢، وبالنسبة للتصويبات فقد حظيت بالمعاونة الجادة من زوجتي ومن

السيدين المذكورين آنفاً د. فلايشهامر وف. هلمهولت. وأسجل هنا شكري العميق لهم جميعاً ولدار النشر التي يرجع إليها ظهور هذه الطبعة من الكتاب.

هالة في ديسمبر ١٩٥٥.

يوهان فوك

١- مدخل

/تُعزا للدراسات العربية أهمية خاصة في الحوار العقلي بين الغرب والإسلام، [١]
وفي الحقيقة لم تكن فتوحات العرب الكبرى والصدام المسلح بين الدولة الإسلامية الفتية والإمبراطورية البيزنطية، ودول أوربا الأخرى فيما بعد، مناسبةً في بادئ الأمر لتشجيع الأوساط القيادية في الغرب على الاشتغال باللغة العربية، وقد قَدَّمَتْ حقيقةُ أن العالم الإسلامي قد حافظ على تراث العصور القديمة وأثراه في فروع الفلسفة والرياضيات والفلك والطب والعلوم الطبيعية أيضاً الحافزَ لترجمات من العربية إلى اللاتينية، غير أنه لم يؤد بعد إلى دراسة فيلولوجية للغة العربية، كما أن أقدم ترجمة لاتينية للقرآن، وهي التي ترجع إلى سنة ١١٤٣ م، تحمل طابع إعادة الصياغة لمضمون الأفكار، ولم تُعنَ أدنى عناية بالشكل والأسلوب في الأصل العربي، بيد أن طموحات التبشير للكنيسة الرومانية الكاثوليكية واتحاداتها لا تتحقق دون مبشرين مؤهلين تأهيلاً لغوياً، وكانت أيضاً الباعثَ الأول لدراسة جادة للغة العربية في بلاد الغرب، تلك التي ازدهرت في فترة مذهب الإنسانية الأسباني المبكر، وبعد مضي قرن وَهَبَت العالم حروف الطباعة العربية في مطبعة ميديتشي. وفي أثناء ذلك عاد الاهتمام الذي أزكته بقوة حركة الإصلاح بالكتاب المقدس وصياغاته الشرقية بالنفع على الدراسات العربية أيضاً، إلا أنه قد شجعتها تشجيعاً قوياً العلاقات السياسية والاقتصادية للقوى المسيحية مع البلدان الإسلامية، وهنا حملت هولندا في مطلع القرن السابع عشر لمدة قرنين تقريباً لواء القيادة. وتغير تدريجياً بتأثير من عصر النهضة الحكمُ على الإسلام الذي توقف عن أن يشكل خطراً على أوربا منذ سقوط الإمبراطورية العثمانية، وبعد أن ساعدت ثورة ١٧٨٩ على غلبة أفكار عصر النهضة، اضطلعت فرنسا بالدور القيادي، وقد كان للدراسات العربية أيضاً نصيب. /في الانتعاش العظيم للدراسات [٢]
الشرقية في القرن التاسع عشر. وهنا حدد المذهب التاريخي النقدي إلى جانب

الرومانسية مسارها. وأدت خاصيته المميزة، وهي أنه ليس كل شيء ممكناً في كل عصر، عند تأمل الشخصيات المهمة تاريخياً، بصورة حتمية إلى بحث دقيق دائماً بيئاتهم المحيطة بهم، ومن ثم إلى مذهب اجتماعي لا يقر بما هو فردي، بل يربط الإنسان ببيئة، ويسعى إلى الفهم من خلال خواص ظروفه التاريخية.

وقد بُذِلت في الصفحات التالية محاولة تتبع كل مرحلة من مراحل تطور الدراسات العربية المشار إليه آنفاً في الغرب، وتوضيحها في إطار الحوار العقلي بين أوربا والإسلام.

٢- بطرس المبجل وأقدم ترجمة للقرآن الكريم

[٣] /عاش الغرب المسيحي إلى جوار الشرق الإسلامي مئات السنين دون أن يشعر طرف بالحاجة إلى تعلم لغة الطرف الآخر. وبقدر ما نشأ من حركة متبادلة، مثلما هي الحال تقريباً بالنسبة للعلاقات التجارية النشطة، أُسنِدَت هذه الخدمة في العادة إلى ترجمان. وبخلاف ذلك فنادراً ما حفلت الأوساط القيادية على الجانبين، كل منهما بالآخر، فقد ظَنّ كل طرف بأنه يقبض على الدين الوحيد الصحيح، وشعر بحقيقة مفادها أن الطرف المقابل يدعى الحق ذاته بوصفه تحدياً. لقد عاش المسلم مع العالم الذي لا يرغب في الاعتراف – على وجه التحدي – باعتقاده ولا بسيادته في حالة حرب ظاهرة أو مستترة.

بيد أن الكنيسة المسيحية شعرت بقوة بتهديد الانتصارات المتلاحقة التي لم يُسمع بمثلها للخصوم: فقد فَقدتْ بيزنطة مناطق احتلال لها في آسيا وشمال أفريقيا – باستثناء آسيا الصغرى – ابتداءً من القرن السابع الميلادي على يد العرب، وأُجبِروا على مغادرة آسيا الصغرى أيضاً للسلاجقة بعد معارك كانت سجالاً بين الطرفين في القرن التاسع الميلادي، وبسقوط صقلية فُقِدَت السيادة، وصار البحر (الأبيض) المتوسط غير آمن بسبب القراصنة السراسنة.

وفي الغرب أخيراً فتح العرب والبربر قسماً كبيراً من أسبانيا، ولم يبق حراً

إلا شمالها الغربي، ومن هنا كان الصراع سجالاً حول استرجاعها (reconquista)(*).

وهكذا فإن علاقة متوترة كهذه لم تسمح بمعرفة (كل طرف بالآخر) معرفة حقيقة وموضوعية. فقد كانت الآراء التي أخذها كل طرف عن الآخر في المعسكرين غير دقيقة وغير موضوعية.

فلم يفتقر كل طرف باستمرار إلى القدرة على فهم الآخر فحسب، بل إلى الرغبة الطيبة بقدر كافٍ تماماً في أن ينصف خصمه المخيف البغيض، وبخاصة منذ الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٦- ١٠٩٩) فقد تصادمت القوتان من جديد غير أنه من جانب آخر هيأ عصر الحروب الصليبية أسباب اشتغال الغرب الدقيق باللغة والأدب العربيين. وفي بادئ الأمر أحس المرء بالحاجة إلى تفهم التقدم الذي وصل إليه العالم الإسلامي بوصفه أميناً على /تراث الطب والفلسفة والعلوم الطبيعية اليونانية. وفي حوالي نهاية القرن الحادي عشر الميلادي نقل قسطنطينوس الأفريقي – وهو مسيحي تونسي كان في خدمة الدوق ابولين روبرت جويسكارت، الذي أنقذه النورمانديون ١٠٦٠ – ١٠٩٠ من الصقليين السراسنة(**) – مؤلفات للأطباء اليونانيين والمسلمين إلى اللاتينية، فقدم بذلك

(*) la Reconquita

كلمة أسبانية تعني استرداد الأراضي المحتلة، وهو الاسم الذي يطلقونه في التاريخ الأسباني على جميع العمليات الحربية التي امتدت عدة قرون والتي استهدفت إنهاء الحكم العربي في أسبانيا. وللكلمة مضمون عدائي سلبي ونترجمها هنا بالاسترجاع أو الاسترداد.

(**) من اللاتينية Saracenus (نقلاً عن اليونانية Sarakens)، ظهر اللفظ للمرة الأولى في مؤلفات القرن الأول الميلادي، وقصد به البدو الذي سكنوا أطراف المناطق المزروعة ما بين النهرين، ويهددون طرق التجارة أو يحمونها بتكليف من الروم أو الفرس، ويدخل في التسمية الأنباط وأهل الحيرة وتدمر. والكلمة في اليونانية تعني ساكني الخيام، ويحتمل أن تكون آتية من شرقي (Sharqi)، لأن هؤلاء البدو كانوا يعيشون في شرق الإمبراطورية=

مدرسة سالرنو، ومن ثم لطب الغرب بأكمله حافزاً قوياً. غير أن هذه الترجمات التي ما لبثت أن أضيفت إليها نقول أخرى من مجال العلوم القديمة، لا تقدم أية نظرة متعمقة في الروح الإسلامية حقاً، كما هي الحال بالنسبة لضعف استكناه الشرق المعاصر روح الغرب مع نقل التقنية الأوربية، كما لم تقدم باعثاً كافياً لدراسة مستقلة للغة العربية، فلم يُهتَم إلا بمادة الأعمال المترجمة، واكتُفِيَ بذلك بنقل المضمون على يد وسطاء على معرفة باللغة - سواء أكانوا مسيحيين شرقيين أو مسيحيين أسلموا إلى جانب المستعربين(*) في أسبانيا، أي على يد مسيحيين متأثرين بالروح الإسلامية تأثراً شديداً تحت السيادة الإسلامية، ولما لم يكن هؤلاء الرجال متمكنين تمكناً تاماً من اللاتينية فقد لزم أن يُنقل المضمون إلى اللغة الدارجة الرومانية أولاً، ثم إلى اللاتينية المكتوبة قبل أن تدون الترجمة بصورة نهائية.

فالأرجح أن فكرة التبشير كانت هي التي حملت الكنيسة على الاشتغال بالقرآن واللغة العربية.

وكلما ذَوَى الأملُ في إحراز نصر حاسم بقوة السلاح، صار غزو الأرض المقدسة غير المؤدي إلى ترك السراسنة دينهم أكثر وضوحاً، بل إنه خلافاً لذلك

= الرومانية. ويطلق الكتاب المسيحيون في أوربا العصور الوسطى على من كان يعيش وراء البحر الأبيض المتوسط اسم الإسماعيليين، بينما يطلقون اسم (السراسنة) على من جاوزهم فاتحين في الأندلس في جنوب فرنسا وفي صقلية. وللكلمة مدلول عدائي سلبي ويؤدي استخدام لفظ آخر أو تعريبها إلى فقدان المغزى من استخدام هذا اللفظ.

انظر تفصيل مدلول اللفظ في تراث الإسلام ١/ ٢٧، ٢٨.

(*) mozarabes = los mozarabes

لفظ mazaraber لها عدة معان، منها المستعربون الكاثوليك، أي المسيحيون الذين كانوا يعيشون تحت حكم المسلمون في أسبانيا (من ٧١١- ١٤٩٢)، وكانوا يتكلمون العربية. ويقال إنهم مدجنون موريسكيون يكتبون اللغة الأسبانية بحروف عربية.

كان لثقافتهم وتقاليدهم وطريقة معيشهم تأثير على الصليبين، وصارت أصوات الذين يأملون في التغلب على الدرس الخاطئ في الدوائر (الأوساط) العقلية أكثر علواً. وقبل أن تلقى مهمة الصليبين في حادث الإديسا (في ديسمبر ١١٤٤م) الانتكاسة الكبرى الأولى، ظهرت سنة ١١٤٣م الترجمة اللاتينية الأولى للقرآن، وكان صاحبها بطرس المبجل (Petrus Venerabilis) (١٩٠٢ أو ١٠٩٤: ١١٤٧ م) رئيس دير كلوني، الذي قام برحلة عمل سنة ١١٤١ إلى أسبانيا حيث لم يتفقد فروع طائفته الدينية، وتوسط بالسلام بين الفونس السابع ملك قشتالة، /والفونس الأول ملك آراجون فحسب، بل وجد فرصة لتعرف الحوارَ بين الإسلام [٥] والمسيحية والمعارك بين المسلمين المغاربة والأسبان، وروح الاسترداد على النحو الذي شاع في ملحمة السِيد التي أُلِّفَت آنذاك، وسياسة الموحدين الدينية الذين شنوا في تلك السنوات هجمات على أسبانيا.

ومن ثم وصل إلى اقتناع بأنه لا يجب أن تحارب «هرطقة/ بدعة محمد؟!» بقوة السلاح العمياء بل يجب أن تدحض بقوة الكلمة من خلال مبررات عقلية للمحبة المسيحية. بيد أن هذا قد تطلب أن يتعرف وجهة نظر الخصم معرفة حقيقية. ومن ثم وضع الخطة لترجمة القرآن إلى اللاتينية. وتقابل في ناحية من نواحي شبه الجزيرة الإيبرية بعالمين، هما الانجليزي روبرتوس كتننسيس (Robertus Ketenensis) وهرمانوس الدلماني (Hermanus Dalamata) اللذان كانا يعرفان العربية واشتغلا بدراسة التنجيم (أي مؤلفات العرب الفلكية والرياضية)، وكسبهما مقابل وعد بعطاء سخي عن المشروع، وكان روبرتوس كتننسيس مسؤولاً عن ترجمة القرآن بدليل كلمة الإهداء والملحق، وترجم هرمانُس الدلماتي نُبُذاً موجزة وهي: Doctrina Machumet et nutrituraeius وربما أيضاً: Chronica mendosa et ridiculosa saracenorum – برغم أنه لم يعرف عنه بصورة واضحة أنه مترجم.

والعمل الأول في هذه الأعمال الثلاثة هو حكاية الهداية إلى الدين، وترجع

إلى نقد لمسائل عبد الله بن سلام المشهورة، التي يصور فيها كيف أجاب محمد (ﷺ) عن كل أسئلة أحبار اليهود، مما حمله على اعتناق الإسلام، والثاني عرض قصصي لأصل النبي ومولده وطفولته ترجع سلسلة السند فيه إلى كعب الأحبار، والثالث الأخير يقدم عرضاً مقتضباً للغاية للتاريخ الإسلام حتى وفاة الحسين، وعلاوة على ذلك حث بطرس المبجل المعلم بطرس الطليطلي المستعرب بشكل واضح – على ترجمة رسالة كلامية خلافية موجزة في الرد على الإسلام من العربية إلى اللاتينية ووضع مساعده، الكاتب بطرس بكتافينسيس، تحت تصرفه – إذ إن الطليطلي لم يكن متمكناً من اللاتينية تمكناً تاماً – من أجل جعل ترجمة الطليطلي غير المستوية وغير المفهومة غالباً مقروءةً بتهذيبها وتنظيمها. وأرسل بطرس المبجل كل هذه الترجمات / سنة ١١٤٢ م معاً إلى برنارد رئيس دير كليرفو مع خطاب يُوصله متعمداً بكفاح آباء الكنيسة ضد كل أشكال الهرطقة. [٦]

وصارت ترجمة روبرتوس كتنيسيس للقرآن متاحة بشكل عام سنة ١٥٤٣ م في بازل، وبالتحديد بعد ٤٠٠ سنة من وضعها بعد أن طبعها في زيورخ عالم اللاهوت تيودور ببلياندر (ناشر) في الجزء الأول (من ص ٨: ١٨٨) من مجموعة أعمال مكونة من ثلاثة أجزاء:

Machumetis Saracenorum pricipis, eiusque successorum vitea, ac doctrina, ipseque Alcoran, quo velut authentico legum divinarum codice Agareni et Turcae, aliique Christo adversantes populi reguntur, quae ante annos CCCC, vir multis nominibus, Divi quoque Bernardi testimonio, clarissimus, D. Petrus abbas Cluniacensis per viros eruditos, ad fidei Christianae ac sanctae matris Ecclesiae propugnationem, ex Arabica lingua in Latinam tranferri curavit. His adjuncate sunt Confutationes multorum,.... una cum... Ph. Melanchthonis praemonitione.... Adiunctae sunt etiam Turcarum... res gestae.... Opera et studio Thedori Bibliandri... Ecclesiae Tigurinae ministri, qui collatis etiam exemplaribus Latinis et Arabicis Alcorani textum emendavit et marginibus apposuit Annotationes, quibus aoctrinae Machometicae absurditas,

contradictiones, origines errorum, divinaeque scripturae depravationes atque alia id genus indicantux.

بطبعها صارت متاحة بوجه عام وظهرت الطبعة الثانية سنة ١٥٥٠م (في حجم الورقة).

فقد كانت هناك مخطوطتان لترجمة القرآن تحت يد الناشر، وقد اقتبس من النسخة القديمة، على سبيل المثال ص ١٩ و٩٣ و١٨٥. وما دامت هاتان المخطوطان لم يستدل عليهما بعد، فإن السؤال حول إذا ما كان النص الموجود قديماً أم منقحاً، يظل قائماً، ولم تؤثر المقارنة مع النص الأصلي الذي أعلَن عنه ببلياندر على صفحة العنوان في بنية نصه، فقد كانت معرفته بالعربية متواضعة إلى حد أنه لم يثبت عيوب النص أو السقط إلا في مواضع محدود (مثل ص ١٨٥ و١٨٧ و١٨٨) دون أية محاولة لإصلاح العيوب، فقد أكمل الأرقام التي سقطت في المخطوطة الأساسية (٣ و٤) وفق المخطوطة الأخرى (ص ١٦ و١٩) في أكثر من موضع[1].

وعلى العكس من ذلك فقد أضاف لترجمة السورة الأولى الترجمة السائرة للغاية لمجهول[2] – وللأسف دون أية معلومة عن مصدره – مثل محاولة وليم بوستال في الترجمة أيضاً. / وفي أثناء الطبع تلقى مخطوطتين أخريين، نقل [٧] عنهما عدداً ضخماً من أوجه القراءات في الملحوظات (ص ٢٣٠ وما بعدها).

لقد قدم ببلياندر النصين الآتيين على ترجمة القرآن (تذييلاً على ما تحت يديه من مخطوطات):

١) خطاب بطرس رئيس دير كلوني إلى برنارد رئيس ديركليرفو (ص ١– ٢).

---

(١) قُسمت السور الطوال ٢– ٦ وفق بداية الحزب إلى أقسام ٣، و٤، و٢، و٣، وعُنونت بسورة أيضاً. ومن ثم فالسورة ١٧ (وهكذا حتى ١٢٤) تقابل السورة ٧ (وهكذا إلى ١١٤).

(٢) أعادهما أوجست فيشر في مجلة ZDMG: ٦٠/ ٢٤٩.

٢) مجموعة brevis contra haereses et sectam diabolicae fraudis saracenorum sive Ismaeliterum (مجموعة موجزة ضد الهراطقة السراسنة والاسماعيليين الكافرة) (ص ٢- ٦).

ولما أعلن بطرس رئيس دير كلوني في خطابه إلى برنارد في المقام الأول عن إرسال رسالة عدائية ضد الإسلام ترجمها من العربية بطرس الطليطلي بمساعدة بطرس بكتافينسيس. فقد أُريد أن يُتَعرَّف ثانية على هذه الرسالة العدائية في هذه المجموعة:

(انظر مثلاً F. Wüstenfeld, Die Übersetzungen arabischer Werke in das Lateinische, AGGw XII, 1877, s. 47 f).

برغم أن بطرس المبجل نفسه يرد فيها في موضع ما، لا يمكن استبعاده على أنه إضافة (ص ٦/ ٣٥) أو يدلل على أنه مؤلفها. وبالإضافة إلى ذلك تصدق معلومة أن محمداً ﷺ قد ولد قبل ٥٥٠ ميلادياً تقريباً (ص ٣/ ٢٨)(*).

ولم يثبت ولو في موضع واحد أن بطرس المبجل قد استفاد من عمل بطرس الطليطلي هنا(*)، فمجموعته موجهة إلى القراء المسيحين المثقفين، إذ يذكر آباء الكنيسة، ويحيل إلى كتابات أوغسطين (ص ٦/ ٩)، ويلمح أيضاً إلى بداية فن الشعر لهوراس (ص ٥/ ٥). وفي الخاتمة أعلن عن حرب شاملة ضد الإسلام.

وهو المقصود بوضوح من كتاب: adversus nefandam sectam

(*) يقول د. عبدالرحمن بدوي ص ١١١ عن بطرس المبجل هذا: وعلى الرغم من أنه هو الذي رعى هذه الترجمة، فإنه لم يشأ أن يجهد نفسه، فيقرأها حتى يقدر على الرد على الإسلام، بل كلف سكرتيره - الذي راجع الترجمة - بطرس الذي من بواتييه، أن يضع النقاط الرئيسية لهذا الرد باعتباره قد راجع ترجمة القرآن.

saracenorum، وقد تشكل منه كتابان[1].

وعلى العكس من ذلك فإن الاقتباس الكبير الذي أخذه ببلياندر من المجموعة: Speculum historiale des Vincentius Bellovacensis وطبعه تحت عنوان: عن هرطقة هيراكليوس ومدة حكمه وعن تعاليم محمد de haeresi Heraclii et principatu ac lege Machumeti في القسم الثاني من مجموعته (ص ١- ٢٠) يضم اقتباساً من محاجّة (libellis disputationus كتيب المجادلات أو المحاورات) بين سرسني ومسيحي، ترجمها لبطرس رئيس دير كلوني المعلم بطرس الطليطلي بمساعدة تحريرية من الراهب بطرس من العبرية إلى اللاتينية (ص ٢ و٢٦- ٣٤). ويلحظ في هذه الحاجة (التي لم تقدم بداهة في هذا الاقتباس إلا أقوال المسيحي) العمل المنشود لبطرس الطليطلي وبطرس بكتافينسيس، إذ إنه لا يُستَبْعَد أن يكونا قد ألفا أكثر من كتاب بتكليف بطرس رئيس دير كلوني.

[8] ٣/) مقدمة روبرتوس كتننسيس لترجمته للقرآن في صورة خطاب إلى بطرس رئيس دير كلوني (ص ٧- ٨) فالقطع الثلاثة المذكورة آنفاً قد أضافتها مجموعة ببلياندر إلى ترجمة القرآن، وقد نقل منها على الأقل هيرمانس الدلماتي النصين الأوليين.

1- Doctrina Machumet. (P. 189- 200). عقيدة محمد[2]

2- De generatione Machumetet nutritura (p. 201- 212) عن منشأ أمة محمد..

3- Chrorica mendosa et ridiculosa Savacenorum (p. 2136-

---

(١) طُبعا في مؤلف بعنوان: Migne, Patrologia, Series latina t. 189 وترجمها إلى الألمانية ج. توما:

1- Thomas Zwei Bücher gegen den muhammedanismus Bruchstück einer Streitschrift von Petrus dem Erwürdigen, Abt ven Clugny, Leipzig 1896.

(٢) انظر: G. F. Rjper, Het boek der buizend vragen, Leiden 1924, S. 4-8 und 45 ff.

التقويم الزمني (التاريخ) الردئ والباعث على السخرية للسراسنة) .(223

وفي ترجمة روبرتوس كتننسيس عيوب خطيرة؛ فقليلاً ما حافظ على تكوين جملة الأصل إذ إنه قد تخلى عن الأمانة اللفظية. فكانت أقرب إلى الجمل المفسرة منها إلى الترجمة، ونادراً ما وضع في الاعتبار خصائصه الأسلوبية، بل إنه اجتهد في أن يجرد مضمون الفكرة من أجزاء المعني المتفرقة لسورة ما ويقدمها منطقية في تشكيلها.

ومن ثم في ترجمة سورة رقم ١٠٤ (Azzoara GXIV) على سبيل المثال استقى من الألم الشديد في الآيات ١: ٣ ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴾(*) مرتبطاً بالرفض الحاد في الآية (٤): ﴿ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴾، الملحوظة الفاترة:

(rerum vilificator et obrectator atque pecuniae coacervator avarus, quam sibi durabilem et semet ipsum immorta lem arbitratur, igne .. .. demnatur).

(أورد: الذي سيخلده ماله، فحذف (يحسب)، وبذلك أعطى عكس المعنى المراد من الآية).

وبالإضافة إلى ذلك تقدم على على تصوير النار المتأججة في الآيات من ٥: ٩: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝ ﴾ صفتان مضافتان إلى الجملة الرئيسية بوصفهما تابعتين لكلمة (igne): (ألسنة وأعمدة النار الشاهقة).

(*) سورة الهمزة ١٠٤/ آية ١- ٣.

(igne) videlicet interminabili hominumque corda comburente et desuper corde imprimente (damnabitur).

كونَ الأفكار الرئيسية في إعادة الصياغة هذه قد نقلت صحيحةً. وبرغم كل أوجه عدم الدقة والحذف والإهمال يرجح الظن بأنه قد ساند روبرتوس كتننسيس أحد المغاربة الذي كان ملماً بالتفسير الإسلامي للقرآن. / ولذلك فإن المعلومة [٩] الواردة في الملحوظة المختصرة (observatio praevia) حول رسالة بطرس المبجل (ضد طائفة السراسنة الملعونة adversus nefandam Sectam Saracenorum[١]). ربما تكون صحيحة، وهي أن الراهب الأعظم قد عيَّن المترجمين - فالملحوظة تجعل بطرس الطليطلي أيضاً قد شارك إلى جانب روبرتوس وهرمانوس الدلماتي في العمل المترجم (Saracenum, Mahumet nomine, utpote patriae linguae magis gnarum السراسني الذي يسمى باسم محمد، الذي بوسعه العلم بلغته الأم معرفة وثيقة).

وفوق هذا فإن هذا العمل بوصفه أول ترجمة للقرآن إلى لغة أجنبية كان إنجازاً مهماً. وبحسب التصور الإسلامي يعد كتاب الله مقدساً إلى حد أنه لا يجوز للمؤمنين أن يلمسوه إلا بأيدٍ طاهرة (لا يمسه إلا المطهرون)، وأدى الخوف من أن يدنسه الكفرة إلى تحريم اصطحاب نسخ من القرآن إلى أرض الأعداء[٢]. وقد جعل الاعتقاد في تفرده ظهور أية محاولة لترجمته إلى لغة أجنبية أمراً محالاً. ومع انتشار الإسلام لم يعد له نتيجة لذلك أي دور، وهكذا ظل مضمونه في الغرب مئات السنين مجهولاً إلى أن كشفته ترجمة روبرتوس كتننسيس. ويعد رجوع ببلياندر بعد أربعمائة عامٍ إلى هذه الترجمة دليلاً على المكانة المميزة التي احتلها طوال هذا الوقت.

---

(١) طبع في مؤلف: Migne, Patrologia 189, 660.

(٢) موطأ مالك، الجهاد ٧، وصحيح البخاري، الجهاد ١٣٤، وفي المواضع الموازية الأخرى.

وقد أثر كذلك نيوعها بشكل عام من خلال طبعها تأثيراً شديداً أكثر من ذي قبل، ومنها انسابت أقدم ترجمة إيطالية للقرآن، تلك التي قام بها أريفبني (Arrivabene) سنة ١٥٤٧م(١). ونقل سلمون شفايجر (Salomon Schweigger) سنة ١٦١٦م الترجمة الإيطالية إلى الألمانية(٢)، ونقلت هذه الترجمة مرة أخرى إلى الهولندية سنة ١٦٤١(٣).

وقد أزاحت الترجمة الأفضل للقرآن التي لا نظير لها التي نشرها الإيطالي ماراتشي Marracci سنة ١٦٩٨م ترجمة روبرتوس كتنسيس نهائياً.

٣- المعجم اللاتيني - العربي

/ ندين أيضاً للأوساط التي عنيت في القرآن الثاني عشر الميلادي بحوار [١٠] عقلي مع الإسلام بإسهام الغرب الأول في علم المعاجم العربية؛ بالقاموس اللاتيني العربي غير المكتمل، فلم يصل إلينا اسم مؤلفه ولا مكان وسنة تأليفه، غير أن مضمونه يبين أنه أُلِّفَ في أسبانيا المسيحية، ولن نخطئ إذا ما نسبنا خطة مشروع كهذا لعالِمٍ كبير رغب في إنجازه على أنه وسيلة لتبشير المحمديين (المسلمين). فقد اختار أساساً له مجموعة من مجموعات المفردات المألوفة في دروس التعليم آنذاك، وهو ملحق لكتاب لغوي، ثم كُلِّف بترجمة هذه القائمة من المفردات – وهي نصف معجم، ونصف موسوعة حقيقية – إلى لغة الكتابة

---

(1) L. Alcorano di Macometto, ne lqual sicontiene la dottrina, la vita, i costumiet le leggi sue. Tradotto nuovamentte dall' Arabo in lingua Italiana con gratie etprivilegii, o. O. 1597.

انظر حول هذه الانتحال: Schnurver, Biliotheca Arabia (1811) 425 - 427

وبخاصة دي ساسي في: De Sacy; Notices et Ectraits IX, 1, 103- 109.

(٢) قرآن محمد هو قرآن الأتراك .. نقل ابتداء من العربية إلى الإيطالية، ونقله الآن سلمون شفايجرن إلى اللغة الألمانية نورنبرج ١٦١٦، انظر: Schnurrer, a. a. O. 427.

(٣) انظر: Schnurrer, a. a. O., 427.

العربية، وتبين الطبيعة اللغوية لهذه الترجمة إلى أنه قد أعدها رجل تحدث العربية بطلاقة، ومن ثم نظن أنه من أوساط المستعربين، أي المسيحيين الأسبان الذين ملكوا تحت السيادة الإسلامية ناصية لغة الفاتحين الأجانب وثقافتهم.

وعلى العكس من ذلك فقد افتقر إلى معرفة مماثلة باللاتينية بالإضافة إلى رؤية واضحة في الفصل بين الترجمة والشرح الواصف، ولذا فإنه قد التزم الشرح اللاتيني للشارح بدلاً من أن يترجم الكلمة الأساسية اللاتينية بكلمة عربية مناسبة لها، إذ إنه لما كانت الكلمة الأساسية (modulato = لحن أو نغمة) تفسر بـ (dulcedo vocis = صوت عذب) فإنه قد كتب بعدها بالعربية «غناء حلو». والكلمة (fistula = ماسورة الماء) بـ (aquaeductus de plumbo) ترجمها «بقنوات الرصاص التي يجري فيها الماء». وهكذا فلم يخطئ في الغالب إلا سهواً. والكلمة (vasco = استمتع) وpasco (قرأها: pascor) manduco comedo ترجمها بكلمة (أكول)، لأنه قد فهم الكلمتين الأخيرتين على أنهما اسمان، وكثيراً ما غاب عنه أيضاً عدم معرفة الكلمة الأساسية بسبب الخطأ في الشرح، فالتعبير المأخوذ عن فرجيل. Vergil, Aenesis VII, 277. (alipes) (بخطى سريعة) فُسِّر من خلال equus velox، ولم يجد مترجمنا في مخطوطته إلا alipes equus، ومن ثم كتب بعدها كلمة (فرس).

[١١] / وحرفت كلمة angina (خُنَّاق) وubera (أورام/ دمامل) إلى angina و taberna، ومن ثم ترجمها بكلمة «حانوت»، ولما كانت الشروح اللاتينية في المخطوط الوحيد التي وصل إلينا لم تُهمَل إلا حين يوجد المقابل العربي عادة، ولذا فإن ترجماته غير الصحيحة لا تظهر في الغالب إلا حين تكون الشروح معروفة لنا من فهرس آخر للمفردات حيث المادة الوفيرة المتراكمة في: (CGL) Corus Glossariorum Latinorum «مادة معجم لاتيني» والمستخرجة بصورة مثالية قد وضعها في الاعتبار الناشر ج. جوتس (G. Goets) في مؤلفه: Thesarus Glossarum Emendatarum «نقد معجم مفردات». وحين ترجم

على سبيل المثال كلمة feniceum بكلمة (وردى) فإنها تطابق كلمة Phoneniceum roseum في: CGLV, 381, 27، وفُسّرت العبارة الملغزة في kaua bucina qirn CGLIV, 432, 79: فوضحت هنا الكلمة الواردة في cava concha: Aenesis VI, 171 (صدف مجوف) من خلال كلمة Horn bucina، وهذه قد ترجمها إلى (قرن). وفهم الشرح النادر لكلمة migma (مزيج) حيث يترجمها هيرمانومس في الموضع (أشعيا ٣٠/ ٤) IS. 30, 4 بالكلمة العبرية (belil) – (بغبار التبن مع الحُصَالة) من خلال Palea minuta cumfrumento permixta = تبن دُق وخُلط بالغلة (انظر: CGL VI, 699) ولم يترجم Patriarche إلى (بطريق)، بل حسب patrum princeps (انظر: CGL VII, 55) إلى (رئيس الآباء).

إن تبعية المترجم للشروح هي المصدر الرئيسي للنقص الذي التصق بعمله، ويتبين منه أنه حيناً يكدس المترادفات – يورد لكلمة (conquasso) ما لا يقل عن ست عشرة كلمة عربية مقابلة لها – وحيناً يترجم على النقيض من ذلك كلمات مختلفة اختلافاً شديداً بكلمة واحدة حيث يضطر إلى جعل (خِزانة) مقابلة للكلمات: apotheca, cellaria, penum, promtuarium, وفي الجمع مقابلة لكلمة gaza. ويترجم (قربان) Sacrificium, libamen, holocaustum conventiculum, victima, ولا يكفي أن تُفَسّر الكلمتان infidelis, infidus كلمة (كافر)، بل الكلمات praevaricator, prefidus, incredulus sacrilegus, أيضاً[1]. وقد سار المترجم على نهج المعاجم أيضاً حيث اكتفى بالمعنى الكلي العام، حيث لا يتوفر لديه مرادف أو شرح واصف، ويترجم academicus إلى (فيلسوف) أو يترجم lyaeum, Falernum[2]، و Bacchi

---

(١) ويوجد المعنى ذاته في اللغة المالطية.

(٢) في مخطوط: lieum vinum.

latex, Sorgenbrecher[1]. جميعها إلى (خمر). وقد جعل الأسلوب الركيك في الترجمة هذا القصور أشد حيث أدت حرفيته أحياناً إلى الهراء (ضياع المعنـــى)، حين يترجم legifer (مشرِّع) إلى «حامل كتـــاب» أو chirographum (ســند دَيْن) إلى «كتابُ ذكرِ حقٍ». ويمكن ألا تثير عدم معرفة المترجم الثروة اللفظيـــة الإسلامية حقيقة مع مصطلحاته الثابتة، دهشة أي مسيحي، غير أن أوجه عدم الدقة عند ترجمة المصطلحات الكنسية (اللاهوتية) لم تكن نادرة أيضا: فهو يعامل كلمتـــي (منبر وكرسي) علـــى أنهمـــا مترادفـــان، واســـتخدمها كـــذلك ترجمـــة للكلمـــات analogium, Sedes, cathedra cimiterium وترجم كلمـــة (مـــدفن) إلـــى (دير)، ووضع بالنسبة لكلمة voluptas (لذة، شهوة، متعة) كلمة إرادة إلى جانب الشرح غير الموفق (هوى لحمي دنيوي) للمفاضلة بينهما، ويفترض كذلك أنه لم يتم عمله، بل ترك من حوالي أحد عشر ألف كلمة الثُلُثَ تقريباً غير مترجم. وهكذا فمن الطبيعي ألا يحقق عمل موصوم بعيوب خفية وظاهرة كثيرة تأثيراً قوياً.

وصل العمل إلينا في مخطوطة وحيدة في فهـــرس Scal 231 فـــي مكتبـــة لياندر، ونشره بعد ذلـــك ك. ف. زيبولـــد Chr. F. Seybold :Clossarium Latino - Arabicum ex unico qui exstat codice Leidensi decimo saeculo in Hispania conscripo nunc primum edidit. (كراسات مكملة لـــ ZA 15- 17) XX، في ٥٧٤ صفحة ولوحة، طبع فـــي: Berolini, 1900، وتحديد التاريخ الوارد على صفحة اللوحة بلا تعليل: ووضعت المخطوطـــة التـــي كتبها كنرن (Kennern) أحياناً على رق، وأحياناً على ورق وبها عيـــوب فـــي المقدمة في القرن الثاني عشر الميلادي (انظـــر: Dozy, Suppl, I, VIII und C. A. Nallino, Al Battàni Opus astronomicum I, 291 –).

وكما أشار دوزي في ملحقه I, IX إلى بضع أخطاء كتابية واضحة، فإنها لا تضم كاتب العمل.

---

(١) في مخطوط: bacilectus vinum

ويبين الخطأ وهو إيراد المقابل العربي للكلمة الأساسية (h)obitud دون شرح لاتيني، وهي الكلمة التي ترجع حقيقة إلى الكلمة التالية abitus (h)، ومن ثم لم يُمْحَ الشرح اللاتيني بعد كلمة abitus (التي تركت غير مترجمة على نحو واضح)، ويبين كذلك أن كاتب مخطوطتنا لم يترك الشروح اللاتينية متعمداً إلا حين ترد ترجمة عربية، وليست الفترة الزمنية بين المخطوطة وبين الأصل كبيرةً جداً: لأن العمل في صورته التي وصلت إلينا أيضاً ما زال يعطي انطباعاً لا مثيل له مطلقاً.

[١٣] / ولا يمكن بالنسبة للرأي المذكور مراراً (انظر: Seybold. SXVIII)؛ وهو أن المترجم كان يهودياً تحول إلى المسيحية، أن نعتمد على اثنتي عشرة إضافة عبرية بخط عبري أو عربي، ترجع إلى مستعمل لها متأخر، وأسماء الأحجار الكريمة العبرية التي أدرجها كاتب المخطوط في الذيل الملحق (بخط عربي في Exodus 2877- 20) لا تؤكد شيئاً يذكر، إذ إن الذيل (الذي طبعه زيبولد) لا علاقة بالقاموس.

بيد أن الطريقة التي عولجت بها الكلمات الأجنبية العبرية غير القليلة تدل بصورة قاطعة على النقيض من هذا الافتراض؛ فلعل يهودياً قد فهم بكل تأكيد كلمة (nanzer) المكتوبة خطأ والموضوعة في مكان غير صحيح فصححها إلى (mamzer). إن طبعة زيبولد – في الحقيقة نسخة من المخطوط: فقد قدم متعمداً النص اللاتيني بكل أخطائه وخصائصه الكتابية وفق المخطوط بدقة، فالتصويبات والتعليقات الواردة في الملحوظات كثيرة جداً. وفي مؤلف: نقد إضافي (Addenda Emendanda) كتب ج. جوتس (G. Goetz) بناء على معجم (Thesaurus Glossarum emendatarum) قائمة تصويبات. غير أنه ما زال أغلبه في حاجة إلى نقد النص اللاتيني المشوه تشويهاً شديداً وتفسيره. وعرفنا جوتس في مقدمة طبعة زيبولد على الجزء اللاتيني والقاموس الموضوع بناءً عليه، وبعد ذلك في CGLI (1923) 188.، وانظر إلى جانب ذلك حول

القواميس القريبة وهذا المعجم، مادة (Glossographie) علم المعجمات، ذاتها في مؤلف:

Pauly - Wissowas: Real - Enzyclopädie der Klassichen Altertumswissenscheft.

في الجزء العربي بَسَّط زيبولد باستمرار تشكيل المخطوط (انظر ص ١٨) وصحح الأخطاء البارزة، وبديهي بلا أي تعليل: فقد وضع الصواب في النص غالباً حيث تبادل الصوتان: ḍ (ض) وẓ (ظ) (ص: ٢٣/ ١٨ و٣٤٢/ ١٨ وأيضاً ٣٠١/ ٣، و٣٦٦/ ١٤، و٣٧١/ ٣، و٤٢٨/ ٦ و٤٧٧/ ١٤)، غير أنه ترك الخطأ في عدة مواضع (ص ١٦٥/ ١٣ و٤٦٤/ ٢ و١٨/ ٦ أيضاً). وعلى النقيض من ذلك فقد أبقى في الغالب على صور النطق الدارج الأخرى الكثيرة في المخطوط برغم أن الأشكال الصحيحة الواردة باستمرار إلى جوار غيرها تدل على أن الكاتب بذل جهداً لإخراج نص صحيح، وقد استخدم دوزي في ملحقه الثروة اللغوية الواردة في القاموس في حرص وحذر.

٤- رايموندس مارتيني

إن فكرة التبشير التي أدت إلى ترجمة القرآن والاشتغال باللغة العربية قد توسعت تماماً في القرن الثالث عشر الميلادي في نشاط جماعة الرهبان الدومنيكان والفرنسيسكان بوصفهم وُعَّاظاً رَحَّالة.

فمحاربة الكفر بوسائل الوعظ والإفهام والأحاديث الدينية تطلّب الاهتمام بمعارف الخصم والوقوف على حججه. ومن ثم كان لا بد من الحرص على تثقيف / أعضاء المذهب الذين اكتسبوا بذلك طابعاً علمياً. وبديهي أن تعد دراسة [١٤] المصادر الأصلية هنا أمراً غير ضروري، وإنما يكتفي بالترجمات التي أشار الفرنسيسكاني روجر بيكون (Roger Bacon) (١٢١٤- ١٢٩٤) من قبل إلى قصورها، وحين يذهب أيضاً بظنونه، مثل الظن بأن تراجم هرمانوس الماتوس

(Hermannus Alemannus) كان مساعدوه السراسنة هم المسئولين عنها أو الظن الآخر بأن ميشائيل سكوتس (Michael Scotus) يدين في تراجمه بالفضل لليهودي اندرياس Andreas الذي اعتنق الكاثوليكية[1] إلى مدى بعيد فإن مـــن المؤكد أنه في عصر ازدهار اهتمام الأوربي بكل ما هو عربي قد قدح في أمانـــة الترجمات التي كلف بها معتنقو الكاثوليكية الذين ربما كانوا يعرفـــون العربيـــة، ولكنهم لا يعرفون اللاتينية أو لا يعرفونها بقدر كاف – قدحاً شديداً.

بيد أن بيكون قد سبق عصره إلى حد بعيد بمطالبته بضرورة دراسة اليونانية والعربية والعبرية والكلدانية، التي كان يُكتفى فيها بمعلومات غير مباشرة.

وحين عزم الدومينكانيون – ربما بناء على دراسة لرايموندس البـــانفورتي (ت ١٢٧٥) متعلقة بتبشير اليهود والمحمدين (المسلمين) – علـــى أن ينجـــزوا مؤلفاً صغيراً لأعضاء طائفتهم القائمين بالعمل التبشيري الواقعي، لم يكن ليكلـــف بهذه المهمة مجرد مبشر أدرك العلاقات في موقع عمله من وجهة نظره الخاصة، وكان عارفاً باللغات، بل لأكبر فيلسوف لاهوتي في الكنيســـة الكاثوليكيـــة وهـــو توماس الاكويني (Thomas von Aquino) الذي ألف ســـنة ١٢٦٠م تقريبـــاً: (Summa contra gentiles). واتضح ليس للمرة الأولى بالنسبة لمؤلف خاص بالارتداد الديني أن معرفة اللغات الأجنبية معرفة لا محيد عنها، ففي أهم منطقـــة عمل لتبشير اليهود والمسلمين في أسبانيا يمكن أن يَكْتفي المبشر عنـــد الازدواج اللغوي للشعب بلغة البلاد الرومانية اكتفاءً تاماً، وتوضـــح بالنســـبة للمســـلمين الكلمات العربية الواردة في القصائد المقطعات لابن قزمان (ت ١١٦٠ م) المـــدى الذي وصلت إليه معرفتهم في الأوساط غير المسيحية أيضاً، وبالنســـبة لليهـــود الحليات (المحسنات) العربية والقشتالية في ديوان يهودا هـــاليفي (ت ١١٤١ م). وكذلك مَنْ يبشر في الشرق القريب في المناطق الواقعة تحت السيادة المسيحية –

---

(١) انظـــر: F. Wüstenfeld, Die Übersetzungen arab. Werke in das Lateinische.

في مراكز القوة الإسلامية جعلت قوانين الارتداد عن الدين حركة تبشير جادة / أمراً مستحيلاً باستمرار - يمكن أن يكتفي بخدمات أحد المترجمين اكتفاءً تاماً، [١٥] وفي ظل هذه الظروف بقي عدد أولئك الذين عرفوا العربية أو لغة شرقية أخرى ضئيلاً للغاية[١]. وبرز منهم الدومينكاني الأسباني رايموندس مارتيني[٢]، الذي أثبت في كتابه (Pugio Fidei adversus Mauros et Judaeos)[٣].

أنه يعرف العربية والعبرية معرفة عظيمة، ولما رغب أن يسلح في هذا العمل أخوته في المذهب بسلاح للدفاع عن العقائد المسيحية، وبخاصة ضد خصومه اليهود، فقد ناقش أساساً الاعتراضات اليهودية ضد بعثة المسيح وعقيدة التثليث، واقتبس هنا في النص الأصلي والترجمة ليس من العهد القديم فحسب، بل من التراث الرباني - التلمودي للأحبار، من المشنا والمدراش حتى من راشي (Raschi) (ت ١١٠٥م) وكيمشي (Kimchi) (ت ١٢٣٥ م)، واستند أيضاً[٤] لإثبات خاصية نبوة المسيح إلى المواضع التي وردت في القرآن عن أم المسيح (عليهما السلام)[٥]. ونقل عن صحيحي البخاري

---

(1) B. Altaner, Zurkenntnis des Arabischen im 13. and 14. jahrhundert in: Orientalia Christiana Periodica II, 1936, 437- 452.

ب. التنر: حول اللغة العربية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر. لم يستطع أن يُثبت من المصادر إلا ١٧ دارساً للعربية.

(١) انظر: Attaner, a. a. O. 442 Anm. 4 لمعرفة المؤلفات التي كتبت عنه.

(٢) نشره أولاً يوسف دي فوازن (Joseph de Voisin) مع مقدمة مسهبة وملاحظات مستفيضة، في باريس سنة ١٦٥١، وأكمل الطبعة ونقحها ج. ب كربتسوف J. B. Carpzov في ليبزج سنة ١٦٨٧ تحت عنوان: (Introduction in Theologiam Judaicam) وقد اقتبست من الطبعة الثانية.

(4) S. 749 sq.

(٥) وردت السور (Sorae) وفق أرقامها، والآيات وفق تقسيمها إلى عشرات - Zehnergruppen (denaria).

ومسلم[١] الحديث عن أن كل مولود أثر فيه الشيطان إلا مريم وولدها، وبينما لا يستند هنا إلى القرآن والحديث إلا عرضاً، يبين أنه في الجزء الأول من هذا العمل الذي لا يشكل بداهة إلا عُشْره، وهو الذي يناقش فيه آراء الفلاسفة ونقدهم للتصورات الأخرى عن الله والعالم والأبدية، وقد تأثر بالغزالي والمفكرين المسلمين الآخرين تأثراً شديداً. / ففي الباب الأول نقل عن كتاب الغزالي [١٦] (ت ١١١١) «المنقذ من الضلال» نقلاً مسهباً[٢]، ويرجع قذفه للفلاسفة في الباب الخامس من كتابه (Epistulaad amicum) على غرار (تهافت الفلاسفة)[٣]، إلى أنه قد نقل عن (التهافت) كثيراً[٤] وعن (ميزان العمل)[٥].

ويرجع تفسيره لصور النعيم في الجنة إلى «إشارات» ابن سينا (ت ١٠٣٧ م) وكذلك دحضه لعلم الأرواح لجالينوس (Galen)[٦]. ويتكرر ذكر من هاجم فلسفة الغزالي، وهو ابن رشد (ت ١١٩٨)[٧] ذاته، الذي وجدت آراؤه الأرسطاطاليسية في الغرب آنذاك أنصاراً كثيرين، فيرجع تفسيره لوجود الله[٨]، والباب الخامس والعشرون[٩] حول مسألة: عما إذا كان يعرف الله بشكل متفرد

---

(1) S. 750 (alter vero Moselim in libris authenticis apud Saracenos, quorum unus vocatur Albokari).

يتفق النص مع أورده البخاري في الأنبياء ٤٤ (القسطلاني ٤/ ٤٠٦)، والشواهد الأخرى عند فنسينك EIIII, 369 a.

(٢) ص ١٩٢- ١٩٤.

(٣) ص ٢٠٨- ٢١٠.

(٤) ص ١٩٤ و٢١٠ و٢٢١ و٢٢٦ و٢٣١ و٢٥٤.

(٥) ص ١٩٥.

(٦) ص ١٩٧.

(٧) ص ٢٠٦، وانظر أيضاً ص ٢٠٥.

(٨) ص ٢٢٦ و٢٣١.

(٩) ص ٢٥٠- ٢٥٢.

Utrum Deus cognoscat singularia – في حقيقة الأمر – إلى رسالة لابن رشد، ويذكر شرحه لأرجوزة ابن سينا في موضع من المواضع الأخرى[1]، ويورد كتابٌ للرازي (ت ٩٢٥ م) حججاً ضد عدم فناء العالم[2]، وذُكر كتاب (المباحث المشرقية) لفخر الدين الرازي (ت ١٢٠٩ م) مرةً عرضاً[3]. ويدل تقليده الهجومي لسورة في الأسلوب القرآني أن ريموندس مارتيني كان قادراً على كتابه لغة عربية سليمة من الناحية النحوية[4].

٥- رايموندُس لولوس

ما زال رايموندس لولوس، وهو مبشر في القرن الثالث عشر الميلادي، أكثر شهرة من رايموندس مارتيني، فقد ولد سنة ١٢٣٥م (أو ١٢٣٢م) في بالما على جزيرة ميورقة بعد ست سنوات من انتزاعها من الموحدين، وكان والده نبيلاً كتلانياً شارك في حملة ياكوب الأول الأرجواني ضد المغاربة المسلمين.

/ وبعد فتح باليرن أقطعه ضيعة في ميورقة. ومن ثم فقد نشأ الصبي في [١٧] وقت كانت الروح النضالية لحرب الاسترداد الإسبانية حيةً. وعمل بعد الانتهاء من تعليمه في خدمة البلاط، بيد أن الحياة الدنيوية لم تدعه طليقاً، فقد اشتدت لديه فكرة الحملة الصليبية وأرقه سؤال؛ وهو كيف يمكن أن تنتصر الكنيسة الكاثوليكية على الإلحاد والكفر، وقد عرف من التاريخ السياسي لوطنه أنه لا يمكن الإكراه على الاعتقاد الكنسي بالقوة، وأن الفتوح الكبرى التي أدت إلى انحسار مجال السيادة الإسلامية في الأندلس في منتصف القرن الثالث عشر

---

(١) ص ١٩٨: Aben Rost super Oriusan Avicennae

(٢) ص ٢٣١- ٢٣٣.

(٣) ص ٢٠٦: Ibnalchatib in libro Investigationum Orientaluim

(٤) موجودة في مخطوطة: Vocabulista in Arabico (قائمة مفردات بالعربية) وطبعها وترجمها شيابرلي (Schiaparelli) في طبعته ص ١٦.

الميلادي، قد زادت من صعوبات السياسة الدينية بين الأمراء المسيحيين. وربما يجعل من أمله حياً نابضاً إثباتُ أن حقائق الخلاص المسيحية بأدلة عقلية لا يمكن تفنيدها إذا ما حالفه الحظ في تطوير منهج استدلال كامل، فإذا ما عُرِض المذهب الكاثوليكي بعد ذلك وفق هذا المنهج على الخصم المثقف بلغته الأم الخاصة به، فإنه من المستحيل أن يقف أي إنسان سواء أكان يهودياً أو مسلماً أو حتى ملحداً أو كافراً، أمام قوة البرهان القاهرة، ولا يمكنه نتيجة لذلك - أن يَصُم أذنيه إلا لمجرد الخبث فيه، وبعد اهتدائه لذلك (سنة ١٢٦٥م) كَرَّس لولوس نفسه تماماً لخطة ذلك العمل التبشيري، فاستعد له بدراسات فلسفية - لاهوتية وتأملات روحية، ورأي بما لا يدع مجالاً للشك أن الإسلام أخطر خصم للكنيسة، والحق أن الحملات الصليبية لم تكن قد انتهت بعد، غير أنه كان بالإمكان توقع نهايتها بعد أن انتهت مملكة القدس سنة ١٢٤٤م، وإمارة إنطاكية سنة ١٢٦٧م وقد أطاح الزحف المغولي سنة ١٢٥٨م بالخلافة في بغداد، إلا أن مصر قد سلمت منه، ونجحت تحت قيادة ماهرة وواعية للسلطان المملوكي بيبرس في أن تحل محلها بوصفها قوة كبرى إسلامية رائدة، كما أن سلسلة من البلدان الإسلامية التي تقع حول البحر الأبيض المتوسط من الأندلس في المغرب حتى آسيا الصغرى في الشرق قد حالت دون دخول شعوب أوربا بلدان المناطق الدافئة، بالإضافة إلى أن تراث العلوم القديمة الذي حمل السراسنة أمانة نقله، كان يحظى باحترام كبير في الغرب، / وبدأت آراء ابن رشد آنذاك تتغلغل في الغرب، بيد أن لولوس قد أدرك [١٨] بتجربته الذاتية على نحو خاص بأن المسلمين لم يكونوا دونه في حرارة الإيمان، وأن من يرغب في أن يقنعهم بصحة العقيدة المسيحية يجب أن يكون مستعداً لحوار مرهق ومعارك كلامية حامية، وكان من المحتم إلى جانب ذلك أن يجيد لغتهم إجادة تامة.

مثل هذه الاعتبارات حفزت لولوس على تعلم العربية من عبد مغربي، وقضى

في هذه الدراسة مدة تسع سنوات، وعمق إلى جانب ذلك كتابه (الفن الكبير)[1](*) الذي يضم في صورة جدول للمقولات والقياسات المنطقية، أساس فن الجدل وسوق البراهين الذي دعمه، ثم عرف كيف يحمل ياكوب الأول على إنشاء معهد للتدريب المبشرين لدى المسلمين، وافتتحه سنة ١٢٧٦م في ميرامار بثلاثة عشر طالباً من طائفة الفرنسيسكان، وانضم إليه لولوس على أنه عضو من الدرجة الثالثة، ويجب على نزلاء الدير إلى جانب تدريبهم اللاهوتي أن يتلقوا أيضاً بصفة خاصة درساً أساسياً في اللغة العربية. هذا وقد عَدّ النجاح في ذلك مجرد بداية، ثم عمل بلا كلل بالدعاية لإنشاء معاهد تبشير مماثلة. وفي سنة ١٢٧٧ أو ١٢٧٨م بدا له أن يذهب إلى روما لكي يعرض على الباب نيكولاس الثالث Nikoplaus أفكاره حول ضرورة التثقيف اللغوي للمبشرين، غير أن نيكولاس الثالث لم يعبأ بهذه المقترحات، مثلما فعل هونوريوس الرابع (Honorius IV) ونيكولاس الرابع (Nikolaus IV) أيضاً فيما بعد، وحاول دون جدوى أن يثير اهتمام فيليب الرابع Philipp IV وسيم فرنسا لخططه أيضاً، بيد أن رأي هذه الأوساط في مشكلة التبشير كان أكثر حصافة من رأي لولوس الذي كانت تسيطر عليه أفكاره، ويملؤه تفاؤل ساذج، فلم يكن القصد مطلقاً أن يُتَخَلّى عن سياسة القوة برمتها أساساً في الصراع ضد غير المؤمنين، ولا أن تُتَجاهل وجهة النظر القائلة بأن تبشير المسلمين قد أخفق حتى الآن إخفاقاً تاماً، وقد أكد خبير مختص حقاً، وهو الجنرال الدومينكاني همبرتوس الروماني Humbertus de Romanis، الذي كتب هو نفسه سنة ١٢٧٤م كتاب:

«نبذة (Tractatus de praedicatione cruces contra saracenos)[2]

---

(١) يورد برنتل (Prantl) عرضاً مفصّلاً في: Geschichte der Logic 3, 155 ff.

(*) لم يعرف علم المنطق بهذا المصطلح إلا في وقت متأخر، وكان يطلق على مباحث المنطق منذ أرسطو حتى الفترة المؤرخ لها اسم «الفن الكبير».

(2) Altaner, Zur Geschichte der antiislamischen Polemik während des

من التبشير الصليبي ضد السراسنة»، أنه / نادراً ما يُعمَّد سرسني، باستثناء [١٩] مرات معدودة، وإن كان نادراً أيضاً أن يُعَمَّد زوج من أسرى الحرب، ونادراً ما صار أحدهما أيضاً مسيحياً حقيقياً[1]. مثل هذه التجارب شككت في اقتراحات لولوس، وأسهمت في أن تُرفض رفضاً باتاً، وهنا كان عليه أن يُحِل في تحمس شديد مؤلفاته الواسعة الانتشار أيضاً محلَ خططه التبشيرية، وبخاصة روايته الرمزية التي ألفها بين ١٢٨٣ و١٢٨٥: Blanquern، وهي رواية تبشيرية، وبطل الرواية الذي استفاد لولوس في تصويره من تجاربه الخاصة وأمانيه وآماله، يهجر العالم ويدخل في طائفة، ويصير أسقفاً، وأخيراً يصير بابا. وهنا يضع برنامجاً ضخماً للتبشير، ويوجه جيشاً من الرهبان إلى كل أنحاء العالم لكي يدعو إلى العقيدة الكاثوليكية. ويواجهنا في هذا العمل بضع أفكار عن دراسة اللغة. وهكذا نصح بأن يُجعل من المرتدين عن دينهم (معتنقي الكاثوليكية) الأكفاء معلمين للغتهم الأم، وينبغي على هؤلاء الكاثوليك بوصفهم مستشارين للغة أن يرافقوا المبشرين المرتحلين، وبالإضافة إلى ذلك يجب أن يستخدم راهب الكنيسة المنشقة في الشرق معلماً للغات الشرقية واليونانية، يُدرسها على العكس مما سبق باللغة اللاتينية (التي رفعها لولوس إلى مصاف اللغة العالمية) وأن يسعى إلى كسبهم للاتحاد مع روما، وينبغي أن يتدرب المبشرون على التترية، ثم أن يُرسلوا وعاظاً إلى المسيحيين الذين يعيشون تحت الحكم التتري، وراح لولوس من خلال مطلب ممارسة اللغة التترية يضع في اعتباره وضع المسيحيين الشرقيين الذي تغير أساساً بعد الاجتياح المغولي. فقد جعل اختراق التتر – أو كما يطلق رسمياً على الأسرة الحاكمة منذ جنكيز خان المغولَ – منطقة إسلامية، جعل

13, und 14, Jahrhunderts in Hist, Jahrbuch 56, 1936, s. 229, Anm 12.(حول تاريخ الجدل المضاد للإسلام في القرنين الثالث عشر والرابع عشر)

(1) Altaner, Glaubenszwang und Missionsfrei_heit in der missions-theorie des Raymandus Lulus in Hist, Jahrbuch 48, 1928, s. 586. (الإكراه العقدي وحرية التبشير في نظرية التبشير لدى رايموندس لولوس).

منهم حلفاء للغرب المسيحي، وقد حاول ابن هولاكو أبقا Abaqa (حكم بين ١٢٦٥- ١٢٨٢) وابنه أرجون (حكم بين ١٢٨٤- ١٢٩١) أن يكسب الإدارة المركزية البابوية وملوك فرنسا وانجلترا لعمل مشترك ضد المماليك، وقد وصل رُسُل أبقا سنة ١٢٧٤م إلى ليون وسنة ١٢٧٧م إلى روما، وبعد عشر سنوات ظهر النسطوري ربّان صوما (Rabbān Ṣaumā) بتكليف من أرجون في البلاطات الأوربية.

وعلى العكس من ذلك فقد أرسل البابا سنة ١٢٤٥م، بعد أربعة سنوات من موقعة / ليجنتس (Liegnitz) عداً من الفرنسيسكان والدومينكان إلى التتر عبر [٢٠] ثلاثة اتجاهات سفر مختلفة؛ أحدهم وهو يوهانس بيان كربينو (Johannos Pian Carpino) كان قد وفق في أن يصل إلى المعسكر الملكي للخاقان كيوك (Kuyuk) في كراكروم، والثاني، وهو اندرياس فون لونجيوميو (Andreas von Longjumeau) كان قد وصل أولاً إلى تبريز، إلا إنه وصل كذلك سنة ١٢٤٩م مع بعثة لودفيج التاسع إلى بلاط الخان الأعظم في شرق آسيا، وأخيراً كان الفرنسيسكاني فيلهلم روبروك (Wilhelm Rubruk) قد سافر سنة ١٢٥٣م إلى كراكروم إلى الخاقان مانجو (Mangu)، وكانت أخبار رحلاتهم التي وسَّعت من أفق الرؤية الجغرافي لأوربا بصورة جوهرية قد أكملتها الأخبار الذي نقلتها تجارة الشرق النشطة للغاية للجمهورية الإيطالية خاصةً.

وهكذا أدرك المرء أن التتر لم يكونوا مختلفين في أمور الدين، وأنهم كانوا متسامحين مع أديان غريبة عليهم، فقد كانت زوجة هولاكو دُقوز خاتون مسيحية، وقد تزوج أبقا أميرة بيزنطية، وكان وضع المسيحيين تحت حكم الخانين الأوائل مرضياً، وأدرك أيضاً أن المسلمين واليعاقبة والنساطرة واليهود والبوذيين قد سعوا جاهدين لإيجاد تابعين لهم بين التتر. وهنا وجد لولوس فرصة فريدة ليس للعمل التبشيري بين التتر فحسب، بل لمحاولة أن يوحد المسيحيين الشرقيين مع

روما، وبديهي أن هذا الاقتراح لم يظفر بنجاح أيضاً[1].

وفي نهاية عام ١٢٩١م – وفي العام نفسه قد انتزعت عكا آخر حامية على ساحل فلسطين من أيدي الصليبيين – قرر لولوس أن ينتقل إلى السراسنة بنفسه مبشراً، لكي يقنعهم بحقيقة المسيحية من خلال منهجه في البرهان. وسافر على سفينة من جنوة إلى تونس التي لعبت دوراً مهماً حيث كانت ملاذاً للأندلسيين الفارين من أسبانيا أمام حرب الاسترداد، ومكث في منطقة لغوية للعربية المغربية المعروفة له، وآوت إليها علاوة على ذلك مسيحيين أيضاً إثر تجارتها النشطة مع موانئ البحر الأبيض المتوسط المسيحية. المهم أنه دعا علماء الدين المسلمين إلى مناقشة علنية، انتهت كما هو متوقع، بعدم رغبة أي طرف من الطرفين بالتسليم بالهزيمة، / وأُبعِد لولوس عن البلاد، فعاد إلى نابولي، ولم يثبط عزيمته [٢١] ذلك الفشل أيضاً، وأوصى ثانية في كتابه : «المنطق في الحوار مع الكفرة» (Petitio pro conversione infidelium) الذي قدمه سنة ١٢٩٤ م للبابا المنتخب حديثاً كولستين الخامس Coelestin V[2]، بتعليم اللغة للمبشرين، واستخدام منهجه في البرهان بالإضافة – بداهة – إلى الإجراءات العسكرية لغزو أرض غير المؤمنين، ولم يظفر بنجاح أيضاً، بل إنه قد حالفه سوء الحظ في ذلك الوقت، حيث أُلغِيَ المعهد التعليمي في ميرامار.

بيد أنه لم يكف عن أن يطور أفكاره باستمرار في كتاباته والتماساته، وفي سنة ١٣٠١م زار قبرص وآسيا الصغرى المجاورة لها التي كانت تشكل آنذاك المملكة المسيحية في أرمينيا الصغرى، وفي سنة ١٢٠٧م قام بمحاولة جديدة لتجريب منهجه في مناقشة دينية مع مسلمين متعلمين وكانت هذه المرة في

---

(١) حول مشكلة التتر عند لولوس؛ انظر:
Altaner, Raymundus Lullus u. d. Sprachenkanon des Konzils V. Vienne in; Histor Jahrbuch 53, 1933, S. 199.

(٢) انظر: Altaner, a. a. O. S. 200.

بوجيه (Bougie) في الجزائر، وقد أخفق هنا أيضاً، وفي سنة ١٣١٠م كان في فرنسا ليحارب آراء ابن رشد، وأخيراً في سنة ١٣١١ نَعِم بالارتياح حين أقر المجمع الملي العام المجتمع في فيينا في قانونه الحادي عشر، الذي كثر التصويت عليه، ومفاده: ينبغي تعيين رجال كاثوليك في كل جامعة من الجامعات الخمس وهي: باريس واكسفورد وبولونيا وسلمنكا والجامعة البابوية، معلمين لليونانية والعبرية والعربية والكلدانية[1].

وبذلك قد اعتُرِف أساساً بمطلب التثقيف اللغوي للمبشرين، وهو المطلب الذي زاد عنه لسنوات طويلة، ورأى أن زمن آماله المستقبلية قد أتى حيث يُهْزَم السراسنة، وتتحول الإنسانية جمعاء بعد التغلب على هذه / العقبة الكبرى الأخيرة [٢٢] إلى العقيدة الكاثوليكية، وعاد هو نفسه برغم كبر سنه مرة أخرى إلى تونس، ووعظ علناً، فتعرض للإيذاء على يد جماعة متعصبة، وقضى نحبه متأثراً بجراحه في ٢٩ يونيو ١٣١٦م.

---

(1) Hoc sacro approbante Concilio, scholas in subscriptarum linguarum generibus, ubicumque Romanam curiam residere contigerit, nec non in Parisiensi, Oxoniensi, Bononiensi et Salamantino studiis, providimus erigendas, statuentes ut in quolibet locorum ipsorum teneantur viri catholici sufficientem habentes hebraicae, graecae, arabicae et chaldaicae linguarum notitiam, duo videlicet unius cuiusque linguae periti qui scholas regant inibi, et libros de linguis ipsis in latinum fideliter tránsferentes, alios linguas ipsas sollicite doceant, earumque peritiam studiosa in illos instructione trasfundant, ut instructi et edoeli suffiecienter in linguis huiusmodi fructum speratum possint Deo auctore producere, fidem propagaturi salubriter in ipsos populos infifideles..

وقد أُدرج نص القانون هذا أيضًا في المنشور البابوي في ٨ سبتمبر ١٩٢٨م.

(De studiis rerum orientalium provehendis)

٦- معجم للمفردات بالعربية

أبقى لنا [معجم للمفردات بالعربية] نشره شيابرللي (Schiaparelli) سنة ١٨٨١م على مَعْلَمٍ من معالم الاهتمام العظيم بالعربية في إطار بعثات تبشير المسلمين في القرن الثالث عشر الميلادي، وكما هي الحال بالنسبة للمعجم اللاتيني - العربي فإنه لا يرد هنا أي خبر عن المؤلف والظروف الدقيقة التي أنجز العمل فيها. ويُلْحقه بوسط طوائف التبشير، ومن ثم إلى القرن الثالث عشر الميلادي، أنه في المخطوط الوحيد الباقي قد أضيف بيد المؤلف ذاته قذف رايموندس مارتيني للإسلام بالعربية في أسلوب يقلد فيه القرآن، وتشير الإضافات الكتلانية الغزيرة في (طرق) التفسير اللاتينية إلى أن أصله شرق أسبانيا.

ومثل المعجم اللاتيني العربي كان معجم المفردات في أول الأمر معجماً لاتينياً - عربياً، أُلْحِقَ به كشاف عربي - لاتيني. ويمكن أن تُتعرف كذلك بوضوح هذه العلاقة الجذرية في صياغة العمل الذي نقدمه أيضاً، حيث يتقدم فيه الجزء العربي - اللاتيني على الجزء اللاتيني - العربي، وبينما يتبع الجزء الأول خلف كل كلمة من الكلمات البالغة ثمانية آلاف كلمة أساسية عربية تقريباً، الكلمة اللاتينية - وإذا اقتضى الأمر أكثر من كلمة أيضاً - يشار بعدها إلى موضعها في الجزء الثاني، يضم هذا الجزء الثاني في مواده التي تربو على (٤٠٠٠) مادة (مدخلاً) معلومات أكثر ثراءً: ويرد هنا تحت كل كلمة أساسية مترادفات كثيرة في الغالب، عددها في حالات فردية يزيد على اثنتي عشر مترادفاً (كما هي الحال في: ire, gaudere, vituperare) وفي العادة يُسَجل الجمع مع الأسماء، وتُقْرَن الأفعال بصيغ محددة (الفعل المضارع للمفرد المتكلم، والماضي للمفرد المتكلم والمصدر والمشتق) للجذر الأساسي (البناء للمعلوم)، وللجذر السابع «انفعل» (شبه البناء للمجهول)، وتسرد في الغالب أيضاً جذور مشتقة أخرى سواء تكونت مع مفعول أو مع حرف، ويضاف في حالات متفرقة / اشتقاقات اسمية أيضاً، وعلى العكس [٢٣]

من ذلك يُذكر تحت اسم ما الأسماء التابعة له أحياناً كما هي الحال تحت الاسم corena (تاج) يورد الألفاظ الدالة على التتويج. وجمع بوجه خاص تحت مفهوم نوعي عام التسميات الدالة على كل صيغة من صيغ الظاهرة غالباً على نحو متفرق، مثل أنواع الفاكهة انظر منها: pomum، وأسماء الخمر: vinum، وفصائل الكلاب، انظر منها: canis، والقطط المتوحشة انظر منها: leo، وألوان الخيل: انظر منها: equus، وألفاظ العِصى انظر منها: baculus، والموازين المختلفة مع الأدوات، انظر منها: statera، وتشير مواد أخرى إلى الثراء الشديد، وهي التي استوعبتها الحضارة المادية في فترة الحروب الصليبية: وتشير تسميات الأسلحة التي جمعت تحت الكلمات ballista و ensis وlancea وscutum, sagitta، إلى فن للحرب متطور للغاية، وتسميات السفن (تحت barca وnavis) تشير إلى مِلاحة مزدهرة، وتنعكس في الثروة اللغوية الغنية للمواد (تحت purpura) والملابس (camisia, capellus, vestimentum)، والسجاد (tapetum)، والأوعية (fiala)، والآلات الموسيقية (tympanum) الحَالُ الراقية لوسائل الحياة الظاهرية، في حين نتعرف النصيبَ الضخم لتجارة شرق البحر الأبيض المتوسط من أسماء التوابل والعقاقير والعطور وأدوات الدواء والمتعة وخشب الأصباغ والأحجار الكريمة ومنتجات أخرى للشرق، وحتى لعبة الشطرنج (scacus) ومصطلحاتها لم تُنس. ولم تخلُ بالإضافة إلى ذلك من مسٍ محدد لمصطلحات كنيسية – لاهوتية، من: apostata (مرتد) وapostolus (حواري) حتى trinitas (تثليث) وxristianitas (مسيحية).

وترد بغزارة أسماء الأشخاص والأماكن الواردة في الكتاب المقدس تحت الأعلام، وعلى النقيض من ذلك يخلو خلافاً للمعجم اللاتيني العربي من أسماء المدن الإسبانية (وكل المدن الأوربية على الإطلاق حتى روما)، ونادراً ما ترد أيضاً مصطلحات العلوم الدنيوية، غير أن أسماء الكواكب والأبراج والطبائع والظواهر السماوية والشهور المسيحية تؤخذ في الاعتبار، وأحياناً ما يشير إلى

أمور إسلامية، كما أنه بين حين وآخر ينوه إلى الفروق بين استعمال لغوي مسيحي واستعمال لغوي إسلامي (كما في الملاحظات حول:
(camera, galerus, holocaustum, lavare, linteamen, oratorium, ornare, prander, pugnare)، وإن أشار إلى pirata يستخدم ببساطة للمسلم المدافع عن عقيدته «الغازي».

وكما بين هذا العرض تسود لغة الحياة اليومية إلى حد بعيد، ويُولِّد لدى المرء انطباع بأن المؤلف / أراد جمع الثروة اللغوية للحياة العامة تقريباً، في [٢٤] حدود ما يعوزه مبشر للمسلمين للتحدث مع مسلم مثقف.

وبديهي أنه قد اعتمد في أثناء عمله على مساعدة مرتدين أو مستعربين عارفين باللغة، وقد جمعت المادة كما تبين سمة العربية الوسطى فيها - شفاهةً e vivo ore (اللغة المنطوقة الحية)، فلا يوجد ما يشير إلى استخدام مصادر مكتوبة، ويمكن أن يلمح عند النظر في لغة القرآن فحسب الاعتماد على نص أدبي. وعلى سبيل المثال يُحصر تحت كلمة infernos كل التسميات القرآنية عن النار (جهنم) وحراس النار (خزنتها)، ويُسَجل تحت كلمة frigus (بارد): زمهرير وصِرّ(*)، وتحت كلمة spartum (لحاء) توجد كلمة (مَسَد) وتحت venter (صمد) التي ينبغي أن تعني في الجزء العربي (res sine ventre)(١). إن هذا القصد الموجه إلى الحاجات العملية لتبشير المسلمين يتناسب أيضاً مع عدم تشكيل الكلمات العربية وفق قواعد النحو القديمة، بل كما نطقت في أوساط المثقفين آنذاك. ومن ثم فإن لمعجم المفردات هذا قيمة عالية وباقية لمعرفة اللهجة العربية المنطوقة في أسبانيا في القرن الثالث عشر الميلادي.

(*) في الأصل sirr، وأظن أن الصحيح هو ṣirr (صِرٌ) بمعنى شدة البرد، كما يقتضي سياق الكلام.

(١) يرجع إلى تفسير إسلامي تفسير اسم الله هذا بأنه من لا جوف له (انظر: أبو بكر السجستاني: نزهة القلوب، القاهرة ١٣٤٢، ص ٢٠٧.

عُثِر على هذا المعجم للمفردات بالعربية في مخطوط وحيد في فلورنسا ((Riccard. Nr. 217 ثم نشر بعناية شيابرللي:

Schiaparelli: (Vocabulista in) Arabico pubblicato per la prima volta sopra un codice della Bibliotheca Riccardiana in Firenze da C. Schiaparelli, Firenze 1871)

ويحدد شيابرللي أيضاً – خلافاً لمقولات سابقة – عمر المخطوط، ويرتب المؤلَّف وفق عمره وأصله في تسلسل صحيح، غير أنه لم يصب فقط في رأيه (ص ١٤)؛ وهو أن أساس هذا المؤلَّف معجم عربي من الشرق، لأنه لم يرد فيه أية أسماء مغربية للأماكن باستثناء (بربرية)، ويدحضه أن الجزء العربي – اللاتيني أساساً لا يمثل إلا كشافاً للجزء اللاتيني – العربي. حقاً إنه قد وضع هذا الكشاف، في تشكيل المؤلَّف الماثل أمامنا، قبل الجزء اللاتيني العربي، وصار مستقلاً بذاته، والحق أن الجزء العربي اللاتيني قد استُكْمِل بعده، كما تبين الحالة الآتية: ص ٨٤، إذ تتوالى حجاز (peregrinatio) وحج (peregrinatio) مع إقصاء واضح لشرح (حجاز) من خلال شرح (حج)، ثم تقع الكلمتان حج وحجاز في الجزء اللاتيني العربي / تحت (peregrinatio). [٢٥]

وعلى الرغم من ذلك فإنه ما تزال الخاصية الأصلية للجزء الأول يمكن التعرف عليها بوضوح أيضاً، لأنه على سبيل المثال في الجزء الثاني يذكر تحت oleum إلى جانب زيت (زيتون) كلمة (زيّات) أيضاً، بينما لا تقع في الجزء الأول olearius خلف زيّات بل oleum. وهذه هي القاعدة دائماً.

بيد إنه إذا كان الجزء اللاتيني العربي يشكل منطلق هذا المؤلف فإنه من البديهي ألا يُعَد معجم عربي ما أصلاً له، ويؤكد ذلك أيضاً طبيعة المؤلف التي أفرزتها كلية روح أوربية: فالترتيب ليس وفق الجذور، بل وفق شكل الكلمة الفعلي، واستخدام الفعل ليس مصرفاً في الماضي مع المفرد المذكر الغائب بل في المضارع في المفرد المتكلم، وغلبة لهجة العربية الوسطى على الإعراب القديم،

وقد أفاد دوزي (Dozy) في ملحقه (تكملة المعاجم العربية) من هذا المعجم للمفردات إفادة عظيمة، وحاول أيضاً (١ ص و ١٠) أن يعثر على قرينة تبين زمن تأليفه؛ فلا علاقة لاسم الوعاء (ظاهرية) المذكور في معجم المفردات، انظر (fiala) ببيبرس (حكم ١٢٦٠- ١٢٧٧)، الذي سُمّي الملك الظاهر، وهكذا فالاسم لا يقدم إلا دليلاً مادياً بأية حال لنتائج تاريخية.

٧- من العصر الوسيط إلى العصر الحديث

إن قرار المجمع الملي في فيينا بتعين أستاذين لليونانية والعربية والعبرية والكلدانية في كل جامعة من الجامعات الخمس ليس مرده الاهتمام بالنص الأصلي للكتاب المقدس وتفسيره، ولا بأي اهتمام فيلولوجي أو تاريخي بلغات الشرق وآدابه أيضاً، وإنما مرده اعتبارات عملية بحتة: فقد أدرك المرء أنه يمكن أن تكون للمعرفة اللغوية الجيدة في العمل التبشيري ومفاوضات الاتحاد أيضاً قيمة عظيمة، واستنتج من ذلك ما يأتي:

يشير كتاب: De recuperatione terrae sanctae (استرداد الأرض المقدسة) الذي ألفه الناشر الفرنسي بيير دوبوا Pierre Dubois [1] سنة ١٣٠٦م، إلى أن تلك الأفكار حتى بداية القرن الرابع عشر الميلادي شغلت الأذهان إلى حد ما. وهنا يستوي برنامج احتلال شعوب أوربا المسيحية الشرق بقيادة الملكية الفرنسية على سوقه، ثم تطلب ذلك إنشاء مدارس للغات لا يُعَلم فيها الموظفون والضباط والمترجمون والوسطاء والمبشرون والأطباء الذين تحتاجهم تلك السياسة الاستعمارية فحسب، بل فتيات أوربيات أيضاً، مثل أولئك اللاتي / تزوجن فيما بعد بشرقيين قيادين، ولزم عليهن أن يتجهزن لوظفيتهن في [٢٦] الحياة، وإذا ما كان «قانون اللغات» الذي صدر في فيينا - نتيجة لذلك - قد أراد ألا ينصبَ أثره وفق مجمل مراده على علم الكتاب المقدس، فقد حثَّ بل وشجع

---

(١) Altaner, in Hist. Jahrbuch 53, 1933, 212 ff. (مع إشارات المصادر).

على الاشتغال بالعبرية والعهد القديم والتراث الربّاني في إطار دراسات لغوية تبشيرية بشكل مؤكد. وكان عدم تحقيق أي نجاح ملحوظ في مجال العربية على النقيض من آثار «قانون اللغات» - في الحقيقة - نتيجةً للسوء المتزايد؛ الذي شهده الوضع الحرج على نحو لا نظير له لتبشير المسلمين منذ بداية القرن الرابع عشر الميلادي، فالمغول الذين علق رايموندس لولوس على تنصرهم آمالاً كبيرة قرروا عدم قبول الدين المسيحي، وفي فارس أسلم الخان الثالث أحمد تكودر A. Tekuder ربما لأسباب سياسية عند اعتلائه العرش، ويبدو أن الكفة لدى خليفة أرجون Argun كانت لصالح النسطورية، ثم استمرت الحرب حتى صار تَحَوُّل دولة المغول إلى الإسلام مع الخان السابع غازان Gazan (١٢٩٥-١٣٠٤) أمراً مسلماً به، وفي وسط آسيا الوسطى أثبت الإسلام أنه الأقوى؛ فالجماعات المسيحية هناك قد اندثرت في القرن الرابع عشر الميلادي، والكنيسة النسطورية التي كانت مزدهرة أصابها الذبول والجمود.

وأسلمت كذلك في القرن الرابع عشر الميلادي مملكة الهمج الذهبية في جنوب روسيا، وفي مصر التي كانت ما تزال تشهد في القرن الثالث عشر قمة ازدهار الأدب المسيحي العربي، ازداد وضع المسيحيين سوءاً منذ سيادة المماليك؛ فقد دفع التعصب الذي أشعلته الحروب الصليبية، المماليك إلى إجراءات ضد الأقباط في الغالب، فقد كان نذيرَ شؤم للقرن الجديد، إذ جدد الملك الناصر في سنة ٧٠١هـ / ١٣٠٠م أحكاماً قديمة معادية للمسيحيين، فَسُرِّح موظفون مسيحيون وأُغلِقَت كنائس كثيرة. وفي النوبة غمر فيضان الإسلام الداهم في القرن الرابع عشر الميلادي المسيحية المستوطنة هناك منذ القدم كليةً. بيد أنه في تلك الفترة تقريباً نشأ على وجه الخصوص في الإمبراطورية العثمانية مُدافِع جديد عن الإسلام، سرعان ما شن هجماته على البلدان الأوربية المسيحية، وفي سنة ١٣٥٣م ثَبَّتَ العثمانيون أقدامهم في البلقان، ووسعوا منطقة / سيادتهم في [٢٧] غضون قرن واحد حتى الدانوب، وأخذوا القسطنطينية سنة ١٤٥٣م. وبذلك توالى

سقوط مناطق وبلاد مسيحية أيضاً تحت السيادة العثمانية، وكسب الإسلام منذ بداية القرن الخامس عشر بين الألبان والصرب والبوسنيين أتباعاً له، كما أن أشكال الفصل الإجباري لأطفال السكان المسيحيين الخاضعين لهم الذين يُنَشِّئهم السلطان في ظل الإسلام، ويُلحقهم بآلايات الانكشارية قد قوض المسيحية في البلقان.

وهكذا فإن الإسلام كان متوغلاً في كل مكان تقريباً، وشهد القرن الرابع عشر الميلادي أعظم امتداد لحركة الصوفية ذات الأهمية البالغة للتحول إلى الإسلام. ولم تُتَح للكنيسة الكاثوليكية في هذه الظروف أية فرصة لتبشير المسلمين باستثناء وحيد في إسبانيا، كان الإسلام هنا يتراجع تراجعاً بطيئاً، ولكن بلا توقف، وبلا طائل وجه النصريون في قرطبة، بعد سقوط إشبيلية سنة ١٢٤٨، آخر أسرة إسلامية مستقلة على شبة جزيرة إيبريا، إلى المرينيين في مراكش طالبين المساعدة؛ ولم يكن لدى هؤلاء الوسائل لسياسة فتح عظيمة على طريقة المرابطين ووجب عليهم سنة ١٣٤٠م أن يكفوا عن أية محاولات أخرى لوقف حركة الاسترداد، وحينئذ غُلِب النصريون على أمرهم، وإن كانوا قد عرفوا كيف يصمدون قرناً ونصف قرن: لقد أضعفت سلسلة من الحملات العسكرية لا أهمية لها في حد ذاتها، تخللتها فترات الهدنة القصيرة أو الطويلة، أضعفت موقفهم ببطء، واستمرت حدودهم في الانكماش، وعلى الرغم من ذلك فما تزال ثمة حاجة لحروب تستمر لسنوات طويلة، إلى أن نجح فرديناند ملك أرجون وإيزبيلا ملكة قشتالة في انتزاع القطعة الأخيرة من أرض إسبانيا من السيادة الإسلامية، وأن يدخلا إلى غرناطة في ٢ يناير ١٤٩٢م، وبذلك حُسِمَت حرب الإسلام التي استمرت قروناً حول شبه جزيرة إيبيريا عسكرياً، وأُقِرَّت السيادة المسيحية عليها جمعاء، بيد أن الحوار بين المسيحية والإسلام في المناطق الداخلية استمر أكثر من قرن، ووضع التزايدُ القوي الذي شهده الجزء الإسلامي من الشعب بضم مملكة غرناطة، الحكامَ ومستشاريهم أمام مشكلة الأقلية الصعبة التي يمكن أن

تصير أكثر / خطراً على الدولة من وحدتها التي لم تترسخ بعد بدرجة كافية نتيجة [٢٨] للتناقضات بين البلاد المتفرقة ورغبات الاقطاعيين «فويـدلادل» (Feudaladel) في الاستقلال.

إن استبداد المملكة الذي طمح إليه قسيس الاعتراف الخاص بالملكة، وهـو فرانشيسـكو خيمـنس دي شـيزنزوس (Franciso Ximnes de Cisneros) خاصة (رئيس أساقفة طليطلة وبريماس في أسبانيا منذ ١٤٩٥م) لم يبدُ للحكـام الأسبان مستقراً إلا حين أقامه على قاعدة عريضة بقدر المستطاع مـن الإيمـان الكنسي، ومن ثم ساند كفاح الكنيسة ضد الهرطقة والكفر، كل من خيمنس ورئيس أساقفة إشبيلية: فرديناندو دي تلافيرا اللذين شجعا بقوة تبشير المسـلمين. فـي بادئ الأمر وُضع الانتقال السلمي في الاعتبار، فلم يمـس مرسـوم ٣١ مـارس ١٤٩٢م الذي أبعد جميع اليهود من البلاد، المسلمين، غير أن محاولات التنصير لم تحقق النجاح المرجو منها، بل سرعان ما تمرد المسلمون تمرداً علنياً امتد من غرناطة إلى كل المملكة آنذاك ولم يُخمَد إلا بجهد، هنا لجأ خمينس وتلافيرا إلـى وسائل أكثر حدة، ولم يَدَع إعلان ١٢ فبراير ١٥٠٢م للمسلمين إلا المفاضلة بين التعميد أو الرحيل، وعلى إثر ذلك رحل كثير من المسلمين إلى البلاد الإسـلامية إلى مراكش المجاورة أساساً(١). وقَبِل الآخرون، الذين لم يسـتطيعوا أن يرحلـوا (higra) (*) أو لم يرغبوا فيه، التعميدَ مُكْرَهين، غير أنهم ظلوا داخليـاً أوفيـاء

---

(١) ما يزال تحت أيدينا دليل سفر لأولئك المهاجرين باللغة الأسبانية ولكن بخط عربي، نشره دي ساسي: De Sacy, Crotices et Extraits IV, 435

ونشـره مـرة أخـرى ج. لنكـولن: J. N. Lincoln Geographical Review (Newyork) 29, 1939, S. 483- 487.

(*) لا أدري لماذا استخدم المؤلف هذه الكلمة في هذا الموضع، فهل هناك أدنى وجه للمقارنة بين هجرة المسلمين في عهد النبي ﷺ وبين هذا الإجلاء الإجباري للمسلمين أو الطـرد من الأندلس؟! فربما نفهم من ذلك أنه إكراه من جانب الطرف الأقوى في الحالين للجانـب الأضعف على الرحيل، وما أظن أنه قصد ذلك.

للاعتقاد القديم، واستطاعوا أن يبرروا ذلك التظاهر الذي يطلق عليه (تقية) كما مارسه الشيعة بوجه خاص، لأنفسهم ولرفاقهم في العقيدة بأن تطبيق أي سلوك ديني وفق المفهوم السني يعتمد على نية فاعله، فقد عُدّ في القرآن (انظر سورة ١٦ النحل): (الآيات ١٠٦: ١٠٨) أنه يمكن أن ينكر مؤمن ما – مكرهاً – إيمانه بالله، بينما قلبه مطمئن بالإيمان»[*]. فقد اشتركوا مع تحفظ روحي في الطقوس المسيحية، وشربوا الخمر، وأكلوا لحم الخنزير، وزوجوا أبناءهم من مسيحيات، ولكنهم لم يزوجوا بناتهم من مسيحيين، وجاهروا ثانية / بالإسلام بمجرد أن [٢٩] استطاعوا أن يفعلوا ذلك دون خَطَر على حياتهم[1]. وبذلت الكنيسة جهداً مرة أخرى لكي تستأصل هذه المسيحية الظاهرية بمساعدة محاكم التفتيش التي أعيد تنظيمها في أسبانيا منذ سنة ١٤٨١م، ولكن دون نجاح مستمر. ونجح المسلمون أيضاً طوال القرن السادس عشر الميلادي، وعقدوا من ظهور قوة الإمبراطورية العثمانية الأملَ من جديد في إعادة إقامة الحكم الإسلامي في الغرب، وحدث اضطراب باستمرار في البوخراس «ربما: جبال الأطلس» (Alpujarras) خاصة. وهنا وقع سنة ١٥٦٨م تمرد شديد لم يمكن القضاء عليه سنة ١٥٧٠م إلا بعد معارك حامية الوطيس. وهو يبين من جديد أن تبشير المسلمين ومحاكم التفتيش لم يؤديا إلى النتائج المرجوة، وهكذا وجدت الحكومة نفسها مجبرة على استخدام أكثر الوسائل ظاهرية، وأُجْلِيَ سنة ١٦٠٩م كل المسلمين عن البلاد، وهنا تحتم على الموريسكيين أن يغادروا أسبانيا، وتوجه القسم الأكبر منهم إلى شمال

(*) يقصد قوله تعالى في سورة النحل آية ١٠٦: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾.

(١) انظر فتوى. Oran v. j. (٩٠٩هـ/ ١٥٠٤ م) نشرها كانتينو (Cantinneau) في مجلة:

Journal Asiatique t. 210, 1- 17.

أفريقيا، وكانت تلك هي نهاية الإسلام على شبه جزيرة إيبريا.

٨- بدرو دي الكالا (القلعة)(*)

أسفر التبشير الإسباني للمسلمين في القرن الخامس عشر المنصرم وصَدْر القرن السادس عشر عن إنجازات ذات قيمة لا تزول في أعمال الراهب القديس بدرو دي الكالا (Pedro de Alcala). فقد كلّف رئيس أساقفة قرطبة فرناندو دي تلافيرا، ربما سنة ١٤٩٩م، بدرو دي الكالا بوضع معجم أسباني عربي لأغراض المبشرين العاملين بين المسلمين والمسيحيين الجدد في مملكة قرطبة. فجعل بدرو المعجم الأسباني - اللاتيني لأنطُونيو دي نبرنجيا (Antonio de Nebrija)(١) الذي ظهر سنة ١٤٩٥م، أساساً لعمله، وأكمل مفرداته بصورة كبيرة إلى حد فاق معه عدد مواده (كلماته) (٢٢٠٠٠) كلمة(٢). وترجمه بمساعدة بضع رجال خبراء في العلوم الإسلامية onrrados y sabios faquis (الفقهاء العلماء المحترمين) أسماهم في / المقدمة(٣) التي وجهها إلى تلافيرا - إلى اللهجة العربية الدارجة في [٣٠] قرطبة، وأنهى العمل سنة ١٥٠١م وظهر سنة ١٥٠٥ في قرطبة مطبوعاً تحت عنوان(٤): Vacabulista aravigo en letra castellana «المعجم العربي

(*) لعل اسم دي الكالا تحريف للكلمة العربية القلعة فيكون لقبه «من القلعة» أو القلعي، ولذلك كتبه د. بدوي في موسوعته عن المستشرقين (بدرو القلعاوي) ص ٧٧.

(1) Petri Hispanide Lingua arabica, p. 70, 19 De Lagarde. (A. de Lebrica) حيث ذكر أنطونيو دي لبرنجيا.

(٢) بديهي أنه قد حسب هنا كل تكرار لنفس الكلمة الأساسية الذي يصل أحياناً إلى عشرات وأكثر.

(٣) ص ٧٠/ ١٤ Lagarde لاجارد.

(٤) كرر دي لاجارد المواد (انظر فيما يلي) ومعجم المفردات:
(Petri Hispani de Lingua Arabica libri duo Pauli de Lagarde studio et suptibus repetiti Gottingae 1883).
نقتبس هنا من هذه الطبعة المعادة - نشرت الطبعات الأصلية الجمعية الأسبانية الأمريكية=

بالحرف القشتالي» وترجع كتابته الكلمات العربية، كما يبرز من العنوان، بالحروف اللاتينية إلى اعتبارات خاصة بالطبع أساساً: فالمطبعة لم تكن تملك أي حروف طباعة خلاف الحروف القوطية، أما الحروف العربية التي احتاجها بدرو لتفسير طريقة كتابته في إرشاد الاستعمال الذي يتقدم معجم المفردات، فكان يجب أن يحفرها في الخشب حفار لأشكال الحروف ليس لديه أدنى معرفة بالعربية، وأدخل بدرو – للمرة الأولى – رموزاً مميزة لتقديم الأبجدية العربية بحروف لاتينية: رمز (c) مع ثلاث نقاط فوقه للثاء، و(h) مع نقطة تحته، ونقطة يميناً إلى أعلى[1] للخاء، و(d) فوقها علامة (ʼ)[2] للذال وأحياناً للظاء، ويرمز للعين غالباً، بحركة فوقها همزة، بينما ترك الهمزة بلا رمز. ويورد (t) للتاء والطاء و(h) للحاء والهاء و(d) للضاد والدال والظاء. ولا يفرق أيضاً بين ك وق، وص وس (مثل ذ نفسها) وأحياناً بين ش و ز (ž) أيضاً.

بيد أنه مما يعيبه لطبعة خاصة أنه لا يمثل كل حرف لاتيني إلا صوتاً عربياً محدداً وحيداً، بل إن (c) قبل (e) و(i) وفق قواعد الكتابة الإسبانية تمثل س وص بل ك و ق أيضاً اللذين يمثلهما من جانب آخر (qu) قبل (e) و(i). ويمثل (ç) س وص (ليس قبل (e) و(i)) وأحياناً (z) أيضاً التي تمثل في ذاتها (ز). ويُمثل حرف (j) صوت (ج) قبل (e) و(i)، بل (g) أيضاً، وفي حالات فردية (x) و(ch) أساساً. ويعبر عن (غ) بالحرف (g) (و(gu) قبل (e) و(i))، غير أن (qu) قبل حركة يمكن أن تعني (و) أيضاً، التي يمثلها (u) و(v) أيضاً، وبالإضافة إلى ذلك فقد وضع رمز للمقطع المنبور (أو المنغَّم). وهو رمز يشبه اختصارًا أو علامة

= – سنة ١٩٢٨م مصورة.

(١) لختار دي لاجارد في طبعته المعادة لذلك رمز (ḳ) الذي يضلل بسهولة مستخدمًا غير عارف.

(٢) يقع في طبعته دي لاجارد المعادة (ḍ) بدلاً منه.

ممتدة موضوعة فوق رأس الحرف (٨)[١].

/٣١/ وحدد المؤلف في وضوح وفهم في إرشاد الاستخدام المذكور من قبـل [١١ مسائل النطلق والتيسر المرتبطـة بالكتابـة[٢]. وإذا وُضِـع فـي الاعتبـار أن المساعدين المسلمين، الذين تعودوا على كتابة الصوامت العربية بطريقـة غيـر مناسبة كليةً للتعبير عن صيغ لهجية، والواقعين تحت التـأثير القـوي للعربيـة الفصحى، لم يستطيعوا أن يتفهموا كتابة صوتية تعبر في أمانـة عـن التشـكيل والنبر، فإن إنجاز معجم للمفردات برغم كل العيوب التي ما تزال ملازمـة لهـذه المحاولة الأولى، يبدو جديراً بالإعجاب، وبخاصة إذا ما قُورن بمحاولات الكتابـة الصوتية الأخرى في الفترة ذاتها، كما في كتـاب (Elucidarius) لتورنتينـوس (Torrentinus) وكتاب الحج للفارس فون هارف (A. von Harff) كتاب:

Elucidarius carminum et historiarum vel Vocabularius poeticus continens fabulas historias provincias urbes insulas fluvios et montes illustres.

لتورنتينوس (أي لهرمان فان ديربكه المتوفى سنة ١٥٢٠م في جرونينجن مـن تسفوله (Zwolle) عن أخوة الحياة المشتركة) وهو موسوعة طُبِعَت في الغالب بدءاً من ١٤٩٨م حتى القرن السابع عشر الميلادي، تضم في ذيل لها تحت عنـوان :

«quaedam communia vocabula de idiomate Saracenico in Latinum translate de terra sancta»

قائمة للمفردات مرتبة ترتيباً موضوعياً لمائتين وخمس وعشرين كلمة مـن العربية الدارجة في فلسطين. وما تزال الكتابة الصوتية غير مكتملة إلى حد بعيد: ففيها shar بدلاً من شعر، وsagitthan بدلاً من شيطان وneffez بدلاً من نفس إلى آخره.

---

(١) أبقى دي لاجارد على (ẍ) ولكنه كتب ما عداه وفق الطريقة الجديدة: à, é, ó, ú.

(٢) ص ٧١/ ٦- ٧٥، وفي ط. دي لاجارد ص ١٠.

وتوجد قائمة مفردات مماثلة، تضم أيضاً بضع جمل قصيرة وحكم، في تقرير الفارس ارنولد فون هارف (Arnold von Harff)، عن رحلة الحج التي قام بها من سنة ١٤٩٦ إلى ١٤٩٩م (Die Pilgerfahrt des Ritters Arnodal von Harff) نشره إي. فون جروته E. Von Groote، في كولونيا ١٨٦٠م، ص ١١١- ١١٣)، ونقحّه هـ. شتومه (H. Stumme) في الكتاب التذكاري لارنست فندش، ليبزج، ١٩١٤م، ص ١٢٧ وما بعدها، وفي مجلة: ZDMG، عدد ٦٩، ص ٢٠٨.

وفي مقدمة معجم المفردات بالعربية (Vacabulista) [١] يعلن بدرو دي الكالا الذي بلغ آنذاك من العمر عتياً، عن كتاب في «نحو لهجة غرناطة»، ظهر أيضاً في سنة ١٥٠٥م في غرناطة مطبوعاً تحت عنوان (Arte para ligera mente saber la lengua araviga) [٢]«الفنون لمعرفة اللغة العربية بسهولة» وشهد في العام نفسه أيضاً طبعة ثانية منقحة ومزيدة.

[٣٢] ويبين هذا العمل بصورة أقوى من معجم المفردات أن مؤلفه /٣٢/ كان مستقل الفكر، وبرغم أن النحو العربي لم يكن غريباً عنه[٣]، فإنه لم يتبع نظامه، لأنه يريد أن يقدم لغة عامة الناس، وأدرك أن أوجه تكلف[*] النحو العربي[٤] غير

(١) دي لاجارد ص ٧٤/ ٢.

(٢) تكرر في طبعة دي لاجارد ص ١- ٦٨.

(٣) كثيراً ما اقتبس من مصطلحاته، على سبيل المثال: ص ٤/ ٢٩ و٥/ ٦ و١١/ ١٥ و١٤/ ٧ و٢١/ ٩ و٢٤/ ٢٨ و٣٤/ و٢٥/ ٣٢، وقارن أيضاً قائمة المفردات تحت المصطلحات الأسبانية المطابقة.

(*) ربما كان محقاً في أن مصطلحات النحو القديمة لا تصلح لوصف قواعد لهجة عامية أو دارجة، ومن ثم وجد استخدام مصطلحاته هنا فيه تكلف، ولكن أليس الأكثر تكلفاً استخدام مصطلحات النحو اللاتيني في وصف لهجة عربية؟!

(٤) ص ٧/ ١٥- ٢١، اعترض هنا على قاعدة النحاة حول تأنيث كلمة (شمس) وكلمات=

مناسبة لذلك، بل إنه قد قام بوصفه أول من يمثل الحركة الإنسانية، بمحاولة جريئة، وهي أن يطبق مقولات النحو اللاتيني على لهجة غرناطة.

فعولجت المادة فيما لا يزيد عن ٣٠ صفحة وفق تسلسل أقسام الكلام الثمانية (partes orationis) المعروفة حيث تستغرق بطبيعة الحال أقسام الاسم والضمير والفعل المشتق المساحة الأكبر، وقُدّم فصلٌ عن الأبجدية العربية (الحروف العربية حفرت على الخشب)، وعن كتابتها بحروف لاتينية ونطق الخاء والثاء والعين والحركات العربية المألوفة بخط عربي، وعاد المؤلف في خاتمة كتابه عن النحو إلى علم الخط العربي مرة أخرى، وفي الباب قبل الأخير[١] يقدم قواعد لنطق الحركات minibé (أي فتحة) وminibú (أي ضمة)، وفي الباب الأخير إرشادات[٢] لقراءة مقطوعات مكتوبة بالعربية.

وبديهي أن يتطلب الربط الوثيق بالنحو اللاتيني بضع التواءات؛ فقد وضع تصريف مكون من ست حالات إعرابية وفق نموذجه، وأورِدَت المصطلحات العربية أيضاً[٣]:

Nom (مبتدأ): al – fuqahā

Gen (مضاف): mital – fuqahā (الفقهاء)

Dat (مجرور): Lal – fuqahā

Akk (مفعول): al fuqahā

= أخرى لا تستخدم في اللهجة إلا مذكرة، انظر أيضاً ص ٧٤/ ٣- ٨.

(١) ص٣٠/ ١٠- ٢٨.

(٢) ص ٣٠/ ٢٩- ٣١، و ص ٢٤.

(٣) ص ٥/ ٦- ٩ و٩/ ١٠- ١١ و٢٧ و١٣/ ١.

المصطلحات المقابلة لهذه المصطلحات حرفت تقريباً في تدوين متأخر لمخطوطة (المعجم العربي اللاتيني) Glossarium Arabico - Latinum -، ص ٥٥٩، الملاحظة ٣.

Vok. (منادى): Yà fuqahā

Abl. (ظرف): ma'al - fugahā

/ لم تعرف أداة التعريف في حد ذاتها، ولا تذكر أداة للإشـــارة إلا أحيانـــاً[١]. [٣٣] وأدخل المثنى في الجمع[٢]. وحذف الربط الإضافي للمركب الاسمي[٣]. ويقابل بين الفعل الماضي (Praeteritum) والفعل المضارع (Praesens)[٤]. ويضم جدول تصريف الفعل صيغتين (الصيغة الأساسـية وتفعيـل)[٥]، وزمنـين (المضـارع والماضي التام) وحالتين الإعراب والمضارع (حالة الرفع، وحالة الأمر)، وإذا بُدِء – كما في اللاتينية – بحالة الرفع المفرد المذكر المتكلم، لم يوضع مع المخاطـب والغائب فرقاً من ناحية الجنس، ووُضِع جدول للأفعال المساعدة esse و habere يضم لذلك الزمن الثالث المستقبل[٦]. وقسمت الحروف كما في اللاتينية، قسم مع المفعول، وقسم مع الظرف[٧].

وأغفل بدرو، وهو مُفَتتن كليةً بالنحو القديم، حقائق لا خلاف عليها في النحو العربي: فلم يدرك معنى مصطلح الجذر، فظل البناء العربي للصيغ إلى بناء اسمى وبناء فعلي غامضاً على القارئ، ولم يُخصص باباً مستقلاً إلا للكلمات المصـغرة (Deminutiven)[٨]، ووصف بناءها وصفاً ظاهرياً تماماً، وعلى الرغم من ذلك

---

(١) ص ٢٨/ ١١– ١٦، لاحظ ص ٢٦ وما بعدها.

(٢) ص ٨/ ٢٢.

(٣) ص ٩/ ٦– ٩.

(٤) ص ١٥/ ٢٩ و١٦/ ١ وما بعده.

(٥) ص ٥/ ١٠– ٣٦، ١٨/ ١– ٩، ٢٢/ ٣– ٢٩، وفي معجم قائمـة المفـردات ص ٦٤/ ٢١– ٧٥/ ١٠.

(6) ص ٢٢/ ٢٣ وما بعده.

(٧) ص ٢٦/ ٤ وما بعده.

(٨) ص ٢٨/ ٢٠– ٢٩/ ٥.

فربما لا يوجد مبرر لأن يتجاهل الإنسان قدر هذا العمل متجاوزاً مواطن الضعف هذه، فقد حاول أن يقدم للمرة الأولى لهجة عربية بوسائل النحو العربي.

وأتبع النحو بمجموعة من تلك النصوص بلهجة غرناطة، وهي تشكل الجزء الثاني من كتابه (Arte)، ويحتاج إليها مبشر المسلمين احتياجاً شديداً، وفي البداية الصلوات المعتادة والتصديق الإيماني(1)، ثم إرشاد الاعترافات المسيحيين الجدد، والترجمة المفصلة لكل أسئلة الاعتراف بالأسبانية والعربية(2) قطعة أساسية، ويضم هذا الفصل عدة قوائم (بالخطايا المهلكة، ومؤلفات الرحمة، والأسرار المقدسة / ومقالات في العقيدة)(3). ويتبعه بسرد الحواس الخمس [٣٤] وأمهات الفضائل السبعة(4)، ويليه نص الأسئلة التي يجب أن يوجهها الكاهن إلى الزوجين قبل إتمام الزواج(5)، ثم نموذج تلقين الأسرار الموت(6).

وفوق ذلك نظام القداس بوجه عام، ولبضع حالات خاصة أيضاً(7). وتشكل ترجمة مطلع إنجيل يوحنا الخاتمة(8). إن كتابيّ بدرو الكالا «معجم المفردات» (Vocabulista) وكتاب «الفنون» (Arte) شاهدان عظيمان على الحركة الإنسانية الأسبانية المبكرة، ولا يحتاجان في نهجهما ذاته أن ينكصا عن المقارنة بالمعجم المتعدد اللغات (Polyglotte) الذي أعده كومبلوتنس والذي ظهر

---

(١) ص٣١/ ٢٥- ٣٣/ ٣.

(٢) ص ٣٣/ ٦- ٥٨/ ٣٧.

(٣) ص ٥١/ ١٦- ٢٠، و ص ٥٥/ ١٨- ٥٦/ ٣ و ص ٥٦/ ٤- ٩ و ص ٥٧/ ٢٥- ٥٨/ ٣٠.

(٤) ص ٥٨/ ٣٨- ٥٩/ ٢ و ص ٥٩/ ٣- ٩.

(٥) ص ٥٩/ ١٠- ٢٠.

(٦) ص ٥٩/ ٢١- ٦٠/ ٢٩.

(٧) ص ٦٠/ ٣٠- ٦٦.

(٨) ص ٦٦/ ٢٢- ٣٧.

مطبوعاً من سنة ١٥١٤- ١٥١٧م بناءً على أمر من الكارد ينـال خيمـنس دي شيزينروس. فقد جعلت أسسه الراسخة لمنهج فيلولوجي صلب، سار عليه بدرو، كتابَه مستقلاً عن الدوافع الخارجية التي أدت إلى تكونه وأكسبته قيمة داخليـة لا تزول، وقد مكنه هذا المنهج من أن يعرض لهجة غرناطة، وأن يقف على ثروتها اللفظية ونطقها وعلاقات النبر على نحو وضعها بين أيدينا. ولا تتوفر لنـا أيـة لهجة عربية أخرى – من عصر قديم. حقاً، تتمتع أعماله بقيمة المؤلفات المصادر (المرجعية) عند النقص الشديد في شواهد نصية مباشرة للأسـبانية – العربيـة. وتعد طبعة ب. دي لاجارد نسخة أمينة من الطبعات الأصلية النادرة جداً بتصحيح عدد كبير من الأخطاء المطبعية. وفي كتاب الفنون (Arte) تتبع الطبعة المعـادة من ص ١- ٤٨ الطبعة الثانية (B) ومن ٤٨ إلى نهاية ص ٦٨ الطبعة الأولـى، حيث لم تكن نسخة كاملة للطبعة الثانية تحت تصرف الناشر (حُفِظَت تلك الأخيرة في مكتبة الجمعيـة الشـرقية الألمانيـة DMG مـن تركـه جلـده مايسـتر (Gildemeister)، ولما كانت الطبعتان تختلفان في تعداد الباب وترتيبـه فـإن السجل المطبوع على ص ٦٨ لا يتفق مع نسخة النص ص ١/ ٤٨، ولم يظهـر عرض لهجة غرناطة الذي كان يقصد إليه دي لاجارد، وقد جمع دوزي Dozy في ملحقه (Supplèment) «تكملة المعاجم العربية» الجزء الأعظم من المحصـول اللغوي الذي ورد لدى بدرو، و(١/ ٣٠- ٣٢) بقية ألفاظ غير محددة.

٩- الدراسات العربية في إيطاليا في مطلع القرن السادس عشر

/ تُمثل أعمال بدرو دي الكالا قمةً – وفي الوقت ذاته – خاتمـةَ الدراسـات [٣٥] العربية التي أنجزت من أجل تبشير المسلمين في العصور الوسـطى علـى أرض إسبانية، لقد فقدتْ أسبانيا التي كانت رائدة في هذا المجال منذ البداية، الاهتمـامَ بمزيد من العناية بالعربية بنفس قدر تضاؤلِ عدد المورسكيين وانقراضِ اللهجـة الأسبانية العربية، وحلت محلها أمم أوربية أخرى، والحقيقة أنه لا علاقة لأية أمة

منها بمشكلة الأقلية المسلمة ذات اللسان العربي في حدودها الخاصة، ولم يدخل في حسبان أي منها تبشير للمسلمين تدعمه وسائل حكومية، وبالنسبة للمجلس المليّ (المجلس البابوي) كانت قضية اتحاد الكنائس على وجه الخصوص تلك، وهي كيف يبقى على حيوية الاهتمام بالعربية واللغات الشرقية الأخرى، وكانت الطبعة الأولى بحروف عربية[1]، في كتاب: Septem Horae canonicae الذي ظهر في سبتمبر ١٥١٤م في فانو (Fano) بتكليف من البابا يوليوس الثاني (Julius II)، وكانت موجهة إلى يعاقبة مصر، بيد أنه قد توقف الأمر عند هذه المحاولة الوحيدة، ولم يصدر عن هذه المطبعة أي كتاب عربي آخر، وكانت علاقات المجلس الملي بالكنائس الشرقية تَخْلُص باستمرار إلى أن الاهتمام باللغات والآداب الأجنبية الذي أحيته الحركة الإنسانية قد وجد في روما أكثر من أي مكان آخر ميدانَ العمل، لأنه هناك كان يلتقي زائرون من كل بلدان الشرق، فقد كان يُرى في روما إلى جانب المسيحيين الشرقين ضيوفٌ آخرون أحياناً أيضاً من الشرق، مثل دشُم (Dschum)، المطالب بالحكم العثماني من ١٤٨٩- ١٤٩٥م، الذي نازع أخاه بايزيد الثاني الحكم، وأدى وجوده في روما إلى أنه قد حضر إلى البابا وفدا مفاوضةٍ من الباب العالي مرتين، وبعد عشرين سنة استضافت روما مسلماً آخر، هو ليو الأفريقي (Leo Africanus) مغربي، أسَرَه قراصنة وأرسلوه إلى إيطاليا، وحُبِس في بادئ الأمر في انجلزبرج ثم اعتنق المسيحية، وزوّد الغرب من خلال أعمال مختلفة وبخاصة وصفه المشهور لأفريقيا، بمعرفة أفضل عن قضايا إسلامية، / وتشير معلومة بناءً على انتعاش محدود لفكرة [٣٦] التبشير إلى أنه تحتم أن يُطبع القرآن في فينيسيا حوالي سنة ١٥٣٠م[2]. غير

---

(١) لا أعرفه إلا من وصف شنورر:

Schnurrer, Bibliotheca Arabico 231, Nr. 235.

(2) Schnurrer, Bibliotheca Arabica 402- 404 Nr. 367, Levi Della Vida, Riceche Sulla formozione del piu antio fondo dei mss. Or. della. Bibl. Vat (Studi e Testi 92) 1939, 322, n. 1.

أنه لما أعدمت الطبعة بأكملها في عهد بول الثاني (Paul II) حكم من ١٥٣٤-١٥٣٧م، لم تؤثر هذه الطبعة التي لا يمكن إثبات أنها كانت كاملة، بل إنها أُلحقت بعالم الخرافة في مسار الدراسات العربية في الغرب.

١٠- وليم بوستل

أثرت العلاقات الخارجية تأثيرًا يفوق بكثير طموحات روما إلى اتحاد الكنائس والتبشير في مسار الدراسات العربية؛ تلك التي أقامتها القوى المسيحية مع الباب العالي.

فقد استولى العثمانيون بعد وفاة محمد الفاتح (١٤٨١م) على شبه جزيرة البلقان بأكملها تقريباً، جنوب الدانوب والساو باستثناء الجبل الأسود (Montenegros) وبضع مناطق ساحلية قليلة كانت بأيدي أهل البندقية في المورة (Morea) وفي أدريا (Adria).

وشهد القرن السادس عشر الميلادي في عهد سليم الأول (حكم ١٥١٢-١٥٢٠م) امتداداً مهماً لمحيط سيادته في آسيا وأفريقيا، وارتقاء العثمانيين إلى مرتبة القوة العظمى السنية الأولى، ثم استمرت حملات فتح شبه جزيرة البلقان على يد سليمان القانوني (حكم من ١٥٢٠ إلى ١٥٦٦م).

وسقطت المجر، الخصم القوي لقرن من الزمان تقريباً، والتي وضع العثمانيون في اعتبارهم ضمها، عند مُهاك (مُحاق) (Mohacs) سنة ١٥٢٦م. ووقف الأتراك سنة ١٥٢٩م للمرة الأولى على أبواب فيينا، ولم تقف الدول المسيحية في أوربا متحدةً لوقف هذا الزحف الخَطِر من قبل قوة إسلامية، بل إن

يشير أيضاً إلى شهادة مهمة لبوستل الذي كتب في خطاب إلى ماسيوس Masuis في ٤ مارس ١٥٦٨م، طبع في كتاب شوفيي Chaufpie: Nouveau Dictionare historique et critique أمستردام ١٧٥٣، جـ ٣/ ص ٢٣٢

Nactus fueram aliquando illud Corani Arabicum exemplar, quod typis iam ante trignta annos venetis prodierat.

أغلبها سعى إلى أن يرعى مصالحه الخاصة من خلال تعامل مستقل، فلم يتورع فرانس الأول، ملك فرنسا بناءً على عقيدة كاثوليكية ترى فيه ملك المسيحيين أجمعين / والكنيسة الفرنسية أقدم أخت لكنيسة روما، عن أن يحاول أن يستعين [٣٧] بدعم السلطان العثماني في حربه ضد كارل الخامس. كذلك حين أسره كارل الخامس عُقِدت سنة ١٥٢٥م مفاوضات، وفي سنة ١٥٣٤م استطاع أن يسافر وفد تفاوض فرنسي إلى القسطنطينية، وحصل في العام التالي على الامتياز المشهور منَحَ فيه السلطانُ، كما هي الحال من قبل مع البندقيين وأمم أخرى تمارس التجارة، أتباعَ فرانس الأول الحق في أن يقيموا في تركيا ويمارسوا التجارة وأقر لهم بإدارة مستقلة إلى حد بعيد تحت إشراف قناصلهم، وبخاصة القضاء القنصلي .. ولكي يستمر في تعزيز هذه المصالح الاقتصادية والسياسية شَجَّع فرانس الأول بروح الحركة الإنسانية العلاقات الثقافية بين البلدين، فَعَيَّن علماء باستمرار لوفود التفاوض. ومن ثم أرسل سنة ١٥٣٤م أو بعد ذلك بقليل وليم بوستل (Wilhelm Postel) إلى الشرق لشراء مخطوطات شرقية، وهو الرجل الذي يدين الغرب بالفضل له في أول كتاب نحوي للغة العربية الكلاسيكية.

ولد وليم بوستل(١) في نورماندي في أحوال متواضعة سنة ١٥١٠م(٢)،

---

(١) انظر عنه بصفة خاصة:

J, Kvačala, W, Postel: seine Geistesart und seine Reformgcdanken in Archiv, F. Reformationsgeschichte IX (1912), 885- 330; XI, 200-227, XII, 157- 203.

وكذلك:

G. Weill, De Guliemi Postelli Vita et indole Pariser These von 1892.

وبالنسبة لرحلاته في الشرق، تقارن مقالة فوجل (E.F. Vogel) في Serapeum XIV (1853) هو نفسه وصف فيها أيضاً ص ٣٦٣- ٣٧٨ (٢٤) طبعة أصلية من أعمال بوستل، وعالج ليفي دي لافيدا Levi della vida بعض مخطوطات شرقية لبوستل في: Ricerche .. S. 307- 327.

(٢) يزحزح تاريخ الميلاد الذي أورده بعض علم السير بدلاً منه وهو ١٤٩٥م حوادث مهمة=

ودرس في باريس، وعُنِيَ باليونانية والعبرية التي درست بحماس منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادي في أوساط مسيحية أيضاً[1].

وتعلم أيضاً الإيطالية والأسبانية والبرتغالية، وقد جذبت موهبته في تعلم اللغات الأجنبية انتباه مدرسيه، / فأوصوا به مارجريت دي نافارا (Margarete de Navara) الأخت الموهوبة لفرانس الأول، فأُذِنَ له بدخول البلاط. وحينما أرسله الملك إلى الشرق قضى في بادئ الأمر بعض الوقت في مصر ثم سافر إلى القسطنطينية حيث حققت له معارفه اللغوية ترحيباً مناسباً حقاً لدى المبعوث الفرنسي لافوريه La Forèt (Forestanus) وسرعان ما تمكن من استعمال التركية، وتعمق في القَبّالة[*] (Kabbala) اليهودية، وقرأ سفر زُهَر (Zohar)[2] على يد طبيب القصر اليهودي موسى المعالي (Moses Almāli) (؟) بيد أنه قد درس على وجه الخصوص العربية، عرفه نحوها معلم تركي، وقد [٣٨]

= في حياته إلى فترة متأخرة من حياته. وتتفق أيضاً كلماته في خطاب يرجع إلى سنة ١٥٦٣م (طبعة ماكس لوزن (Max Lossen) في:

Briefe von Andreas Masius und seinen Freunden. 1538- 1573 Publikationen der Gesellschaft für Rheinische Geschichtskunde, ii, S.352.

يأمل لو استطاع أن يعيش مع صديقه Masius المولود في ١٥١٤م «ut cum illo possem consenescere»، في فم رجل في الثالثة والخمسين، أكثر ممن هو في الثامنة والستين.

(١) تعمق روتشلين (Reuchlin) منذ ١٤٨٥م بمساعدة معلم يهودي في دراسة القَبالة (Kabbala) وسنة ١٥٠٦م نشر كتاب: Rudimente Linguae Hebraeae، وقبل ذلك بسنتين نشر بليكان (Pellikan) مقالة موجزة (أعاد طبعها سنة ١٨٧٧م نستله (E. Nestle) وهي: de modo legendi et intelligendi Hebraeum في كتاب: (Margarita philsophia) لريتش: (G. Reich).

(*) حركة سرية فلسفية – لاهوتية في اليهودية.

(٢) نشر فيما بعد ترجمة لاتينية (سفر Jestrà).

أفادته معرفته (معارفه) العبرية فيه إفادة كبيرة، بالإضافة إلى ذلك فقد استغل كل فرصة لتوسيع معرفته، باللغات الأجنبية، فتقصى عن اللغة الإثيوبية على سبيل المثال لدى رهبان الكنيسة الحبشية، إذ قد عرف الغرب لأول مرة سنة ١٥١٣ م اللغة الإثيوبية من خلال الطبعة الأولى لها (أطلق عليها الكلدانية)، أعدها الألماني يوهان بوتكن (Johann Potken)، راعي كنيسة سانت جيورجن في كولن، وقد شهدت ترجمة المزامير شيئاً قريباً من هذا، وعاد في بداية سنة ١٥٣٧م إلى أوربا بعد أن مكث أقل من عامين(١).

وفي الطريق زار في البندقية الطبّاع المشهور دانيال بومبرج (Daniel Bomberg). ولعله حاول أن يقنعه بنحت حروف عربية وإنشاء مطبعة شرقية.

وتعرف أيضاً على الكاهن القانوني من بافيا (Pavia)، شمالي إيطاليا، تسيوس امبروسيوس (Theseus Ambrosius) / (١٤٦٩- ١٥٤٠م)، وهو [٣٩] واحد من المستشرقين الإيطاليين الأوائل، الذي اشتغل بلغات مختلفة، وبادله بوستل على سبيل المثال الكلمات الإثيوبية بالهندية والعربية (المغربية) بالبونية أيضاً، وتقابلا مرة أخرى في خريف سنة ١٥٣٧م في باريس، واستخدمه فرانس الأول محاضراً ومترجماً، وعينه سنة ١٥٣٩م أستاذاً منتظماً عاملاً في كوليج دي فرانس (Collége de France) التي أُنشئت حديثاً، وقد فقد هذه الوظيفة في أثناء ١٥٤٣م، حيث أُسقِط ولي نعمته بوايه (Poyet). وفي سنة ١٥٣٨ نشر كتابه: (Linguarum XII Charaterum differentium alphabetum,

---

(١) يبدو أن هذا يمكن استخلاصه من مقدمة كتاب: Grammatica Arabica fol. D iii، حيث يقول في إشارة إلى تجاربه الخاصة مع أساتذته الأتراك (illi turchae quime docebant Constantinopoli): من يكون ضليعاً في العربية يمكن أن: (ante biennium bonam portem illius linguae intelligere) ودون أن يرغب في التباهي فقد زعم أنه uno et altero anno وحده وفي سن متأخرة حقق تقدماً أكبر من أولئك (الأتراك) في ست سنوات.

introductio ac legendi modus loge facillimus)

الذي عالج فيه اللغات الآتية وأبجديتها(١): العبرية، والكلدانيـة، والكلدانيـة الحديثة (ربما السـريانية) والسـامرية والعربيـة أو الفنيقيـة (Arabica vel Punica) والهنديـة (أي الإثيوبيـة)، واليونانيـة، والجورجيـة، والصـربية (Tzèrviana)، والألبانية والأرمينية واللاتينية، وظهر في العام ذاتـه أو العـام التي تلاه، كتابه: النحو العربي (Grammatica Arabica)، الـذي كـان مـن المحتم حقيقة أن يحـل محـل البـاب المطـابق لـه فـي: Linguarum XII Alphabetum لأنه مدون على صفحة العنوان بين عنـوان (Grammatica Arabica) ومكان الطبع الملاحظة الآتية:

„ Guilielmus Postellus Lectori. Ne quid nostri consilii ignores candidie lector, quum characterum difficulate in sculptis tavulis, multos esse perteritos viderem, quod essent difficles et male formati, volui loco illorum quaternionum hic inserere grammaticam typis excussam (lies excusam), ut quos difficultate abegerat, facilitate et pulchritudine revocet. Vale''

وتبدأ العلامة المنحنية (نفتقر إلى ترقيم الصفحات) من DI إلى Dxii ومـن EI إلى .EX. ويدين بوستل في حروف طباعة النحو العربية الرديئة المـذكورة هنا بكل ود، كما يستنتج من الإهداء، إلى كرم أسقف انجو (Anjou)، وينطلـق بوستل في المقدمة (Praefatio) التي أُخِذَت مـن بـاب عـن العربيـة فـي: Linguarum XII Alphabetum من انتشار الإسلام الذي يتغلغل في أفريقيـا كلها، باستثناء النوبة، وآسيا كلها من الساحل الغربي حتى الشرق الأقصى، وقـد وجد وقعاً حتى بين المملوك العظام، وقد نفذ إلى أوربا أيضاً، ثم أثنى بوستل على ثراء التراث العربي، وبخاصة في أعمال الفلك والطب العملي وهـاجم المطببـين الجدد (Neotristae) الذين شككوا في قيمته / قـائلاً: لا يمكـن لأي إنسـان أن [٤٠]

---

(١) وفق فهرس المحتوى المطبوع في كتاب فوجل السابق ذكره.

يتجاهل وسائل التطبب والأشربة العربية وما قاله ابن سينا في ورقة أو ورقتين أكثر مما قاله جالينوس (Galen) في خمسة أو ستة مجلدات ضخمة، ثم يُذكِّر بقانون اللغات للمجلس الملي في فيينا، وركز على القرابة بين العربية والعبرية التي تُيَسِّر تعلمها تيسيراً كبيراً، ولخص قيمة معرفة العربية: فهي تفيد بوصفها لغة عالمية في معاشرة المغاربة والمصريين والسورين والفرس والأتراك والتتر والهنود، وهي تضم تراثاً غنياً، ومن يتقنها يمكن أن يطعن كل أعداء العقيدة المسيحية بسيف الكتب (المقدسة)، ويدحض عقائدهم بنفس معتقداتهم هم، ويتصل بالعالم بأكمله من خلال معرفة لغة واحدة فقط.

ويعقب هذه المقدمة النحو الذي يبين في كل صفحة تبعية بوستل الشديدة للنحاة العرب، غير أنه يبرهن على أنه لم يسيطر على المادة، ويضم قبل كل شيء تحت عنوان: Alphabetum Arabicum vel Punicum الأبجدية في رسم متباين ومقلق في اتباعه باستمرار (دون تنقيط)، ويتناول الحركات والتشكيل، وترتيب أبجد (Abgad) والأرقام الهندية، ويلي ذلك مقدمة عن الحروف حين تكون منفصلة أو متصلة حيث يُعدد أيضاً كل الحالات التي ترد فيها الحروف المتصلة في علم الصرف برغم أن القارئ لم يأخذ فكرة عامة عن الأمر كله. وتحذو النظرة العامة حول أقسام الكلام الثلاثة: الفعل والاسم والحرف حذو نظام النحو العربي، ويتناول في قسم الفعل أساساً الأفعال القوية «الصحيحة» (والفعل الرباعي)، ويوضحها بجداول تصريف (نَصَرَ ودَحْرَجَ)، ويخلو من الجذور المشتقة خلواً تاماً تقريباً، ويحيل القارئ من أجل الأفعال الضعيفة «المعتلة» في الجزء IIr إلى «tres grammaticae Arabicae libri anobis conversi latine»: الذي أنتوى بوستل أن ينشره، وإلى هذه الترجمة يرجع بوضوح الفصل الموجز أيضاً fol. 147 عن المصدر الذي بدأه بهذه الكلمات traducum quae de hac re in Azi seu prima Grammatices parte tradunt. ومن المحتمل أنه يعني بذلك كتاب «التصريف» للعِزّى.

وفي قسم الاسم يُبقِي بوستل على نظام الحالات الإعرابية اللاتيني، وينقل في غير ذلك أقسام الاسم من نموذجه دون أن / يفسر طريقة بنائـه، ولَمْلَـمَ تحـت [٤١] الأدوات ما لم يمكن إيراده في مكان آخر: اللواحق الضميرية وأسـماء الإشـارة وبضع الظروف، ونصوص غير مشكلة للقراءة بناء على بضع نصائح، والأعداد، وتشكل الخاتمةَ الصلاة الربانية بالعربية، (أبانا الذي في السماء) والسورة الأولى مع ترجمة لاتينية، بها أخطاء إلى حد ما[1]، وتبين أن معرفة بوسـتل بالعربيـة تفتقر إلى أساس متين.

ويعد هذا الكتاب «النحو العربي» Grammatica Arabica المليء بالعيوب المكتظ بالأخطاء المطبعية أيضاً آخر إسهام مباشر لبوستل في الدراسات العربية، ويرسم في كتاب: De la rèpublique des Turcs ، الذي ظهر أولاً في ١٥٣٩ أو ١٥٤٠ وأعيد نشره بعد ذلك مراراً، صورةً نموذجية للمجتمع العثماني، غيـر أن تأليفه بعد ذلك اتجه إلى ما هو غير معتاد، وقد استولت على فكـرة بصـورة متزايدة خطط إصلاح العالم المليئة بالمغامرة، أراد أن يُسَخِّر معارفه اللغوية فـي خدمتها؛ فقد حلم بعمل تبشيري عظيم لهدي كل الكفرة والوثنيين، وبغزو العـالم على يد الأمم المسيحية التي تقودها فرنسا، وطلوع فجر زمن جديـد يحيـا فيـه الناس، متحدين في العقيدة المسيحية، تحت ألوية ناصعة في وئام وسلام، وأدرك أيضاً مثل لولوس أنه لا يمكن التغلب على القلوب بأسلحة ظاهرية، ولكنـه كـان مقتنعاً أيضاً مثل لولوس أنه يمكن أن يثبت عقلياً حقيقة المسيحية لكل خصومه.

وارتبطت بتصورات العصور الوسطى هذه وطنيتُه التي تعد الفرنسيين شعب الله المختار، وتوهمت أنهم مدعوون لسيادة العالم، وقد خففت بصورة جذرية من حدة وتحيز هاتين الفكرتين الأساسيتين عناصر وَسَمت بوستل بأنه طفـل القـرن

---

(١) أعاد طبعها نستله: E. Nestle, in ZDMG, 60, 244
انظر أيضاً ملاحظات فيشر (A. Fischer) في المجلة ذاتها عدد ٦، ص٢٤٩، وزيبولـد (Seybold) في عدد ٦٣/ ص ٦٢٥.

السادس عشر الميلادي وهي: اتساع اهتماماته، وفهمه للنمط الغريب ذلك الذي جعله يقدر محمداً ﷺ أيضاً(1)، وتسامحه الذي جعله ينظر إلى الدين على أنه من شئون الدولة، ولا يهدد بعقوبة الإعدام إلا الملحدين، وأخيراً اعتقاده في تقدم الثقافة، ودَوَّن أفكاره هذه / أولاً في كتاب: de orbis terrarum concordia [٤٢] «الوفاق بين الناس على ظهر الكرة الأرضية» المؤلَّف سنة ١٥٤٣.

وحين لم يجد في باريس أية آذان صاغية، رحل إلى روما سنة ١٥٤٤، حيث أمَّل أن يجد لدى اليسوعيين تفهماً لخططه. بيد أن إجناتيوس دي لويولا اليسوعي Ignatuis von Loyola لم يكن ليستخدم رجلاً رفع ملك فرنسا إلى مرتبة سيد العالم، ويتمسك بوجهة نظره القائلة بأن المجلس المِلِّي (الكنائسي) العام يعلو البابا، فرحل إلى البندقية في نهاية ١٥٤٥م، هناك واجه الأم يوهانا (توفيت سنة ١٥٥١م) مواجهة خطيرة، وكانت ممرضة عجوزاً لها رؤى وانجذابات صوفية، وتتخيل أن نهاية العالم قد اقتربت، وأنها ستصير آنذاك مخلصة العالم، وازداد وقوع بوستل تحت تأثيرها إلى حد الهوى والهوس، وتبين أبحاثه حول أصل اللغات – وهي مشكلة عالجها منذ ١٥٣٩م في كتابه في الأصول (de Originibus) – تأملات غير سليمة حول لغة نوح العادية التي ترجع إليها حتماً اللاتينية واليونانية ولغته السرية اشتق منها بوستل العربية والسريانية والكلدانية(2). ولم تَغِب عن عينيه إلى جانب ذلك خططه التبشيرية، ولكنه لكي يستطيع أن يكسب عالم الشرق إلى جانب المسيحية من خلال الإنجيل العربي والسرياني احتاج إلى مخطوطات الكتاب المقدس الشرقية، ولذا أقنع بومبرج أن يوفر له الوسائل لسفرة ثانية إلى الشرق، وسافر سنة ١٥٤٩م إلى فلسطين على سفينة حج بندقية، ووصل القدس في أغسطس، ولاحظ مباشرة أن وسائله كانت

---

(١) خطاب موجه إلى ماسيوس (Masius) في ٧ يونيو ١٥٥٥م في كتاب لوزن (Lossen) السابق ذكره ص ٢٠١.

(٢) انظر كفتشالا (Kvačala) في الكتاب السابق ذكره ١١/ ٢٠٥.

غير كافية نهائياً، فوجب أن ينعم بالسرور في صحبة المبعوث الفرنسي درمـــون (D' Armont) الذي وصل القدس في نوفمبر من العام ذاته، واستطاع أن يسافر إلى القسطنطينة، حيث مكث هناك من مطلع ١٥٥٠م حتى ١٥٥١م، ثم عاد ثانية إلى البندقية، وحفظ مخطوطاته الشرقية لدى بومبرج وسافر إلى باريس.

وحين ماتت الأم يوهانّا رأى لنفسه الحق في أن يتحدث عن رسالتها، فنادى بنهاية العالم القريبة وعودة المسيح وخلاص الإنسانية، ونسب للأم يوهانـــا دوراً مهماً عند البعث (restitutio) بوصفها مُخلصة للطبيعـــة الســـفلى، واعتقـــد أن جوهر الأم يوهانا قد انتقل إليه ووصف نفسه بأنه مبعوث (restitutus)، ووَسَّع / بالإضافة إلى ذلك نشاطه الأدبي المثير ظاهرياً، فنشر مـــن ســـنة ١٥٥١ إلـــى [٤٣] ١٥٥٣ مؤلفات كثيرة عن موضوعات مختلفة، بيد أنه قد أثار آخر الأمر ارتيـــاب الملك، فقد توجه لذلك سنة ١٥٥٣م عن طريق البندقية إلى فيينـــا إلـــى يوهـــان البرشت فيد مانشتتر (J. A. Widmannstetter) (١٥٠٦- ١٥٥١م) [١]، الذي كان قد نشر آنذاك على نفقة فرديناند الأول، وبمساعدة الراهب السرياني موســـى الماريدني العهد الجديد باللغة السريانية، فقد كان هذا عملاً يود بوستل أن يشارك فيه، وعَيَّنه القيصر أستاذاً غير عامل (غير نظامي) في أكاديمية فيينا التي أنشئت حديثاً، فطَوَّر لمستمعيه في محاضرته الافتتاحية في تفوق اللغة الفينيقيـــة (De linguae phoeniciae excellentia) [٢] نظريات حول العبرية بوصـــفها لغـــة مقدسة، وحول الدور الذي سيلعبه الإنجيل باللغتين السريانية والعربية في تنصير الشرق، وأخيراً حول ضرورة الاشتغال بهذه اللغات الثلاث، حتى يمكن أن ينـــبلج بذلك العصر الذهبي.

غير أنه بعد نصف عام ترك فيينا في ١ مايو ١٥٥٤م، ووُضعت مؤلفات عدة

---

(١) انظر عنـــه رســـالة مـــاكس مـــولر (Max Müller) للـــدكتوراة فـــي ميـــونخ J. A. Widmannstetter, Bamberg, 1907.

(٢) انظر فهرس المحتوى لدى: Kvāčala, a. a. O. XV. 157 f.

له على القائمة البابوية السوداء (وحُرِّمَت قراءةُ كثيرٍ من مؤلفاته)، وحـاول أن يُبرأ نفسَه، غير أن اعتراضه لم يثمر إلا في أن يُقَرَّ له بأن ما وقع فيه من خطـأ لم يكن عن سوء نية، بل عن سوء تقدير، وزاد عَوَزُه إلى حد، اضطره للانفصال عن مخطوطاته التي جمعها في الشرق .. بوساطة من صديقه اندرياس ماسيوس Andreas Masuis عن مستشار سـلوفانيا وبفالزيـا، رهنهـا لـدى أميرهـا أوتهاينريش (Ottheinrich)، الذي جمع مخطوطات لمكتبة هايدلبرج، وحصـل في مقابلها على ٢٠٠ من الدوكات[١]، (عملة ذهبية قديمة)، وفي صيف ١٥٥٥م عثر على أحد أهل البر الذي حفر له الحـروف العربيـة فـي مدينـة سـبيونتا (Sabbioneta)[٢].

بيد أنه قبل أن يستطيع أن يستخدمها مَثُل بسبب كتاب جديد عن الأم يوهانّـا «الأخبار الأولى من العـالم الآخـر» (Le prime nuove del altro monde) أمام محكمة التفتيش من جديد، وأودع الحبس في روما أكثر من ثلاث سـنوات، ومهدت له ثورة شعبية في نهاية ١٥٥٩م الطريق للحرية،وسار من جديد هائمـاً في الأرض حتى وصل سنة ١٥٦١م / إلى فرنسا ثانية، وتوافق هذه الليلة عشية [٤٤] الحرب الأهلية (في فرنسا).

وشارك في ذلك برسائل عدة حول مسألة الاتفاقية البابويـة بـين البـابوات والبروتستانت الفرنسيين «المصـلحين» (Hugenotten)، فأوقعـه ذلـك فـي مشكلات جديدة، وقُبِضَ عليه بأمر ملكي ومَثُل أمام محكمة، وأُرسِل إلى دير سانت مارتن St- Martin بالقرب من باريس فـي نهايـة ١٥٦٢م. وقضـى هنـاك السنوات الأخيرة من حياته، واحترمه المقيمون معه في الدير بسبب علمه المبهم،

---

(١) حين نهبت محتويات مكتبة هايدلبرج في حرب الثلاثين عاماً، وصلت مخطوطات بوسـتل إلى روما، انظر ليفي دلافيدا: Levi Della Vida,Ricerche 290 ff.

(٢) خطاب موجه إلى ماسيوس (Masius) في ٧ يونيو ١٥٥٥، في كتاب لوزن (Lossen) السابق ص ٢٠١.

وأحبوه بسبب طيبة قلبه، ولم يعد يجلب له هوسه غير المؤذي سوى المتاعب، وخبت حماسته للمخاطرة ما دامت نهاية العالم التي أخبر عنها تنتظره، وهكذا سرعان ما خففت عنه القيود، واستعار كتبه، وسُمِحَ له بكتابة الرسائل من جديد، بل بإلقاء محاضرات أيضاً فيما بعد، ومن ثم استطاع الاشتغال بأفكاره المحددة طوال ١٨ عاماً حتى موته الذي تلى ١٥٨١م في نشاط لا يعرف الكلل، وإن كان غير مثمر، ومناقشتها من جديد باستمرار في أثناء تبادل ممتد للرسائل، وفي كتابات مطولة.

١١- بدايات الدراسات العربية في ألمانيا

ارتبطت بدايات الدراسات العربية في ألمانيا ارتباطاً وثيقاً بمخطوطات بوستل التي ظفرت بها مكتبة أمير بفالتس (Pfalz)، ومنذ أن اعتنق الأمير فريدريش الثالث (Friedrich III) المذهب البروتستانتي الكالفيني (Kalvinismus) سنة ١٥٦٠م، ازدهر في هايدلبرج العلم الإصلاحي.

وأثّر هناك منذ ١٥٦١م إمانويل ترمليوس (١٥١٠- ١٥٨٠م) يهودي من فيرارا (Ferrara)، اعتنق في بادئ الأمر الكاثوليكية، ثم انتقل إلى المذهب الإصلاحي، ونشر سنة ١٥٦٩م كتاب: النحو الكلداني والسرياني Grammatica Chaldaea et Syriaca، ونشر في العام نفسه الترجمة السريانية للعهد الجديد وفق مخطوط من المخطوطات التي جلبها بوستل من الشرق[1]، إلى جانب ترجمة لاتينية، واشتغل منذ ١٥٦١م بأمر من الأمير بترجمة حرفية للعهد القديم إلى اللاتينية، وساعده تلميذه وزوج ابنته وخليفته فيما بعد ف. يونيوس (Fr. Junius) (١٥٤٥- ١٦٠٢م)، ووافق ذلك جهود الأوساط التي كانت تدور في فلك مفهوم إصلاحيّ حول (كلمة / الرب) موافقة تامة، إذ إن يونيوس (Junius)، [٤٥] الذي حَصّل معرفة ضئيلة بالعربية، قام بالترجمة العربية للكتاب المقدس، التي

(١) يورد ليفي دلافيدا شيئاً قريباً من هذا في: Ricerche etc, 393- 306.

كان جزء منها يضم رسائل بولس وتاريخ الرسل موجوداً بين مخطوطات بوستل، وترجم النص العربي لتاريخ الرسل ورسائل الكرونتيين إلى اللاتينية، ونشر هذه الترجمة اللاتينية سنة ١٥٧٨م[1]. وكان أول من اشتغل أساساً بمخطوطات بوستل في مكتبة هايدلبرج فيهم هو تلميذ يونيوس، ياكوب كريستمان (Jakob Christman) (١٥٥٤- ١٦١٣م)، فقد أورد لها فهرساً، يقدم فيه عنوان كل مخطوطة منها ومضمونها، وإن كان مقتضياً للغاية وليس صحيحاً دائماً[2]. ونشر سنة ١٥٨٢ بناء على التجارب التي مر بها فيه: (Alphabetum Arabicum cum is agoge scribendi).

وهو كتاب موجز بالحروف العربية غير المألوفة التي حفرت على الخشب وفقاً لرسوم المؤلف، وفي الخاتمة تُقدم بالعربية الصلاة الربانية (أبانا الذي في السماء) تدريبات للقراءة (وفق النص الوارد في كتاب يوستل في النحو)، وموضعاً من رسالة فيليبر (Philipher) (الباب ٢ من ٦: ١١ وفق مخطوطة بوستل المذكورة آنفاً في مكتبة هايدلبرج).

وظن كريستمان (Christmann) أنه قد صَحَّح أخطاء بوستل الكثيرة في الصلاة الربانية، وقَدَّم نصاً صحيحاً (سليماً)، ولكن نصوصه والكتابات الصوتية المرافقة مليئة بالأخطاء بصورة واضحة أيضاً، وتشير على نحو لا يتوقع معه شيء آخر غير هذا إلى صور خرق شديدة لقواعد النحو العربي، ويجب أن يكون مقدار معرفته النحوية الضئيلة للغاية ضرورةً لمن اهتدى بنحو بوستل الذي لم تخفَ عليه جوانب الضعف فيه، فقد أدرك هو نفسه أنها لا يمكن أن يحقق تقدماً على يوستل دون الاستعانة بمخطوطة مَشَكَّلة تشكيلاً صحيحاً، ولما لم تكن هذه الوسيلة المعينة في مقدوره، أقلع عن خطته في أن يكتب نحواً عربياً، في صورة

(١) يورد شنورر (Schnurrer) العناوين الدقيقة لكلا الكتابين (اللذين لم يتوفرا لي) في: **Bibliotheca Arabica.**

(٢) طبع أخيراً لدى ليفي دي لافيدا (**Levi Della Vida) Ricerche etc. 293 f.**

يعتمد فيها على نفسه، غير أنه لم يَدَعْ فرصة إلا وينوه فيها باستمرار إلى حتمية الدراسات العربية، وكشف خطاب وجهه إلى سكاليجيه[1] في هـذا الشـأن سـنة ١٥٨٥م من هايدلبرج حيث كان قد عاد إليها في تلك الأثناء أستاذاً / للعبرية، عن [٤٦] ذلك.

فحين ترجم سنة ١٥٩٠م كتاب «علم الفلك» للفرغاني (لـيس مـن الـنص العربي الأصلي وإنما من ترجمة عبرية لياكوب أناتولي) إلى اللاتينية[2]، اقتـرح في خطاب الإهداء الذي وجهه إلى الأمير يوهان كايزيمير (Johann Kaisimir) أن ينشئ كرسياً لتدريس العربية، وأن يدرس الفلسفة والطب من المصادر، ولأجل ذلك وضعت المطبعة الرومانية تحت تصرفه أجمل الطبعات، إذ تضـم مجموعـة بلاتينا Palatina تاريخ أبي الفداء، وكتاب (das Regimen Sanitatis) وقطعة من كتاب المجسطي، وتاريخ أبي الحسومي[3] ومخطوطات أخرى، ويمكن للمـرء أن يُعد بمعونتها معجماً وبناءً نحوياً تعليمياً، تحلل فيه الجذور تحليلاً منهجياً، ثم يكون من المستطاع بعد ذلك دراسة العربية دراسة أساسية والتغلب على حفنـ من التحريفات التي تسربت إلى الترجمات.

بيد أنه قد لزم أن تنصرم سنون أخرى حتى يجد هذا الاقتراح صدى كمـا أن كريستمان نفسه قد كُلِّف قبل أربع سنوات من وفاته بأن يكون ممثلاً للعربية فـي جامعة هايدلبرج، وعمل إلى جانب كريستمان عالم لاهـوت آخـر مـن محـيط

---

(١) طبع في كتاب بيري بورمني:

Petri Burmanni, Sylloge epistolarum etc. Leiden 1797, t. II p. 318-321.

(2) Muhamedis Aljragani Arabis chronologica et astonomica elementa, Palatinae bibliothecae, veteribus libris versa, expleta, et scholiis expolita Additus et commentarius .. autore M. Jacob Christmanno.. Francofurdi 1590.

انظر أيضًا ليفي دي لافيدا في: Ricerche etc., 331 f.

(٣) أي تاريخ المكين، انظر ليفي دلافيدا في:.Ricerche etc. 295

هايدلبرج، الراهب روتجر شباي (Ruthger Spey) الذي عمل في شوناو (Schōnau) القريبة منها، بالترجمة العربية للكتاب المقدس التي وقع عليها صدفةً حين كان ينظم بتكليف من الأمير الكتبَ التلمودية في مكتبة هايدلبرج، ونشر من مخطوطة بوستل المذكورة مراراً رسالة جلتر (Galater) سنة ١٥٨٣م(١). وألحق بها الوصايا العشر، وشهادة الاعتقاد والصلاة الربانية وأقوالاً [٧/ أخرى من الكتاب المقدس / وحفر النص العربي على الخشب، والمختصر العربي المترتب بعناية في نهاية العمل هو إلى حد ما مستلة فعلية من نحو بوستل، أخفى فيه اسمه بعناية، حتى في المقدمة، حيث عدت مخطوطات الأمير العربية ثروةً:

(qui non sine magis sumptibus e ipsis quasi terrarum finibus adnos comporatus est)

وبينما مارس كريستمان العربية من أجل النفع في المقام الأول حيث استطاع أن يقدم الطب العربي والتراث القريب منه، جعل شباي (Spey) فكرة التبشير هي الأساس، وأوصى بإنشاء مطبعة عربية لطبع الكتاب المقدس باللغة العربية – كما فعل هذا فرديناند بالعهد الجديد السُرياني لفيد مانشتتر (Widmannstetter) وإرسال النسخ إلى الشرق، حتى يستطيع سكانه أن ينهلوا من الدين الحق، وأن يستشعروا النور الحقيقي للإنجيل، بيد أنه لم تحقق هذه الاقتراحات نجاحاً، لأنه ليس هناك من الأمراء الألمان الذين أهداهم شباي عمله من فكَّر في أن ينفق مالاً لحروف الطباعة العربية.

---

(1) Epistula Pauli ad Galatus, item sex primaria capita christianae religionis Arabice, quibus ad finem adjunctum est compendium Grammatices Arabicae.

المؤلف روتجر شباي .. (في الخاتمة)

Heidelbergae, Excudebat Jacob Mylius 1583.
Schnurrer, Bibliotheca Arabica 339 ff.
Levi Della Vida, Ricerche etc., 328و

١٢- جوزيف سكاليجيه

يعد جوزيف سكاليجيه Joseph Scaliger (من ١٥٤٠ إلى ١٦٠٩ م) في فرنسا أحد أولئك القلائل الذين عَرَّفهم بوستل بالعربية؛ فلم تتوسم فيه الفيلولوجيا الكلاسيكية واحداً من علمائها الكبار فحسب، بل إنه لم يكن لـه بـين معاصـريه كمستشرق نظير أيضاً، عايش سكاليجيه بغية تعلم العربية أستاذه غريب الأطـوار بعض الوقت في أثناء سنة ١٥٦٢م، ويمكن أن يعـد الإرث الحقيقـي للمعرفـة الممتدة التي اكتسبها بوستل في اللغات المختلفة، ومن البديهي أنه سُـرعان مـا لاحظ أن بوستل لم يكن راسخاً في العربية على النحو الذي أراد أن يقنعنا به، ولم يتمكن على الإطلاق من أية لغة تمكنا تاماً حقاً.

(Postellus excellens philosophus, cosmographus, mathematicus, historicus, stultus, linguarum, non ignarus, sed nullius ad unguem peritus) (بوستل فيلسوف وجغرافي ورياضي ومؤرخ...رائع)

ويُجمل بهذه الكلمات في أول مجموعة من أقواله حكمه فيه[1]. ولـم يخـفَ عليه أيضاً أن نحو بوستل في الحقيقة / قد ترجم عن النحاة العرب[2]، ولم يَغِـبْ [٤٨] عن بصيرته أن قرابة العربية من العبرية تيسر لمن يعرف هذه اللغة كل مـدخل إلى أي منها، ولكنها لا تفيد في التعمق الشديد فيها، بل إنه بالإضافة إلى ذلك ثمة حاجة إلى وسائل مساعدة أخرى[3]، كما أنه لم يشاطر إلى حد ما اعتقاد بوسـتل

---

(1) Scaligerana I s. v. Postellus.

(٢) تحدث عن ذلك في خطاب طبع في كتابه:

Opuscula, Paris, 1610, p. 461.

وبعد ذلك في كتاب فايل:

G. Weill, De Guli. Postelli vita et indole, s. 102: (Grammaticarn composuit ex vulgaribus Arabum magistrorum praeceptionibus collectam, ut non nisi interpretis vice functus sit).

(3) Jos. Scaligeri Epistolae omnes, lugd. Batav. 7627, P. 208. =

الخيالي في حكمة الشرق الصوفية: فقد أدرك أنه لم تكن كل الحكمة لدى الكلدانيين وفي الشرق، وأن أهل الغرب أو الشمال أناس حكماء أيضاً(1).

بيد أن تحمس أستاذه للتبشير كان غريباً عنه كل الغرابة، وكان بينه وبين كل فكرة تميل إلى تسخير معرفته اللغوية في خدمة الدين المسيحي بون شاسع. فلا تعنيه إلا الحقيقة التاريخية، وقد صادفت أبحاثه وضعاً مناسباً، ومن ثم أقبل على أن يؤكد الحقائق مستعيناً بكل ما لديه من وسائل على نحو واقعي وغير متحيز.

وأبرز مثال على ذلك مؤلفه الأساسي **de emendatione temporum**(2). «حول تهذيب التاريخ» ثمرةُ شغوفٍ بالعلم، نمت خالية من أية إصابة، وليدة كل فلسفة لديه.

والحق أنه قد ثبت لديه بصورة واضحة أيضاً بضع أمور، وهي لم يعد ممكنا التأكد من تواريخ أحداث تاريخية عالمية مثل الحرب على الأراضي الكتالونية وانتصار شارل مارتل (**Karl Martell**) على السراسنة (المسلمين)، أو حتى استيلاء العثمانيين على القسطنطينية ظل إلى وقت متأخر جداً موضع خلاف على مر الأيام والسنين(3).

غير أن سكاليجيه لم يجمع تواريخ كل البلدان وعصورها التي توصل إليها، ورتبها ووصفها / وربطها بسنة التقويم الجولياني، وجعل استخدام ممكناً بصورة [49] عملية من خلال تزامن منهجي فحسب، بل أمكن من خلال جلاء قانونها الداخلي

= اقتبس من كتاب ياكوب برناي (**Jacob Bernay**):
Joseph Justus Scaliger, Berlin 1885, S. 123.

(1) **(Non omnis sapientia penes chaldaeos et Orientem fuit. Etiam Occidentis aut Septembrionis hominess fuerunt ἣoyεxà Ϲῶa, (De emendatione temporum, ed. III, 1629, P. 172.** في نقد التقويم الساساني

(2) ظهر أولاً سنة ١٥٨٣، ثم زيد ونقح بصورة كبيرة سنة ١٥٩٨ ومرة أخرى أخيراً بعد ١٦٢٩، وأنقلُ عن الطبعة الثالثة.

(3) انظر مقدمته للكتاب الخامس.

من أن تفهم العصور والأزمنة على أنها روح التاريخ، وارتفع بذلك التاريخ من مرتبة المهارة العملية إلى مرتبة النظام العلمي، وسَخَّر لعرضه الذي يرقى إلى درجة النظرة العلمية كل وسيلة متاحة له؛ فقد استعان بالتراث اليوناني واللاتيني واستفاد من نقوش مثل نقش: Monumentum Arcyranum (P. 449 b) الذي كشف عنه بوسبك (Busbeck) والجزء اليوناني من النقش ثنائي اللغة اليوناني - التدمري من روما (P. 427 b)، وسخر على سبيل المثال عرض الأسكندر ذي القرنين على العملات اليونانية لشرح مصطلح (ذو القرنين) (P. 425)، وكان متمكناً من تواريخ العصور الوسطى، وتَتبعَ بوله المشكلات التاريخية في التاريخ الفرنجي المبكر، ويعلم جيداً أيضاً التراث المعاصر له، فقد كان على علم برحلات الاستكشاف، للأسبان والبرتغاليين قدر علمه بأخبار مبشريهم عن الهند الأدنى والصين وأمريكا، ويعرف كذلك رحلات الرحالة البندقي ماركو بولو، ويقدر كتاب ليو الأفريقي Descrittione dell' Africa، وقرأ تقرير رحلة بنيامين فون تودلا (Benjamen von Tudela) في ترجمة لاتينية أعدها أرياس مونتانوس (Arias Montanus)، واستفاد من كتاب ف. الفارتس Fr. Alvarez (Itinerre) «فهرس الدروب والمحطات» عن رحلته إلى الحبشة، واقتبس رسالة وصف فيها البرتغالي اليسوعي الواسيوس فوريس (Jesuit Aloisius Fores) (Luis Foris) رأس السنة الياباني (P. 118 d)، واستقى التقويم المكسيكي من تاريخ الهنود الحمر Historia de las Indias لليسوعي فرانك لوبيز جومارا (Franc. Lopez Gomara). يضاف إلى ذلك الغزارة المتنوعة للمصادر الشرقية، التي استطاع أن يستفيد منها بفضل معارفه اللغوية المتشعبة، ومَكَّنه اطلاعه على تراث الربانيين من أن يستقي من المشنا (Mischna) والمؤلفات الدينية لموسى بن ميمون Maimonides ويوسف بن آشر، وشروح الكتاب المقدس لداود كمشي وابن جرسون وآراما أو الطقوس الدينية للجماعات اليهودية في فرنسا وتقاويمها.

وكانت الترجمة الآرامية للعهد القديم، المسماة (الترجوم) متاحة له، وكذلك العهد الجديد بالسريانية (P. 549 b). وفهم الإثيوبية بدرجة كافية تمكنه من خدمة العهد الجديد الذي ظهر بهذه اللغة سنة ١٥٤٨م، ومعرفة أن النص الذي تقدمه في تاريخ الرسل / ليس أصلياً، وإنما يرجع إلى الناشر بطرس أثيوبس [٥٠] (P. 682 a) (Tasfā Şejon) Petrus Aethiops. وامتلك من الترجمات العربية في مجموعته من المخطوطات الشرقية التي أوصى بها إلى مكتبة ليدن، ثلاث نسخ مختلفة (P. 240 b, 505 d, 553 d). ولما كانت وسائله في مجال الاستشراق غير كافية وقاصرة فقد استفاد منها أفضل استفادة ممكنة، وأدرج بالإضافة إلى ذلك، حين لم تفِ المواد المتاحة له بأهدافه إطلاقاً، استطلاعات شخصية، ومن ثم كان يراسل الأب اليعقوبي اجناتيوس الانطاكي Ignatius von Antiochia، الذي كان سنة ١٥٧٧م في روما في مفاوضات اتحاد الكنائس(١)، واهتم بالمسائل التاريخية اهتماماً شديداً، وفي الواقع يجب أن نتذكر هنا أن كتاب سكاليجيه عالج موضوعاً ذا أهمية عملية كبيرة آنذاك لأن الإصلاح الذي ابتكره الويسيوس ليليوس (Aloisius Lilius) لتصحيح التقويم الجولياني، وقبول البابا جريجور (Gregor) إياه، وإدخال ما يسمى بالتقويم الجريجوري قد جذب إلى حد بعيد متجاوزاً الوسط المتخصص الضيق انتباه جمهرة الناس إلى هذا المجال، وأفضى إلى مناقشات حية.

ويورد سكاليجيه في مواضع عدة من مؤلَّفه معلومات في نص عربي أصلي، يرجع الفضل فيها إلى ذلك الرجل الثقة الذي قُرِّظ بأسمى عبارات الاحترام؛ وتعود إليه على سبيل المثال أسماء الحيوانات الاثنا عشرة الخاصة بمدار السنة في الشرق الآسيوي(٢)، التي أوردها سكاليجيه بالسريانية والعربية والتركية والفارسية وفي لغة «الشاتاي والياجوري» Chatai et Jeguraei وشرح

---

(١) ليفي دلافيدا .Levi Della Vida, Ricerche etc., 201, I

(٢) انظر: .Chavannes, T'oung Pao, 2me Série, t. VII 1906, P. 51 ff

«تاريخ الشهداء» Aera martyrum (P. 495. sq)(١). واتجه سكاليجيه أيضاً إلى السامريين في نابلس والقاهرة(٢)، فأرسلوا له من القاهرة تقويماً لسنة ١٥٨٤م طَبَعَه في مؤلَّفه (ص ٦٥٧- ٦٦٩)(٣) بحروف سامرية، وبعد أن يعترف صراحة بعيوب هذه المحاولة الأولى / وأن ينبه زائري فلسطين في المستقبل إلى [٥١] أن يتوجهوا إلى مؤلَّفات السامريين وأن ينقبوا عن أسفار موسى الخمسة الخاصة بهم. وحصل أيضًا من القاهرة عن طريق تاجر إيطالي (P. 704 a, 240 c) على ملحوظات قسيس أثيوبي على تقويم الكنيسة الأثيوبية والقبطية والأنطاكية. وعلى الرغم من أنه شكا من جهل هذا الرجل الثقة وإهماله مراراً فإنه قد اعتمد في عرضه لمسألة التقويم في الكنائس الثلاثة المذكورة على معلوماته في الأساس. ويُرجع إليه سكاليجيه الفضل في التقويم الأثيوبي الذي نقله بلغته الأصلية وكتابة صوتية عبرية مع ترجمة لاتينية وملاحظات مسهبة في عمله (P. 670 sq.)، إلا أنه يلتمس أيضاً أن يتجاوز القارئ عن أوجه السقط والسهو، وقد نقل له هذا القسيس أيضاً تقويم الكنيسة الأنطاكية لسنة ١٥٧٨م (P. 718 a)، الذي نقله إلى نص عربي أصلي (محفور في الخشب)، وأرفقه بترجمة لاتينية وهوامش (P. 708- 720).

وكان وقوفه على الحساب الإسلامي للزمن أكثر صعوبة عليه، حقاً لقد عرف مؤلفات أبي معشر والقبيصي والبتَّاني في ترجمات لاتينية، وجداول الفونس

---

(١) يطلق عليه سكاليجيه في الموضع المكتوب سنة ١٥٩٦: μακαρίτης وكان اجناتيوس قد مات آنذاك.

(٢) نشر س. دي ساسي رَدَّيْن، وجههما ممرضو نابلس في سنة ١٥٩٠ إليه، ولكنه لم يحصل عليهما في:

m Repertorium für Biblische und Morgenland. Litteratur XIII, 1783, 57- 277. مع ترجمة لاتينية

(٣) انظر أيضاً ص ١١٥

أيضاً، غير أنه لم يتوفر له باللغة الأصلية، باستثناء القرآن الذي قرأه، إلا بضع أعمال متأخرة[١]، لا تفي بأهدافه إلا بقدر ضئيل، وذات مرة وفق في الحصول على تقويم فارسي عجيب، ولكنه بذل جهداً دون جدوى في سبر طبيعته، وحين أوضحه له في تولوز (Toulouse) سنة ١٥٨٣م راهب بندكتي كان مسلماً من قبل، ويتحدث بلغة عربية سليمة، لم يجد أية معلومة مرضية، ولم يوفق مع ذلك في أن يقدم تصوراً صحيحاً للتاريخ الهجري ولتواريخ إسلامية يمكن أن تحول إلى تواريخ وفق التقويم الجولياني، واستطاع أن يثبت أخطاء كثيرة في المقابلات الزمنية التي قدمها ليوكلافيوس في (Annales Turcici) ومارتن كروسيوس في (Turcograecia) دون أن يمس بذلك على أي نحو أفضال كلا الرجلين الذين كان يعرفهما معرفة تامة. (P. 764 a. c). ويبين كذلك أنه كان على علم جيد بإصلاح تقويم السلطان السلجوقي الب أرسلان والتأريخ الجلالي المشهور بعده.

[٥٢] بيد أنه بينما / يتفتح أمام أعين القارئ خلفيات تاريخية كثيرة خفية بين تاريخ العصور القديمة وتأريخ العالم المسيحي فإنه ما يزال يحجب ماضي الشعوب الإسلامية ضباب كثيف، لم تستطع أن تخترقه النظرة المتفردة لسكاليجية الباحث أيضاً.

ويشهد له شرح مانيليوس Manilius kommen_tar[٢] أيضًا الذي ظهر أولاً سنة ١٥٧٩م ثم سنة ١٦٠٠ في صورة منقحة، الذي يشير سكاليجيه فيه إلى علمي الفلك والتنجيم اليونانيين بإيجاز، متجاوزًا المهام اللاحقة لتفسير

---

(١) على سبيل المثال عملٌ في الجغرافيا يورده مراراً (ص ٣٩٩ جـ و٤٥٠ أ، و٦٢٢ ب وجـ، ود، و٦٦٣ جـ).

(٢) اقتبس عن الطبعة الثالثة الأخيرة التي صنعت باستخدام النسخة الخطية لسكاليجيه:
Marci Manilii Astronomicona Jos. Scaligeroex uetusto codice Gemblacensi infinitis mendis repurgatum. Eiusdem Jos. Scaligeri notae, quibus auctoris prisca astro.logica explicatur.. Argentorati 1655.

الشعراء بدراسات استشراقية موسعة، ويعالج هناك على سبيل المثال في ذيل de quarundam stellarum arabicis appellationibus ص٤٢٨ – ٤٤٢، ويقدم الأسماء العربية والعبرية لرموز البروج (ص٤٥٩) والكواكب (ص٤٦٠).

ويورد نقلاً عن ابن عزرا رشيت حُكْماً ووصفاً لقُبَّة السماء الفارسية والهندية والبربرية، حيث أعاد وضع أسماء النجوم اليونانية التي أزيلت عن عمد في مسودته (ص ٣٣٦- ٣٤٧)[1].

وقد تابع سكاليجيه الدراسات الشرقية إلى العمر الذي كان على وعي فيه بحدود معرفته ومعلوماته أيضاً في هذا المجال الصعب، وهو يعد لذلك بحق رائد مستشرقي عصره، وقد فاقه في مجال فقه اللغة العبرية فقط الذي احتل مركزاً متميزاً من خلال ربطه بعلم اللاهوت، معاصره الشاب بوكستروف (Buxtrof)[2]، الذي لم يكن متمكناً من تراث الربانتة بأكمله فحسب، بل لأنه أول من انفصل عن أسر النحو اليهودي، ودرس اللغة العبرية بروح الحركة الإنسانية وفق أسس منهج فيلولوجي سليم، واعترف معاصرو سكاليجيه بأهمية طالما لم يُعم / الحقد [٥٣] العقائدي ضد البروتستانت أبصارَهم، وقد وقره توماس اربنيوس (Thomas Erpenius) الذي أرسى بعد موت سكاليجيه بسنوات قليلة فقه اللغة العربية على أساس متين لنحو منهجي، واعترف بلا حسد بأفضال سلفه، وأطلق عليه رائد الدراسات العربية (Primus Arabisantium).

---

(١) انظر أيضاً: Franz Boll, Sphaera, S. 412, 419.
نقل يوهان باير (Joh. Bayer) في كتابه Uranometria جزءاً من أسماء النجوم هذه عن شرح مانليوس لسكاليجيه (Boll, Sphaera 450 f) وصار بذلك مألوفاً بوجه عام.

(2) E. Kautzsch, Johannes Buxtorf der Ältere, Basel 1879.
خطاب افتتاحي لمدير الجامعة؟

١٣- بدايات الطباعة العربية

إن مما أثَّر في حركة الدراسات العربية تأثيراً معوقاً للغاية أنه حتى نهاية القرن السادس عشر الميلادي، لم تتوفر في أية مطبعة تقريباً حروف طباعة عربية، فإذا ما أُريد استنساخ نص عربي فيجب أن يلجأ المرء إلى حفر الحروف على الخشب، ولما لم يتوفر أي خطاط شرقي، يَخُط المسودات نفسها بحروف مستوية، مثلما عثر بوستل على فاعل بر؛ فمن ذلك الذي سيدفع تكاليف عمل حروف عربية؟!. وهكذا لم تتحقق أية نتيجة أفضل: فالحروف التي صنعتها يد غير خبيرة بها لم تؤدِ عند جمعها إلى كل متناسق. ومن ثم فإن تقدماً كبيراً قد وقع حين أنشأ في الثمانين من عمره في روما الكاردينال ودوق توسكانا العظيم فيما بعد، فرديناند فون مديتشي (Ferdinand von Medici) مطبعةً، هيأت حروفاً عربية جيدة[1]. وعلل هذا الإنشاء مرة أخرى بطموح المجلس الملي إلى الاتحاد، وكان هذا الطموح في عهد جريجور الثالث عشر (Gregor XIII) (من ١٥٧٢ إلى ١٥٨٥) بصفة خاصة محبباً إليه[2].

ومن ثم أرسل المالطي ليوناردو أبل (Leonardo Abel) سنة ١٥٨٣م إلى الشرق للتفاوض مع الكنائس الشرقية، وسنة ١٥٨٤م للموازنة والأرمن الذين أدرجوا في المجمع الذي عُرف باسم (Collegium Neophytorum) (أي اليهود والمسيحيون الشرقيون) الذي أسس سنة ١٥٤٢[3] لكل طائفة مجمعاً

---

(١) حول طبعة كتاب «البستان في عجائب الأرض والبلدان» لسلامش بن كُندُغدي الصالحي، لم يتبق كما يزعم إلا في نسختين، ظهرتا سنة ١٥٨٥م في روما في مطبعة دومنشوباسا، انظر أخيراً:

C. A. Nallino in den Rendiconti della R. Accad Naz. dei Lincei, s. VI, vol. VII, 1931, 340.

(٢) انظر حول: G. Beltrami, La Chiesa caldea nel secolo dell Unione (Orientalia Christiana XXIX, n. 83). Roma 1933.

(3) Th. Hoffmann, Ursprung u. Anfangstätigkeit des ersten päpstliche

جديداً.

وكان مدير / مطبعة مديتشي إيطالي شاب من كرمونا هو جيوفاني باتستا [٥٤] ريموندي (ريموندس) Giovanni Battista Ràimordi (Rymundus) عاش في آسيا مدة طويلة وفق شهادة أربنيوس[١]. ومن المحتمل أنه قد تعلم العربية هناك، بيد أنه قد سبرغور الخصائص الحقيقية للخط العربي التي مكنته من أن يصمم ويحفر الحروف العربية المنفصلة والحروف المتصلة من اليمين أو من اليسار أو المتصلة من الناحيتين، فتتابعت عند جمعها باليد وشكلت صورة خط أو كتابة مقروءة. ومنذ السادس من سبتمبر سنة ١٥٨٦م[٢] وضع حرف طباعة رشيق طبع به أهم وأضخم إنتاج للمطبعة وهو كتاب «القانون» لابن سينا (Avicennas Kanon). وظهر نتيجة للضخامة غير العادية لهذه الموسوعة الطبية التي أرفق بها كتاب «النجاة» للمؤلف نفسه، هذا الكتاب الضخم الذي يزيد على ألف صفحة سنة ١٥٩٣م أيضاً[٣]. وفي أثناء ذلك الوقت خرجت عن المطبعة مؤلفات قصيرة أخرى: أولاً سنة ١٥٩٠م[٤]، الأناجيل الأربعة بالعربية، تلاها سنة

Missioninstitutes, Ein Beitrag zur Geschichte der Katholischen Juden und Mohammedanermission in 16 Jahrhundert (Missionswissenschaltl. Abhandlungen u. Texte IV), لم يكن متاحاً لـي Münster, 1923.

(١) في: Oratines tres, 1621, P. 74

لم يتوفرلي، وأقتبس عن شنورر في: Schnurrer, Bibliotheca Arabica 22.

(٢) كما لدي: Schnurrer, Bibliotheca Arabica 22 Caeser Malanima, in Lettera del Canonico: Ang.Mar. Bandini sopra i principi e progression dela biblioteca Laurenziana, Firenze, 1773, 12. "

(٣) انظر: Schnurrer, a. a. O, 447- 451, Nr. 393.

(٤) يوجد على صفحة الغلاف سنة ١٥٩٠م، وفق شنورر في الكتاب السابق ٣٤٣، رقم ٣١٨، وعلى العكس من ذلك في التوقيع سنة ١٥٩١م وقد قرر شنورر ذلك أيضاً، ويجوز أن تشير قرينة لسنة ١٥٩٠ وهي أن كرستمان في إهدائه الذي كتبه في العام ذاته الذي=

١٥٩١م طبعة للترجمة ذاتها مع نص لاتيني مقابل لها[١]، ونُشر سنة ١٥٩٢م مختصران من المختصرات النحوية المفضلة في الشرق: كافية ابن الحاجب[٢]، والآجرومية لابن / آجروم[٣]. وظهرت بالإضافة إلى ذلك سنة ١٥٩٢م مستلة عرفت باسم خطأ جغرافية النوبة: Geographia Nubiensis[٤]، وهي من كتاب نزهة المشتاق في الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق[٥]، للإدريسي المعروف باسم كتاب روجر.

وفي سنة ١٥٨٨م حصلت المطبعة من السلطان مراد الثالث على امتياز يجيز لها توزيع الأصول الهندسية لإقليدس في ترجمة عربية للطوسي في أنحاء الإمبراطورية العثمانية، ولم يطبع هذا العمل إلا في سنة ١٥٩٤م[٦].

ويشكل كتاب «Brevis orthodoxae fidei profession, quae ex praescripto Sanctae Sedis Apostolicae ab orientalibus ad Sacrosanetae Romanae ecclesiae unitatem venientibus facienda proponifur» الخاتمة، مع ترجمة عربية – ظهرت منفصلة أيضًا، أنجزها المسيحي التونس الأصل دومنيكو سيرلتو (Dominke Sirleto)[٧] وبعد هذه

= صدّره ترجمته اللاتينية لكتاب الفرجاني. يذكر الكتب الرائعة elegantissimi libri لمطبعة مدتيشي التي لم يعرفها بكل تأكيد من خلال السماع فحسب.

(١) نسخ هذه الطبعة تشير إلى كل صور الانحراف، التي وصفها شنورر بدقة: Schnurrer, a. a. O. 344- 351.

(2) Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 22, Nr. 42.

(3) Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 23, Nr. 43.

(٤) ويرجع الغلط إلى الخطأ المطبعي (أرضنا) بدلاً من (أرضها) الذي يوجد في الطبعة الرومانية عند وصف منابع النيل، انظر: Seybold, EI, II, 481.

(٥) انظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 167- 169, Nr. 187.

(٦) انظر: 458- 459 Nr. 401.

(٧) انظر: Schurrer, Bibliotheca Arabica, 239 - 440 Nr. 239، عن د. سيرلتو انظر: Leui della Vida, Ricerche etc. 230, 404, ff., 429 ff. ظهرت طبعة=

الطبعة حدثت فترة توقف طويلة بناءً على أمر أصدره كلمينس الثالث (Clemens' VIII) (١٥٩٢ – ١٦٠٥م).

وربما كان ذلك بسبب أن توزيع النسخ المرسلة إلى الشرق لم يوائم بأية حال من الأحوال التوقعات المرتقبة. فقد كان ينبغي أن تصل كل الطبعات – ما دامت لم تكن ثنائية اللغة، ومن ثم لم يستخدمها مثقفو الكنيسة الرومانية – إلى يد الشرقيين، إذ لم تضم أية إضافات إلى النص العربي إلا صفحة العنوان باللاتينية باستمرار، ولم يَحُلْ دون انتشارها في الشرق إلا الأخطاء المطبعية وأوجه سهو أخرى، مثل التي شَوَّهَت صفحة عنوان كتاب «القانون» لابن سينا[1] وكتاب «الأصول» لإقليدس[2]، حيث قوبل كل ما هو غربي بعدم ثقة كبيرة.

بيد أن البابا باول الخامس (Paul V) (١٦٠٥– ١٦٢١) هيأ من جديد السبيل لإصدار / كتب شرقية، إذ ينبغي أن تُهَيأ الوسائل المعينة على دراسة [٥٦] اللغات الشرقية، مثل كتب النحو والمعاجم[3]. وحين نشر رايموندي (Raimondi) سنة ١٦١٠م لذلك مختصراً نحوياً ثالثاً، هو تصريف العزّي[4]، أرفق النص المقسم إلى فقرات ترجمة لاتينية حرفية وأخرى بتصرف. وكانت هذه آخر طبعة عربية للمطبعة المشهورة حيث وافت رايموندي المنية سنة ١٦١٤م،

= أخرى في روما سنة ١٦٣٠. (Schnurrer, Nr. 245) وطبعة مصححة في روما سنة ١٦٤٨ (Schnurrer, Nr. 245) جعل مارتشي (Marracci) الأخيرة ذيلاً للجزء الثالث من كتابه: Proelromus ad Refutatione m Alcorani.

(١) كتاب القانون في الطب لأبي علي الخ.

(٢) كتاب تحرير أصول أوقليدس من تأليف خوجه نصر الدين الطوسي.

(٣) انظر: معلومات شنورر في: Bibliotheca Arabica 26.

(٤) كتاب التصريف تأليف الشيخ الإمام: liber Tasriphi compositioest Senis Alemami

انظر الوصف الدقيق لدى شنورر في: Bibliotheca Arabica 25- 27, Nr. 47.

غير أن تلميذه اسطفانوس باولينوس (Stephanus Paulinus) قد أكمل تقاليد ورشته (مطبعته)، فأحيا بمساعدة سفير فرنسي (١٦٠٨- ١٦١٤م) إلى المجلس الملي الكنسي وهو فرنسوا سفاري دي بريفيه Francois Savary de Brèves مطبعة شرقية جديدة في روما، سرَّ إنتاجها عين الناظر من خلال جمال حروفها العربية ورشاقتها[١].

وقد أراد سفاري (Savary) بذلك أن يشجع طموحات الكنيسة الكاثوليكية إلى الاتحاد بروح سياسة فرنسا التقليدية في الجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط، التي قد مثلها سنوات طوال سفيراً لدى الباب العالي، وظهرت سنة ١٦١٣م على نفقته الترجمة العربية لكتاب قواعد الدين المسيحي Katechismus للكاردينال بلمرين (Bellarmin) مع ترجمة لاتينية للنص الأصلي الإيطالي[٢]. وسنة ١٦١٤م سفر المزامير (Psalter) بالعربية واللاتينية[٣]. وشارك في الطبعتين مترجمان اثنان من الموارنة هما فيكتور سكيالاك أكورينسيس (Victor Scialac Accurensis) الذي درس العربية منذ ١٦١٠م في ثانوية سابينتيا (Sapientiae)[٤]، / وجابريل سوانيتا (Gabriel [٥٧]

---

(١) انظر حول حروف سفاري العربية البحث المستفيض لشنورر في:
Bibliotheca Arabica, 500- 506.

(2) Doctrina Christiana Roberti .. Bellarmini, nunc primum ex. Italico idiomate in Arabicum iussu .. Pauli V. P. M. translata per Victorium Scialac Accurensem et Gobrielem Sionitam Edeninsem .. munificentia .. Franc. Savary de Breues .. ad fidei propagationem et Oreintalium Christi- anorum commodum. Romae ex typographia Savariana excudebat Stephanus Paulinus MDCXIII. S. Schnureer, Bibliotheca Arabica, 241, Nr. 242.

(3) Liber Psalmorum Davidis regis et prophetae, ex Arabico idiomate in Latinum translatus a Victorio Scialac et Gabriele Sionita Endeniensi Maronitis. Romae extypographia Savariara r614. Nach Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 357 – 359. Nr. 324, gibt es auch Exemplare ohne den lateinischen Text. (توجد أيضاً نسخ دون النص اللاتيني)

(4) Schnurrer,Bibliotheca Arabica, 35 f. =

.(Soinita

وحين عاد سفاري إلى باريس سنة ١٦١٥، أخذ معه حروفه العربية وعمل لاسطفانوس باولينوس مطبعة للغات الشرقية، وظهرت فيها في السنة ذاتها الاتفاقية التي أبرمها سنة ١٦٠٤م باسم هنري الرابع Heinrich IV مع السلطان أحمد الأول(١).

وبالإضافة إلى ذلك كان يرافق سفاري، جابريل سوانيتا وماروني آخر هو يوهانس هسرونيتا (Johannes Hesronita) نشر كلاهما على نفقته سنة ١٦١٦م كتاب نحو العربية المارونية: Grammatica Arabica Maronitarum، الذي لم ينته منه حقيقة إلا الجزء الأول الذي يعالج علم الخط (قواعد الكتابة)(٢). وترجما بعد ثلاث سنوات بإيعاز من ثوانوس (Thuanus) جغرافيا النوبة: Geographia Nubiensis إلى اللاتينية(٣).

وحفَّزت الحروف العربية الرشيقة لمطبعة مديتشي إلى تقليدها في مكان آخر، فصنع على مثالها فرانسيسكوس رفلنجيوس (Franciscus Raphelengius) (١٥٣٩- ١٥٩٧م) في هولندا حروفاً عربية تقل في جمالها - بداهة - الحروف الرومانية بدرجة كبيرة، غير أنه طبع بها الأبجدية والمزمور الخمسين كتجربة(٤). في حين نشر ابنه بعد وفاته بست عشرة سنة معجمه العربي الضخم.

وكانت الحروف التي حصل عليها الكتبي الباريسي وليام لبه (لابيوس)

= يعرف عنه أيضاً كتاب خط عربي موجز (Introductio ad grammticam arabicam) سنة ١٦٢٢م، و: Alphabetum Arabicum على طبعة من ورقة واحدة سنة ١٦٢٤م.

(١) انظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 505.

(٢) انظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 29. Nr. 50.

(٣) انظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 168.

(٤) انظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 23, Nr. 44.

Wilhelm Lèbe (Labbaeus) سنة ١٦٠٠م أكثر رشاقة حقيقة. غير أنه استخدمها أيضا، على ما يبدو لطبعة تجريبية ومواضع عربية قليلة في المجموعة الثانية التي ظهرت ١٦١٠م من مؤلفات مختصرة لسكاليجيه وهي: Opuscula Varia[1]. وأخيراً في ألمانيا، حيث كان نداء شباي (Spey) إلى الأمراء بإنشاء مطبعة شرقية لم يلق أذناً صاغية، حفر بيتر فون زيلاو (Peter von Selau)، وصب حروفاً عربية لطبيب من بريسلاو؛ بيتر كيرستن (Peter Kirsten) (١٥٧٥- ١٦٤٠م) على نفقته، ولم تكن – حقيقة – في جمال الحروف الرومانية غير أنها كانت صافية وواضحة، وطبع بها من سنة ١٦٠٨م إلى ١٦١١م سلسلة من الأعمال؛ منها كتاب في نحو العربية في ثلاثة / أجزاء يضم الأخير نص [٥٨] الأجرومية وفق الطبعة الرومانية مع ترجمة وهوامش لاتينية[2]. وأيضا جزء من المجلد الثاني من قانون ابن سينا[3]، ورسالة يهودا بالعربية وفق مخطوطة ذُكِرت مراراً لبوستل في مكتبة هايدلبرج[4]. وسير أصحاب الأناجيل الأربعة بالعربية وفق مخطوطة في مكتبة فيينا[5]. ومجلد كبير من هوامش حول إنجيل متى، استناداً إلى رواية عربية أساساً[6]. وقد درس كيرستن العربيةَ أساسا للاستفادة بها في تطلعه لدراسة أصول لمؤلفات ابن سينا وأطباء وفلاسفة آخرين في

---

(١) حول حروف لبه (Lebè) انظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 506- 512.

(2) Grammatices Arabicae liber I (II, III).
انظر: Sehnurrer, Bibliotheca Arabica, 24, Nr. 45.

(٣) انظر: Liber secundus de canone Canonis a filio sina, Schnurrer, a.a.O. 451, no. 394.

(٤) انظر شنورر في كتابه السابق ص ٣٥٤.

(٥) بتري كيرستني: Prtri Kirsteni .. Vitae Evangelistarum Quatuor; nunc primum. ex antiquissimo codice msso Arabico Caesario erutae. Ad Rudolphum II, Imperatorem. Cum privilegio. Breslae (1608).

(6) Notae in Evangelium S. Matthaei ex collatione textuum Arabicorum Breslae (1611).

نصوصها الأصلية التي لم تكن متاحة حتى ذلك الوقت الا فـــي ترجمـــات مليئـــة بالأخطاء لأنه حين كان طالباً للطب تلقى غالباً من أساتذته وجهة النظـــر القائلـــة بأن الطبيب الذي يرغب في أن يصير ممارساً جيدا يجب أن يكون في مهارة ابن سينا[١]. وقد قال له سكاليجيه إن الطبيب الحقيقي لا يمكن أن يصير كـــذلك دون معرفة اللاتينية، والعربية واليونانية أيضاً[٢].

بيد أنه لم تتح له إلا وسائل ضئيلة للغاية وقاصرة أيضاً. ولم تشجعه صحبة المشرقي المسيحي غير المثقف الذي يبدو أنه درس على يديـــه العربيـــة فتـــرة طويلة[٣]، إلا تشجيعاً محدوداً، فقد ظل غير خبير خصّص أوقات فراغه الضـــئيلة، التي سمحت بها مهنته لدراسة العربية، دون أن يمكنه تحمسه من أن يراهن على جوانب القصور في إعداده العلمي، / ومن ثم اتسمت أعماله بعيوب خطيرة، ففي [٥٩] كتابه في النحو وردت على سبيل المثال كل الأعداد تقريبا خطأ[٤]، وفي الســـورة الأولى ترجم (إياك) إلى (eho) [٥] والرئيس أبو علي إلـــى Princeps parties Ali[٦]. وبديهي أنه لم يلق مساعدة ملموسة من القيصر رودلف الثاني (Rudolf II) ولا من فريديش الرابع (Friedrich IV).

وأخيراً تحتم عليه أن يدفن في حسرة كل الآمال التي علقها على إصـــداراتها العربية. ورحل سنة ١٦٣٦م إلى السويد، مصطحباً معه حروفه العربية، وصـــار طبيباً خاصاً للملكة كرستين وأستاذ الطب في أوبسالا (Upsala)، وتوفى هنـــاك سنة ١٦٤٠م[٧].

---

(1) Grammatices Arabicae liber primus, S. 3.
(2) Grammatices Arabicae liber primus, S. 7.
(3) Multas enim D. Pauli Epistolas aliorumque Apostolorum scripta, Arabes habere dicuntur, quae nondum in aliis exstant linguis. Sic meus Praeceptor Arabs, ajebat, illis hac lingua scriptum esse, Concilium illud Apostolorum, Hierosolymis habitum, cuius mentio fit Actor. 15, et alia non pauca (Gramm. Arab. L. I, S. 5).
(4) Grammatices Arabicae liber II, p. 29 sq.
(5) Siehe A. Fischer, ZDMG 60, 249 f.
(6) Liber secundus de Canone etc., P. 9.
(7) SCHNURRER, Bibliotheca Arabica, 25; Eichhorn, Allgem. Bibliothek d. bibl. Litteratur VII, 1795, 16.

١٤- توماس اربنيوس

يجب أن تقيَم أهمية الدراسات الشرقية في هولندا تقييما مخالفا تماما، فقد بصرت التجارة الرابحة مع شرق الهند وغربها أهلها بفوائد معرفة لغات أجنبية. ووجدت هولندا آنذاك في توماس اربنيوس (فان اربه ١٥٨٤- ١٦٢٤م) عالماً، دُعي إلى وضع فقه اللغة العربية، من خلال كتابه في النحو العربي، في الغرب على أساس راسخ. ومنحه رجال بعيدو النظر، كانت إدارة جامعة ليدن في أيديهم الفرصةَ لأن يُظْهر مواهبه، فأوجدوا له فيها وظيفة أستاذ للغات الشرقية (باستثناء العبرية). فكان لهولندا الريادة في المنافسة بين الأمم الأوربية طيلة قرنين من الزمان تقريبا.

توماس اربنيوس (فان اربه)، المولود سنة ١٥٨٤ في جوركُم (Gorkum)، درس في ليدن علم اللاهوت، وكان سكاليجيه قد نصحه بدراسة العربية، غير أنه لم يجد الوسائل الملائمة لذلك في هولندا ولا في رحلة إلى انجلترا – حيث اشتغل وليام بدويل (William Bedwell) (١٥٦٢- ١٦٣٢م) بالعربية، بوصفه أحد الأوائل المهتمين بالعربية.

وحين ذهب إلى باريس في مطلع سنة ١٦٠٩م، قابله رجال استطاعوا أن يشجعوه تشجيعا حقيقيا في هذا الحقل الذي كان ما يزال غير ممهد آنذاك إلى حد بعيد، وعمل في جامعة باريس أستاذاً للعربية طبيبُ قصر هنري الرابع، اسطفانوس هوبرتوس (Stephanus Hubertus)، / الذي اكتسب معارفه [٦٠] اللغوية في الشرق، ومن بين أولئك الذين تعمقوا في العربية، تفوق أمين مكتبة الملك، اسحق كازوبونوس (Isaac Casubonus) (١٥٥٩- ١٦١٤) أكبر علماء عصره باليونانية القديمة، وعلامة ذو معرفة موسوعية (صديق سكاليجيه وأخوه في العقيدة أيضا).

وأبدى كازوبونوس ميلا عميقا إلى الهولندي الشاب الذي سرعان ما تعرف

موهبته اللغوية، وسمح له بصدر رحب باستخدام كتبه ومخطوطاته العربية، ومدوناته النحوية والمعجمية أيضاً، التي يقتنيها، ومن بينها تركه هدريانوس جوليلموس فلسينجنسيس Hadrianus Guilielmus Flessingensis، أحد طلاب الطب الشبان من فليسنجن (Vlissingen) الذي مات سنة ١٦٠٤م، فقد درس العربية دراسة جيدة، وقرأ كتاب (القانون) ابن سينا، وبدأ مع كازوبُنوس ترجمة جغرافيا النوبة Geopraphia Nubliensis وخلّف ملحوظات حول النحو العربي.

بيد أن اربنيوس قد سنحت له في باريس بصفة خاصة فرصة ممارسة المحادثة العربية مع اليعقوبي المصري، يوسف بن أبي ذقن (Yùsuf ibn abi Ḏaqan)[1] باللاتينية (Abudacnus Joseph Barbatus). وحقق فيها تقدماً سريعاً بحيث إنه بعد تسعة أشهر استطاع أن يكتب خطابًا بالعربية إلى بدويل (Bedwell) في ١٤ سبتمبر ١٦٠٩م، وإن كان به بعض الأخطاء[2](*). وكان علم اللاهوت مهماً بالنسبة إلى أنه ترك من أجله باريس في نوفمبر ١٦٠٩م، وسافر إلى سومور (Saumur) مدة عام.

وكان وقتئذ في الخامسة والعشرين ولما كان قد عاش عيشة ابن من بيت ثري في ظروف مريحة ولم يحتج إلى أن يساوره قلق بشأن المستقبل، فإنه قد

---

(١) ظهر كتابه: Historia Jacobitarum seu Coptorum in Aegypto .. habi tantium. في أكسفورد سنة ١٦٧٥م وفي لوبك ١٧٢٣ م وفي ليدن ١٧٤٠ م.

(٢) نشره م. ت هوتسما (M. Th. Houtsma).

v. M. TH. HOUTSMA, Uit de Oostersche Correspondentie van Th. Erpenius, Jac. Golius en Lev. Warner. Eene bijdrage tot de Geschiedenis van de beoffening der Oostersche Letteren in Nederland (Letter k. Verh. der Koninkl. Akademie van Wetenschappen te Amsterdam, Deel XVII, S. 121, bis 232), S. 126.

(*) نشره هوتسما M. T. Haustma (في أعمال أكاديمية العلوم في أمستردام جـ ١٧ ١٢٦).

أرقته بشدة مسألة أية وظيفة ينبغي عليه اختيارها، وأراد أن يقلع نهائيا حتى عن دراساته العربية لشك ضئيل في قدراته الخاصة. غير أنه انتهى إلى قرار، وهو أن يظل وفياً للعربية[1]. وحينئذ تعمق / في المختصرات النحوية التي وفرها له [٦١] هوبرتوس كازوبُنوس (الآجرومية، والكافية، والعوامل المائة للجرجاني، ومؤلفات مشابهة أيضاً). وبحث بالإضافة إلى ذلك في القرآن الكريم الذي استطاع أن يستخدمه في مخطوطة يقتنيها هدريانوس (Hadrianus)[2]، وفي جغرافية النوبة وترجمات المزامير والأناجيل أيضاً. وأدرك بنظرة ثاقبة لباحث لغوي موهوب ثراء صيغ العربية، وعرف قوانين بنائها، وأحسن بأن الاختلاف بين العربية والعبرية اختلاف مقنن، كما اتضح له التبادل الصوتي بينهما وفق قواعد ثابتة[3]. وتنبه إلى الفرق بين لغة الكتابة القديمة (الفصحى) واللغة المستعملة الدارجة، وقام – بإيعاز من كساوبنوس – بترتيب القواعد الأساسية بصورة موجزة في كتاب نحوي منظم تنظيماً منهجياً، وبعد ذلك جرّب موهبته في شرح نص نصحه كساوبنوس أيضاً بنشره: مجموعة مجهولة المؤلف مكونة من مئتي مَثَل عربي من مخطوطة دي فلورنس de Fleurance ، الذي صار فيما بعد مربياً للودفيج الثالث عشر (Ludwig XIII) حصل عليها في روما وأرسلها مع ترجمة لاتينية أعدها له ماروني، إلى كازوبُنوس.

وكان سكاليجيه قد ترجم الـ ١٧٦ مثلاً الأولى وشرحها، غير أنه مات سنة

---

(١) انظر خطابه من ساومور إلى كساوبنوس في ١ أبريل سنة ١٦١٠ م طبع في:
Is Casauboni Epistolae .. Curante TH. J. AB ALMELOVEEN. Roterodami 1709, P. 343- 346.

(٢) الآن في مكتبة بودليانا، انظر كتالوج: d. II, b, 65, n. XL.

(٣) يقول في الخطاب الوارد فيما سبق ص ٣٤٥ ب، يظن:
totum penè Hebraicum sermonem secundum quasdam leges in Arabicum transformari posse, etiam ubi nulla interdum videtur esse convenientia.

١٦٠٩م، وحل محله في نشرها آنذاك اربنيوس[١]. وقد توصل إلى أن المخطوطة ترجع إلى كاتب غير متعلم، وغيَّر التشكيل وفق قواعد النحاة ونموذج القرآن دون أن يصيب بداهة بشكل دائم، ووجد أيضاً في ترجمة سكاليجيه / كثيراً مما يجب [٦٢] إصلاحه[٢]. وبديهي أن معارفه ووسائله لم تكن كافية لفهم النص الصعب من جهة الموضوع والمروي أيضاً رواية رديئة، فهماً صحيحاً بوجه عام.

بيد أنه لم يتهرب من أية صعوبة، واعترف صراحة حين يظل موضع ما غير واضح له، ومن ثم تشكل طبعة الأمثال العربية: Proverbiorum Arabicorum Centuriae duae برغم كل ما فيها من عيوب وأخطاب لا يُتسامح في كثير منها الآن مع أي مبتدئ، علامة بارزة في تاريخ الدراسات العربية في الغرب بوصفها أول طبعة لنص تنشر وفق أسس منهج فيلولوجي.

وعاد اربنيوس سنة ١٦١٠م من سومور إلى باريس، غير أنه لم يعد يقابل كازوبنوس الذي انتقل إلى لندن بعد مقتل هنري الرابع، وحتى يستطيع أن يتم طباعة طبعته عن الأمثال العربية في هدوء، رحل في صيف ١٦١١م إلى

---

(١) وكتب عن ذلك في ٢ يوليو ١٦١٠ إلى كساوبنوس انظر: Casauboni Epistolae, p. 355. وظهرت الطبعة سنة ١٦١٥ تحت عنوان: كتاب الأمثال.

seu proverbiorum Arabicorum centuriae duae, ab anonymo quidam Arabe collecatae et explicatae cum interpretatione latina et scholiis los. Scaligeri Caes F. et Thomae Erpenii Leidae. Ich benutze die 1623 erschienene Editio secunda priore emendatior. Seihe Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 210, Nr. 216.

كتاب الأمثال أو مئتان من الأمثال العربية، جمعها مؤلف عربي مجهول وشرحها، مع ترجمة لاتينية وتعليقات قام بها سكاليجيه وتوماس اربنوس، ليدن، أستخدم الطبعة الثانية الأصح من الأولى التي ظهرت سنة ١٦٢٣:

Editio secunda priore emendatior Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 220, Nr. 216.

(٢) ويرمز في هذه الطبعة إلى ترجمات اربنيوس بالرمز (E) وترجمات سكاليجيه بـ (S) بينما يشار بـ (ES) إلى أن اربنيوس قد استفاد من نص سكاليجيه.

كونفلانس (Conflans)، وهناك قادت له المصادفة تاجراً مغربياً، هو أحمد بن قاسم الأندلسي (لقب أحد الذين طردوا من أسبانيا)، فانتهز في لهفة الفرصة ليتحدث مع مسلم، ورحل من أجله مرات عدة إلى باريس لبضع شهور، والحق أنه لم يستطع أن يتعلم من المغربي شيئاً إضافياً في المسائل النحوية، بل على العكس تعلم الأخير منه، غير أنه قد ضاعف ثروته اللغوية بصورة كبيرة بعد أن اعتاد سماع النطق المغربي.

بيد أنه قد تعرف بصفة خاصة هناك للمرة الأولى من خلال رؤية شخصية على جوهرَ التدين الإسلامي. فقد أقنعته أحاديثه مع المغربي بأن الإسلام ليس من السهل القضاء عليه كما يتوهم الكثيرون، ولاحظ أن القرآن ليس الأساس الوحيد الذي يرتكز عليه الإسلام، وأن الاستعمال المحبب في الجدل المسيحي لآيات قرآنية متفرقة ردَّ عليه المسلمون بشرح يرجع إلى تفسيرهم الخاص للقرآن أو بالإشارة إلى قول محمد أو فعله (السُنَّة).

ولما لم يكن من الممكن تصور مضمون السنة وأهميتها التي تفوق كل شيء – يضيف إلى ذلك كتاب الفقه المالكي «المدونة» – / فإنه قد أحس أنه بدون [٦٣] معرفتها لا يكون الحوار مع الإسلام ممكنًا [١] [١] وقد خطط اربنيوس أساسًا

---

(١) كتب في ٢٧ سبتمبر سنة ١٦١١ إلى كازونبوس (Casauboni Epistolae p. 661a، حيث إن العربية مشوهة كلية):

„ Nihil est Alcoranus absque suo commentario, et libris سنة, qui continent acta,dicta et responsa Muhammedis. Nam quam primum ex Alcorano aliquid contra eos allegatur, illico respondent: بل شرح القرآن على هذا الموضع يقول: بل كتب فيكتب السنة أن النبي إذا سئل عن هذا الحل أجاب كذا وكذا.Item Itaque qui cum fructu cum isto hominum genere disputare vult, necesse est ut libros illos legerit. السنة autem decuplo major est Alcorano, aut amplius, et paris cum illo auctoritatis. Euis pars المدونة , quae judicialia continet, extat hic in Coenobio quodam.

لرحلة تنقله إلـى إيطاليـا ومـن البندقيـة عبـر رجورسـا (Ragusa) إلـى القسطنطينية[١].

وأجبره مكوثه طويلاً أكثر مما هو متوقع آنذاك في باريس على التنازل عن خطط طويلة كهذه[٢]. وكان في مارس ١٦١٢م في البندقية وفي صيف العام ذاته عاد إلى وطنه[٣]. وقد بحث في تلك الفتـرة فـي ليـدن، حيـث يُـدِّرس تلميـذ رافلنجيوس ويـدعى يوهـانس انطونيـدس (Johannes Antonides) اللغـة العربية[٤]، إنشاءَ كرسي للغة العربية. ولم يفـت كسـاوبنوس وكـذلك هوجـو جروتيوس (Hugo Grotius) ودانيـل هاينسـيوس (Daniel Heinsius) أن يلفتوا النظر إلى اربنيوس (تزكيته)[٥]، الذي كان إلى حد بعيـد أفضـل مرشـح، وهكذا حصل اربنيوس سنة ١٦١٣م على منصب الأستاذية الذي ظل فيـه حتـى وفاته في سن مبكرة في منتصف عام ١٦٢٤م، وخـلال تلـك الفتـرة الزمنيـة القصيرة بسط بوصفه معلماً وباحثاً نشاطه الـدؤوب الـذي زاد مـن خصـوبة الدراسات العربية في الغرب إلى حد بعيد؛ فقد نشر ابتداءً في مطبعة رافلنجيوس – ظهر فيها في العام نفسه المعجم العربي لرافلنجيوس الأكبـر (ت ١٥٩٧)[٦] –

Commentariorum autem in Alcoranum pars quaedam etiam extat in Bibliotheca Sorbonica, ubi non singulae solum sententiae, sed et verba familiariter expilcantur.»

(1) Casauboni Epistolae, p. 344 b, 345a.

(2) Casauboni Epistolae, p. 661 a.

(3) Casauboni Epistolae, p. 665 b.

(٤) نشر لمستمعيه سنة ١٦١٢ خطاب باولوس إلـى تيتـوس (Titus) والصـلاة الربانيـة بالعربية، انظر:

Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 354. Nr. 321.

(٥) Casauboni Eposlolae, P. 478, Nr. 721 und 722 (vom I. August 1612).

(6) Francisci Raphelengii Lerncon Arabicum, Leidae 1613, 4. maj. 648, LXVIII pp.

كتابه / في النحو العربي[1]، أول عرض منهجي للغة العربية الكلاسيكية كتبه [٦٤] أوربي. يبدأ بقواعد الكتابة (الإملاء والترقيم) Orthographie (ص ١- ٤١)، يعرض فيه من جانب قواعد علم الخط، وفيها على سبيل المثال، صور الخط المختلفة، ونظم الأرقام (في القبطية أيضاً) وكتابة العربية بحروف عبرية وسريانية، ومن جانب آخر مسائل علم الأصوات أيضاً: على سبيل المثال النطق وظواهر المماثلة في داخل الجملة، بل إنه قد مرّ بالقواعد الصوتية المتبعة في تلاوة القرآن وعلامات القراءة المعتادة لذلك مروراً سريعاً، وقُدِّمَت أساساً قواعد الحركات التي عالجها اربنيوس (الذي لم يكن على علم بالفرق بين هيكل الصوامت القائم على اللهجة القرآنية والتشكيل الذي توجهه لغة البدو) مرة أخرى سنة ١٦١٨م معالجة خاصة بسبب أهميتها المحورية في التحليل النحوي[2].

وفي علم الصرف دَرَسَ أساساً بناء الفعل (ص ٤٣- ١١٩) بما فيه الأفعال المهموزة والأفعال المعتلة (المعتل العين de quieseente Ain والمعتل اللام de quiescente lam) والأفعال المضعفة (dupliciter inperfecta)، وفي بناء الاسم (ص ١٢٠- ١٧٣) ونظام الحالات الإعرابية أيضاً، وبناء جموع التكسير كلها تعرض عرضاً سليماً للمرة الأولى، وعلى العكس من ذلك فلم يُخصص

---

(1) Grammatica Arabica, quinque libris methodicè explicata a THOMA ERPENIO, Arabicae, Persicae, etcaet. Linuarum Orientalium in Academia Leidensi Professore. Leidae, In Officina Raphelengiana, 1613. 4. Das Werk ist von links nanch rechts gedruckt. Siehe auch Schnurrer, Bibliotheca, Arabica, 28, Nr. 49.

(النحو العربي في خمسة أبواب، مشروح منهجياً بقلم توماس اربنيوس أستاذ العربية والفارسية .. إلخ اللغات الشرقية في أكاديمية ليدن، ليدن في مطبعة رافيلنجيوس ١٦١٣ في قطع الربع. طبع الكتاب من الشمال إلى اليمين، انظر أيضاً شنورر المكتبة العربية ٢٨ رقم ٤٩).

(2) Conones de Literarumy واي apud Arabes Natura et Permutatione, Leidae 1618, 8 Blatt.

للأدوات (ص ١٧٤- ١٨٣) وللتركيب النحوي (ص ١٨٤- ١٩٢) إلا بضع صفحات، وبصفة عامة فإن القواعد قد صيغت بصورة واضحة ودقيقة؛ اختيرت الأمثلة بمهارة، وتراعى دائماً بصورة مفهومة حاجات المتعلم، غير أن قيمة الكتاب تستمد على نحو أقوى من الاعتبار القائل بأنه قد تسيد مدة قرنين من الزمان بلا منازع تدريس العربية في الغرب، وتوالي طبعه دون أية تغييرات جوهرية إلا إضافة عدة مقطوعات للقراءة، طبعه سنة ١٦٣٦م أستاذ الطب والرياضيات في جرونينجن، أنطون دويسنج (Anton Deusing) الذي / [٦٥] استفاد[1] من تصحيحات اربنيوس التي أجريت على نسخته الخطية، وسنة ١٦٥٦م، طبعه جوليوس (Golius)[2] وسنة ١٧٤٨ م و ١٧٦٧ م أيضاً طبعة أ. شولتنس[3] الذي هيأ بذلك لرايسكه (Reiske) دافعاً لنقد سديد، وترجمه سنة ١٧٧١م ج. د. ميشائيلس (J. P. Michaelis) إلى الألمانية[4]. وحقق كتاب دي ساسي (de Sacy)، النحو العربي (Grammaire Arabe) الذي ظهر بداية سنة ١٨١٠م تقدماً حقيقياً في هذا المجال[5].

نشر أربنيوس بعد كتابه في النحو سنة ١٦١٤م كتاب المائتي مثل عربي الذي ذُكر فيما سبق، غير أن إمكانية الإنجاز في مطبعة رافلنجيوس في ليدن، التي ظهرت فيها هذه الطبعة أيضاً، لم تعد تلبي بصورة كافية مطالبَه، وحفرت له حروف طباعة على نفقته على مثال حروف سافاري تتوسط في حجمها بين الحروف الصغيرة التي طبعت بها مؤلفات ابن سينا في الطب في مطبعة ميديتشي

---

(1) SCHNURRER, Bibliotheca Arabica, 44.
(2) Ebd. 56, No. 81.
(3) Ebd. 70, No. 102.
(4) Ebd. 76, No. 110, Die 2.Auglage gab Michaelis I178 unter eigenem Namen heraus, ebd. 83, No. 120. نشر ميشائيلس ط٢ باسمه
(٥) وأشهر خطأ من بين أخطاء كتاب أربنيوس في النحو هو الصيغة الخاطئة للعدد «عشَر» بدلاً من عَشْرٌ التي وجدت أيضاً لدى دي ساسي وإيفالد وفرايتباج، انظر فلايشر في:
Beiträge zur arabischen Sprachkunde, 4. Forts. (1874), S. 114 f.

وبين الحروف التي طبعت بها الأناجيل، ونشر منذ ذلك الوقت أعماله في دار نشره الخاصة، وأنجز أولاً كتاب قراءة بالعربية تكملة لكتابه في النحو، للمبتدئين، واختار كذلك حكايات لقمان الخرافية، وهي عمل متأخر يرجع إلى مسيحي مصري، ويرجع إلى حكايات ايسوفوس في عربية مليئة بالأخطاء بصورة ظاهرة.

وبديهي أن اربنيوس الذي لم يقرأ أي نص قديم غير القرآن ظن أنه من الممكن فهم هذه الحكايات على أنها ترجمة قديمة من الفارسية، وحين زاد شكه فيها أيضاً إذ ربما يتعلق الأمر بتأليف حديث، فإنه أصر كذلك على أن أسلوب هذه الحكايات وتعبيرها رشيقان للغاية[١]. وأضاف كذلك مائة / مثل عربي أخرى[٢]، [٦٦] ونشر كلا النصين بلا تشكيل (فلم تمتلك مطبعته حتى حين علامات القراءة «الحركات») مع ترجمة لاتينية حرفية ما أمكن. بيد أنها ليست أسيرة، أي فيها بعض التصرف، وهوامش موجزة[٣].

---

(١) يقول في المقدمة fol. 66 e: Quin et an hoc ipsum quod nunc do **Opusculum totum Locmani sit, et non potius Neoterici alicuius, qui id ex Locmano Aesopo atquè alijs compilaverit, penè quoque dubitaverim; propterea quod altera propemodum fabularum pars ex Aesopo videatur esse desumpta .. Sed utut sese res habeat .. fabulas habetis elegantissimo stylo et oratione scriptas, quarum lectio nihil ambigo quin aequè utilis vobis atque jucunda sit futura.**

(٢) لم يرد في هذه الطبعة من أين حصل اربنيوس على هذه النصوص، وقد امتلك هذه الحكايات في ذلك الوقت نفسه تلميذ س. هوبرتوس، وهو دوفال J .. B. Buval (Duvallius, 1634) الذي عمل مترجماً في خدمة الملك الفرنسي، ضمن مجموعة مخطوطات موجودة الآن في بودليانا، ذكرها روديجر (Rödiger).

ولما لم يستطع روديجر أن ينتفع بهذه المخطوطة في طبعته، لم يستنتج شيئاً عن علاقتها بنص أربنيوس.

(٣) أمثال لقمان الحكيم وبعض أقوال العرب:

Locmani Sapientis Fabulae et selecta quaedam Arabum Adagia cum interpretatione Latina et nots THOMAE ERPENII, Leidae, In Typographia, Erpeniana Linguarum Orientalium 1615.

وقد حافظت هذه الحكايات والأمثال مثل كتابه في النحو الذي ألحقت به منذ طبعة دويسنج باستمرار بوصفها مقطوعات للقراءة، على مكانها في الدرس العربي حتى أواسط القرن التاسع عشر الميلادي[1]، وفي أثناء تلك الفترة واجهت العربية أغلب من يشتغل بها في أوربا - في البداية - في اللغة المتدنية لحكايات لقمان بصيغها وتعبيراتها الدارجة وعدم مراعاتها لقواعد التطابق الكلاسيكية ومخالفاتها الحادة لنحو الحالات الإعرابية للاسم وحالات الفعل؛ ومَنْ يُقيم محاولاته الأولى في الترجمة على هذه النصوص لا يهتدي من هناك إلى أية طريق لروح العربية الحقيقية، التي لها طبيعة مخالفة تماماً.

ويمكن أن تفهم اللغة الكلاسيكية وتدرك المراحل المختلفة في تاريخها اللغوي في إطار هذه الظروف في عناء أشد من إمكان تقبل نصوص كلاسيكية حقاً وفق معرفة متدرجة، بيد أن المطلب البديهي في الفروع الفيلولوجية الأخرى وهو أنه ينبغي أن تقدم نصوص لا غبار عليها مطلقاً من الناحية اللغوية للمبتدئ، لينمو فيه بذلك حس لغوي سليم، لم يتبع باستمرار في الدراسات العربية في الوقت الحاضر أيضاً.

/ وواصل اربنيوس سلسلة كتب النصوص المحددة للدارسين، شكّل فيها سنة ١٦١٧م سورة يوسف تشكيلاً كاملاً (كان لدى مطبعته في ذلك الوقت الحروف اللازمة لذلك) ونشرها[2]. ولم يهمل اربنيوس ملبياً باستمرار حاجات التدريس، [٦٧]

---

(١) أجد أن الطبعات المتفرقة والمستلات قد جمعت بصورة إجمالية في الطبعة الثانية لكتاب روديجر (١٨٣٩)، ص ٤- ٧.

ويسجل روديجر في الحاشية بعناية أيضاً كل محاولات التصحيح لمن سبقوه.

(٢) سورة يوسف وتهجي العرب:

Historia Josephi Patriarchae, ex Alcorano Arabicè. Cum triplici versione Latina, et scholijs THOMAE ERPENII, cuius et Alphabetum Arabicum praemittitur. Leidae, Ex Typographia Erpeniana Linguarum Orientalium 1617. =

أي شيء يمكن أن ييسر للمتعلم استخدام النص: فَقَدَّم له عرضاً موجزاً لعلم الخط، ووضع فوق كل كلمة عربية المقابل اللاتيني لها مسايراً استخدام العصر، ويقدم في الهامش، حين لا تعين هذه الصياغة بين السطور على إدراك المعنى، ترجمةً حرة (غير حرفية) إلى اللاتينية، ويكرر لذلك لإثبات التقدم في المعرفة العلمية (تفوقه) الترجمة اللاتينية لسورة يوسف عن الصياغة القديمة لروبرتس كتننسيس (R. Ketenensis) الذي نشرها ببلياندر (Bibliander) [1]، ويضيف ستين صفحة من التوضيحات اللغوية والنحوية، ويقدم أخيراً النص المفسر والمترجم بالطريقة نفسها للسورة الأولى (الفاتحة) كذلك، وتُقدر قيمة هذه الطبعة التي نُشرت وأعدت فيها للمرة الأولى في الغرب سورة طويلة تقديراً يفوق استمرار ندرة شديدة للمخطوطات القرآن في أثناء القرن السابع عشر بأكمله، غير أن سورة يوسف حتى يومنا هذا لم تفقد تفصيلها على أنها نص يُبدأ به درس مطالعات القرآن.

وأتبع أربنيوس في العام نفسه أيضاً طبعة الأجرومية ومختصر الجرجاني أيضاً حول المائة عامل في نص مشكل تشكيلاً كاملاً بترجمة وشرح[2]. وكان قد ظهرت من كتاب الأجرومية من قبل في روما طبعة غير مشكلة، وكرر كيرستن (Kirsten) في كتابه الثالث من مؤلفه النحوي النص الذي طبع في روما وزودها

= بعنوان عربي ولاتيني هو: سورة يوسف وتهجي العربي: تاريخ يوسف النبي، مأخوذ من القرآن بالأصل العربي، مع ثلاث ترجمات لاتينية وتعليقات بقلم توماس اربنيوس، وفي أوله الحروف العربية، ليدن، مطبعة اربنيوس للغات الشرقية ١٦١٧م.

(١) محمد .. القرآن، بازل ١٥٤٣م.

Mahumetie .. Alcoran, Basileae 1543, P. 76- 81.

(٢) كتاب الجَرومية ومأية العامل:

Grammatica Arabica dicta Gjarumia, et Libellus centum regentium com versione Latina et Commentarijs THOMAE ERPENII. Leidae, Ex Typographia Erpeniana Linguarum Orientalium 1617.

بترجمة لاتينية مليئة بالأخطاء بصورة ظاهرة وغير مفهومه تقريباً، / غير أن [٦٨] اربنيوس تعمق في فهم النحو العربي تعمقاً شديداً وقدَّم بمساعدة أربعة مخطوطات (عربية) نصاً أفضل، ومَهَّدَ له بترجمة مقروءة وملحوظات موضحة مدخلاً إلى فهمه، وسعى إلى التغلب على الصعوبات الجمة التي تحدثها المصطلحات النحوية اللاتينية لكل مترجم غربي، فاختار قدر الإمكان المصطلحات المطابقة في النحو اللاتيني (إعراب declinatio ومعرَّب declinabilis وحركة vocalis ومضارع futurum وماضي praeteritum، وأمر imperativas ومصدر infinitives الخ). أو حين يكون ذلك غير ممكن فإنه يترجمها إلى اللاتينية (استثناء exceptio وتمييز discretio وحال status وظرف comprehensio ومبتدأ inchotum وخبر socius الخ).

ولم يبق إلا على أسماء الحركات (فتحة fatha وكسرة kesra وضمة damma) والنهايات الإعرابية (رفع rafa ونصب nasba وخفض chafda وجزم giezma)، وصاغ منها كذلك الأفعال (giezmare و chafdare و nasabare و refare وتعني rafrare (رَفَعَ) وضعه في حال رفع (الاسم المرفوع والفعل المضارع المرفوع) وهكذا مع الأخرى، وصاغ أيضاً الاسم nunatio للدلالة على التنوين، وقد انتقده بعض النقاد لنقله المصطلحات العربية هذه، بأنه قد عرّب علم النحو، غير أن آخرين قد ذهبوا إلى أبعد من ذلك، وتحولوا بصورة عامة عن الاشتغال بالنحاة المحليين (نحاة اللاتينية) ، ويغفل المرء بذلك أن النحو العربي يحتل في الثقافة الإسلامية مكانة محورية، فرُوحه تسري في التراث التفسيري – الفيلولوجي كله، ويمكن اقتفاء أثره بصورة واضحة تماماً أيضاً في التراث الأدبي، وحين يقرظ عربي جمال لغته أو يقوّم موضوعاً فيلولوجياً فإن هذا يحدث في المصطلحات التي صاغها النحاة العرب، ولا يمكن أن تُفهَم دون معرفة مصطلحاتهم المعاجم العربية ولا شروح دواوين الشعراء ولا تفاسير القرآن ولا تفسيرات المجاميع الكنيسة ولا الجاحظ ولا

الحريري، ولذلك يظل إرشاد أربنيوس إلى النحو العربي أحد عناوين مجده الذي لا يزول.

وكان الاهتمام الذي وجه اربنيوس إلى المصادر الإسلامية ذا طبيعة لغوية إلى حد بعيد، وقدّر القرآن ذاته في الحقيقة بأنه ليس إلا أثراً لغوياً عظيماً، وفي الواقع لم تخفَ عليه خيوط تصل مضمونه بالتراث الرباني، / وأثارته في لحظة [٦٩] ما أيضاً أن يتتبعها(١)، غير أنه كان للاهوت ثانية اليد الطولى عليه فلم يستطع أن يرى في القرآن شيئاً آخر أكثر من إعادة تأليف (travestie) للكتاب المقدس(٢). وشارك بذلك في كراهية النبي العربي التي كانت سائدة آنذاك بوجه عام في الغرب، فرأت فيه مخادعاً وتعاليمه التي بدت له سخيفة ومضحكة، وأحس إحساساً أقوى بانجذابه إلى تلك النصوص التي عقد عليها الأمل في فهم أعمق وأصح «لكلمة الرب» وهي الروايات الشرقية للكتاب المقدس، ولا شيء يمكن أن يدلل على إسهامه النشط في مهام الفيلولوجيا المقدسة (philologia sacra) أكثر من خطته القوية لنشر العهد الجديد وصياغاته في عمل ضخم بعدة اللغات(٣)،

---

(١) يقول في خاتمة ملاحظاته حول سورة يوسف:

Li autem qui Judaeorum scripta tracturunt, facile animadverent figmenta et ineptias hujus impostoris magnam partem ex variis eorum commentis nata esse, quod et nos alias إن شاء الله demonbstrabimus.

(٢) ويصف القرآن في الموضع المذكور بأنه:

Histo riarum sacrarum, multis erroribus, mutilationbus, figmentis, et mendaciis corruptarum rudis indigestaque moles, cui hic illic inserta quaedam sunt de unius Dei cultu, oratione, eleemosyna, corporis ablutione, cibo potuque vetits, peregrinatione religiosa, circumcisione, et laudibus Alcorani atque Muhammedis: sine ulli tamen ingenii acumine, aut argumentorum pondere.

(3) Delineatio Tabernaculi D. N. Jesu Christi, seu Novi Testamenti Polyglotti, Splendidissime. In lucem edendi a THOMA ERPENIO, o. O. u. J.

ينبغي أن يورد النص اليوناني الأصلي وفق طبعة اسطفانوس مع حاشية نقديــة والترجمة اللاتينية المنقحة بين السطور لارياس مونتانوس Arias Montanus، ثم الصياغة السريانية مع ترجمة بين الســطور لفابريســيوس (Fabricius)[1] والصياغة الإثيوبية مع ترجمة لاتينية بين السطور أيضاً، ثم الاتيــالا (Itala)[*] والفولجاتا (Vulgata)[**] والترجمات اللاتينية الحديثة لارسموس (Erasmus)، وبجنينوس (Pagninus) من زيوريخ، وكاستليو (Castellio) وبيــزا (Beza)، وأخيراً يورد لكل آية شروحاً لغوية وموضوعية / من التراث التفسيري (مصادر [٧٠] التفسير). وبديهي أن هذا المشروع لم يكتمل، غيــر أن اربنيــوس نشــر ســنة ١٦١٦م العهد الجديد بالعربية وفق مخطوطة كُتِبَت في ثبياس (Thebais) ســنة ١٣٤٢م، في كاتدرائية يوحنا، وهي المخطوطة التي أوصى بها سكاليجيه لمكتبة ليدن[2]. واكتفى هنا بطبع النص غير المشكول، ولم يمس الأوجه الدارجة فيــه، وعدل عن أن يلحق به ترجمة أو شرح، وفعل الشيء نفسه حين طبع بعد ســت سنوات صياغة لأسفار موسى الخمسة أعدها يهودي مغربي في القــرن الثالــث عشر الميلادي (المسمى ارابس اربني Arabs Erpeni) وفق مخطوط قديم آخر لسكاليجيه[3]، ركيك الأسلوب إلى حد ما، وبحروف عربية بدلاً من العبرية، بل إنه

---

(١) كان جوي لوفيفر دي بودري (Guylefèvre de la Boderie) (١٥٤١- ١٥٩٨) أحب التلاميذ إلى قلب بوستل (Postel): انظر: خطاباته إلى ماسيوس (A. Masius) نشــرها م. لوزن (M. Lossen) ظهرت ترجمته للعهد الجديد السرياني سنة ١٥٧٢ في المجلــد الخامس من معجمه انتفربن (Antwerpen) المتعدد اللغات.

(*) Itala مجموعة مهمة بين الترجمات اللاتينية القديمة للكتاب المقدس التي خرجت عنها.

(**) التنقيح الذي بدأه القديس هيرونيمــوس (Hieronymus) (القــرن الرابــع المــيلادي) للترجمة اللاتينية القديمة للكتاب المقدس (Vetus Latina).

(2) Novum D. N. Jesu Christi Testamentum arabice, ex bibliotheca Leidensi edente THOMA ERPENIO Leidae in typographia Erpeniana Linguarum Orientalium 1616. 4. 648 pp.

(3) Pentateuchus Mosis arabice. Lugduni Batavorum, ex typographia

سرد هذه المرة في المقدمة الخصائص اللغوية لهذه الصياغة (عدم مراعاة تركيب الصيغ والحالات الإعرابية وبناء الفعل المضارع مع ضمير المتكلم المفرد مبدوءاً بالنون بدلاً من الهمزة وإحلال المذكر بدلاً من المؤنث مع الفعل المضارع مع ضمير الغائب الجمع وفي اللواحق وتراكيب العدد الدارجة واستخدام (الذي) لكل أشكال العدد والحالات الإعرابية مثل كلمة (ašer) العبرية بدلاً من (an)، وخصائص استخدام الكلمة، وأخيراً التبادلات الصوتية الدارجة). وأورد بذلك للمرة الأولى خصائص اللهجة المغربية.

ويجدر أيضاً في سياق هذه الدراسات للكتاب المقدس ذكر الحقيقة القائلة بأن اربنيوس الذي تقلد منذ ١٦٢٠م كرسي الأستاذية في اللغة العبرية أيضاً، ونشر سنة ١٦٢١م كتاباً في النحو العبري، وكُتُب صموئيل في نصها الأصلي مع ترجمة لاتينية. وقد كان مسؤولاً سنة ١٦٢٤م عن طبع المؤلَّف المجهول: Arcanum punctationis revelatum «ربما: سفر الرؤيا» الذي كان قد لعب دوراً كبيراً في الصراعات العقائدية حول الإلهام الحقيقي؛ لأن المؤلف، وهو عالم لاهوت مصلح يدعى لودوفيكوس كابلوس ((Ludovicus Capellus (Cappel) (١٥٨٥– ١٦٥٨) جدد فيه الدليل على الحقيقة التي كانت ما تزال معروفة للوثر (Luther) ورفاقه، غير أنه قد طواها النسيان / وهي أن نظام التنقيط العبري [٧١] أحدث من النص المدون بالصوامت(١). ولما لم يتعاطف اربنيوس نهائياً أيضاً مع الدين الإسلامي فقد اهتم مع ذلك بتاريخه السياسي اهتماماً شديداً، الذي لا يُعرف منه آنذاك في أوربا إلا القليل. واستعار – لكي يدرس في هذا الحقل سنة ١٦١٣م

Erpeniana Linguarum Orientalium, prostant apud Johannem Maire r 622.

(١) انظر جيورج شندرمان (George Schnedermann):
Die Controverse des Ludovicus Cappelus mit den Buxtorfen über das Alter der hebraischen Punklation. Leipzig 1879.

من مكتبة هايدلبرج، مع جغرافيا (تقويم البلدان) لأبي الفداء[1]، المخطوطة العربية الوحيدة ذات المحتوى التاريخي التي جلبها معه بوستل (Postel) من الشرق[2]، الجزءَ الثاني من تاريخ العالم للقبطي المكين (جيورجيوس بن العميد ت ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٢ م) الذي يتناول فيه الأحداث من (عهد النبي) محمد حتى سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م)، وقد تطلب فهم هذه المخطوطة المهملة والمفتقرة في الغالب إلى النَقْط إلى حد كبير قدرات اربنيوس الحدسية، وسعى مستعيناً بتاريخ العالم الفارسي لميرخوند Mirchond، وما يسمى الطبري (Tabari) التركي – ترجمة لمؤلف تاريخي فارسي مرتب حسب السنين[3] قام بها البلعمي – وجغرافيا أبي الفداء، إلى إثبات الكتابة الصحيحة للأعلام الواردة فيه بغزارة، ومع ذلك كان الحصول على نص خالٍ من الأخطاء أمراً عسيراً عليه مع وضع البحث آنذاك وقصور أدواته المساعدة، ومع ذلك فقد قرر في النهاية، حتى لا يضيع العمل لسنوات طويلة هدراً تماماً، أن ينشر النص مع ترجمة لاتينية، وعهد بالمهمة حين أصيب بالطاعون الذي أودى بحياته قبل النهاية بقليل إلى تلميذه وخليفته ياكوبس جوليوس (Jacobus Golius) الذي أتم باراً به المهمة الصعبة.

[٧٢] / ومن ثم ظهرت الطبعة الثانية سنة ١٦٢٥م التي لم تصل إلا إلى سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨م[4]. وأضيف تاريخ العرب Historia Arabum لدون رودريجو

---

(١) حول مخطوطة بوستل، انظر: Levi Della Vida, Ricerche etc., 294 f., 334.

(٢) توجد الآن تحت توقيع مارس ٣٠٩ في بودليانا، انظر: الكتالوج ١/ ١٦٣، رقم ٣٥، و٢/ ٢، ٥٠٣، وأيضاً ليفي دي لافيدا، Levi Della Vida, Ricerche etc. 295 f.

(٣) اقتنى اربنيوس من كلا المؤلفين مخطوطات لا يعرف شيئاً عن بقائها، انظر دوزي (Dozy) في مقدمة فهرس المخطوطات العربية في مكتبة ليدن، وتكرر في الطبعة الثانية: (Catalogus Codicum Arabicorum Bibliotheca Academiae Lugdu no- Batavae I, I 888), P. V.

(٤) تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد إلى الدولة الأتابكية تأليف الشيخ المكين جرجس بن العميد أبو الياسر بن أبي المكارم بن أبي الطيب:

خيمينث دي رادا (Don Rodrigo Jimenez de Rada) (١١٧٠- ١٢٤٧م)، لأن التأريخ الذي كُتب في الشرق لا يمس الأحداث التي وقعت في إسبانيا إلا نادراً، بادئاً بالسيرة الذاتية لمحمد ﷺ ، ويعني بوجه خاص في عرض العصر الأموي بالحروب في المغرب (في أسبانيا)، ثم يعرض خلافة قرطبة ويختم بلمحة سريعة عن (عصر) المرابطين. وقد كتب جوليوس (Golius) المقدمة، ودفاعاً عن هذه الطبعة التي تبرر جوانب النقص فيها الظروف المؤسفة التي رأت في إطارها النور، وأحس بها إحساساً قوياً إلى حد أنه أعرب عن رأيه فيما بعد قائلاً: ربما كان من الأفضل لو أنه لم تتم طبعة ترتكز على أساس مخطوطة ضعيفة كهذه بهذه الصورة[1]. ولكن ما إن كتب جوليوس هذه الكلمات المحزنة حتى كان

---

id est Historia Saracenica, qua res gestae Muslimorum, inde a Muhammede primo imperii et religionis Muslimaicae auctore, usque ad initiun, Imperii Atabacaei per XLIX imperatorum succesionem fidelissime explicantur. Inseris etiam passim Christianorum rebus in Orientis potissimum Ecclesiis eodem tempore gestis. Arabice olim exarata à Georgio Elmacino .. et Latine reddita operâ et studio THOMAE ERPENII. Accedit et Roderici Ximenez, Archiepiscopi Toletani, Historia Arabum, longe accuratius, quam ante, è Manuscripto codice expressa. Lugduni Batavorum, Ex. Typographia Erpeniana Linguarum Orientalium, 1625.

يذكر حوادث المسلمين من عهد محمد، مؤسس أول دولة للمسلمين وصاحب ديانتهم، حتى بداية دولة الأتابكة، على أيدي تسعة وأربعين حاكمًا على التوالي. يضاف إلى ذلك بعض ما وقع للكنائس المسيحية في الشرق من وقائع جرت في نفس الفترة. كتبه بالعربية جورجيوس المكين... وترجمه إلى اللاتينية توماس اربنيوس، وألحق به تاريخ العرب، تأليف رودريكوس خيمنس، رئيس أساقفة طليطلة، منشورًا بحسب المخطوط بعناية أكبر من قبل، ليدن، مطبعة اربنيوس للغات الشرقية سنة ١٦٢٥م.

(1) Quia in ipso codice, qui exaratur admodum negligenter, praecipue omnes versus eo vitio laborent, punctis diacriticis fere destituti, fieri non potuit ut ὁ μακαρίτης Erpenius, vir doctus, ingenuus et diligens, sujus memoriam et virtutes amico gratoque animo lubens colo, veram potuerit exprimere interpretando sententiam. Utique auspicatius fecisset, si molesto et frustraneo labore hic supersedisset:

النجاح قد كَلّف بحق إقدام أستاذه على أن يكون كتاب المكين في مجمله، برغم ما به من أخطاء هنا وهناك، إنجازاً مهماً، وأن يفتح بدوره أمام الغرب بوابة جديدة إلى الشرق.

وترجمة اللاتينية التي ظهرت منفصلة أيضاً(١) التي اتبعت / بترجمة إنجليزية [٧٣] في العام التالي(٢)، وترجمة ب. فتيه P. Vattier سنة ١٦٥٧(٣). الفرنسية القائمة على طبعته قَدَّمت (جميعاً) للأوساط الأوربية الأخرى للمرة الأولى نظرة عامة عن التاريخ الإسلامي من بدايته حتى الحملات الصليبية، وأوجدت ألفة بعصر الازدهار لخليفة بغداد شبه المجهول لديهم تقريبًا حتى ذلك الوقت في عرض يرجع إلى الطبري.

١٥- الدراسات العربية في فرنسا وإيطاليا من ١٦٢٠- ١٦٥٠م

حققت إنجازات اربنيوس (Erpenius) لهولندا تفوقاً عظيماً في مجال

Namque hae fere causa fuit; quare apud multos, praesetim fastidiosos et delicatiores, litterae hae in prima aetate caeperint despectui haberi, (Notae in Alferganum, P. 226).

(1) Siehe Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 114.

(٢) عن شنورر في الكتاب السابق ص ١١٥ الذي يستند إلى الفهرس الذي عني بإخراجه هايده (Hyde).

Catalogus impressorum librorum Bible. Bodleiana, Oxf. 1674, 226.

(3) L' Histoire Mahometane, ou les quarante – neuf Chalifes du Macine divisez en trois livres contenant un abrégé Chronologique de l'Histoire Musulmane en general, depuis Mahomet iusques au regne des François en la Terre – Saincte, nouvellement traduit d'Arabe en François; avec un Sommaire de l'Histoire des Mussulmans ou Sarrazins en Espagne, extraict de Rodrigue Ximenes Archevesque de Toledo, et verifié sur le Macine. Le tout par M'' Pierre Vattier. Paris I657 Das Werk ist dem Kardinal Mazarin gewidmet.

الدراسات العربية إلى حد أن الأمم الأوربية الأخرى التي شجعت الدراسات ذاتها تحتم عليها ابتداءً أن تسعى إلى استكمال إعدادها العلمي قبل أن تدخل من جديد في منافسة، ونتيجة لذلك فإن تأثير الدوافع التي صدرت عن أربنيوس قد تجلت في كل مكان يُهتم فيه بدراسة اللغة العربية اهتماماً شديداً.

وحدث أن المارونِيين جابريل سوانتيا ويوهانس هرونيتا اللذين قابلناهما في صحبة سفاري دي بريف (Savary de Brèves) قد عهد إليهما هذا الأخير بكتابة كتاب في النحو العربي، فحاولا في صعوبة ألا يدفعهما النموذج الماثل في نحو أربنيوس إلى تقليده. وظهر سنة ١٦١٦م من الكتب الخمس التي كان يتشكل منها المؤلف (وفي الحقيقة وفق نموذج أربنيوس مرة أخرى) الكتاب الأول المهدي إلى الكردينال ج دو برون J. du Perron ورئيس البرلمان ج دي ذو (J. de Thou)، وهو عرض قوي لعلم الخط من ٤٨ صفحة طبع بحروف سفاري[1]، ثم توقف / المشروع، واستفيد من نحو أربنيوس وطُبع أخيراً من [٧٤] مؤلفه الموجز سنة ١٦٣٨م طبعة أخرى (ربما بإشراف سوانيتا) بحروف سافاري مرة ثانية[2]، وعلى هذا فقد لزم على المارونيين بتكليف دو برون (du Perron) ودي ذو (de Thou) - إذ انسحب سفاري Savary سنة ١٦١٨م إلى حياته الخاصة - أن يترجما أعمالاً عربية وكلدانية إلى اللاتينية، وبدأ بحفزٍ من دي ذو، الذي استجاب بذلك لاقتراح مبكر من صديقه سكاليجيه، بترجمة مستلة من كتاب نزهة المشتاق للإدريسي، الذي ظهر مطبوعاً سنة ١٦١٩م تحت عنوان جغرافيا

---

(1) Grammatica Arabica Maronitarum, in libros quinque divisa, Authoribus Gabbiele Sionita .. et Joanne Hesrontta .. Lutetiae 1616 48 Seiten. ويقدم شنورر العنوان الدقيق، في:
Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 29, Nr. 50.

(2) Thomae Erpenii Rudimenta linguae arabicae. Accedunt ejusdem praxis grammatica; consilium de studio Arabico feliciter instituendo. Lutetiae Parisiorum, sumptibus Societatis typographicae librorum officii ecclesiastici, jussu Regis constitutatae, 1638.

النوبة (Geopraphia Nubiensis) [1]. تلاها مختصر للمترجمين وهو:

De nonullis orientalium urbibus nec non indigcnarum regligione ac moribus

حشد فيه من مصادر شرقية متأخرة، ملحوظات كثيرة عن بلدان الشرق وسكانه وملابسهم وأطعمتهم وأشربتهم ولغاتهم وآدابهم والدين الإسلامي أيضاً، أحكامَه وتعاليمَه، وتوقف بعد ذلك المشروع مرة أخرى أيضاً، ولم يوجد بين الفرنسيين أنفسهم آنذاك من يعرف العربية إلا نادراً، وكان القائم بالأعمال الفرنسي في مصر اندريه دو رويه (Andrè du Ryer) يعرف هذه اللغة معرفة طيبة، فكان أول من نقل القرآن إلى الفرنسية وأرفق به مختصراً: Sommaire de la reglion du Turques «مختصر في دين الأتراك» وظهرت ترجمته غير الدقيقة أولاً سنة ١٦٤٧م، ولما قوبلت بإقبال شديد عليها فقد طبعت طبعات كثيرة وأعيد طبعها كثيراً حتى أزاحتها ترجمة سفاري (Savary)، وقد ترجمها بالإضافة إلى ذلك سنة ١٦٤٩م الـ. روس (Al Ross) إلى الإنجليزية وسنة ١٦٥٨م ج. هـ. جلاتسيماكر (Glazemaker) إلى الهولندية وانسابت الترجمة الألمانية عن هذه الصياغة الهولندية الموجودة في كتاب هابل (Happel): Thesaurus Exoticorum الذي ظهر سنة ١٦٨٨م في هامبورج. وفي باريس نفسها عمل بيير دوفال (Piere Duval) السابق الذكر مترجماً للملك. ويبين / معجمه «المعجم اللاتيني – العربي» Dictionarium Latino_Arabicum [٧٥] Davidis Regis [2]. الذي ظهر سنة ١٦٣٢م، مدى عدم تخصصه في هذا العمل، فهو فهرس أبجدي لكل الجمل في الترجمة اللاتينية وأرفق به فيكتور سكيالش (Victor Scialach) وجابريل سوانيتا (Gabriel Soinita) سفر المزامير بالعربية الذي ظهر سنة ١٦١٤م، ورأى دوفال في هذا السجل وسيلة معينة

---

(١) انظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 168.

(٢) انظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 41, Nr. 65.

للاستعمال الشفهي والكتابي للعربية، وبَيَّنَ بمثالين تدريبيين مجموعين من عبارات المزامير كيفية تصوره لاستعمال هذا المعجم العجيب، وحين كتب الكاردينال ريتشليو (Richelieu) بعد بضع سنوات في إطار سياسة فرنسا التقليدية في الشرق كتاب قواعد الدين المسيحي ليستعمله مسيحو الشرق وجب أن يعني الراهب الكبوشي جوست دو بوفيه (Juste de Beavais) في بغداد بترجمة الأصل الفرنسي إلى العربية. وحين طبعت هذه الترجمة في باريس، لزم أن يشار هنا أيضاً إلى سوانيتا وماروني آخر، وقد اشتُكي بمرارة من إهمالهما في مقدمة الكتاب الذي ظهر أخيراً سنة ١٦٤٠م[1]. فتأكد مشاركة سوانيتا على نحو لا يمكن الاستغناء عنها في المشروع الضخم للمؤلَّف الباريسي المتعدد اللغات أيضاً الذي ظهر سنة ١٦٤٥م في عشرة مجلدات، وطَبَعَ الصياغة العربية للكتاب المقدس وفق المخطوطة[2] التي حصل عليها سفاري سنة ١٦٠٦م في القاهرة، وأضاف إليها ترجمة لاتينية، وعُني كذلك بطبع الصياغة السريانية نصاً وترجمة، ووفق سنة ١٦٤٠م في أن يستقدم شاباً من أبناء وطن سوانيتا، الماروني ابراهام اتشلنيس (الحقلاني Abraham (al - Haqlānī Ecchellensis (١٦٠٤- ١٦٦٥)[3] الذي كان يعمل مترجماً للبابا ومحاضراً للعربية والسريانية في روما[4]. وبقي هناك من ١٦٤٠ إلى ١٦٤١م، وتجدد

---

(١) طبع شنورر النص: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, S. 247 f., ab.

(٢) انظر: O. Lofgren, Studien zu den arabischen Danielübersetungen.

(٣) انظر: Levi Della Vida, Ricerche etc. 6 Anm. 3. والمرجع الوارد ذكره ذاته وانظر أيضاً:

P. Casanova, L' Enseignement de l' Arabe au Collège de France, Paris 1910 S. 51 und Nallino, Rend. della R. Acc. Naz dei Lincei, S. VI, vol. VII. 1931, P. 341.

(٤) وكان وفق الامتياز الملكي في ٤ نوفمبر ١٦٤١ المرفق بطبعة كتابه:

Synopsis propositorum, Paris 1641, venu en France par l' ordre de sa Majestè, à cause de la grande Bible qui s' imprime à Paris et ce

بقاؤه / حتى ١٦٥٣م، واشتغل مترجماً للملك ودرّس العربيـة والسـريانية فـي [٧٦] الجامعة، ونشر سنة ١٦٤١م مختصراً من كتاب «مقاصد حكمة فلاسفة العـرب» للقاضي ميـر حسـين المَيْبُـدي، تحـت عنـوان: Synosis propositorum Sapientiae arabum philosophorum[١]. وظهرت سنة ١٦٤٦م ترجمتـه الحرفية غير المفهومة إلى اليوم لكتاب الزرنوجي تعليم المتعلمين[٢]. وكتابه عن انطونيوس الأكبر ألفه نقلاً عن مصادر عربية أيضاً[٣]، وتلاه سنة ١٦٥١م النص العربي السقيم لتاريخ العالم الذي ينتهي عند سنة ١٢٥٩م للقبطي ابن الراهب[٤]، وبعد أن غادر باريس استأنف تأليفه المتعدد المشارب، ونشر بالاشتراك مع عالم الرياضيات بوررللي (Borelli) الأجزاء من ٥: ٧ الباقية في ترجمة عربية فقـط من كتـاب (onica) «ربمـا: الأشـكال المخروطيـة» لأبولونيـوس البرجـي (Apollonius von Perga) مـع Lammata قواعـد / مسـائل أرشـميدس (Archimedes) في ترجمة لاتينية[٥]. ويدين فقه اللغة السـرياني أيضـاً لـه

---

pour le temps et sepace de sept ans.

(١) طبعت الطبعة المهداة إلى رتشليو (Richelieu) التي يورد شـنورر Schnurrer فـي Bibliotheca Arabica S. 468 Nr. 406. عنوانها الصحيح، بحروف سفاري وتمت، إلا أنه تشكيلها مليء بالأخطاء بصورة غير عادية.

(2) Semita sapientiae, sive ad scientias comparandas methodus, nunc primum latini juris facta ab Abrahamo Ecchellensl.

(3) Sapientissimi patris nostri Antonni magni Abbatis Regulae, Semones, Documenta, Admonitiunes, Responsiones et Vita duplex, Omnia nunc Primum ex Arabica lingua latinè reddita ab Abrahamo Ecchellensl, Parisiis 1646.

(4) Chronicon orientale nunc primum latinitate donatum, Parisiis 1651.

(5) Apollonii Pergael lib, V. VI. VII paraphraste Abalphato Asphahanensi nunc primum (latine) editi, Additus in cace Abchimedis assumptorum liber, ex codd, Arabicis mss. A. Ecchellensis Latinos reddidit, Joa, A. Borellus curam in geometricis versioni contulit .. Florentini 1661.

بالفضل في عدة محاضرات، غير أنه قد سخر قلمه بصفة خاصة لطموحات الكنيسة الرومانية في الاتحاد (مع الكنيسة الشرقية) وألّف مع ليو الاتيوس Leo Allatius ودافع كذلك عن وجهات النظر الكنيسة لروما وحَمَل بشدة على عرض التاريخ الكنسي القديم، الذي قدمه الانجليزي جون سلدن (John Selden) والسويسري ج. هـ. هوتنجر (J. H. Hottinger)[1]، وفي روما أيضاً، حيث اشتُغِل بالعربية أساساً بهدف طموحات الاتحاد الكنسي، وسَّع المرء منذ العشرينيات نشاطاً أدبياً أكثر قوة في هذا الحقل / تحرك بداهة في مسارات تقليدية [٧٧] للنحو العربي، ففي سنة ١٦٢٠م نشر الفرانسيسكاني فرانسيسكوس مارتلُوس (Franciscus Martelottus) بأمرٍ من باول الخامس (Paul V) كتابه الفخم «قواعد اللغة العربية»: Institutiones linguae Arabicae[2]. وعالج فيه للمرة الأولى النحو بصورة تفصيلية، وسار دي ساسي (De Sacy)[3] على نهج هذا الغرض حين أراد أن يعرض النحو، بعد أن عالجه على النهج الأوربي، وفق منهج النحاة العرب أيضاً، وأتبعه بعد أربع سنوات تحت العنوان ذاته بالجامع الضعيف الذي كان قد جمعه اليسوعي بطرس متوشيتا (Jesuit Petrus Metoscita) السوري الأصل من كتب النحو العربية[4]. وفي سنة ١٦٣١م نشر الفرنسيسكاني توماس أوبتشيني النوفاري (Thomas Obicinus a Noravia) (Tommaso Obicini ت: ١٦٣٣م) الذي قضى بدءاً من ١٦١٤م أو ١٦١٥م عشر سنوات في الشرق راعياً لكنيسة النجاة في القدس، ثم صار محاضراً للغات الشرقية في كاتدرائية القديس بطرس (S. Petrum) في مونتي أوريو (Monte

---

(1) Eutychius patriarcha Alexandrinus vindicatus. Romae 1661.

(٢) انظر: Schnurrer, Bibliotheca, 34, Nr. 56.

(3) Grammaire arabe, Paris 1810, II, 378 ff. bzw. 2. Aufl. 1831, II, 508 ff.

(4) Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 36 Nr. 59.

(Aureo في روما[١]، الآجرومية للمرة الرابعة مع ترجمة لاتينية جيدة وهوامش مفصلة[٢]. وترجم بالإضافة إلى ذلك معجماً عربياً – سريانياً مرتباً ترتيباً موضوعياً، «الترجمان في تعليم لغة السريان»: Kitāb at targumān fī taʿlīm luġat as Suryān – للنسطوري الياس برشينايا (Elias Bar Šīnāyā)[٣] إلى اللاتينية ترجمة مليئة بالأخطاء باستثناء الفصول الثلاثة الأخيرة، ونشر النص والترجمة بعد موته سنة ١٦٣٦م تلميذه وخليفته دومينيكوس جرمانوس دي سيلسيا (Dominicus Germanus de Silesia) (١٥٨٨-١٦٧٠م)[٤]، دون ذكر المؤلف السرياني تحت عنوان غلط «القاموس العربي – السرياني – اللاتيني»: Thesaurus Arabico – Syro - Latinus[٥]. وقد اقتنع جرمانوس دي سيلسيا الذي مكث في الشرق أربع سنوات / بأن أي مبشر [٧٨] يجب أن يعرف اللغة الدارجة بصفة خاصة، ونشر في العام نفسه كذلك مؤلفاً خاصاً: Fabrica overo Dittionario della lingua volgare arabica et Italiana[٦] «قاموس اللغة العربية الدارجة والإيطالية»، الذي هو برغم العنوان ليس معجماً، بل مدخلاً لا قيمة له إلى حد ما إلى العربية الدارجة، وتبعه سنة

---

(١) وكان أيضاً الذي أحضر أول تصوير لنقش من سيناء إلى أوربا حيث نشره سنة ١٦٣٦م أثناثيوس كيرشر (Athanasius Kircher) في: Prodromus Coptus ص ٢٠٤.

(٢) انظر شنورر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 38, Nr. 63.

(٣) نشر الكتاب بناءً على مخطوطتين لدي لاجارد De Lagarde Praetermissorum libri duo, 1879, S. 1- 89.

انظر: حول المؤلف باومشتارك: Baumstark, Gesch. d. syr. Lit., 287.

(٤) عنه انظر: Marcel Devic, Une Traduction inédite du Coran in J. A. VIII me S., t. I, 1883, P. 343- 406, und C. A. Nallino, Rendic della R. Acc. Naz. dei Lincei, s. VI., VII. 1931, S. 323, Anm. I.

(٥) انظر: J. H. Moller, Uber den syrischen Nomenclator des Thomas a Novaria, Gotha 1840.

(6) Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 43, Nr. 67.

١٦٣٩م في: Fabrica linguae Arabicae[1] قائمة مفردات إيطالية – لاتينية – عربية غير مهمة أيضاً، وعمل فيما بعد مبشراً أيضاً في إيران، واشتغل بالفارسية والتركية وكتب: مدخل عملي إلى اللغات العربية والفارسية والتركية Inroductorium practicum in linguas Arabicam, Persicam, Turciam, الذي لم يظهر مطبوعاً[2] مثل أغلب أعماله[3]، وظل عمله الضخم أيضاً وهو ترجمة للقرآن إلى اللاتينية مزودة بهوامش، أعدها (قبل ١٦٦٥م) بعد عودته من الشرق (بعد ١٦٥٠م) وسط غزارة المخطوطات الغنية في مكتبة الاسكوريال، غيرَ مطبوع، وطغت عليها بعد بضعة عقود ترجمة القرآن المصحوبة أيضاً بدحض مفصل للمتبحر في العربية الإيطالي الكبير في القرن السابع عشر الميلادي لودفيكو مارتشي (Lodovico Marracci)[4] طغياناً تاماً إلى حد أن مؤلِّف سلفه طواه النسيان طياً تاماً[5]. وفي الوقت الذي كان فيه جرمانوس سيلسيا ما يزال محاضراً للعربية في روما، نشر الوكيل العام لمذهبه فيليبو جواد جنولي (Filippo Guadagnoli) سنة ١٦٤٢م تحت عنوان «مختصر قواعد اللغة العربية»: Breves arabicae linguae institutiones كتاباً جديداً في النحو العربي، وسعى جاهداً إلى إتمامه بقدر المستطاع وضَمَّنَه –

---

(1) Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 45, Nr. 71.

(٢) احتفظ بها مخطوطات في الاسكوريال (كسيري Casiri, Nr. 1628) انظر دفيك (Devic) في الكتاب السابق ص ٣٦٣.

(٣) دفيك (Devic) في الكتاب السابق يسرد تحت ١٥ عنواناً ثلاث طبعات فقط.

(٤) عن مارتشي (Marracci) انظر: أ. نلينو (A. Nallino)

Le fonti arabe manoscritte dell' opera di Ludovico Marracci sul Corano in Rendiconti della R. Accademia dei Lincei, S. VI, vol. VII, 1931- 303- 349.

(٥) لم يظهر في عملي إكمال مقالة التي وضعها دفيك (Devic) في الكتاب السابق ذكره ص ٤٠٦ في مخططه، التي ينبغي أن تورد مختصرات من ترجمة دي سيلسيا.

بنقل الخزرجية – العروض[1]. وبعد عشر سنوات دَفَعَتْ الصعوبات التي تعرض لها المتعلمون بسبب اختلاف عربية الكتابة عن اللغة الدارجة، فرانسيسكانياً آخر؛ وهو انطونيوس اب اكيولا (Antonius ab Aquila) الذي صار بعد / عملٍ في [٧٩] التبشير لعشوات سنوات في الشرق محاضراً للعربية في كلية طائفته في روما، إلى أن يدرس العربية من جديد دراسة نحوية حيث حاول أن يعرض بطريقة قاصرة عربية الكتابة واللغة الدارجة متجاورتين جنباً إلى جنب[2]. وبينما لم يشجع العمل الذي أُنجِز في إيطاليا بين سنة ١٦٢٠م وسنة ١٦٥٠م في مجال النحو العربي، تشجيعاً حقيقياً على المعرفة العلمية، أتى حرث إيطالي آخر في الفترة ذاتها وهو انطونيوس جيجيوس (Antonius Giggeius) بثمار أفضل في حقل علم المعاجم العربية، فمعجمه: Thesaurus linguae Arabicae الذي طبع سنة ١٦٣٢م في مايلاند (Mailand) على نفقة الكاردينال فد ريجو بورومي (Federigo Borromei) في أربعة كتب ضخمة[3]، بنى – بناءً على معلومة جوليوس (Golius) [4] في الأساس – على قاموس الفيروز آبادي[5]. وعرَّف

---

(1) Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 47, Nr. 72.

(2) Arabicae linguac novae, et methodicae institutions, non ad vulgaris dumtaxat idiomatis, sed etiam ad grammaticae doctrinais intelligentiam, per annotationes in capitum appendicibus suffixas, accomedatae, Authoer, F. Antonio AB Aquila .. Romae 1650.

انظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 50, Nr. 78.

هذا النحو يدعم ج. د. ميشائيلس (انظر: تبادل الرسائل الأدبية ٣/ ٢٧٣) في وجهة نظره الخاطئة بأن الإعراب العربي من اختراع النحاة.

(٣) وبما أن الكتاب ليس متاحاً لي فإني أستند إلى وصف شنورر في:

Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 39- 41, Nr. 64, angewiesen.

وانظر أيضاً: Nallino, Rendiconti della R. Accademia nazionale dei Lincei, S. VI. Vol. VII. 1931, S. 342.

(٤) في مقدمة معجمه: Lexicon Arabico - Latinum, fol. I verso.

(٥) في فقرة من مقدمة معجمه (Thesaurus) التي طبعها شنورر في الكتاب السابق =

للمرة الأولى الغربَ بمحتوى معجم عربي ضخم، غير أنه بعد عشرين سنة قد فاقه معجم Lexicon Arabico - Latinum لجوليوس الذي تؤكد مزاياه أنه في مجال علم المعاجم العربية أيضاً لا يمكن التفوق بسهولة على إنجازات المدرسة الهولندية.

١٦- ياكوبس جوليوس

ياكوبس جوليوس (١٥٩٦- ١٦٦٧)(١) درس في ليدن دراسات متشعبة للغاية، وتقلب بين علم اللاهوت والفلسفة / والطب والرياضيات، غير أن [٨٠] اربنيوس (Erpenius) قد نجح في ضمه للدراسات العربية.

وبينما لم يرَ أستاذه الشرق إطلاقاً بأم عينيه فإنه قد أتيح له هو أن يرافق سنة ١٦٢٢م مبعوثاً سافر إلى المغرب بناء على طلب من الدولة (Generalstaaten)، وكما يبدو أنه مكث فترة طويلة في ميناء صافي الواقع على المحيط الأطلنطي الذي كان آنذاك المركز التجاري الرئيسي للتجارة الخارجية المغربية، وتدرب هناك على استعمال العربية، ودرس في تأريخ ابن أبي زرع (روض القرطاس)؛ أقدم تاريخ للبلاد، وجمع مخطوطات عربية، واستفسر على هدي إشارة اربنيوس عن الأسماء العربية لمنتجات البلاد من كل نوع، حيث حافظ بذلك على مصالح بلده التجارية أيضاً، وعاد سنة ١٦٢٤م إلى ليدن، وعُيِّن أستاذاً للعربية حين مات اربنيوس في السنة نفسها، غير أنه بعد عام واحد وافق له أعضاء مجلس الجامعة في تفهم كامل وسخاء على إجازة لرحلة جديدة إلى الشرق ووضعوا تحت تصرفه أموالاً ضخمة لشراء مخطوطات، وتوقف في

= ص ٤٠، عَبَّر جيجيوس عن هدفه في جمع مجلد واحد ما يوجد عند المعجميين العرب موزعاً في أعمال مختلفة.

(١) انظر: Dozy im Prolog zum Catalogus Codicum Arabicorum Bibl. Acad. Lugd. – Bat. Ed. II, 1888, S. 11 ff.

النصف الثاني من العام في حلب، وزار أنطاكية ومدناً شامية أخرى، ورافق القوات التركية في زحفهم على الفرس (كانت بغداد منذ ١٦٢٣م في أيدي الفرس) حتى ما بعد الرافدين، وسافر عبر آسيا الصغرى إلى القسطنطينية، وعاد من هناك إلى ليدن، حيث وصل ثانية في بداية سنة ١٦٢٩م بعد غياب دام أكثر من أربعة سنوات، وأُسْنِد إليه بالإضافة إلى منصب الأستاذية في العربية، منصب الأستاذية في الرياضيات أيضاً، وعمل دبلوماسياً حتى وفاته سنة ١٦٦٧م.

وتضم المخطوطات المئتان والخمسون تقريباً التي جلبها من رحلاته (القسم الأكبر لمكتبة ليدن، حيث ما تزال محفوظة إلى اليوم) مؤلفات أدبية عربية كثيرة، لم تكن معروفة في أوربا آنذاك حتى أسماؤها، وشكلت هذه المجموعة الصغيرة ولكنها نُظِّمت بمهارة وبمعرفة موضوعية، النواةَ الفعلية لقسم الاستشراق في مكتبة ليدن الذي لم يُقدم إلى اليوم من ناحية العدد ولا من ناحية المحتوى، وأسس شهرتها الكبيرة التي استمرت في صعودها بصورة ملحوظة حين آلت إليها بعد بضعة عقود (ليس بعد سنة ١٦٦٩م) وصية فارنر، أي مجموعة المخطوطات الشرقية التي تعد بألف مجلد تقريباً، / التي قد خلفها للمكتبة تلميذ [٨١] يوليوس، الذي كان يعيش منذ ١٦٤٤م في القسطنطينية ومنذ ١٦٥٥م مثَّل لفينوس فارنر (Levinus Warner)(١) بلاده لدى الباب العالي، وقد هيأت هذه الكنوز الغنية من الكتب التي جعلت من ليدن كعبةَ كل المتخصصين في الدراسات العربية في الغرب، أساساً راسخاً لعمل جوليوس، ويظهر ذلك أيضاً في كتاب المطالعة العربي: شذرات الأدب من كلام العرب(٢). الذي ظهر سنة ١٦٢٩م في مطبعة الزفير (Elzevir) – وهي التي اقتنت بوجه خاص ما تبقى من حروف

---

(1) Dozy im Catal. Codicum Arabicorum Bible. Acad. Lugd. – Bat., ed, II, 1888, P. XI und De Lagarde, Persische Studien, Göttingen 1884, S. 5. «دي لاجارد: دراسات فارسية»

(٢) انظر العنوان التام لدى شنورر: Schurrer, Bibliotheca Arabica, 185.

أربنيوس[١] – من أجل محاضراته، دون أن يطلق على نفسه ناشرا، فهو يضم أولاً مختارات مشكلة تشكيلاً تاماً من ١٦٥ قولاً مأثوراً منسوباً إلى عليّ، ولامية العجم للطغرائي الذائعة الصيت على أنها أول محاولة لفن الشعر العربي تطبع في الغرب، ثم خطبة لابن سينا غير مشكلة. وفي الخاتمة في المكان الخالي بضعة أبيات غير مشكلة أيضاً، ولما كانت هذه النصوص أيضاً ترجع في مجموعها إلى عصر ما بعد الكلاسيكي أيضاً، فقد كُتِبَ في لغة سليمة، وأيضاً حين أعاد طبع كتاب أربنيوس في النحو سنة ١٦٥٦م، أدرج تحت النصوص الملاحق السورة رقم (٣١) (لقمان) والسورة رقم (٦١) (الصف) وأيضاً المقامة الأولى من مقامات الحريري وقصيدة لأبي العلاء المعري. غير أنه لم يحذف حكايات لقمان والأمثال المائتين برغم لغتها المليئة بالأخطاء، ووضع في اعتباره أيضاً تلك التي تحدث متعة في الأدب المسيحي – العربي من خلال طبع موعظة عيد الميلاد للبطريك النسطوري الياس الثالث أبو حليم الحديثي (Elias III Abū Halīm al-Ḥadīthī) (ت ١١٩٠م)، غير أنه ظل مع ذلك على يقين بأن المتعلمين يجب أن يتعرفوا الآن العلماءَ العظام في اللغة العربية وأن يُبرِز التراث العربي في إطار بعض ممثليه المهمين في محيط رؤيتهم، وعني يوليوس نفسه سنة ١٦٣٦م بطبع نص لا يخلو من أخطاء لابن عربشاه وهو «عجائب المقدور (في أخبار تيمور) صورة ساخرة لحياة / الغازي العظيم تيمور[٢]، وعرَّف الغرب من خلاله [٢

---

(١) انظر: De Goeje, Catalogus Codicum Arab. Bible, Acad. Lugd., Bat., ed. II, 1888, P. IV, ann,3.

(٢) كتاب عجايب المقدور في أخبار تيمور تأليف أحمد بن عربشاه

Ahmedis Arabisiadae vitae et rerum gestarum Timuri, qui vulgo Tamerlanes dicilur, Historia, Lugduni Batavorum, 1616.

وانظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica 133- 135, Nr. 166.

أورد بيير فاتيه (Pierre Vattier) سنة ١٦٥٨ المذكور فيما سبق مترجماً لتاريخ مكين، معالجة فرنسية متواضعة في مُجلدين:

L Histoire du Grand Tamelan Portrait du Grand Tamelan avec la

للمرة الأولى بنموذج مقيد بهدفه من النثر العربي الفني والأسلوب المزخرف البلاغي المميز. لذوق الشرق الأدبي. وثمة عملٌ آخر شُغِل بنصه سنوات طوال هو «الفصول الثلاثون» للفرغاني التي كانت معروفة منذ مدة طويلة من خلال ترجمات لاتينية ومنتشرة للغاية بوصفها كتاباً تعليمياً موجزاً في علم الفلك، إلا أن الطبعة ظهرت بعد موته بسنتين(١) مع ترجمة لاتينية وهوامش موضحة، تنتهي عند الفصل السابع (ص ٣٨/ ٤ من النص العربي).

والعمل الرئيسي لجوليوس من بينها هو معجمه العربي اللاتيني(٢)، فقد وفرت له من أجل هذا العمل المخطوطات التي جلبها بنفسه من الشرق وسيلة معينة ممتازة، ووُضِعَت المعاجم العربية الضخمة في الاعتبار: صحاح العربية للجوهري والقاموس المحيط للفيروزآبادي، وعني بوجه خاص بأساس البلاغة في المعاني المجازية، وبمجمل اللغة لابن فارس أيضاً مرتب ترتيباً ألفبائياً على النهج الأوربي، ومعجم الألفاظ الأعجمية (المُعَرَّب) للجواليقي، ويضاف إلى ذلك بعض المعاجم العربية – الفارسية (بعضها مخطوطات من ملكه الخاص) مثل: كنز اللغة لابن معروف، وكتابين للميداني لا يعالج فيهما إلا الأسماء (السامي في الأسامي وأدلة الأسماء) ومعجم صغير عربي / – تركي أيضاً (مرقاة اللغة). [٨٣]

---

suite de don histoire jusques l ètablissement de l' Empire du Mogol.

(١) كتاب محمد بن كثير الفرغاني في الحركت السماويت (الحركات السماوية. أ) وجوامع علم النجوم بتفسير الشيخ الفاضل يعقوب غوليوس.

Muhammedis Fil. Ketiri Ferganensis, qui vulgo Alfraganus dicitur, Elementa Astronomica, Arabice et Latine cum notis .. opera Jaconi Golii. Amstelodami 1669.

(2) Jacobi Golii Lexicon Arabico - Latinum, contextum ex probatioribus Orientis lexicographis. Accedit Index latinus copiosissimus, qui Lexici Latino - Arabici veiem explere posit.Lugs. Bat. 1653.

«المعجم العربي اللاتيني» المستند إلى أفضل أصحاب المعاجم في الشرق، ومعه فهرس لاتيني مفصل جداً عليه أن يقوم مقام معجم لاتيني عربي، ليدن، ١٦٥٣م.

واستطاع أن يستفيد من بعض مؤلفات مرتبة ترتيباً ألفبائياً أيضاً، بخلاف هذه المعاجم، من فروع أخرى، يندرج تحتها المعجم الجغرافي لياقوت (معجم البلدان)، وكتاب ابن البيطار عن وسائل الأدوية البسيطة (مفردات النبات)، و«حياة الحيوان» للدميري ، وخلافاً لجيجيوس (Giggeius) الذي استند إلى القاموس، جعل جوليوس معجم الصحاح للجوهري الذي يرجع القرن الرابع الهجري، ويفضله اللغويون العرب بوجه عام أساسَ معجمه، ورجع فيه عند ترجمة التفسيرات التي قدمها الجوهري إلى الفيروز آبادي والزمخشري ومؤلفين عرب آخرين أيضاً في كل مواضع الشك، وكان يسأل المترجمين الفرس والترك أيضاً حين لم يجد لدى المذكورين آنفاً معلومة ما، وعلى الرغم من ذلك فقد بقيت حالات كثيرة وجب أن يكتفي فيها بحكمه الخاص مسترشداً بمحاولة الترجمة المؤقتة، ومن حين إلى آخر كان يكمل المادة التي حصل عليها من المعاجم العربية بثمار المطالعة غير المتواترة من محاضراته المتواصلة، ويكفل فهرس المختصرات الموجود في نهاية المقدمة نظرةً إجمالية لها، ويجد المرء فيه مفسري القرآن الزمخشري والبيضاوي وعجائب المخلوقات للقزويني وتراجم ابن خلكان (وفيات الأعيان) ومروج الذهب للمسعودي وديوان المتنبي وأحياناً مؤلفاً آخر في الأدب العربي، وتذكر إلى جانب ذلك وسائل معجمية أخرى أيضاً لا يستخدمها إلا أحياناً، مثل: مقدمة الأدب للزمخشري (وفق مخطوطة لآدم أوليريوس Adem Olearius[1]، أحضرها من إيران وتركها لجوليوس)، والمعجم العربي - التركي للأختري، والمعجم السرياني - العربي لبرعلي، ومعاجم فارسية - تركية عدة، واعتمد جوليوس منفرداً في ذلك على الاستعمال اللغوي الحي الذي تعلمه في آسيا وأفريقيا، فهو يقدم لكل المعاني التي أوردها شواهد، ويشير إلى كل مرجع برمز، وبديهي أن أكثر الرموز شيوعاً إلى حد بعيد هما الرمزان: (Ca) إشارة إلى (القاموس)، و(Gi) إشارة إلى (الجوهري)،

---

(١) يذكره جوليوس مادحاً إياه في حواشٍ على كتاب الفرغاني.

وأعطى وزنة لترتيب شامل للمادة بأكملها، إذ لم يكن (الترتيب) على نحو مُعارِض غالباً في المعاجم العربية، / فتتقدم داخل الجذور صيغ الأفعال (ابتـداء مـن ص [٨٤] ٢/٣٢) ثم تليها المشتقات الاسمية، حيث ترد الصيغ الأقصر أولاً، تعقبها الأطـول مرتبة وفق تسلسل حروف الهجاء.

ويشكل الخاتمة ذيلٌ من أكثر من ٧٠٤ صفحة لا يستدرك فيه كلمات متفرقـة فحسب، بل جذوراً تجاهلها الجوهري أو نحّاها على أنها غير فصيحة، وقد حقـق معجم جوليوس نجاحاً باهراً، فطيلة قرنين اغترف منه علماء أوربيون معـارفهم في الثروة اللغوية العربية الكلاسيكية حتى أقصاه معجـم فرايتـاج (Freytag): وبديهي أن هذا المعجم قد ارتكز على إنجاز المعجميين العرب، ومن ثم فإنه لـم يُحرِز أي تقدم على (معجمه) جوليوس من ناحية المنهج، وما يزال معجم عربي يقوم على النصوص ذاتها إلى اليوم أيضاً مهمة من المهـام الملحـة للدراسـات العربية في أوربا.

١٧- صمويل بوشارتوس

رأى للغرب عن طريق جوليوس جزءاً مهماً من التـراث الإسـلامي باللغـة العربية، ولما لم تبعُد عن اهتمامات التبشير المسيحية أيضاً – إذ يصف معجمـه في المقدمة بترجمان أفضل ما يتملكه العالم المتحدث بالعربية يمكن أن ينقل إلـى الشعوب المسيحية، والعكس كذلك إذ يحمل إليهم نور الإنجيل – فإن عمله الخاص قد انصب في الحقيقة على المؤلفين المسلمين، وكان من البديهي أن شراح العهد القديم الذين لم يواجه عملهم غالباً بأية عوائق ضخمة في النطاق المحدود لتراث العهد القديم والثروة اللغوية التي يضمها، قد خبروا بجدية أي عـون يمكـن أن يؤملوه في اللغة العربية وأدبها اللذين صارا داخل دائـرة الاهتمـام. والحـق أن صياغات الكتاب المقدس العربية لم يعد يسفر عنها شيء بالنسبة للنقـد وشـيء قليل بالنسبة للشرح، وعلى العكس من ذلك فإن الثروة اللغوية العربية الضـخمة

بصورة غير عادية في يد مفسر حذر أمكن أن يثبت أنها وسيلة تصحيح مفيدة للقرابة اللغوية بين العبرية والعربية.

بيد أنه قد جاز للشارح أن يتوقع استفادةً من الذخائر الغنية للتراث العربي الشامل الذي يضم / كل فروع المعرفة، الذي أقصى كل تراث الشعوب المسيحية [٨٥] في الشرق سواء في حجمه أو أهميته كالكتاب المقدس الناشئ في الشرق، وهكذا استخدم أشهر تلاميذ أربنيوس بعد جوليوس وهو فرانسوز صمويل بوشارتوس (Franzose Samuel Bochartus) (١٥٩٩- ١٦٦٧م) معرفته بالعربية بصورة مطلقة لأهداف شرح الكتاب، ولكنه في حين نظمت موسوعية سكاليجيه المادة الهائلة وفق وجهات نظر عظيمة ودرست التاريخ الجامد برده إلى عصوره، افتقر تاريخ القرن السابق عشر الميلادي المتشعب الغريب إلى أهداف معرفية قيمة، فقد حشد بوشارت على سبيل المثال في الأوراق الضخمة لكتابه (Hierozoicon) كل الأخبار حول الحيوانات في الكتاب المقدس، كل ما وصلت إليه يده منها، وفي الجمع المنوع لمواضع الاستشهاد لديه تأخذ مقتبسات من «حياة الحيوان» للدميري و«عجائب المخلوقات» للقزويني و«القاموس» (فقد غاص فيها من أجل هذا الهدف حين عاش سنة ١٦٥٢ لدى كرستينا (Christina) ملكة السويد في استوكهولم)، وأعمال عربية أخرى مختلفة، أحصاها في نهاية المقدمة (تأخذ) حيزاً ضخماً[١]. ويبين خطابه في ١٤ يناير ١٦٦٦م إلى أستاذ الدراسات الشرقية في سومور (Saumur) جاكوبوس كيلوس (Jacobus Cappellus) أحد أبناء لودوفيكوس كبلوس (Ludovicus Cappellus)[٢]، الذي أوصاه في إلحاح بدراسة العربية، كيف يُقدِّر هذه الإسهامات العربية تقديراً كبيراً.

---

(1) Hierozoicon, ed. III, Lugs. Bat. 1692, P. 62.

(٢) طبع في: Samuelis Bocharti Opera omnia (I), Lugs. Bat. 1692, col. 853- 856.

وقد أورد دليلاً على ذلك سلسلة من أسماء الحيوانات في الكتاب المقدس لم يستطع أن يُحدد أهميتها إلا بمساعدة العربية. وسادت بعض محاولات شرحه إلى يومنا هذا، ولكن أكثرها يجب أن يُقوّم مرة أخرى، إذ تبين له أن علم الاشتقاق مستشار غير ثقة، وأن مسائل استخدام الكلمة لا يمكن أن تحسم به وحده إطلاقاً.

١٨- ادواردوس بوكوكيوس

في حقيقة الأمر دُرِست العربية في انجلترا أيضاً في إطار الاهتمام بعلم اللاهوت، حين نشر جوانس سلدنوس (Joannes Seldenus) (جون سلدن ١٥٨٤- ١٦٥٤م) سنة ١٦٤٢م من تاريخ ابن البطريق (Eutychius) / فصلاً [٨٦] عن نشأة كنيسة الإسكندرية[1]، وصحح المازوني المذكور فيما سبق ابراهام اتشلنسيس بعد عشرين عاماً – في المقابل – كتابه Eutychius Patriarcha Alexandrinus vindicatus، فإنهما تساءلا عما إذا كان للقساوسة والأساقفة المكانة ذاتها أم لا؛ وهو سؤال عالجه قبل ذلك بقليل كلوديوس سلمسيوس (Claudius Salmasius) في (كتابه): De focnore Trapezitico بمفهوم إصلاحي وهاجمه اليسوعي بتافيوس (Petavius) في كتابه: Dissertationes. Ecclesiaticae de Episcoporum dignitate et jurisdictione من وجهة نظر الكنيسة الرومانية، واشترك في المشروع الضخم الذي أقامه برايان والتون (Bryan Walton) لمعجم لندن المتعدد اللغات (Londoner Polyglotte) الذي ظهر سنة ١٦٥٧م، كل مستشرقي انجلترا المشهورين: بوكوكيوس (١٦٠٤- ١٦٩١م) أول من تولى كرسي الأستاذية في اللغة العربية في أكسفورد، وادم كاستلوس (Edm Castellus) كاستل (١٦٠٦- ١٦٧٤م) الذي مثّل التخصص ذاته في كمبردج حيث بدأ تدريسه بمحاضرات حول الكتاب الثاني من قانون ابن

---

(1) Eutychii Aegyptii, Patriarchae Orthodoxorum Alexandrini.. Ecciesiac suae Origines. Ex eiusdem Arabico nune primum typis edidit ac Versione et Commentario auxit Jo. Seldenus. Londini r642.

سينا[1]. ثــم تومـــاس جرافيــوس (Thomas Gravius) جــرافس (١٦١٢- ١٦٧٦م) الذي دَرَّس العربية في أكسفورد أيضاً[2]. وهــو شــقيق عـــالم الفلــك والرياضيات جون جرافس (١٦٠٢- ١٦٥٢م) الذي نشر سنة ١٦٥٠م جزءاً من جغرافيا أبي الفداء بالعربية[3] مع ترجمة لاتينية، وكان قد عرف الغرب كذلك على الجداول الفلكية للطوسي وأولج بك[4]، وأيضاً عالم اللغة العبرية جون لايتفــوت (John Lightfoot) (١٦٠٢- ١٦٧٥م) نائب مستشار جامعة كمبردج، ومــن بين الشباب صمويل كلريكوس (Samuel Clericus) وتوماس هايد (Thomas Hyde) (١٦٣٦- ١٧٠٣م) المدير العام لمكتبة بودليانا، وخليفة بوكوك منذ سنة ١٦٩١م، وقد فاقهم جميعاً في الأهمية / ادوارد بوكوك[5]. درّس بوكــوك علــم [٨٧] اللاهوت في اكسفورد، ثم وجد فرصة بوصفه قسيساً معاوناً للجالية الانجليزية في حلب لدراسة اللغة العربية دراسة أساسية، وعُيِّن سنة ١٦٣٦م في وظيفة أستاذ للغة العربية في جامعة أكسفورد، غير أنه قام في العالم التالي برحلة ثانية إلــى الشرق، وبخاصة من أجل الحصول على مخطوطات، وفي رحلـــة العــودة مــن استانبول نــاقش ســنة ١٦٤٠م مــع رجــل الدولـــة (السياســي) الهولنــدي

---

(١) انظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 7, Nr. 12.

عمل كاستل المعروف هو معجمه الذائع الصيت بسبب دقته (lexicon heptaglotton).

(2) Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 7, Nr. 10.

(3) Chorasmiae et Mauwaralnahrae, he. e. Regionum extra fluvium Oxum desriptio ex tabulis Abulfedae Ismaelis, principis Hamah. Londini 1650.

انظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 122, Nr. 159.

(4) Binae Tabulae. Geographicae una Nasir Eddini Persae altera Ulug Beigi Tatari: operá et studio, Johannis Gravii nunc primum publicatae. Londini 1652.

(٥) أثبــت نللينــوفي: Nallino, Rivista degli studi orientali X, 1925, S. 438 Anm. 2.

مجلة الدراسات الشرقية أن صيغة الاسم الصحيحة هي (Pocock) وليست (Pococke).

هوجو جرتيوس (Hugo Grotius) (دي جروت ١٥٨٣- ١٦٤٥) الذي كان يعيش في المنفى، خُطةَ ترجمة كتابه المشهور: «في حقيقة الديانة المسيحية» de veritate religionis Christianae إلى العربية ونشره في الشرق.

ولقد وجد بعد عشرين عاماً فاعل خير تكفّل بتكاليف الطبع[1]. وبعد أن عاد إلى أكسفورد شغل من جديد كرسي الأستاذية في اللغة العربية وفي اللغة العبرية في الوقت ذاته، واحتفظ بهذا المنصب المزدوج حتى وفاته، وتبين نشرته (لم تطبع إلا سنة ١٦٦١م) للامية المعجم للطُغرائي[2] كيف بحث النصوص العربية مع تلاميذه. ويُحلل هناك (مستعيناً بالشرح المفصل للصفدي) كل كلمة نحوياً، ويحدد جذرها، ويشير إلى معناها، وحين يكون الأمر ضرورياً تُضاف اشتقاقات أخرى وتذكر في الخاتمة الكلمات القريبة لها اشتقاقياً في العبرية والكلدانية والسريانية، ويستخلص من الفهرس الذي أرفقه بوكوك بالطبعة أنه لم يكن يشترط في مستمعيه القدرة على تحليل مستقل، ولم يُورِد فيه كل الكلمات المعالجة في الشرح وفق الجذر، وإنما في الصورة الشكلية تماماً التي ظهرت بها عَرَضاً في القصيدة، وتُصحب علاوة على ذلك في الشرح كل كلمة عربية في العادة بكتابة صوتية لاتينية، ومن ثم فلم يكن من المستغرب أيضاً أن التفسير لم يتعد الإيضاح البسيط للكلمة.

/ ويمكن أن نلخص من عرض الأوزان العربية الذي أسهم به أحد تلاميذ [٨٨]

---

(1) Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 250, Nr. 254.

ترجم بوكوك لأهداف تبشيرية قواعد الدين المسيحي والطقوس الدينية لكنيسة الانجليزية، انظر: Schnurrer, 254, Nr. 258 und 259.

(٢) لامية المعجم:

Lamiato' l Ajam, Carmen Tograi, Poetae Arabis Doctissimi, unà cum versione Latina, et notis praxin illius exhibentibus: Operà Eduardi Pocockii, L. L. Hebr. et Arab. Profess. Accessit Tractatus de Prosodia Arabica. Oxonii. 1661.

بوكوك وهو صمويل كلريكوس (Samuel Clericus) القائم على الخزرجيـــة[1]، إلى أن عناصر علم الشعر (الوزن) والقافية العربي قد شرحت للطلاب.

وخلافاً لهذه الطبعة المحددة لتعليم المبتدئين ظهر سنة ١٦٥٠م كتابه: نماذج (لُمَع) من أخبار العرب: Specimen Historiae Arabum[2]: الذي طبع فـــي أكسفورد بحروف عربية، وهو كتاب علمي شديد الصعوبة، أبرز بصـــورة جليـــة سعة اطلاع مؤلفه ومعرفته الراسخة باللغة، وحكمه الموضوعي السليم، وتشـــكل النهاية عدة صفحات من تاريخ العالم باللغة العربية للقبطي (اليعقوبي) أبي الفرج جرجويوس (المعروف باسم برهبريوس Bar Hebraeus (ابـــن العبـــري)، ت ٦٨٨ هـــ/ ١٢٨٩م) وبها صدر عرضه للتـــاريخ الإســـلامي[3]: وتضـــم بعـــض ملحوظات ضرورية مقتبسة من طبقات الأم (لابن) صاعد الأندلسي[4]، عن العرب فيما قبل الإسلام، وقائمة متواضعة للتواريخ الأساسية من حياة محمد مع ملحق[5] حول شواهد من الكتاب المقدس يوردها المسلمون عن نبـــيهم (التثنيـــة ٣٣/ ٢ ومزمور ٥٠/ ٢، وانجيل يوحنا ١٦/ ٧)، ثم نظرة عامة مـــوجزة عـــن الفـــرق الإسلامية الأساسية والمذاهب الفقهية التقليدية الأربعة، التي تصب فـــي أركـــان

---

(١) كان نص هذه القصيدة التعليميـــة المحببـــة قـــد نشـــره ســـنة ١٦٤٢م جـــواد اجنـــولي (Gaudagnoli) في: Breves arabicae linguae institutions.

(2) لمع من أخبـــار العـــرب Specimen historiae Arabium, Sive Gregorii Abul Farajii Malatiensis, de origine et moribus Arabum succincta narratio, in linguam latinam conversa, notisque e probatissimis apud ipsos authoribus, fusius illustrats. Operà et studio Eduardi Pocokii, Linguarum hebr. Et arab. In Acad. Oxon. Prof. Oxoniae 1650. Siehe Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 140. Nr. 169.

(3) Ibn al - ʿIbrī, Muḫtaṣar tā' rīḫ ad - duwal, P. P. A. Salhani, Beyrouth 1890, P. 158- 168.

(4) P. 41- 46 der Ausgabe Cheikhos.

(٥) سقط من طبعة صالحاني (Salhani)، ربما لمراعاة الرقابة العثمانية، انظر: Nallino, Rendic. Della R. Acc. D. Lincei, S, VI vol. VII, 1931, S. 308, Anm. 3.

الإسلام الخمسة، غير أنه تكمن القيمة الحقيقية في الملحوظات المفيدة إفادة كبيرة، جعل بها بوكوك (Pocock) هذا النص الذي لا طعم له مستساغاً إلى حد أنه يمكن أن نقول / عنها إن للمرق في الفم طعماً ألذَّ من السمك. [٨٩]

ويخص نصفها العرب فيما قبل الإسلام؛ أصلهم، وتاريخهم، ودينهم، وثقافتهم، وبخلاف ذلك خُصِّصت عُشر الملحوظات لحياة محمد ﷺ مرة أخرى، وشعر مؤلفنا إلى حد ما أنه مفتون بنبي الإسلام، أثارته بصفة خاصة حياة محمد العائلية، العدد الكبير لأزواجه وبخاصة اقترانه بزينب، زوج مولاه زيد، وبما أنه يرى التخلي عن المتعة الحسية كشرط حتمي لكل كمال خلقي يجب أن يتحلى به أي نبي من الأنبياء، ومن ثم فإنه رفض أقوال محمد في النبوة، على أنه وإن لم يستخدم أيضاً ألفاظ السباب التي أطلقها معاصروه على النبي العربي، فإن حكمه عليه من الناحية الموضوعية ليس أقل حدة[1]. أما الملحوظات حول تاريخ الفرق الإسلامي كذلك فمستفيضة جداً يورد فيها نصوصاً مقتبسة من (كتب) الغزالي والشهرستاني والإيجي، وهكذا فإن هذا الكتاب ينقل للغرب في كل صفحة من صفحاته معرفة عميقة بتاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، وكفل للمرة الأولى نظرة عميقة في الوثنية العربية، وأوردت من جانب آخر مادة جديدة غزيرة (وإن كانت من مصادر متأخرة) حول تاريخ الدين الإسلامي، ومهد فهم المشكلات المستحكمة، واستمر تأثير الكتاب في كل المجالين حتى القرن التاسع عشر الميلادي، ونشر كوكوك سنة ١٦٥٥م عدة فصول من شرح المشنا لابن ميمون (بخاصة مقدمات لنظم قوادشيم وتوهروت ونبذة عن مناشوت وتفسير سنهدرين أيضاً، والفصل العاشر، والمقدمة المشهورة (الفصل الثامن) للأقوال المأثورة للآباء أيضاً) باللغة العربية مع ترجمة لاتينية[2]، وأضيفت تعليقات متنوعة

---

(1) Quid igitur de isto qui totus in libidinem effuses, atque hoc inter praecipua muneris Prophetici privilegia habuit, statuendum?.
(انظر موضوع ٤٠، الطبعة المعادة التي عني بها ج. فيته (J. Whtte) ١٨٠٦.

(2) Porta Mosis sive Dissertationes aliquot a R. Mose Maimonide suis

(Notae miscellaneae) ملحقاً له، ليست لها علاقة بنص ابن ميمــون، / بــل [٩٠] خصصت في الغالب لشرح مواضع الكتاب المقدس، تخص ملحوظة منها بإسهاب مسائل يهودية تتعلق بالآخرة، وتعالج أخرى[١] أموراً إسلامية تتصل بالآخرة أيضاً وبخاصة بناء على معلومات لابن سينا وفخر الدين الرازي، وبعد ثلاث ســنوات ظهرت الطبعة التي طال انتظارها من تاريخ ابن البطريق (Eutychius) الذي قد أعد نصه سلدن (Selden) كذلك، بينما لم يورد بوكوك إلا الترجمة اللاتينيــة[٢]. وتلاه أخيراً سنة ١٦٦٣م الطبعة الكاملة لتاريخ مختصــر الــدول لأبــي الفــرج جرجوريوس (برهبريوس (ابن العِبريّ Bar Hebraeus)[٣]. وعني بوكوك الابن الذي يحمل الاسم ذاته، وليس الأب، بالطبعة التــي أذاعــت الروايــة الفلســفية المشهورة (رسالة حي بن يقظان لابن الطفيل ت. ٥٨١ هـ/ ١١٨٥) في نصــها العربي وترجمة لاتينية[٤]. وخلَّف بوكوك لابنه نشر كتاب عبد اللطيف عن مصــر

---

in varias Mishnaioth .. coomentariis praemissae .. nunc primum Arabice et Latine edita .. opera et studio Eduardi Pocockii. Oxonaie 1655.

تصحيحات فلايشر (Fleischer) للنص توجد في طبعة م. فولــف M. Wolff «البــاب الثامن» ليدن ١٩٠٣، ص٩٠- ٩٤ نشر الملاحــق ك. راينكيــوس Chr. Reineccius ص ١٧٠٥ في ليبزج تحت عنوان:

Ed. Pocockii .. Notae Miscellaneae philologici - biblicae gesondert herausgegeben.

(١) انظر ص ٢٣٥- ٣١٣ (= ص ٢٢٣- ٣٠١ من الطبعة المعادة).

(2) Contextus Gemmarum, sive Eutychii Patriarchae Alexandrini Annales. Den genauen Titel gibt Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 145, Nr. 172.

يقدم شنورر العنوان الدقيق

(٣) تاريخ مختصر الدول:

Historia compendiosa Dynastiarum authore Gregorio Abul - Farajio .. arabice edita, et latine versa ab Ed. Pocockio, Oxoniae 1663, Siehe Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 142, Nr. 170.

(4) Philosophus Autodidactus, sive Epistola Abi Jaafar Ebn Tophail de Hai Ebn Yokdhan, in qua ostenditur quomodo ex inferiorum

(المواعظ والاعتبار بما في مصر من الآثار) أيضاً، بل أوقف هذا الأخير الطبع بعد وفاة الوالد، ومر قرن من الزمان تقريباً حتى نشرت مذكرات الطبيب المصري[1].

١٩- الدراسات العربية في ألمانيا في أثناء القرن السابع عشر الميلادي

كان الاشتغال بالعربية في ألمانيا في أثناء القرن السابع عشر الميلادي أقل إلى حد بعيد منه في هولندا أو إيطاليا أو فرنسا أو انجلترا كان هناك علماء اللاهوت بوجه خاص الذين يُعنَون قليلاً بهذه اللغة بشكل ثانوي، غير أنهم كانوا يفتقرون / إلى وسائل معينة افتقاراً كبيراً، ومن رغب في أن ينجز شيئاً ما في [٩١] هذا المجال كان يجب عليه أن يرحل إلى الخارج مثل شلزير يوهان ايلشمان (Schlesier Johann Elichmann) الذي نزل في ليدن طبيباً، فقد وجد في مخطوطة ليدن لمسكويه (جاويذان خِرذ) «الحكمة الخالدة» في ترجمة عربية، وصورة سبه (Cebe)، وهي حكاية خيالية للحياة الإنسانية وضعها تلميذ سقراط سبه، وشكّل نَصُّها الأصلي اليوناني مادة مطالعة مدرسية محببة آنذاك. و«الوصايا الذهبية» التي يقال أنه وضعها فيثاغورث (Pythagoras) شعراً، أيضاً، وقد زوّد النصين بتشكيل كامل ونقلهما إلى اللاتينية ووضع النص الأصلي

---

contemplatione ad superiorum notitiam ratio humana adscendere possit. Ex arabica in linguam Latinam versa ab Eduardo Pocockio A. M. Aedis Christi alumno. Oxonii 1671.

ظهرت طبعة ثانية (بنفس العنوان) سنة ١٧٠٠م.

الفيلسوف المعلم نفسه بنفسه أو رسالة أبي جعفر ابن الطفيل عن حي ابن يقظان، وفيها يبين كيف يمكن للعقل الإنساني أن يصعد من تأمل الأمور الدنيا إلى معرفة الأمور العليا، ترجمها من العربية إلى اللاتينية ادورد بوكوك، اكسفورد ١٦٧١ م.

انظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 470, Nr. 408.

يشار عنده أيضاً إلى ترجمات الكتاب إلى لغات أوربية أخرى.

(١) انظر العرض المفصل لدى شنورر (Schnurrer) في كتابه:
Bibliotheca Arabica, 150- 155.

* نشره سيلفستر دي ساسي.

اليوناني إلى جوارهما، وربط به الصياغة الموضحة للوحة اللاتينية القديمة أيضاً التي ترجع إلى بداونر ل. أودكسيوس (Paduaner Lud. Odaxius).

ولما كان قد اشتغل أيضاً في حماس باللغة الفارسية التي لم يكـن يدرسـها آنذاك إلا قلة[1] فإنه فكر في أن يضيف ترجمة فارسية أيضاً، ولكنه رحل في أحلى سني عمره قبل إتمام الكتـاب، وعنـي كلاوديـوس سلْماسـيوس (Claudius Salmasius) ساوميز (Saumaise ١٥٨٨- ١٦٥٣م) بالطبعة اليتيمة ونشرها سنة ١٦٤٠م مع مقدمة طويلة[2]، تفحص فيها الترجمة العربية وأظهر بـذلك - كما في كتابه الذي خلفه أيضاً وهو: Exercitationes de homonymis hyles iatricae[3] المعارف الجديرة بالملاحظة حقاً. وقد توجه عالم اللاهوت المصـلح يوهان هاينريش هوتنجر أيضـاً (Johann Heinrich Hottinger) (١٦٢٠-١٦٦٧م) من زيورخ، الذي عمل فـي جامعـة هايـدلبرج مـن سـنة ١٦٥٥-١٦٦١م، إلى ليدن، لكي يدرس العربية لدى جوليوس. وكـان أول مـن عمـل باجتهاد في علـم فهرسـة الكتـب وتـاريخ الأدب العبـريين: ويضـم كتابـه: Promtuarium[4] باباً طويلاً: في المكتبة العربية de bibliotheca arabica سرد فيه مؤلفات عربية كثيرة لمؤلفين مسيحيين، ويهود وسامريين ومسـلمين،

---

(١) نجد النصوص التي ظهرت حتى ١٧٠٠ بهذه اللغة في أوربا لدى:
De Lagarde, Persische Studien, Gottingen 1884, S. 1- 10.

(2) Tabula Cebetis graece, arabice latine, item Aurea Carmina Pythagorae, cum paraphrasi Arabica, Auctore Johanne Elichmanno M. D. cum Praefatione C. Salmasii, Lugduni Batavorum 1640.

(٣) طبع في: Claudii Salmasii Plinianae Exercitatione, Traj, 1689. في نهاية المجلد الثاني.

(4) Joh. Henrici Hottingeri Promtuarium sive Bibliotheca orientalis exhibens catalogum, sive, centurias aliquot tam authorum, quam librorum Hebraicorum, Syriacorum, Arabicorum, Aegyptiacorum, Aethiopicorum etc- Heidelberg 1658.

وأورد فيه مقتبسات عدة بنصها العربية وترجمة لاتينية، مثـل نمـوذج (سـفر التكوين ٩/ ١- ٢٣) من ترجمة الأسفار الخمسة التي يستخدمها السامريون (ص ٩٨- ١٠٠) وفهرس للمختصرات من مخطوطة للقرآن من بازل (Basler) يُذكَر فيها قراء القرآن المختلفون[١]. / وترد فـي موضـع آخـر (ص ٢٩٥- ٣٠٣) [٩٢] مقدمة القاموس السرياني - العربي لبر علي، ويضم الذيل فهـارس مخطوطـات قصيرة عدة، من بينها قائمة من ٢٦١ مخطوطاً عربياً في مكتبـة الاسـكوريال، ونشر هوتنجر (ص ٢٤٦- ٢٩١) فـي: Bibliothecarius quadripartitus كتـاب ليـو الأفريقـي Leo Africanus liber de viris quibusdam illustribus apud Arabes في ترجمة لاتينية للمرة الأولى، وقدَّم (ص ٢٤٦- ٢٩٤) نموذجاً لفهرسة عربية في المستقبل وفق الحروف الهجائية قائمة من ٤٥ مؤلفاً عربياً تبدأ أسماؤهم بحرف الهمزة مع ملحوظات موجزة مستقاة من ابـن خلكان.

وكان أيضاً أول من أذاع معلومات وثيقة عن مضـمون الفهرسـت (لابـن النديم)[٢]، ونشر على سبيل المثال في: Promtuarium (٢١٩- ٢٤٢) فصـلاً عن ترجمات أرسطو العربية[٣] من مخطوطة الجزء الثاني من مؤلفه التي اختفت بعد وفاته، واستفاد أيضاً في عرضه للصـابئة (Sabiertum)[٤] مـن الفصـل المطابق في الفهرست استفادة وافرة.

وكانت هذه المعلومات المتعددة المشارب، لأنها تلقى الضوء علـى مجـالات غير معروفة إلى حد ما، والتي رُحِّب بها أيما ترحيب آنذاك، في خدمة اهتمامات لاهوتية، وكان ينبغي كذلك أن تسهم في فهم كلمة الرب في العهد القديم وتـاريخ

---

(١) وضح هذه القائمة دي ساسي في: De Sacy, Notices et Extraits IX, 1813,94.

(٢) انظر ج. فلوجل في مقدمة طبعة المجلد الأول ص ٢١.

(3) Fihrist 248, 15- 250, 2 Flügel.

(4) Historia Orientalis, ed: posterior, Tiguri 1660, S. 245- 308.

كنيسته فهماً أفضل، ومن ثم استفاد هوتنجر في كتابه Historia ecclesiastica من المصادر العربية وبخاصة كتابا ابن البطريق (Eutychius) والمكين التاريخيان استفادة جمة. وافتقر فيها إلى دراسة فيلولوجية أساسية، فاقتباساته العربية لا تخلو من أخطاء جسيمة وترجماته لا تطابق الأصل مطابقة دقيقة.

وهكذا افتقر اشتغاله الجاد إلى توفيق مستمر في مجال الدراسات العربية[1].

/ وبينما وفرت البروتستانتية حيزاً متواضعاً للعربية على الأقل في إطار [٩٣] الفيلولوجيا المقدسة (sacra philologia) لم ترعاها مطلقاً المقاطعات الكاثوليكية في ألمانيا، وفي النمسا أدت العلاقات السلمية والحربية مع الباب العالي إلى العناية على الأقل بالتركية عناية جزئية، ولكن حين أراد المترجم وعضو مجلس الحرب الملكي فرانتس منينسكي (١٦٢٣- ١٦٩٨م)[2] الذي يرجع أصله إلى لوترنجن (Lothringen) أن ينشر معجمه الممتاز للغة التركية[3]، وجب عليه أن يطبعه بحروف خاصة وعلى نفقته واستدان من أجل

---

(١) شرحه (TH. GU. JO. Juynpoll) في طبعته لكتاب يوشع (Josua) السامري Chronicon Samaritanum arabice conscriptum, cui titulus est Liber) (Josuae في دراسة هوتنجر لهذا النص. Lugd. Ba. 1848, P. II und bes. P. 12 ann. 3.

(٢) انظر: DE Lagarde, Persische Studien, Gottingen 1884, S 9 f.

(3) Thesaurus linguarum orientalium, Turcicae, Arabicae. Persicae continenes nimiurum Lexicon Turcico – Arabico – Persicum et Grammatieam Turcicam, cum adjectis ad singula ejus capita praeceplis Grammaticis Arabicae et Persicea linguae Opera, typis et sumptibus Francisci A. Mesgien Meninski. Viennae Austriae 1680. 3 Bände. ويتبعه Das Complementum Thesauri linguarum orientalium, seu Onomaslicum Latino – Turcico-Arabico-Persicum, ebd. 1687.

وتحمل الطبعة الجديدة التي عني بها ب. فون ينش (B. von Jenisch) وتلاميذ آخرون في الأكاديمية الشرقية فيينا سنة ١٧٨٠، عنوانًا غير مناسب وهو Lexicon Arabico-Persico – Latinum.

ذلك، وسددت ابنته ديونه بعد موته. ولم يتمخض عن تعيين الموهوب لغوياً يوهان بابتيست بودستا أيضاً (Johann Baptist Podesta)[1] من فاسَنو (Fasano) على بحيرة جردا (Gardasee)، أستاذاً للغات الشرقية في جامعة فيينا أي تغير حقيقي، فقد دَرَس سنة ١٦٧٣ في روما لدى مارتشي (Marracci) العربية وتحدث التركية بصورة جيدة، وأدرك مثل منينسكي أن معرفة العربية والفارسية لا محيد عنها لفهم لغة الدواوين التركية، وتضم رسالة الدكتوراة التي قدمها تلاميذه مطبوعة بعد ثلاث سنوات[2]، في المقام الأول تدريباً عملياً بالعربية مع ملحوظات جوهرية إلى حد ما / حول العربية وتحليل نحوي [٩٤] موجز لجملة عربية، ولم توفق جهود بودستا في إحداث أي أثر عميق في هذا الأمر.

٢٠- الطبعات الأولى للقرآن الكريم

لم يستطع الاهتمام اللاهوتي - الكنسي الذي قاد هوتنجر وسلدن إلى دراسة مصادر عربية - مسيحية، وترك لدى بوكوك تأثيراً قوياً في اختيار النصوص التي اشتغل بها، أن يَحُول دون أن يزداد لفت أنظار الباحثين إلى الإسلام ذاته نتيجة الرجحان الطبيعي لكفة التراث الإسلامي، ومع انحسار قوة الإمبراطورية العثمانية الذي صار أكثر وضوحاً بصورة متزايدة في نهاية القرن السابع عشر الميلادي صار هذا التوجه موائماً، وبعد تراجع احتياج العثمانيين لأوربا سنة ١٦٨٣ أمام أسوار فيينا لم يتغير موقف الباب العالي من ناحية سياسة القوة

---

(١) استقين المعلومات أعلاه من الرسائل والشواهد الملحقة بـ:

Dissertatio Academica, Wien 1677.

(2) Dissertatiö Academica, continens specimen triennalis profectus in linguis orientalibus, Arabica nempe, Persica et Turcica, cui varia curiosa et scitu digna intermiscentur, sub gloriossissimis auspiciis .. Leopoldi I .. deferente .. J. O. Bapt. Podesta .. publice exhibenda anoblilibus et doctissimis linguarum orientalium auditoribus. Viennae Austriae, 1677.

فحسب، بل هيأ إحساس الراحة والدعة آنذاك الأسباب أيضًا لحكم لا يشوبه الحقد والهوى على دين الخصم.

وطُبع القرآن الذي كان البابا الكسندر السابع (Alexander VII) (من ١٦٥٥ - ١٦٦٧م) قد حرم نشره أو ترجمته، مرتين أعقبت الثانية الأولى في نهاية القرن السابع عشر الميلادي: ففي سنة ١٦٩٤م طبعه بستور إبراهام هنكلمان (Pastor Abraham Hinckelmann)[1] (١٦٥٢ - ١٦٩٥م) من هامبورج، وسنة ١٦٩٨م لودفيكو مارتشي (Lodovico Marracci)[2].

والحق أنه وجب على هنكلمان أن يدافع في المقدمة عن طبعته التي قدمت النص فقط، ضد الاعتراضات، فمشروع كهذا، شأنه شأن كل اشتغال بالعربية يكون في حد ذاته بلا فوائد كبيرة، ولا يلائم ما هو عقلاني على أقل تقدير، ويظل يفتقر، إذا ما شُرِع فيه، إلى ترجمة للتعاليم المضللة وشرحها ودحضها، واجتهد مارتشي الذي زوّد طبعته بترجمة لاتينية[3] وملحوظات مُفَنِّدة ومقدمة تخدم

---

(1) Al-Coranus s. lex Islamica Muhammedis, filii Abdallae pseudoprophetae, ad optimorum codicum fidem edita ex museo Abrahami Hinckelmanni. Hamburgi 1694.

حول هنكلمان انظر: Behemann, Hamburgs Orientalisten, 1902, S. 51 – 54. وحول طبعة Schnurrer, Bibilotheca Arabica, 410. Nr. 376

(2) Alcorani textus ex corretioribus Arabum exemplaribus.... Des criptus... in latinum translatus: oppositis unicuique capiti notis, atque refutatione: His omnibus praemissus est Prodromus.. auctore Ludovico Marraccio... Patavii 1698.

انظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, خرجت عنها الترجمة الألمانية التي نقلها دافيد نرترا (David Nerreter).

(٣) أعادها ك. راينكيوس (Chr. Reineccius) دون النص العربي في ليبزج سنة ١٧٢١ تحت عنوان: Mohammedis filii Abdallae pseudo - prophetae fides Islamitica i. E. Al - Coranus.

الهدف ذاته أيضاً[١]، عقب شرح إسلامي للقرآن[٢]، في ترجمة للنص دقيقة لغوياً، غير أنه عدَّ الدفاع عن الكاثوليكية ضد الإسلام أمراً جوهرياً إلى حد أنه رفض العرض المناسب لطبع عمله في هولندا لأن الهولنديين أرادوا أن يحذفوا تفنيده، بحجة أن كل مسيحي يجب أن يكون قادراً على معرفة الأخطاء في القرآن.

وعلى أية حال كانت خطوة مهمة أن القرآن الذي طعن فيه كثيراً في الغرب صار متاحاً بصورة أكبر بوجه عام دون معرفة مضمونه.

٢١- مرحلة بينية الشاميان (نجري وداديشي)

نادراً ما وجد مِن بين الذين عُنوا بالعربية في بداية القرن الثامن عشر الميلادي في ألمانيا، مَنْ تمكن من العربية تمكناً فعلياً، حتى هنكلمان نفسه؛ ناشر القرآن لم يستطع أن يستغني عن مساعدة خارجية حين أراد أن يلحق بطبعته ترجمة (للقرآن)، فسعى إلى استحضار يهودي من استانبول تحول من الإسلام إلى الكاثوليكية، من باريس إلى هامبورج، ولزم عليه حين لم يتيسر له ذلك أن يعزف عن مشروع ترجمة القرآن وهو المشروع المعلن عنه مرة أخرى في قداس القديس ميخائيل في ليبزج[٣]، وقليلاً ما كانت المكتبات الألمانية تمتلك أعداداً من المخطوطات العربية القديمة، وأخيراً افتقرت / الدراسات العربية في ألمانيا كلية [٩٦] إلى تأييد قوي وفرته له في فرنسا وهولندا وانجلترا اهتمامات سياسية قوية واقتصادية، وأذكى الحماس التبشيري من جديد الحركة البروتستانتية (البيتسية

---

(١) قد ظهرت سنة ١٦٩١ في روما في أربعة مجلدات:
Prodromus ad refuationem Alcorani.

(٢) انظر عمل نللينو (C. A. Nallino) المذكور مراراً:
Le fonti arabe manoscritte dell opera di L. Marracci sul Corano in Rend. Dell' Acc. dei Lincei, s. VI, vol. 1931, S. 303- 349.

(٣) انظر: **Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 411 f.**، الذي يعتمد في هذا العرض على ريشارد سيمون (**Richard Simon**).

Pietismus)[*] التي ظهرت في أكثر من مكان.

وكانت الاهتمامات التبشيرية أيضاً هي التي دفعت سكرتير زوج الملكة (أنّـا Anna) هـ. فيلهلم لو دُلف. Hch. Wlihelm Ludoef (وهو ابن أخٍ لمؤسس فقه اللغة الأثيوبية هيوب لوُدلف (Hiob Ludolf) في لندن، أن يرسل شـآميين مسيحيين إلى ألمانيا معلمين للعربية، هما سـلومو نجـري (Salomo Negri) (١٦٦٥- ١٧٢٩م)[١] وكارلوس داديشي (ت. ١٧٣٤م)[٢].

نشأ نجري (Negri) في دمشق في مدرسة للتبشـير يـديرها يسـوعيون، وأُرسِل في سن الثامنة عشرة إلى كليرمو (Clermont) غير أنه وقع في خلاف معهم، ورحل إلى باريس حيث اكتسب معاشه من الدروس الخصوصية، وعَـرَف منه هيوب لودُلف في أثناء مكوثه في باريس سنة ١٦٨٤م الأخبار الأولية عـن السامريين[٣]. وكان قد درس معه العربية سـنة ١٦٩٧م الملقـب بروسـتجارد Rostgaard، ورحل إلى لنـدن بعـد إبـرام صـلح ريجسـفيجك (Rijswijk) (١٦٩٧م). وأرسل من هناك هـ. ف. لودُلف إلى هاله (Halle) حيث وصل في صيف ١٧٠١م. وقد درس أحيانـاً فـي كليـة اللاهـوت للدراسـات الشـرقية (Collegium orientale theologicum) التي أسسها ا. هـ. فرانك (A. H.

(*) حركة إنجيلية في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي ضد الأرثوذكسية.

(١) نشر ج. ا. فرايلنجها وزن (Freylinghausen, Memria Negriana 1764) السيرة الذاتية لنجري، واستكملت بدراسات أخرى، انظر أيضاً Seybold, ZDMG 64, 1910, S. 6 C.

(٢) انظـر ك. ف زيبولـد: F. Seybold, Der gelehrte Syrer Carolus Dadichi, ZDMG 64, (1910), S. 591- 601.
والملاحق هناك أيضاً ٧٤ (١٩٢٠) ص ٢٩٢ و ص ٤٦٤ وما بعدها.
وانظر أيضاً ف. سوشير:
Suchier, C. R. Dadichi oder wie sich deutsche Orientalisten von einem Schwindler düpieren liessen. Halle 1919.

(3) Seybold. ZDMG 64, 1910, 600 f.

Francke)، وأحياناً أخرى دروساً خاصة في اللغة العربية. ويعد ك. ب. ميشائيلس (Ch. B. Michaelis) (١٦٨٠- ١٧٦٢م) وآخرون من تلاميذه، وقد نقل ميشائيلس فيما بعد المعارف التي يدين بالفضل فيها للشآمي، إلى ابنه الذي قام بالتمثيل لنطق العربية في كتابه في النحو بناءً على هذه المعلومات[١].

وغادر نجري هاله ثانية بعد عام، وانتقل إلى إيطاليا، ووعد أهل البندقية أن ينشئ مدرسة للمترجمين، وأُرسِل لهذا الهدف إلى القسطنطينية (بزعم تعلم التركية وشراء مخطوطات) غير أنه لم يعد بعد ثلاث سنوات إلى البندقية، وإنما تسلسل إلى / روما حيث صار أستاذاً للسريانية في المدرسة العليا [٩٧] (Sapientiae)، ومحاضراً للعربية في كلية الإعلام (Kollegium der Propaganda).

ولم يحتمل البقاء هناك أيضاً حيث أجبره مموله على تأليف كتاب لدحض الإسلام، ومن ثم فر بعد أربع سنوات إلى لندن مرة أخرى، حيث وصل هناك في صيف ١٧١٥م، وظهر ١٧١٦م للمرة الأولى في هاله.

وترجم لكالينبرج (Callenberg) كتاب لوتر (Luther) الصغير في قواعد الدين المسيحي، ومؤلفات أخرى إلى العربية، طبعها هذا بعد أن صار سنة ١٧٢٩م أستاذاً وأسس معهداً لليهودية (Institutm Judaicum)[٢].

واستملاه كالنبرج محادثات باللغة العربية الدارجة أيضاً، نشرها سنة ١٧٢٩م[٣]. ولكنه بعد ١٦ شهراً عاد نجري إلى لندن مرة أخرى، ووجد مأوى

---

(1) J. D. Michaelis, Arabische Grammatik, Göttingen 1781, S. 10.

(٢) انظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 276, Nr. 276. ، وطبعات تبشيرية أخرى لكالنبرج، انظر ما سبق: Nr. 272 281 und 283; ، وأعاد للهدف ذاته قطعاً متفرقة من الصياغة العربية للكتاب المقدس، انظر ما سبق ص:
379 ff., Nr. 345, 346, 349- 352.

(3) Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 67, Nr. 97.

لدى جمعية Promoting Chritian Knowledge، «ترقي المعرفة المسيحية» ونشر باسمها سنة ١٧٢٤م المزامير، وسنة ١٧٢٧م والعهد الجديد باللغة العربية[1]، ومات بعد ذلك بقليل (١٧٢٨ أو ١٧٢٩م)، ويبدو أن مواطنه كارلوس داديشي مثله كان عليه أن يعاني في أي مكان مدة طويلة، فقد توقف في عدة مدن في ألمانيا يُدَرِّس العربية، وكلف أحياناً بفهرسة مخطوطات عربية، وسعى إلى أن يحدد بالكاد مضمونها، وعاد أخيراً إلى لندن مرة أخرى حيث توفى سنة ١٧٣٤م.

٢٢- الدراسات العربية في بداية عصر التنوير المبكر

إن الدوافع القوية التي أخرجت الدراسات العربية من إسار مسارات الفكر اللاهوتية قد انبعثت من عصر التنوير، فقد انبثقت بتأثيره هنا وهناك وجهة النظر القائلة بأن ثمة حركة امتدت إلى حد بعيد في آسيا وأفريقيا وحتى في أوربا أيضاً، لم تكن غير معقولة ولا مثيرة للسخرية على نحو ما اعتقد في أوربا بصفة عامة، ولا يمكن أن تُدْحَض بأوجه تفنيد كلامية أو يُقْضَى عليها مطلقاً، وإنما يمكن أن يُبدأ كل حوار جاد مع هذه الظاهرة القوية / في تاريخ آسيا بدراسة شواهده ذاتها [٩٨] بلا تحيز أو هوى.

وقد ظهر هذا النهج الجديد الذي ينظر إلى الإسلام متحرراً من أي تحيز عقائدي، في وقت مبكر جداً لدى الطبقات المثقفة والأوساط المتخصصة على السواء. ففي القرن السابع عشر الميلادي تحمس عالم أوربا الارستقراطي تحمساً شديداً للشرق، ففي حوالي سنة ١٦٠٠م كان قد ترسخ في فرنسا ميل خاص لكل ما هو صيني، وفي منتصف ذلك القرن تغلغل إلى طبقات واسعة، وتجلى في القرن السابع عشر الميلادي في ولع بنقل أسلوب الروكوكو (Rokoko)[*]

(1) Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 376, Nr. 343 und 344.

(*) الروكوكو: العصر التالي لعصر الباروك (Barok) ويؤرخ له من عام ١٧٢٠ حتى ١٧٨٠، ويتضح بوجه خاص في كل من فرنسا وإيطاليا وألمانيا، وتتميز فنونه بالأشكال=

الناشئ دون تحفظ[1]. وفي أثناء ذلك لم نحصل من اليسوعيين الذين قاموا بالتبشير في الصين منذ نهاية القرن السادس عشر الميلادي على أخبار دقيقة عن الأرض والناس فحسب، بل عن حضارة الشرق الأقصى وأدبه أيضاً.

وتعرف عصر التنوير في انبهار من خلال مذهب كونفوشيوس التقاربَ الروحي في فلسفتهم الأخلاقية والمنطقية، فقد كان لدى لايبنتس (Leibniz)[2] تصور سامٍ مبالغ فيه عن الصين؛ ويتطابق تفاؤله عن أفضل ما في كل العوالم مع حكمة الصين عن مملكة السماء، فقد أقر للصينيين بالصدارة في الفلسفة العملية وفي أخلاق الدولة، وعدهم أبرع شعوب الأرض، وإلا لما ظلت هبة الوحي الإلهية محجوبة عنهم، ولم يقتصر هذا الاهتمام القوي غير المثقل كليةً بمعرفة مادية على الصين فحسب، بل عاد بالنفع على الشرق الإسلامي أيضاً. وكان بارتولوم دربلو (Bartholomé d' Herbelot) (١٦٢٥- ١٦٩٥) [3]. واحداً من الممثلين الأوائل لهذه النظرة غير العقائدية، فقد درس في باريس اللغات القديمة والفلسفة، غير أنه درس كذلك العبرية والسريانية والكلدانية وتعلم أخيراً العربية والفارسية والتركية.

وبعد ذلك سافر إلى إيطاليا مرتين للاطلاع، ووجد في فلورنس (Florenz) سنة ١٦٦٦م في الدوق الكبير فرديناند الثاني (Ferdinand II) دوق توسكانيا جواداً كبيراً. ووضع هناك الخطة لتنظيم كل ما يُرى ذو قيمة علمياً / في المؤلفات [٩٩] العربية والفارسية والتركية، في مكتبة شرقية، في ترتيب أبجدي مريح، وكانت

= المنمقة التي تعرض روحاً مرحة وواضحة.

(١) انظر: Ursula Aurich, China im Spiegel der deutschen Literatur des 18. Jahrhunderts (= Germanische Studien Heft169), Berlin 1935.

(٢) انظر: O. Franke, Leibniz und China, ZDMG 82, 1928, S. 155- 178.

(٣) ألحق ابن عم له حياته بمؤلَّف: Bibliotèque Orientale (في الطبعة الألمانية، المجلد الأول ص. (XLVIII–XLV).

مصادره غالباً مؤلفات تاريخية متأخرة نسبياً، فمن المؤلفات الفارسية (روضة الصفا) لميرخوند (Mirchond) و(خلاصة الأخبار) لخونده مير (Chondemir)، و(لب التواريخ) للشيعي يحي بن عبد اللطيف و(تاريخ جُزيدَ) لحمد الله قزويني، ثم باللغة العربية (روضة المناظر) لابن شحنة، و(تاريخ السراسنة) لمكين و(نظم الجوهر) لابن البطريق (Eutychius)، و(تاريخ مختصر الدول) لبر هبريوس (Bar Hebraeus)، ويضاف إليها (وفيات الأعيان) لابن خلكان، و(تذكرة الشعراء الفرس) لدولت شاه. واستقى المادة الجغرافية من (تقويم البلدان) لأبي الفداء، وجغرافيا الإدريسي، واعتمد على الشرح الفارسي لحسين واعظ كاشفي في قراءة القرآن. وتعرف من خلاله على سبيل المثال كثيرَ من أساطير الكتاب المقدس، وأخيراً نقل أيضاً أغلب عناوين المؤلفات العربية والفارسية والتركية، التي حشدها من قبل باختصار حاجي خليفة في كتابه (كشف الظنون) باجتهاد عظيم.

واستدعاه كولبرت (Colbert) إلى باريس، وعُين براتب ملكي قدره (١٥٠٠) جنيهاً فتفرغ لأبحاثه تفرغاً مطلقاً، وأراد أن ينشر أعماله الموجزة في نصها الأصلي أولاً، ولكن نقص الحروف العربية دفعه إلى أن يحرر العمل بالفرنسية، وهكذا يكون برغم كل الأخطاء التي لا يمكن تجنبها في عمل كذا – كتابُه القيم Bibliothèque Orientale «المكتبة الشرقية»، أساسَ دائرة المعارف الإسلامية الحالية (EI). ولم يتمكن دربلو D' Herbelot نفسه من أن يشهد ظهورها، فقد توفى سنة ١٦٩٥م في سن السبعين بعد أن كان قد عُيِّن قبل ذلك بثلاث سنوات بعد رحيل دوفرني (d' Auvergens) (خلفاً لـ جابريل سوانيتا) أستاذاً للسريانية في جامعة باريس، وقد أكمل الطبع انطوان جالان (Antoine Galland)، الذي كان قد عاون المؤلف منذ ما يزيد عن عام في

النشر.

والطبعة الأولى صدرت في باريس ١٦٩٧م في مجلد مكون من ١٠٦٠ صفحة يحمل العنوان المسهب:

Biblithèque orientale, ou dictionaire universel contenant généralement tout ce qui regarde la connissance des Peuples de l'orient, Lèurs Histoires et Traditions véritables ou fabuleuses. Leurs Religions, sectes et politique, leurs gouvernements, loix, coutumes, moeurs, guerres, et les révolutions de leurs Empires, Leurs sciences et leurs arts, Leurs Théologie, Mythologie Magie, Physique, Morale, Médecine, Mathématiques, Histoire naturelle, Chronologie, Géographie, Observations astronomiques, Grammaire et Réthorique. Les vies et actions remarquables de tous leurs saints, docteurs, philosphes, historiens, poétes, capitaines et des tous ceux qui si sont rendus illustres parmi eux, par leur vertu, ou par leur savoir. Des jugements critiques, et des extraits des tous leurs ouvrages, de leurs Traitex, traductios, Commentaires, Abrégez, Recüeils de Fables, de Sentences, de Maximes, de Proverbes, de Contes, de bons Mots, et de tous leurs livres, écrits en Arabe, en Person ou en Turc, sur toutes sortes de sciences, d' Arts et de Professions.

/ وأعيد طبعه سنة ١٧٧٦م في ميسترشت (Maestricht) وألحق به [١٠٠] السيدان ك. فيسدلو وا. جالان (هكذا!) C. Visdelou et A. Galand (so!). كتاب المكتبة العربية الذي ظهر سنة ١٧٨٠م كي يستخدم ملحقاً لكتاب دربلو «المكتبة العربية» Pour servir de Supplèment à celle de M. D' Herbelot. ويضم من كلود فيسدلو (١٦٥٦- ١٧٣٧م)[١] ملاحق لحوالي (٥٠

---

(١) كان أحد اليسوعيين الذين كان قد أرسلهم لودفيج الرابع عشر Ludwig X I V إلى سيام والصين، واعترف في النزاع الديني بقرار التحكيم للمبعوث البابوي دي تورنون=

مادة) لدى دربلو، تتعلق بشئون صينية والشرق الأقصى لا غير؛ تـاريخ مطـول للإمبراطورية التترية العظمى (من ص ١٨: ١٣٢)، وملحوظة حول لقب (خـان) (من ١٣٢: ١٣٣) ودراسة كتبت سنة ١٧١٩م حول نقص سنجافو (Singafu) النسطوري (من ص ١٦٥: ١٩٠) ووصف للصين على هيئة رسـالة (مـن ١٩١: ٢٠٢) يرجع إلى سنة ١٧٢٨م. وأخـذ عـن جـالان (Galland) أقـوالاً مهمـة للشرقيين، وحكم الشرقيين -Paroles remarquables des Orientaux (P. 202 231) und die Maximes des Orientaux (P. 231- 247). بوضوح من كتابه الذي ظهر في باريس سنة ١٦٩٤: أقوال مهمة، وكلمات جميلة وحكـم للشـرقيين Paroles remarquables, Bons - Mots et Maximes des Orientaux.

وطبعة هاجر (Haager) لربع الكتاب من ١٧٧٧ – ١٧٧٩م المكـون مـن أربعة أجزاء، أصل ترجمة أعدها ي. شولتس (J. Ch. F. Schulz) وهي: معجم شامل يضم كل ما هو ضروري لمعرفة الشرق.

Orientalische Bibliothek. Oder Universalwörterbuch, welches alles enthält, was zur Kenntnis des Orients notwendig ist.

ويضم الكتاب الذي ألفـه بـارتولو دربلـو (Bartholom. D' Herbelot) (هاله ١٧٨٥- ١٧٩٠م – في أربعة أجزاء) ملاحق قيمة وإضـافات لرايسـكه (Reiske) وهـاينريش البـرت شـولتنس (Heinrich Albert Schultens) (١٧٤٩- ١٧٩٣م) حفيد البرت شولتنس (Albert Schultens). وأما القطـع التي تقع في ملحق ط. ١٧٨٠م – على النقيض – لم تتكرر، بالإضافة إلى ذلـك فقد فَهْرَسَت التراجم طبعة ضخمة في ستة مجلـدات، بـاريس ١٧٨١- ١٧٨٣،

= (de Tournon) الذي يدين بالمساواة في الاعتقاد، ودخل بذلك في صراع مـع طائفتـه وعاد في إلى الرهبان الكبوشين حيث مات سنة ١٧٣٧م، انظر عنه:
Ro bert Streit, Bibliotheca Missionum, Bd. 7, 1931, Nr. 2387.

وكان مُؤَلَّف دربلو (المكتبة الشرقية) إنجازاً فريداً من نوعه، صحيح أنه لم يستطع أن يرسم صورة مكتملة للشرق مطابقة له في جوهره، ولكنه ضم كماً وفيراً من المعلومات عن تاريخ العالم الإسلامي وأدبه، وقَدَّم للعالم ولغير الخبير المهتم بالشرق في مقالاته التي بعث فيها الحياة بنوادره في الغالب، علماً غزيراً.

ولقد واجه، مثل دربلو، مساعدُه أيضاً انطوان جالان (١٦٤٦- ١٧١٥)[1] - أستاذ / العربية في كوليج دي فرانس (Collège de France) منذ ١٧٠٩م - [١٠١] عالمَ الشرق، الذي قد تعرف عليه خلال ثلاث رحلات إلى تركيا والجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط وفلسطين، في سعة أفق وعدم تحيز. وجمع وفق مثال مستطرف (Apophthegmen) لبلوتارش (Plutarch) ومجموع القصص عند فالريوس ماكسيموس (Valerius Maximus) من المؤلفات العربية والفارسية والتركية، وتواريخ المكين وبرهبريوس ومرخوند و(مطلع السعدين) لعبد الرزاق، وتاج التواريخ لخوجه افندي وكلستان سعدي وسير الشعراء التركية للطيفي وغيرها من أقوالٍ جديرة بالنظر، لكي يبين لقرائه أن الشرقيين لا يقلون عن الأوربيين فكاهةً ونبوغاً وفكراً، وأرفقها بحكم (أو أمثال سائرة) استقاها من مجموعات الأمثال التي نشرها اربنيوس (Erpenius)، وجوليوس (Golius)[2].

---

(١) انظر: P. Casanova, L enseignement de l Arabe au Collège de France, Paris 1910, S. 53 وك. م. شيلر (K. M. Schiller) في طبعته الجديدة لكتاب:

Tausend und Einer Nacht, Arabische Erzahlungen von Max Habicht, Fr. H. v. D. Hagen und C. Schall Band XII, Leipzig, 1926, S. 47- 68.

(2) Les Paroles remarquables, les bons Mots et les Maximes des Orientaux. Traduction de leurs ouvrages en Arabe, en Persan et en Turc; avec des remarques, Paris 1694.

لا أعرف الكتاب إلا من طبعة معادة (تامة؟) في ملحق كتاب دربلو:

D' Herbelots Bibliothèque orientale, Maestricht 1780, 203- 247.

ثم هداه اهتمامه بعالم الشرق المتعدد الألوان إلى ألف وليلة، وهي نموذج لأدب التسلية الشعبي يزودنا بوضوح – لكونه ذا دلالة كبيرة – بمعرفة عن حياة الشعب في فترة تالية للعصور الوسطى في البلدان الإسلامية، لأنه لا ينتمي إلى تراث الثقافة الإسلامي، وحققت ترجمته التي تصرف فيها إلى حد كبير لملائمة الذوق الفرنسي[1]، التي ظهرت من ١٧٠٤: ١٧١٧م في اثنى عشر مجلداً، وسرعان ما تُرجمت إلى الألمانية والانجليزية، نجاحاً باهراً في عالم القراء في أوربا، يتجلى بوضوح في حجرات الأطفال، وأسهم بذلك إسهاماً حقيقياً في أنه لم تعد أوربا المثقفة ترى في الشرق الإسلامي موطن أعداء المسيح والهرطقة الملعونة بل الشرق «القابع» تحت سماء صافية أبداً بروعة ألوانه وثروته الهائلة وخلفائه ووزرائه ووقضاته وحريمه وأمراء أساطيره وحورياته وعباقرته وسحرته وحكمائه، عالم زاخر بمغامرات خيالية وأحداث لا تصدق.

/ وقد مثل الاتجاه ذاته في الفترة نفسها في هولندا أستاذ اللغات الشرقية في [١٠٢] جامعة اوترشت (Utrcht) ادريانوس رلاندوس (Adrianus Relandus) (ت ١٧١٧م). فقد نشر سنة ١٧٠٧م بالعربية كتاب الزرنوجي «تعليم المتعلمين» وفق نسخة واحدة[2]، كان قد حصل عليها فريدريش روستجارد (Friendrich Rostgaard) الذي صار فيما بعد أمين المحفوظات السرية الدنماركي سنة ١٦٩١م في باريس، من أستاذه في العربية الشآمي سلومو نجري (Salomo Negri) نقلاً عن مخطوطة من المكتبة الملكية، وأرفق النص بترجمة لاتينية، تلك التي قد أنجزها / روستجارد نفسه في روما بمساعدة الماروني يوسف باتسيوس

---

(1) Les mille et une nuits, contes arabes, traduits en français par A. Galland. Paris 1704- 1717.

(2) Enchiridion Studiosi, arabice conscriptum a Borhaneddino Alzernouchi, cum duplici versione latina .. edidit Hadrianus Relandus, Traj 1709.

وانظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 481, Nr. 415.

(Josephus Banesius)، غير أنه أضاف لأولئك القراء الذين كانوا ضِعَافاً في العربية، ترجمة ابراهام اتشلنيس (Abrahanm Eccellensis) الحرفية إلى درجة متدنية التي نُشِرت سنة ١٦٤٦م في باريس.

وفي مقدمة هذه الطبعة التي تعد من وجهة نظر فيلولوجية إنجازاً متواضعاً جداً يؤكد رلاندوس كذلك بحق قيمة العربية في تفسير الكتاب المقدس، غير أنه يكشف بالإضافة إلى ذلك عن وجهة نظر واضحة في مهام فقه اللغة العربية بوصفه علم دين شعوب العالم الإسلامي وثقفاتهم وتاريخهم، المتحدث بالعربية[١]. بيد أن كتابه: (دين محمد) de religione Mohammedica[٢] الذي يخرج عن النهج، ما لبث أن ترجم إلى لغات أوربية عدة، ففي جزئه الأول الذي يشتمل على نبذة عقائدية موجزة بالعربية واللاتينية يقدم للقارئ عرضاً ذاتياً حول الإسلام بينما يصحح الجزء الثاني بعض آراء خاطئة عن الإسلام كانت واسعة الانتشار آنذاك، وبديهي أن ثمة طريقاً بعيدة عن تلك المداخل المنهجية حتى بناء فقه اللغة العربية بوصفه فرعاً مستقلاً يستخدم وسائل مساعدة ومناهج بحث خاصة، وكان رلاندوس نفسه متأثراً للغاية بروح الثقافة الموسوعية التي كانت سائدة آنذاك إلى حد أكبر من قدرته على أن يحصر نفسه في / تخصص واحد مهما كانت أهميته [١٠٣] أيضاً.

ونشر كذلك دراسة عن الجهاد[٣]، وطرق بمقالة: de gemmis

---

(١) يسرد في المقدمة كل النصوص العربية الموجودة مطبوعة آنذاك أيضاً.

(2) ADRIANI RELANDI de religione Mohammedica libri duo. Quorum prior exhibit compendium theologiae Mohammedica, ex codice mso. Arabice editium, Latine versun, et Notis illustratum. Posterior examinat nonnulla quae falso Mohammedanis tribunntur. Ultrajecti 1705.

ظهرت طبعة ثانية سنة ١٧١٧، انظر:

SCHNURRER, Bibtiotheca Arabica, 4232 – 435, Nr. 388.

(3) De jure militari Mohammedanorum, in Dissertationes miscellqneae, vol. III, Traj. 1708, P. 1- 53.

Arabicis[1]، حقل الآثار الإسلامية (كان أيضاً أول من استخدم عملات ونقوشاً لدراسة جغرافيا فلسطين إلى جانب الرواية الأدبية)[2]، وشجع الجمع بين التعليم الفيلولوجي ومعرفة الحقائق المكتسبة ذاتياً برحلات إلى الشرق، كتلك التي حصلها انطوان جالان[3]. ولكن اهتماماته اللغوية الواسعة قادته إلى الاشتغال باللغات الأكثر اختلافاً حتى الصينية واليابانية ولغات أمريكا[4]. ونظريته عن نشأة اللغة التي تعد العبرية اللغة الأم التي خرجت عنها الكلدانية والسريانية بوصفهما لهجتين أكثر قرباً منها، والعربية والفينيقية (التي ينبغي أن تكون قد انسابت منها اليونانية واللاتينية واللغات الأوربية)، بوصفهما قريبتين أكثر بعداً إلى حد ما، ورأى في الصينية واليابانية لغات صناعية، وأبقى على العربية لغوياً في مقام لهجة عبرية بدلاً من أن يعترف بأنها لغة مستقلة، وقُرِئ القرآن أيضاً آنذاك بعيون أخرى، واكتشف أن محمداً لم يكن مخلوقاً شريراً كما صورته العصور الوسطى المسيحية، فقد رأى فيه لايبنتس (Leibniz) وآخرون كثيرون من عصر التنوير داعياً إلى دين الفطرة، بل جعله هنري بوليا نفييه (Henry Boulainvilliers) (١٦٥٨- ١٧٢٢م) بطلاً لإحدى رواياته المناهضة للكنيسة (ظهرت سنة ١٧٣٠م) فقد صَوَّره فيها مبدع[*] دين عقلي يفوق المسيحية إلى حد

وبالألمانية أيضاً في ترجمة ألمانية لكتابه: De religione Mohammedica, Hanoveri 1717.

انظر: شنورر (Schnurrer) في: Bibliotheca Arabica, 433.

(1) Dissertationes Miscellaneae, vol. III, 1708, P. 231- 250.

(2) Palaestina ex monumentis veteribus illustrata, Traj. 1714.

(٣) أهداه المجلد الثاني من رسالته: Disserationes Miscellaneae.

(4) De linguis insularum quaerundam Orientalium und De linguis Americanis, in Dissetationes Mischellaneae, vol. III, 54- 139 bzw. 141- 229.

(*) على الرغم من أنه كان منصفاً فإن اللفظ ليس مناسباً فمحمد ليس مبدع الدين الإسلامي بل هو نبيه ورسوله الذي حمل إلى الإنسانية دستوره وهو القرآن.

بعيد[1].

/ وظهرت بعد ذلك بقليل ترجمة القرآن الكلاسيكية للإنجليزي جـورج سـال [١٠٤] (George Sale)[2] (ت. ١٧٣٦م)، وهو محام كَرَّس أوقات فراغه لدراسة اللغة العربية، فقد ترجم من النص الأصلي، غير أنه استرشد أيضاً بالصياغة اللاتينيـة لمارتشي (Marracci) التي حكم عليها بأنها دقيقة للغاية ولكنها حرفية تمامـاً، ويدين بالفضل أيضاً لشرح مارتشي في أغلب اقتباساته العربية، فهو نفسـه لـم يكن تحت تصرفه أي مصدر من المصادر العربية بخلاف تفسـير البيضـاوي[3]. وتتميز ترجمته التي نقلت إلى الألمانية سنة ١٧٤٦[4] بوضوح معقول إلى حد ما لم يتحصل إلا بترجمة مضمون الكتاب ترجمة واضحة وجلية، أما سـال (Sale) نفسه فقد عَدَّ عمله نوعاً من رد الاعتبار لكتاب كثيراً ما وجه إليه السِّباب، وبذلك لم يقع بأية حال من الأحوال في الأخطاء المتضادة، فقد تشـبث بصـورة أكثـر بوجهة نظر مسيحية عن وعي بالنسبة لشخصه، ولم يرفض أيضاً دعوة محمـد في حد ذاتها، بل كان على يقين بعدم جدوى الوسائل التي تسـتخدمها الكنيسـة

---

(1) La vie de Mahomet; avec des reflections sur la religion des Musulmans. London 1730.

لا أعرف هـذا الكتـاب إلا مـن أقـوال: Snouck Hurgronjes, Une nouvelle biographie de Muhammed in RHR 30, 1894. 5. 52.

وأعيد طبعها في كتابه: Verspreide Geschriften I, 324.

(2) The Koran commonly called Alcoram of Mohammed: translated into English immediately from the original Arabic, with explanatory notes taken from the most approved commentators to which is prefixed a preliminary discourse by George Sale, London 1734.

(٣) انظر: Denison Ross, BSOS II, 1921- 1923, S. 117.

(4) Der Koran, oder insgemein so genannte Alcoran des Mohammeds .. in das Englische überetzt .. von George Sale .. ins Teutsche verdolmetscht von Theodor Arnold. Lemgo 1746.

ترجمه إلى الإنجليزية جورج سال، ونقله إلى الألمانية تيودور ارنولد.

فحسب، ونَبَذَ بوصفه واحداً من عصر التنوير كل صور الإكراه وكل ما هو منافٍ للعقل في مسائل العقيدة، وبهذه الحيدة الواقعية دَلَّت ترجمته على تقدم كبير، وأسهم التمهيد «خطاب تمهيدي» (Preliminary Discourse) الذي تقدم على الترجمة إسهاماً غير ضئيل فيما استحق من النجاح التي ظفر به، وهو يبدأ بتاريخ العرب ودينهم قبل الإسلام، ويقدم مدخلاً عاماً إلى القرآن، وينتهي بلمحة عامة عن أهم الفرق الإسلامية، وقد نُقِل هذا العرض الذي يعتمد في المقام الأول على كتاب بوكوك «لمع من تاريخ العرب» Specimen historiae Arabum مراراً إلى مؤلفات أخرى، وترجم بالإضافة إلى ذلك إلى الفرنسية والهولندية[1].

/وظل لقرنٍ مصدراً من المصادر الأساسية التي اطلعت أوربا المثقفة من خلالها [١٠٥] على كل القضايا المتعلقة بالقرآن الكريم.

٢٣- البرت شولتنس

استغرق الأمر فترة طويلة حتى ترسخت صورة الشرق الجديدة التي غزت أوساط المثقفين (غير اللاهوتين) طوال القرن الثامن عشر الميلادي، حتى الجامعات أيضاً، ويمكن أهم عائق واجه رواج الدراسات العربية، في الموسوعية التي كانت سائدة إلى حد بعيد في محيط العلماء آنذاك، وعنيت بكل شيء باستهانة وعدم جدية، ويمكن أن يتحقق المرء من ذلك بسهولة حين يتصفح الرسائل المتبادلة المفيدة لأمين مكتبة برلين، والموسوعي والموهوب لغوياً[2] لاكروز (La Croze) (١٦٦١- ١٧٣٩م) – أطلق عليه فريدريش الأكبر: «الرجل الأكثر علماً في برلين، مستودع حقيقي للعلوم l'homme le plus savant de Berlin, un vrai magasin de science.

وعرقل نمو الدراسات العربية كذلك بصفة خاصة مسألة أن تعد العربية، كما

---

(1) V. Chauvin, Bibliographie des ovrages arabes X, 1907, S. 76 f.

(2) Thesauri Epistolici Lacroziani tom. I, II, III ex Bibliotheca Jordaniana ed. Jo. Lud. Uhlius. Lipsiae 1742- 1746.

فعل رلاندوس ذلك أيضاً، مجرد لهجة للعبرية، ولكن يبدو أن مثل ذلك الفهم قد جوّز لأولئك اللاهوتيين الذين استخدموا العربية لأهداف تفسير الكتاب المقدس، اتجاهاً احتفل في ذلك الوقت بأعظم انتصاراته على يد البرت شولتنس (Albert Schultens) (١٦٦١- ١٧٣٩م)، وقد عرض شولتنس الذي درس علم اللاهوت في جرواننجن (Groningen)، وكان قد اهتم أيضاً بالكلدانية والسريانية والعربية، سنة ١٧٠٦م، وهو في سن العشرين، في رسالته:

Dissertatio theoligico - philologica de utilitate linguae arabicae in interpretanda sacra lingua[١].

«رسالة في فقه اللغة اللاهوتي حول استخدام اللغة العربية في تفسير اللغة المقدسة» وجهة النظر القائلة بأن العربية والكلدانية والسريانية والأثيوبية لغات فرعية (من أصل واحد) أو لهجات، علاقتها بالعبرية تماثل علاقة «الأولية (Aolisch) والجونية (Jonisch) والأتية (Attisch)» باليونانية، وخلص من ذلك إلى الحق في أن يسخر معجم العربية الشديد الثراء لتحديد معاني المفردات العبرية.

وقدم في مهارة وحذق في باكورة أعماله – باعتبار أنه اختبار لنتائج متحققة بهذا النهج – / محاولات تفسير ٣٥ موضعاً غامضاً في العهد القديم، وطبق [١٠٦] المنهج ذاته فيما بعد على سفر أيوب[٢] وحكم سليمان أيضاً[٣]. ولكي يتغلب على الاعتراض المنطقي بأن أقدم الآثار العربية أحدث في الحقيقة من الكتاب المقدس

---

(١) أعيد طبعه في كتابه: Opera minora, 1764, S. 487-510.

(2) Liber Jobi cum nova versione ad Hebraeum fontem et commentario peretuo, Ludg. Bat. F. 1737.

(3) Proverbia Salomonis, versionem integram ad Hebraeum fontem expressit atque commentarium adjecit A. Schultens, Lugd. Bat. 1748.

فقد أحل محلها[1] قصائد عربية متأخرة في عهد سليمان أو حتى في عهد موسى، وزعم أن لفظ يارح (Jerach)، الذي يرجع إلى العبرية، هو ابن يُقطَن (Joqtan)، أي يعرب بن قحطان الجد الأكبر للعرب الجنوبيين كان عربياً، وأعاده اسماعيل جد الأصول العربية الشمالية وفق نموذج اللغة العبرية إلى نقائه الأصلي، ولا يخالجنا أدنى شك في أن هذه النظرية الخيالية التي تخلو من أي إحساس نقدي، وإدراك للحقيقة التاريخية، لا سندَ لها من الناحية اللغوية.

والحق أنه يوجد عدد من الحالات التي تتفق فيها الكلمة العربية مع الكلمة العبرية شكلاً ومعنًى (على سبيل المثال بعض ألفاظ القرابة والأعداد الخ)، ولكن تلك الألفاظ المتماثلة (Isolglossen) لا تتحدد إلا حين يكون معنى الكلمة العبرية قد عرف في أماكن أخرى. بيد أن الحالات التي تختلف فيها اختلافاً تاماً برغم الاتفاق الشكلي لا حصر لها؛ لأن استعمال الكلمة في كلتا اللغتين قد سلك دروباً منفصلة (كما هي الحال مع الكلمة العبرية yāšab (يجلس) خلاف الكلمة العربية (وثب) أو الكلمة العبرية (Kōhēn) خلاف الكلمة العربية (كاهن)، لأنه توجد جذور مشتركة لفظياً لا علاقة لبعضها ببعض من الناحية الاشتقاقية (مثل الكلمة العبرية dāqaq (سَحَق) بخلاف دق أو خفق، أو الكلمة العبرية ram (يعلو) خلاف الكلمة العربية (رام) بمعنى قصد، ومن ثم لم تكن مطابقة معنى كلمة عربية ما بمعنى كلمة عبرية معادلة لها مقنعة على الإطلاق، وهكذا لا يستتبع التطابق الدقيق بين اسم الحيوان العبري (rĕēm) / والعربي (رئم) بأية حال من الأحوال [١٠٧] أن المعنى أيضاً يجب أن يكون هو نفسه تماماً، وبما أن المنهج الاشتقاقي في حد ذاته لا يمكن أن يتخطى الاحتمالات فقد تقلصت بذلك قيمته في شرح العهد القديم

---

(١) وبخاصة في كتابه: Monumenta vetustiora Arabiae sive specimina quaedam illustria antiquae memoriae et linguae. Ex mss. codd. Nuweirii, Mesoudii, Abulfedae, Hamasa etc. excerpsit et edidit A. Schultens, Lugd. Bat. 1740.

انظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 204, Nr. 211.

تقلصاً كبيراً إلى حد أن النص الماسوري لم يكن خالياً من أخطاء، وقد استُعين بالعربية في ولع في مواضع مثيرة للريبة من الناحية النقدية، وقد حاول بعض الشراح قبل شولتنس أن يوضحوا مواضع صعبة في العهد القديم من خلال نظرة متفحصة في سياق المعنى وتفسير مفصَّل دقيق، وقد سلَّم نقاد آخرون بأنه من الخطأ منهجياً أن يتخذ نصاً لا تشوبه شائبة من الناحية النقدية أساساً لتفسيرات جريئة.

وبرغم ذلك لقي شولتنس لدى معاصريه قبولاً بصورة مفاجئة، وحصل سنة ١٧١٣م على كرسي تدريس العبرية في فرانيكر (Franeker)، ودُعِيَ سنة ١٧٢٩م إلى ليدن لوظيفة أستاذ للغات، وتولى سنة ١٧٤٠م كرسي تدريس الآثار البالغة القدم في العهد القديم أيضاً، واضطلع بهاتين الوظيفتين حتى وفاته سنة ١٧٥٠م.

ويتكشف اهتمامه بالعربية أيضاً من خلال نشره بعض مقامات الحريري، وسيرة صلاح الدين لابن شداد أيضاً، وأعاد كذلك ما خلفه أربنيوس (Erpenius) وطبع من جديد كتابه الضخم في النحو؛ حيث قدم فيه بعض قصائد من حماسة أبي تمام (بها أخطاء نسبياً)، وكان من الصعب أن يتوقع فقه اللغة العربية تشجيعاً حقيقياً في تلك الفترة من رجلٍ جعله في خدمة علم اللاهوت القديم.

بيد أن الاستخدام الخاطئ للعربية الذي ذهب به إلى أبعد الحدود لأغراض تفسير الكتاب المقدس ما تزال إلى اليوم تترك أثراً في علم المعاجم الخاصة بالعهد القديم، فما يزال تُساق كومة من المفردات المتراكمة بلا تمحيص – في ثقل اشتقاقي – من اللغات السامية الأخرى ومعها العربية بخاصة، التي ربما كان مكانها في معجم مقارن للغات السامية، وليس في كتاب يخدم تفسير العهد القديم، وهي بلا فائدة، وكثيراً ما حادت عن الصواب[1].

---

(١) انظر أيضاً الأعمال الجديرة بالاطلاع عليها لفريدريش دليتسش:

٢٤- يوهان ياكوب رايسكه

/ بيد أنه قبل أن يتوفى شولتنس أثمر نضج فقه اللغة العربية على يد [١٠٨] العبقري يوهان ياكوب رايسكه العبقري (١٧١٦- ١٧٧٤)، أول متخصص مشهور في العربية أنجبته ألمانيا.

كان ظهوره في وقت كانت فيه الظروف العامة غير ملائمة بأية حال من الأحوال للدراسات العربية، فقد حدث فيما يشبه المعجزة أن وُلِد ابناً لأب دباغ في ٢٥ ديسمبر سنة ١٧١٦م في تسوربج (Zorbig)، وتعلم من ١٧٢٨- ١٧٣٢م في دار للأيتام في هاله (Halle)[١]، واستولى عليه ولع يصعب تفسيره «لا يمكن وصفه ولا حده» بتعلم العربية حين بدأ منذ عيد الفصح في سنة ١٧٣٣م دراسات اختارها بنفسه بإرادة واستقلال، وتغلب بسرعة على نحو عجيب، دون أية مساعدة خارجية، غير مسترشد إلا بموهبته اللغوية الخاصة، على كل صعوبات النحو، واقتنى برغم بعض أوجه العوز - لأنه لم يتقاضَ من والديه في أثناء سنوات دراسة الخمسة إلا مائتي تالر (Taler) - كل الكتب العربية تقريباً، التي توفرت آنذاك. وفي سنة ١٧٣٥م استطاع أن يتجرأ على النثر المقفي (المسجوع)

FR. Delitzsch, Philogische Forderungen an die Hebräische Lexikographie (Mitt. D. Vorderas, Gesellschaft 1915, 5, 20. Jahrgang). Leipzig 1917, S. 16 ff.

(١) نشرت أرملة د. يوهان ياكوب رايسكه، ارنستينا كرستينا رايسكه Erenstine Christne Reiske سيرته الذاتية التي وضعها هو نفسه، في ليبزج ١٧٨٣م وتضم بخط يد الأرملة (من ١٣٧: ١٥١) وفهرساً بإرثه من المخطوطات (من ١٥٢: ١٧٧) وقائمة بمؤلفاته المطبوعة (من ١٧٨- ١٨٢) ومراسلاته مع بعض العلماء الذين توفاهم الله الآن قسماً أساسياً (من ص ١٨٣: ٨١٦) نشر رسائل رايسكه. ر. فورستر سنة ١٨٩٧ في: R. Foerster 1897 in den Abhandlungen der phil-hist. kl. d. Wiss.
XVII - (dazu Nachtrag ebd. XXXIV, 1917).

الصعب في سيرة تيمور لابن عربشاه، ولأنه عرف عيوب طبعة جوليوس سافر في شتاء ١٧٣٥م إلى درسدن قاصداً الكتبي زيبش (Seebisch) وعرف منه أنه يملك المقابلات بين مخطوطتي الكتاب الباريستين فنسخها(١). وكان قد اطلع سنة ١٧٣٦م على كل ما طبع من النصوص العربية تقريباً، وأعد لرسالة حول هرمس مثلث الحكمة (رسالة هرمس في معاذلة النفس)(*) التي وجدها في مخطوطة من ليبزج، ترجمة لاتينية حملت فلايشر (Fleischer) في سنة ١٨٧٠م على الحكم بأنه من النادر الآن إمكان وجود / شاب في العشرين من عمره تسلح بأفضل [١٠٩] درس، وتزود بالوسائل المعينة الصحيحة، قادر على أن يأتي بمثل هذا الشرح الكامل الذي ألهمه بأمنية وهي: ليتني وفقت في تجنب أخطاء رايسكه! ولا أدعى مزية أخرى(٢).

وجب الآن أن ننتقل إلى المخطوطات، فقد أرسل إلى رايسكه بناءً على طلبه في العام ذاته أيضاً المؤلف المشهور لكتاب المكتبة العبرية Bibliotheca Hebraica، يوهان كريستوف فولف (Johann Christoph Wolf) (١٦٨٣: ١٧٣٩م) من مجموعة مخطوطاته مقامات الحريري، ونشر رايسكه بناءً على هذه المخطوطة سنة ١٧٣٧م، المقامة السادسة والعشرين بالعربية واللاتينية؛ وهي في رأيه تجربة طلابية تعيسة(٣). سرعان ما تجاوزها، وضع فولف (Wolf) تحت تصرفه كذلك مخطوطات أخرى، وظل (رايسكه) من أجل ذلك ممتناً لذلك

(1) Lebensbeschreibüng, S. 13 und 134 f. Schnurrer, Bibliotheca Arabica, S. 135 f.

(*) كان التالر يساوي ديناراً أو أقل منه، وهو عملة أوربية استعملت مدة طويلة، ولعله قد أخذ عنها «الدولار».

(٢) نشره: Hermes Trismegistus an die menschliche Seele arabisch und deutsch H. L. Fleischer, Leipzig 1870 S. VI.

(3) Lebensbeschreibung, S. 14, Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 224, Nr. 232.

الرجل هذه الفترة من حياته(١).

وكان كلما تعمق في الأدب العربي ازداد شغفه به وعظم شوقه إلى أن يغوص فيه أكثر فأكثر، ولكن هذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا وفق في دخول مكتبة ليدن وذخائر مخطوطات (وقف فارنريانوم) Legatum Warnerianum. ومن ثم قرر أن يرحل إلى هولندا برغم كل المصاعب، وفي مايو سنة ١٧٣٨م بدأ الرحلة، وتوجه أول الأمر إلى هامبورج حيث استقبله فولف استقبالاً حاراً، وقدمه لرايمروس (Reimarus) وبحث في أمستردام عن عالم فقه اللغة القديم (دأورفيل) (d'Orville)، وكان قد كتب له فولف خطاب توصية، وأراد دأورفيل أن يتخذه معاوناً له (Amanuensis) ولكن رايسكه الذي لم يكن يتملكه إلا ولعه وليست إرادته أبي القيود، فرفض في حدة العرض الملائم له للغاية من الناحية المالية، ومع ذلك اهتم دأورفيل به، فجعله يراجع التصويبات وشغله بكل الأعمال الأدبية، (وهكذا فإن الترجمة اللاتينية لطبعته كريتو (Charito) على سبيل المثال ترجع إلى رايسكه)، وكفل له في السنوات الأخيرة من مكوثه في هولندا معاشه(٢)، وفي ٦ يونيو ١٧٣٨م وصل إلى ليدن، وعرف من شولتنس الذي بحث عنه بمجرد وصوله، أنه لا توجد منح دراسية / للأجانب وأن عطلة الصيف على [١١٠] الأبواب، غير أنه قد آلمه ألماً شديداً أن المكتبة التي كان قد جاء من أجلها ظلت موصدةً في وجهه لأنه كان يفتقر إلى المال، ولكنه كان سعيداً حتماً باستخدام الكتبي يوهان لوزاك (Johann Luzac) (ربما تشفع شولتنس له بتوصية عنده) إياه مصححاً لديه، ووفر له الأكل والمأوى، واستطاع أن يوجد مورداً ضئيلاً من خلال دروس خصوصية في اليونانية والمحادثة اللاتينية التي يدرسها للطلبة الهولنديين.

ولما استؤنفت المحاضرات، حضرها عند شلونتس، وحصل بمساعدته أخيراً

---

(1) Lebensbeschreibung, S. 135.
(2) Lebensbeschreibung, S. 18- 21, 34- 40.

على مخطوطات المكتبة التي كان يَتَحرَّق شوقاً إليها، ولما تمكن من أن يتابع ميوله الخاصة فإنه قد تعمق في مخطوطات المؤرخين والجغرافيين، غير أن شولتنس وجهه إلى الشعر العربي، ومن ثم نسخ سنة ١٧٣٩م قصائد جرير ولامية العرب للشنفري وديوان طهمان، وفي العام التالي حماسة البحتري غير أنه اشتغل أساساً بالقصائد العربية القديمة الأكثر شهرة؛ المعلقات التي استطاع أن يدرسها في مخطوطات (فارنر) ٢٩٢ و٦٢٨ مع شروح التبريزي[1] والنحاس، واختار في النهاية أكثرها طولاً وهي معلقة طرفة ليحققها، وأُرْجِئ طبع العمل الذي فرغ منه في الواقع سنة ١٧٤٠م إلى سنة ١٧٤٢م[2]. ويضم النص غير المشكل مع ترجمة لاتينية مقابلة له، وتحتها شرح النحاس، وتبين الحواشي الملحقة به المسار الفكري للشاعر، وتوضح موضوعات متفرقة مع دراسة للأساليب الشعرية من خلال أمثلة موازية أُتي بها من معلقات أخرى ومن ديوان الهذليين ومن الحماستين والمتنبي وأبي العلاء (المعري) وشعراء آخرين.

وتعالج المقدمةُ التي تتقدم كل ما سبق المخطوطات، ومفردات المعلقات وشروحها، ثم (بناء على ملحوظات حول الترجمة اللاتينية والحواشي) الأسماء المختلفة التي / اشتهرت بها، ويُقَدِّم لكل معلقة على حدة (بخلاف معلقة طرفة) [١١١] نظرة عامة موجزة حول مضمونها إلى جانب ترجمة مقتصية لمؤلفها، ويتناول في الخاتمة حياة طرفة تناولاً مفصلاً، وجدولاً للأنساب يوضح علاقات القرابة بين طرفة وشعراء آخرين من شمال الجزيرة العربية، ويُيَسِّر ضبط المداخل التاريخية التي اقترحت في المقدمة.

وسلك رايسكه (Reiske) بباكورة أعماله هذه دروباً في شرح شعر الشعراء

---

(1) Cat. codd. Arab. Bibl. Acad. Lugd. Bat., Ed. II, vol, I. 1888, S. 346 (Nr. 561) und S. 345 (Nr. 557).

(2) Tharaphae Moallakah cum Scholiis Nahas. e mss. Leidensibus Arabice edidit, vertit, illustravit Joann. Jacob, Reiske Lugd Bat. 1742, وانظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 194, Nr. 202.

العرب، ما تزال تُسلَك إلى اليوم لأنها الأسهل في الاهتداء إلى الهدف. وبديهي أنها تبعد كثيراً عن الدروب التي بحث فيها شولتنس عن جذور سامية تحت جُنح خياله. ولم يجشم رايسكه نفسه إطلاقًا عناء ذكرها. فمن تبين عن طريقه أن المعلقات ترجع إلى القرن السادس الميلادي، اهتدى بلا ريب إلى موقف من زعم شولتس عن قدم الشعر العربي **Urzeitdichtung**. وكان شولتنس من جانبه عاجزًا عن استبعادة قيمة هذا الانجاز الهائل، فلم يعرف على الاطلاق أن يبدأ بكتاب لا يراعي تفسير الكتاب المقدس أدنى مراعاة. وقد هاجم رايسكه بعنف في المقدمة أستاذا في ليبزج كان في ظلمه دون وجه حق ظلمًا شديدًا، ولم يكن الهجوم في محله من الناحية الموضوعية. وكان لشولتنس من هذه الناحية الحق في أن يطالب بحذفه، ولكن رايسكه في إصرار وبلا مبالاة طبعه برغم ذلك الموضوع (ص ٤٢)، واستتبع ذلك شقاقًا حادًا بين الرجلين اللذين يختلفان في طبيعتهما اختلافاً جوهرياً(١).

أما رايسكه فقد استمر غير مكترث بحكم الأغلبية في الدرب الذي قد أدرك أنه الدرب السوي، فلم يكن له أدنى ميل لعلم اللاهوت، وظل طوال حياته لا يعبأ بفقه اللغة المقدس سواء أمكن أن يستفيد فيه من العربية أم لا(٢).

وبالإضافة إلى ذلك لم يستطع أن يقنعه شولتنس أيضاً بأن يهب وقتاً في التعبيرات السامية الأخرى لأنه أدرك أن الاشتغال بها لم يُدِر أدنى نفع على فقه اللغة العربية في حد ذاته، وفطن إلى تفاهة صور اللعب الاشتقاقية، وتصيد المعنى الأساسي الوهمي للجذور السامية، وصرح بوضوح إذا أراد المرء أن ينهض بدراسة العربية، فيجب ألا يدرسها دراسة عالم اللاهوت(٣). / وتمرد ضميره [١١٢] بوصفه فقيهاً لغوياً على عدم التخصص الذي عالج من خلاله شولتنس نصوصاً

---

(1) A. Schultens, Epistola Prima ad .. F. O. Menkenium, Lugd. Bat. 1749, S. 129 f. Reiske, Lebensbeschreibung, S. 23 und 116 f.

(2) Lebensbeschreibung, S. 12.

(3) Lebensbeschreibung, S. 31.

عربية، متجاوزاً صعوبات؛ كلمات لم يفهمها أو أغفلها في صمت أو حوّرها بصورة متعسفة[١]. وأدرك أنه لا يكتفي لطبعة جيدة بأساس سليم ترتكز عليه المخطوطة، بل القدرة النقدية على معرفة أخطاء الرواية وإدراك المعنى الذي قصده المؤلف من السياق بصورة حدسية، وإصلاح الفساد من خلال تصحيح يلائم الاستعمال اللغوي للمؤلف. ولقد هُيِّئَت له فرصة مواتية بتكليفه بتنظيم المخطوطات العربية في المكتبة بأن يدقق فيها دقيقاً عميقاً، فنسخ لنفسه حينئذ تلك المؤلفات التي اهتم بها: مثل كتاب المعارف لابن قتيبة والمؤلفات التاريخية المرتبة حسب السنين والجغرافية كتاريخ أبي الفداء، والمؤلف التاريخي لحمزة الإصبهاني ومقتطفات من تراجم الأطباء لابن أبي أُصَيْبِعَة وبعض مؤلفات أخرى، وحرمه الموقف الرافض الذي اتخذه شولتنس ضده من إتمام دراساته بالحصول على درجة دكتوراه في كلية الفلسفة، وظن شولتنس هذا الذي أعد ابنه يوهان ياكوب ليكون خليفته في المستقبل أنه من الأفضل أن يقلع رايسكه عن الدراسات العربية، فصور له في إلحاح فقدان الأمل في حالته وأقنعه بأن يتحول إلى الطب، وحصل على الدكتوراة في الطب في مايو ١٧٤٦م مع صعوبات – لأن علماء اللاهوت قد اتهموه بسبب أبحاثه بأنه من الماديين – ببعض ملحوظات ذات مضمون طبي[٢] جمعها عن المؤلفين العرب. وبدأ في ١٠ يونيو ١٧٤٦م رحلة العودة إلى الوطن، ووصل إلى ليبزج ثانية في مطلع يونيو. ولما لم يكن قد عزم على ممارسة الطب ممارسة عملية وجب عليه أن يكسب قوته مرة أخرى بقيامه

---

(١) ينظر في رأي رايسكه في شولتنس في: Prodidagmata ad Hagji Chalifae librum memorialem 1766, P. 228), und in Hamburg.
Abulfedae Tabula Syriae .. ed .. J. B. Koehler, Lipsiae
طبع بعد: Magazin. XVII D [1756], S. 592- 604.

(2) Miscellaneae aliquot observations medicae ex Arabum monumentis, J. J. Reiske et J. E. Fabri Lugd. Bat. 1746,
أعيد طبعه في: Opuscula Medica ex monimentis Arabum et Ebraicorum. Iterum rec .. CH. G. Gruner, Halae 1776, P. 1- 80.

بتصويبات الطبع، والدروس الخصوصية والترجمات / وأعمال مماثلة. [١١٣]

وتبقى له وقت إلى جانب ذلك لدراساته العربية، وفي أغسطس ١٧٤٨ كتب:

Prodidagmata ad Hagji Chalifae librum memorialem rerum a Muhammedanis gestarum exhibentia introductionem generalem in historiam sic dictam orientalem[1]. مدخلاً عامّاً إلى التاريخ الإسلامي، ويرفض رايسكه في عباراته الأولى مصطلح (شرقي) بوصفه مصطلحاً غير دقيق، وأحل محله مصطلح (محمديّ) أو (إسلاميّ)، لأن الأمر يتعلق بتاريخ المحمديين[*] ليس في الشرق فحسب، بل في أفريقيا وأوربا أيضاً، وأراد أن يتناول المادة في ثلاثة أبواب؛ يخصص الباب الأول لشعوب والأسر الحاكمة التي يطلعنا التاريخ الإسلامي على مصائرها، والثاني يخص البلاد التي شهدت

---

(١) طبعها سنة ١٧٦٦ مع بعض إضافات لرايسكه تلميذه ج. ب. كولر J. B. Keohler في طبعة صغيرة ومتلاصقة إلى حد بعيد بعد كتابه: Abulfedae Tabula Syriae, P. 215- 240. وكررها حرفياً في الطبعة الثانية من هذا الكتاب سنة ١٧٨٦م، وطبعت مرة أخرى بدون الجزء الخاتمة لـ ج. ج. مويزل J. G. Meusel في طبعته الجديدة المحققة لكتاب شتروفه – بودر Struve - Buder, Bibliotheca Historica II, 1785, P. 107- 204.

(*) النسبة إلى محمد بوجه عام مسألة تثير شكوكاً حول قصده الذي كتمه ولكن بغض النظر عن النية فإن الذين اعتنقوا الإسلام لم يطلق عليهم أتباع محمد إلا في فترة محددة ومن أشخاص محددين، ولما استقر الدين الجديد (الإسلام) أطلق على من آمنوا به (أتباعه) مسلمين. وهكذا فالنسبة إلى الإسلام تزيل الشك وتؤكد سلامة النية وقبول الإسلام على أنه دين من عند الله، أما النسبة إلى محمد فعلى العكس من ذلك تستخدم للدلالة على أن ما جاء به ليس بدين من عند إله، بل من وضعه هو (في صورة تعاليم وآراء أخلاقية فاضلة) وأن أتباعه يطلق عليهم (محمديين)، وإن كان ثمة وصف شائع عند المسلمين وهو (الرسالة المحمدية)، وعلى كل حال فإن استخدام المصطلح في حد ذاته يعد تحولاً خطيراً في النظر إلى الإسلام حيث اندثر مصطلح السراسنة الذي كان شائعاً من قبل، وعني به من يتصفون بالهمجية والوحشية والكفر، كما أن أعمال رايسكه تتسم بالحيدة إلى حد كبير كما سيتبين في مواضع كثيرة تالية.

أحداثه، والثالث يخص المصادر التي تزودنا بمعرفتها، ويلي هذا التخطيط العام والواضح تفصيل شديد أيضاً؛ فيعدد الباب الأول (من ٢١٨- ٢٢١) الأجناس الخمسة المهمة: العرب، / والفرس،/ والأتراك، والتركمانيين، / والمغول والتتر، / والبربر، ويقدم نظرة عامة مقتضبة للغاية عن الأسر الحاكمة التي انحدرت عن كل جنس، وتُعرَض مرة أخرى في ذيل لهذا الباب هذه الأسر الحاكمة في توزيعها المكاني بدءاً من أسبانيا حتى ما بعد آسيا الوسطى، ويُعدد في الباب الثاني (من ٢٢١: ٢٢٧) - استناداً إلى أبي الفداء - البلاد الإسلامية مع أهم مدنها ثم يُتناول، نقلاً عن مقدمة أبي الفداء، البحار، والأنهار والجبال. ويختم هذا الباب بإشارة إلى المعلومات الخاصة في كتب الجغرافيا التاريخية، ويضم الباب الثالث (من ٢٢٧- ٢٣٨) حول المصادر التراثية؛ فهرسةً نقديةً. يبدأ بكتاب دربلو (D' Herbelot): المكتبة الشرقية Bibliotheque Orientale، الذي أثنى عليه رايسكه ثناءً عظيماً، ويذكر عدة مؤلفات توضع في الاعتبار: كتاب بوكوك (Specimen)، وكتاب المكين، والفرغاني (ابن عربشاه ليس مؤرخاً)، ومقتطفات جزئية من كتب أبي الفداء / مسماة جغرافيا النوبة، ويشير في إيجاز إلى كتب [١١٤] الرحلات والعُروض الأوربية للتاريخ (Pètis de la Croix, Kantemir)، وينتقل إلى المصادر المخطوطة (مُؤَلَّفَيْ أبي الفداء، وابن شحنة، وحمزة، وكتاب المعارف لابن قتيبة، والاشتقاق لابن دريد ورسالة ابن زيدون وموسوعة النويري (نهاية الأرب)، وكتاب «مجمع الأمثال» للميداني الذي قرظه رايسكه كثيراً)، وأضاف ملحوظات إلى كتالوج هايمان (Heymann) للمخطوطات الشرقية في ليدن، وختمه بإشارة إلى مجموعات المخطوطات قليلة الأهمية في أكسفورد وباريس وفلورنسا.

وبعد أن تناول رايسكه موضوعه في هذه الأبواب الثلاثة ختمه، جرياً على عادة عصره بخطبة مدح ما تزال جديرة بالقراءة إلى اليوم في التاريخ الإسلامي

الذي نصح بدراسته التي أهملت إهمالاً مبالغاً فيه لأسباب شتى[1]. وإذا كانت هذه الأقوال، قد حددها بداهة أيضاً تحديداً شديداً مراعاة وسط القراء المثقف تثقيفاً غير تخصصي الذي أولى اهتمامه بالحاضر في المقام الأول ويفتقرون أيضاً إلى ربط منطقي حاد فإنهم برغم ذلك لم يكتسبوا بأية حال من الأحوال نظرة مفيدة في رؤى رايسكه العامة، فهي تبين أنه درس تاريخ الشرق من خلال وجهات نظر تاريخية عالمية عظيمة، وتعد دراسة له مثل دراسة العلم القديم (antiquarum rerum notitia) الذي اعترف بأهميته بوجه عام آنذاك، دراسة حتمية لأسباب التواصل التاريخي. فقد تعرف في التصوير الذي قدمه أبو الفداء عن فارس العصر الوسيط على الشعوب والأقاليم ذاتها التي كان لها كذلك العادات وأشكال الحكم نفسها التي كان على بينةٍ منها من صورة لهيرودوت (Herodot) عن إمبراطورية الفرس القديمة، وطالب بأنه ينبغي أن تُتَبع أحداث كل بلاد ومقاطعات الشرق وأفريقيا على مدى القرون التي كان ينظر إليها فيما مضى على أنها يونانية أو تابعة للإمبراطورية الرومانية، وراعى العلاقات المتبادلة التي نشأت منذ أيام شارل الأكبر والبيزنطيين ماراً / بالنورمانديين والصليبيين حتى حروب [١١٥] الأتراك بين الغرب والعالم الإسلامي، وأبرز الفوائد التي يمكن أن يستخلصها مؤرخ الغرب من معرفة الشرق، غير أنه أكد في إصرار خاص أن تاريخ الشرق لا يقل في مضمونه العميق عن تاريخ الغرب، ومن ثم يتحتم على الباحث في التاريخ أن يرى أن الشرك بالله والطغيان يزدهران بلا عقاب في نعيم زائل، في حين أن التقوى وبساطة الأخلاق يمكثان في الأرض بلا ثواب أو دهستهما الأقدام بصورة جد وحشية، ومن ثم يبدو في قليل أو كثير للمتأمل المندهش والمتعجب

---

(١) نحى رايسكه تفصيلات هذا الجزء الخاتمة جزئياً في أول خطاب ألقاه في ٢١ أغسطس ١٧٤٨م، ولكنها نشرت سنة ١٧٧٩ في طبعة:

Jo. Jac. Reiske, Conjecturae in Jobum et Proverbia Salomonis cum eiusdem oratione de studio Arabicae Linguae, Lipsiae 1779, S. 267-292.

كما لو كان كل شيء يدور ويُساق في دوامة تخبط خبط عشواء، ومع ذلك يبقى إنعام النظر في محرك الأفعال البشرية التي يكشفها لنا التاريخ أطيبَ ثماره وأهم حصاد الدراسة التاريخية[1]. من يتعلم من دراسة التاريخ حكمة الدولة، ومن يتأمل الحكمة الإلهية أو دروب القضاء والقدر الخافية، ومن يرغب في دراسة طبائع بشرية، يجد هاهنا في تاريخ الشرق وفي تاريخ أوربا أيضاً نماذج جلية[2]، ولم يتردد في تقديم أعمال طُغرل وجنكيز خان وتيمور (لنك) ومحمد الفاتح على أعمال الإسكندر (الأكبر)، ودفع به افتتانه كذلك بالملوك الفرس العظام إلى مقارنة انتصار اليونانيين على الفرس بمباهاة هاموش يزعج الأفيال[3]، وقد تأمل التاريخ الإسلامي في سعة أفق مماثلة، فقد عد ظهور محمد (ﷺ) وانتصار دينه(*) من تلك الأحداث التاريخية التي يعجز العقل الإنساني عن تعليلها؛ ويرى فيها على النحو ذاته سيادة القدرة الإلهية، ويدرك في وصول الأمويين إلى الحكم / وفي تاريخ [١١٦] معاناة العلويين (شيعة علي) مشيئة إلهية[4]. ويشارك الروح الشيعية النقية

---

(١) ص ٢٤٠.

(2) Certe non est casus in hostoria Europaea, e quo vel prudentiam discat homo civilis, vel meditandi argumentum petat animus divinae sapientiae caecaumque fati viarum admirator, et scrutandis hominum ingeniis intentus, qui non acque illustris in ea, quam commendamus, historia se praebeat (S. 239).

(3) Stupemus Graecorum de rebus a se feliciter adversus persas gestis narrations, aut ut non nemimi videntur, inanes culicum elephantis insultantium thrasoniasmos (S. 238).

(*) انظر الهامش السابق لتفسير هذه النسبة.

(٤) قد يوافق هذا الرأي هوى طائفة، ولكن هل يصح وصف عمل مجلس شورى المسلمين بدسائس أو مكائد؟!

Stupenda multa sunt in orientali historia, quorum pervidere rationem humana ratio nequit. Egenum et contemtum hominem, qualis Muhammed fuit, sua pietate caeterique virtutibus tantam sibi comparasse auctoriatem, ut paullo minus, quam dues, a megna orbis habitabilis parte colatur, none stupendum est? Illum ipsum

(تشيع حسن) في مصادرها التاريخية المتأخرة: فيرى في عليّ الخليفة الفعلي للنبي الذي حالت بينه وبين حقه الموروث مكائد مجلس الشورى(*) طوال أربعة وعشرين عاماً تقريباً، ويرى فيه أفضل أمير رآه العالم الإسلامي، شجاعاً، عادلاً غير أنه قد قضى عليه مصير ممقوت وحقد عائشة الطموحة (هكذا!). ويرى رايسكه في صراعه مع معاوية مثالاً يجسد انتصار الاحتيال على القوة والخبث على العدل، بل يغالي بالإضافة إلى ذلك بمقارنة علي بمارك أورل (Marc Aurel)؛ الفيلسوف المتربع على العرش[1]. وأغراه هذا الميل لإبراز المسار المماثل لأحداث تاريخية وإيضاحها من خلال مقارنات بظواهر مماثلة في التاريخ الأوربي، بأن يكشف النقاب باستمرار عن نظائر جديدة بين التاريخين الإسلامي

---

domuisse absque vi bonsique moribus excoluisse gentem ferocem et indomitam; et insituisse religionem, quae Christianam ex oriente tanquam scopes everrit, et ab initiis paene nullis imperium erexisse, quod dimidio saeculo plures sibi provincias subegit, quam Romani tribus integris saeculis et quod florentissima duo imperia, Romanum et Persicum, illud quidem graviter perculit et labefactavit, hoc autem prorsus delevit: haec inquam, haud absque numine sunt, neque possunt animos nostros, religionis nostrae amore et veneratione plenos, horroris et doloris interiore sensu non tangere. Quod illa ipsa natio, quae vivum Muhaamedem adeo venerate fuerat, eius gentem et liberos crudelibus modis agitavenit, et tantum non excidione deleverit, hostes autem eius iuratos ad summum dignitatis gradum evexerit: in eo ego quidem τὸ θεῖον agnosco. (S. 239).

(*) بعضه آرائه يحتاج إلى دحض، فبرغم موضوعيته تصدر عنه هفوات.

(1) In Alio exemplum spectes boni principis, fortis, iustitiam amantis, quo meliorem non vidit orbis Muhammedanus, et quem hand incongrue cum M. Antonino philosopho compares, sed quem adversa fortuna et ambitiosae foeminae ira, periuriis nixa et sustentata sicariis, pessumdabat. Bello vincabat ille semper: et nihilo secius tamen semper succumbabat, nullumque reportabat victoriarum lucrum. malis artibus adversarii Moawiae elusus. In hoc pari composito videas luctantaem cum calliditate vim, cum nequitia probitatem, et illam semper hac potiorem (S. 239).

والأوربي لكي يبين / لقرائه أنه قد ظهرت على مسرح الشرق والغرب أيضاً [١١٧] مشاهد بديعة ومفيدة، وكتب رايسكه في تلك الفترة ذاتها تقريباً كتاب: de principibus Muhammedanis literarum laude claris.[١] وحصل من بلاط دريسدن على لقب أستاذ، ومعاش قدره مائة تالر (Taler) سنوياً أيضاً، لم يكن في تلك الفترة منتظماً، ولم تدفع له على الإطلاق لسنوات بعد سنة ١٧٥٥م[٢]. ومن ثم ظلت حالته الاقتصادية كما كانت من قبل متدهورة، ولم يتبعها تشجيع حقيقي، وقد عده علماء اللاهوت في عرف الزنادقة، إذ لم يتراجع ليصف محمداً بأنه نبي كذاب ودجال، ويعد دينه من الخرافات المضحكة،ولم يقسم تاريخ العالم إلى قسمين؛ مقدس ودنيوي، بل وضع العالم الإسلامي وسط تاريخ العالم، وفضلاً عن ذلك عبّر عن رأيه بصراحة كبيرة غير مكترث بكل ما يترتب على ذلك. وقد جر عليه هذا تصرفات شريرة، فقد نشر شولتنس سنة ١٧٤٨م طبعة جديدة من كتاب اربنيوس (Erpenius) في النحو العربي[٣]. وكرر فيه طبعة المؤلَّف الأساسي الذي عني بها جوليوس (Golius) دون أي تغير مع حكايات لقمان الخرافية والأمثال، وأكثَرَ من مادة المطالعة هذه بمنتخبات من الحماسة لم تكن خالية من الأخطاء، ويمهد بمقدمة طويلة سعى فيها إلى تفنيد وجهات نظر شراح الكتاب المقدس اليهود وتابعيهم المسيحيين في الطبيعة المقدسة للعبرية، ولم يكن لمثل هذا الإقحام لكتاب أساسي في النحو العربي في الخلاف الجذري في شرح الكتاب المقدس؛ حول مسألة إذا ما كان من الممكن ربط العبرية باللغات السامية الأخرى، لم يكن له في حد ذاته أي مبرر، حتى لو وافق

---

(١) لم أقرأ هذا المؤلَّف.

(2) Lebensbeschreibung S. 43 f.

(3) Thomae Erpenii Grammatica Arabica.. Accedunt Excerpta .. edita, conversa et notis illustrata ab ALB. Shultens, Praefatio imaginariam linguam, Scropturam, et lineam sanctam Judaeorum confutat, Lugd. Bat. 1748.

وانظر: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 70, Nr. 102.

المرء سولتنس في هذه المسألة؛ ولم يحاول أحد فيما بعد شيئاً مماثلاً، وكان مما لا جدال فيه أيضاً أن قصائد الحماسة لم تكن من المطالعات المناسبة للمبتدئين، ونشر شولتنس في العام نفسه ترجمة شارحة / لحكم سليمان[1]، استخدم فيها بلا [118] تحفظ المنهج الاشتقاقي، وناقش رايسكه كلا الكتابين في ديسمبر ١٧٤٨م، ويناير ١٧٤٩م في عددي مجلة Nova Acta Eruditorum[2] التي ينشرها مِنكن (Menken). وقد أملى عليه ضميره بأن يقول الحقيقة حول هذين الكتابين، وعلى الرغم من أنه فعل هذا بكل احترام واجب لشولتنس فإنه قد فطن بالفعل إلى الأثر، إذ كان من الأفضل لو فعل أحد غيره ما فعله[3].

فشولتنس الذي كان قد اعتاد على الخصومات الأدبية، ولم يتجرأ أحد على أن يشكك في أستاذيته في العربية، دافع عن نفسه في خطابين إلى مِنكن (Menken) طبعهما ونشرهما في كل الأرجاء[4]، وخرج الخلاف بينهما إلى الصعيد الشخصي وأهان رايسكه أيما إهانة، ولم يعدم ذلك أثره، لأنه يصعب أن يرد من بين القراء – وقد وزع الرد على سبيل المثال على كل أساتذة جميع الكليات في ليبزج – مَنْ في إمكانه أن يقدر علل رايسكه الموضوعية، ويمكن أن يزن الرأي والرأي المضاد بناءً على معرفة موضوعية متميزة. فلم تمتد إليه يد للعون وانصرم عام إثر عام دون أن تدعوه أية جامعة، ولم يفده شيئاً أيضاً إثباته أنه متبحر لامع في اليونانية القديمة من خلال نشرياته. فالرجل المتخصص آنذاك ارنستي (Ernesti) عالم فقه اللغة الكلاسيكي وعالم اللاهوت أيضاً لم يترك

(1) Proverbia Salomonis, Versionem ad Hebraeum fontem expressit, atque Commentarium adjecit Albertus Schultens, Lugd. Bat. 1748.

(2) Nova Acta Eruditorum 1748, 687- 704 bzw. 1749, 5- 20.

(3) Lebensbeschreibung, S. 46- 49.

(4) A. Schultens Epistola prima (secunda) ad ... F. O. Menkenium perscripta in qua nupera recensio - sub examen devoctur. Lugd. Bat. 1749.

الرسائل ص ١٤٠ و١٣١ عنيفة.

لرايسكه فرصة للظهور «إذ لا يستحق شرف فك رباط حذائه»[1](*).

وحاول الأستاذ بوبوفتش (Popowitsch) في فيينا سنة ١٧٥٣م أن يلحق رايسكه، بمفوض شفاختهايم (Schwachtheim) الذي سافر إلى البلاط التركي آنذاك، غير أنه قد أحبط الخطة أن رايسكه رفض أن يصير كاثوليكياً[2]. واستمرت حالته تصير أكثر عسراً أكثر مما كانت عليه حين حجب عنه سنة ١٧٥٥م / [١١٩] صرفُ معاشه، وفي أثناء يئسه اتجه في نهاية ١٧٥٦م إلى زميل دراسة سابق، الأستاذ يوهان دافيد ميشائيلس (Johann David Michaelis)[3] في جوتنجن (١٧١٧- ١٧٩١م) دون أن يفطن في غربته عن العالم وعدم معرفته بالناس إلى أنه وضع بذلك مصيره في يد أناني متبلد الحس[4]. فقد صور له عوزه وأفهمه أن الحكومة الساكسونية ستصنع شيئاً من أجله إذا ما دُعِيَ إلى جوتنجن، حتى لو لم يكن هذا إلا ظاهرياً، وأضاف في إخلاص عميق أنه لم يمنعه إلى الآن إلا فقره من أن ينجز أكثر مما أنجز في الأدب العربي، وإذا تحسنت أحواله فإنه يرغب في طبع كتب عربية وبخاصة معجم صغير. وإذا لم يعنه الله عما قريب فلا خيرَ يُرْجَى منه للأدب العربي.

بيد أن ميشائيلس لم يفكر إطلاقاً في أن يستخدم نفوذه الواسع من أجل رجل يفوقه في فقه اللغة العربية إلى حد بعيد، وقد درس ميشائيلس الذي لم يمتلك أية

---

(1) U. V. Wilamwitz Moellendorff, Geschichte der Philologie (Einleitung in die Alterumswissenschaft, hrsg. V. A. Gerke u. E. Norden, 3. A. I, I).

(*) أي أنهم ضيقوا الخناق عليه بصورة مزرية لموضوعيته ونزاهته العلمية.

(2) Leipzig 1927, S. 42.

(٣) انظر: R. Smend, Festrede im Namen der George - Augusts - Universität zur Akad. Preisverteilung am 8. Juni 1898. Göttingen 1898.

(٤) طبع الخطاب في مجموعة: Literarischer Briegwechsel von J. D. Michaelis Geordnet u. herausgegeben von J. G. Buhle, I, Göttingen 1794, S. 66- 71.

أصالة، وربما امتلك الموهبة، فجمع نتائج أبحاث الآخرين ونشرها، درس العربية - بداهة - في الإطار المعتاد لفقه اللغة المقدس[1]. وقد تفهم مطامح تحرير الدراسات الشرقية من قيود علم اللاهوت تفهماً ضئيلاً إلى حد أنه رأى في سن كبيرة حين بدأت تغلغل فيه بقوة روح الرومانسية أنه بانتهاء فقه اللغة المقدس يتلاشى الاستشراق نهائياً أيضاً[2]. وما تزال «المسائل» المثيرة للعجب التي حددتها باعتبارها من مهامها البعثة التي أرسلها فريدريش الخامس Friedrich V. ملك الدنمراك إلى جنوب الجزيرة العربية بإيعاز من ميشائيلس، تقع كليةً في مسار شرح الكتاب المقدس، ولم يكن له الفضل في أن يحلها بوعي فائق كارستن نيبور (Carsten Niebuhr) عضو البعثة الوحيد الذي عاد من الرحلة، فقد كانت معرفته بالعربية قليلة؛ فقد عَدّ (الإعراب) العربي القديم من اختراع النحاة، متبعاً / في ذلك على نحو محتمل - نموذجاً أوربياً[3]، واعترف هو نفسه أنه لا [١٢٠] يستطيع أن يزن شعراً عربياً[4]. ومع ذلك فقد تجرأ على تفسير منتخبات من الحماسة التي كشف عنها شولتنس. وكثيراً ما افتخر بتدريسه العربية[5]، ولم يسمح مستبداً ومحباً للظهور كما كان من قبل، لأحد أن يشاركه في هذا المجال أيضاً، ومن ثم استاء بشدة من الطلب الذي كان قد وجهه إليه رايسكه، وأوصل رسالته، وهو لا يمكنه أن يشك طرفة عين في شخصيته الصادقة، مع تعليق مناسب إلى وزير مونشها وزن (Münschausen)، ثم سلم لرايسكه الرد الرسمي بالرفض بصورة رسمية حادة[6]، وحينئذ تحطمت آمال رايسكه إلى الأبد

---

(١) يسري الأمر ذاته على دراساته في السريانية.

(٢) انظر خطابه إلى أدلر (Adler) في ٢٥/ ١٠/ ١٧٩٠, Literar Briefwechsel III, 282.

(3) Michraelis, Arabische Grammatik, S. 2 ff. 178 f.

(4) A. a. O., S. 76 f.

(5) Smend, a. a. O., S. 26, Anm. 1.

(٦) Smend, a. a. O., S. 12 f. ويشير سمند (Smend) إلى أن ميشائيلس ساند تلميذه=

في أن يستدعي في يوم في الأيام لكرسي التدريس، وكان عليه أن يتقدم بطلب للتدريس، وصار سنة ١٧٥٨م مديراً لمدرسة نيكولاي. وكاد يعرقل تعيينه «صديق زائف» غير أنه من حسن حظه أن لَفَتَ سنة ١٧٥٦م انتباه الوزير جراف فاكربارت (Wackerbart) حين حدد بناءً على طلب مشرف دار مسكوكات بيسدن المستشار ريشتر (Richter)، العملات العربية[١]. وكانت شفاعة الوزير كافية لإزالة كل شك أظهره رجال الدين ضد اختيار رايسكه، وبذلك وجد أخيراً مأوى بعد سنوات الفقر والفاقة.

وبقدر ما سَمَحَ له التدريس بوقت، كان يتابع فيه دراساته في الأدبين العربي واليوناني، ولكنه لم يجد ناشراً وكان عليه أن يطبعها على نفقته، وهكذا نشر سنة ١٧٥٤م المجلد الأول من ترجمته اللاتينية لتأريخ أبي الفداء، غير أنه لما لم يستطع بيع أكثر من ثلاثين نسخة، / فقد اضطر إلى أن يوقف الطبع[٢]. ومنذ ذلك [١٢١] الوقت اقتصر مضطراً على النشريات الصغيرة: فنشر سنة ١٧٥٥م رسالة ابن زيدون إلى ابن عبدوس القيمة بسبب ما فيها من إشارات تاريخية بالعربية واللاتينية[٣]. ونشر سنة ١٧٥٦م ككتاب تهنئة ترجمة ألمانية للامية الطغرائي[٤].

= شلوتسر (Schlözer) حين أوقع هذا الأخير بين حكومة هانوفر والحكومة الروسية.

(١) فَسّر رايسكه لجراف فاكربارت الكتابة العربية على حجر مقتطع، وطلب الأخير منه أن ينشر النص مع توضيح، Lebensbeschreibung, S. 75 f.

(2) Lebensbeschreibung, S. 68.
Abi,l Walidi Ibn Zeiduni Risalet seu Epistolium arabice et latine cum notulis edidit. J. J. Reiske, Lipsiae 1755.

(٣) انظر: Schhurrer, Bibliotheca Arabica, 227, Nr. 234. تنازل للأستاذ ي. ف. هيرت (J. F. Hirt) عن نموذج من شرح ابن نباتة مع ترجمة وملحوظات، نشرها في كتابه: Institutiones arabicae linguae 1770, P. 516- 536.

(٤) انظر: Lebensbeschreibung, S. 76. يورد شنورر (Schnurrer) في: Schnurrer, Bibliotheca Arabica, 190 f. عنوان الكتاب المطبوع في مائة نسخة فقط.

وحين بدأ عمله في التدريس هنّأه صديق له بقصيدة لاتينية، ذكر فيها عصا يعقوب والصولجان، فشكره رايسكه برسالة مناسبة[1] ذكر فيها سبعة أمثال عن مجمع أمثال الميداني[2] وناقشها، وكانت الأمثال تدور حول العصى. وفي العام التالي تناول في برنامج دراسي[3] مرة أخرى بناءً على كتاب الميداني حكيماً من حكماء ما قبل الإسلام هو أكثم بن صيفي غير أنه لقى تفهماً ضئيلاً لعمله إلى حد أنه عدل عن البرامج التالية[4]. ولم يواجه جمهور الناس بنص عربي إلا مرة واحدة أخرى حين نشر سنة ١٧٦٥م نموذجاً من الشعر العربي من ديوان المتنبي حوالي اثني عشر بيتاً من أبيات الغزل وقصيدتين كاملتين من المراثي[5]. وأهدي هذه الباقة من شعر الغزل العربي لزوجته التي كان قد أهلّ بها أخيراً سنة ١٧٦٤م. وتخلى إكراماً لها في التفسير عن كل تفريعات علمية، واقتصر على توضيح عبارات الشاعر / وعالم شعوره الغريب بالنسبة للأوربي في بعض [١٢٢] المواضع وتفسيرها تفسيراً جمالياً، وقد تحققت أمنيته التي عبر عنها في الإهداء، وهي أن يبقى اسم زوجه مقروناً باسمه للأجيال التالية: فما دام اسم رايسكه حياً فستذكر شريكة عمره أيضاً التي وقفت إلى جواره في وفاء وشجاعة، وحين توفى في ١٤ أغسطس ١٧٧٤م بالسل ولم يتجاوز سن الثامنة والخمسين عُنيت بألا تقع تركته القيمة في أيدي ارنستي (Ernesti)، فاستأمنت لسينج (Lessing)

---

(1) Sammlung einiger arabischer Sprüchwörter, die von den Stecken und Stäben hergenommen sind (Leipzig 1758). 31 s.

(٢) يقول عنها ص ٣١: «أقدر هذا الكتاب تقديراً عظيماً ولا أستطيع أن أخفي أني قد عشقته».

(3) De Actamo Philosopho Arabico, praefatus, ad actum oratorium in schola Nicolaitana ad d. XVI. Julii h. a. horis antemeridianis celebrandum invitat I. I. Reiske, Lipsiae (ineunte Julio 1759).

(4) Lebensbeschreibung, S. 82.

(5) Proben der arabischen Dichtkunst in verliebten und traurigen Ge dichten, aus dem Motanabbi, Arabisch und Deutsch, nebst Anmerkungen.Leipzig 1765.

عليها، وهو واحد من القلائل الذي قدرهم رايسكه في حياته، فحفظها حتى اقتناها فون سوم (Son Suhm) حاجب ملك الدنمراك، وآلت بعد موته إلى مكتبة كوبنهاجن، ونشرت الوصف المحزن لحياة زوجها الراحل (ترجمته الذاتية)، ولم تخش الصراع مع أولئك الذين يكشف هذا المؤلَّف حقارتهم على الملأ.

ونشرت سنة ١٧٧٩م التصحيحات التي دونها رايسكه سنة ١٧٤٩م حول سفر أيوب وحكم سليمان مع محاضرته التمهيدية التي ألقاها في ٢١ أغسطس ١٧٤٨م(١). وقد بعث فيه الحياة الرضى بأن زوجها الراحل يلقى تدريجياً الاعتراف بالفضل الذي كان قد حُرِم منه في حياته، ونشر جرونر (Gruner) سنة ١٧٧٦م رسالة رايسكه للدكتوراة، مرة أخرى، ونشر ي. ج. ايشهورن (J.G. Eichhorn) سنة ١٧٨١م رسائله عن مسألة المسكوكات العربية Briefe über das arabische Munzwesen، التي كان قد كتبها سنة ١٧٥٧م إلى المستشار ريشتر الذي سبق ذكر فيما سبق(٢).

إن رايسكه قد رفع فقه اللغة العربية إلى مقام علم مستقل بذاته، فلم يدرك أحد مثله في وضوح تميز قوانينه واستقلاله كما لم يواجه أحد مثله عن وعي فقه اللغة المقدس آنذاك، الذي سَخَّر العربية بغية الاستفادة منها، وعقد عليه الأمل في تفسير العهد القديم، وكان يكتفي في الغالب بأن يضع الكلمة العربية في مقابل كلمة عبرية كما في معجم جوليوس (Golius)، ويختار من المعاني الموجودة هناك تلك التي يبدو أنها تناسبها مناسبة تامة.

وخلافاً للاتجاه الموسوعي (Polyhistorismus) في عصره كانت له رؤية واضحة في حدود الطبيعة الإنسانية، كما توقف ثانية عن /١٢٣/ الاشتغال بأعمال [١٢٣] شيشرو (Cicero) «بسبب لا محدودية العمل، ونقص الوسائل المعينة، وميل

---

(1) Jonnis Jacobi Reiske Coniecturae in Jobum et Proverbia Salomonis cum eiusdem Oratione de studio arabicae linguae. Lipsiae 1779.

(2) Reperterium für biblische und morgenländiche Literatur, IX, 197 ff; X, 165 ff; XI. I ff.

فائق نحو اليونانيين»[1] ومن ثم كرس جهده بأكمله للعربية، ورفض أن يبدد وقتا وجهدا في دراسة التعبيرات الدالة على القرابة، وشغل وقته بنظرة عميقة في العلاقة المتبادلة بين اللغات السامية (لم يظهر هذا المصطلح إلا سنة ١٧٨١م)، وكشفت نظرته الثاقبة بما لا يدعو للشك مجال النهج الشكلي الذي ينبغي من خلاله أن تتحد الفروع المتفرقة التي لا يضمها رباط داخلي، في كلٍ منفصل، أي فيما يسمى بفقه اللغات السامية على أساس القرابة اللغوية فحسب، غير أن هذا قد تحقق له في الوحدة الداخلية لعلمه.

والحق أن فقه اللغة كان بالنسبة له هنا هو الأساس لمعرفة اللغة، وقد عرف أن صحبة لسنوات طوال في صبر للكُتَّاب العرب وحدها يمكن أن تفضي إلى معرفة حقيقية بلغتهم، ووافق في صرامة الرأي القائل بأن تراث المسلمين يتقدم من كل الوجوه على التراث المسيحي - العربي ولم يخفَ عن نظرته الثاقبة أن طبعات الكتاب المقدس العربية ترجع إلى المسيحيين الشرقيين الذين لم يعرفوا اليونانية ولا العبرية ولا العربية، أو كانت ترجمات شائهة لليسوعيين الذين لا يعرفون إلا الفلجاتا Vulgata[2](*). ولذلك بحث عن المدخل إلى ذخائر الأدب العربي - الإسلامي، وعثر عليه، وأرشد الآخرين إلى الطريق. بيد أن دراسته للغة لم تكن من أجل ذاتها بل أساساً للبحث التاريخي، ونظراً لإدراكه أهمية الإسلام بالنسبة لتاريخ الشرق فلم يقرأ نصوصه العربية قراءة فقيه لغوي، فقد كان يكتفي بأن يفهم المعنى الذي قصده المؤلف فهم المؤرخ الذي ينظم التاريخ الإسلامي في التاريخ العام للعالم ويقوم بتفسيره، مثلما يفطن المشاهد في المسرح عند متابعته الأحداث على خشبة المسرح إلى بواعث الشخصيات ويحاول سبر

---

(1) Lebensbeschreibung, S. 71.

(٢) انظر محاضرته التمهيدية ص ٢٢٢ المطبوعة بعد: Conjecturae in Jobum.

(*) التصحيح أو التنقيح الذي بدأه القديس هيرونومس Hieronmys في القرن الرابع الميلادي للترجمة اللاتينية القديمة للكتاب المقدس.

مرامي الشاعر، / وصار رايسكه بذلك رائد العلوم الإسلامية المعاصرة التي علا [١٢٤] بها بوصفها فرعاً تاريخياً فوق أساس فقه اللغة العربية، وإن لم يتح له أن يكتب تاريخ الإسلام الذي خطط له، وبديهي أن معاصريه لم يتمكنوا من متابعة آرائه الجريئة، وصار شهيد الأدب العربي، وصارت حياته قصة معاناة يشهد بها وصفه لحياته على نحو مؤثر، وكان للجرأة التي مضى بها غير آبه على الطريق التي عدها صحيحة، تأثير عظيم إلى حد أنه من المخجل أنه لم يُقِرّ أحد من الرجال المتخصصين بالأهمية غير العادية لهذا الرجل العبقري الذي كان واحداً من كبار علماء العربية، وأن الدراسات العربية التي أراد أن يشيد لها صرحاً لم تلق في ألمانيا القبول الذي كانت جديرة به، ومع ذلك مما يطيب الخاطر أن تعرف أنه في القرن التالي في البلدة ذاتها التي كان قد عانى فيها كثيراً، قد أُسِّسَت مدرسة تعده من أجدادها الروحيين، ومنذ ذلك الوقت إذا ما كانت مدرسة ليبزج ترفع صوتها منذرة بأنها الضمير السليم للدراسات العربية كلما اصطدم بأسس المناهج الفيلولوجية، فإنها تتحدث أيضاً باسم رايسكه وبوصفها أمينة على تراثه.

٢٥- الموازنة (اليسوعيون) وفتيان اللغة

في الوقت الذي كان رايسكه يقود فيه المعركة لتخليص الدراسات العربية من قيود علم اللاهوت تبين أن فقه اللغة المقدس لم يعد قادراً بمرور الوقت على الحفاظ على مكانته السائدة. ففي ليدن حيث عَرَّف البرت شولتنس (A. Schultens) جيلاً بعد جيل من دارسي اللاهوت حتى منتصف القرن بدراسة ما يسمى بلهجات العبرية، انحسر بعد موته فيضان المستمعين، وأكَّد مستسلماً حفيده هاينرش ألبرت شولتنس (Heinrich Albet Schultens) (١٧٩٣-١٧٤٩م)[1] الذي حل محله في سقم وضعف على كرسي الأستاذية في اللغات الشرقية، أن دارسي اللاهوت عَدُّوا تخصصات أخرى أكثر أهمية من اللهجات، ولم

(١) انظر: Ferdinand Rink, Heinrich Albert Schultens, Riga 1794.

يعودوا يرغبون في أن يتفهموا روح الدين في «كلمة الرب» فحسب، وأدرك أيضا أن الدراسات الشرقية لم يعد يمكن دراستها بصورة هامشية مع / الحال التي [١٢٥] وصلت إليها في تلك الفترة، بل تتطلب دراسات خاصة مفصلة، وعرف أن الدراسة الموسوعية الجوفاء ليست سوى ضرر.

وبديهي أن وجهة النظر هذه ظلت مرفوضة من ممثلين آخرين للغات الشرقية في البلاد البروتستانتينية، فقد أُفْرِطَ في الاشتغال بعلم اللاهوت وأُهمِلَت حقل فقه اللغة العربية، ولكن وضع الدراسات العربية في البلاد الكاثوليكية أيضا لم يكن أفضل حالاً أيضاً، ومما يميزها أن إنجازاتها الملحوظة تكمن في الفهارس التي وصف فيها موارنة سريان ذخائر المخطوطات لبعض مكتبات، وهكذا فقد قدم يوسف سمعان السمعاني Joseph Simon Assemani (١٦٨٧- ١٧٦٨) الفهرس المهم للمقتنيات الشرقية للفاتيكان الخاصة بتاريخ الأدب السرياني[١].

ووصف ابن أخته وخليفته المقدم في الفاتيكان اسطفانوس افوديوس (عبديا) السمعاني (Stephanus Evodius Assemani) (١٧٠٧- ١٧٨٢) المخطوطات الشرقية في فلورنسا[٢]. وانكب فرع ثالث من العائلة ذاتها وهو سمعان السمعاني (١٧٥٢- ١٨٢١م)، ابن ناشر الفهرس Codex Liturgicus يوسف الواسيوس السمعاني وابن أخي يوسف السمعاني الأكبر) على وصف مخطوطات نانيانا (Naniana) وعملائها في البندقية[٣]. غير أن أهم الفهارس للدراسات العربية كان الحوليات المسماة Bibliotheca Arabico Hispana Escurialensis، «مكتبة الاسكوريال العربية – الاسبانية» التي وصف فيها

(1) Bibliotheca Orientalis Clementino - Vaticana. Romae 1719- 1728. 4 Bände; S. Zenker, Bibliotheca Orientalis I, 1846 Nr. 1724.

(2) Bibliotheca Mediceae Laurentianae et Palatinae codicum mss. Orientalium catalogus, Flrorentinae 1742; S. Zenker a. a. O. Nr. 1727.

(3) Catalogo dei Codici mss. orientali della Bibliotheca Naniana, Padova 1787; S. Zenker, a. a. O. Nr. 1740.

الماروني ميخائيل كسيري (الغزيري، عاش تقريباً من ١٧٢٠: ١٧٩١م) مجموعة المخطوطات العربية القيمة في الاسكوريال[1]. وفيها يجد القارئ مواداً لا حصر لها في تاريخ أسبانيا تحت الحكم الإسلامي، وقائمة بالشعراء الأسبان – العرب (الأندلسيين) (١/ ٩٣- ١٠٥)، ومختصراً في تاريخ الأسبان المسلمين مع مقتطفات من كتاب ابن الأبَّار: «الحلة السيراء» (٢/ ٣٠- ٦٥)، ومحاضرات في تاريخ العلماء من كتاب «الإحاطة في تاريخ غرناطة» لابن الخطيب في ترجمة لاتينية (٢/ ٧١- ١١١) وتراجم للعلماء حسب كتاب التكملة لابن الأبار (٢/ ١٢١- ١٣٣)، وكتاب بغية المتلمس / للضبيّ (٢/ ١٣٣- ١٤٠) والصلة لابن [١٢٦] شكوال (٢/ ١٤٠- ١٥٠)، وعلى الأخص مختصر لتاريخ الخلفاء والأسر الحاكمة في الغرب حسب كتاب «الحلل المرقومة» لمؤلف مجهول مع نصوص مقتبسة طويلة وملحوظات كثيرة (٢/ ١٧٧- ٢٤٦)، ونظرة عامة أيضاً في تاريخ غرناطة حسب كتاب ابن الخطيب «اللمحة البدرية في الدولة النصيرية) على هيئة نصوص مقتبسة كثيرة أيضاً (٢/ ٢٤٦- ٣٢٤) وتملأ هذه المعلومات عن مجال كان معروفاً إلى حد ما آنذاك مع وصف للمخطوطات الجغرافية والتاريخية المجلدَ الثاني بأكمله تقريباً، وعلى العكس من ذلك فقد أُنجِز في الفروع الأخرى في حقيقة الأمر شيء أقل، وبخاصة مؤلفات علم الكلام والفقه الإسلامي لم تبدُ لكسيري (Casiri) جديرة بأي اعتبار cum Scripta eiusmodi ad bonarum Artium rationem et ornamentum parumper, nihil verò ad Christiani Orbis eruditionem, quippe ab hujus legibus, institutes, sacris omnino abhorrentia, pertineant (I, XVI)، فلم يأسره في حب إلا مصادر العلوم القديمة؛ فقد

---

(1) Bibliotheca Arabico – Hispana Escurialensis sive Librorum omnixm Mss. quos Arabicè ab auctoribus magnam partem Arabo – Hispanis compositos Bibliotheca Coenobii Escurialensis complectitur, Recensio et Explanatio opera et studio Michaelis Casiri Syro - Maronitae .. Matriti 1760- 1770, 2 Bande.

عرّف بمضمون كتاب ابن العوام في الزراعة تعريفاً مفصلاً للغاية (١/ ٣٢٣-٣٣٨)، واستخلص من كتاب ابن القفطي تاريخ الحكماء سيراً ذاتية (تراجم) كثيرة لفلاسفة وأطباء وعلماء في الرياضيات وعلماء في الطبيعة يونانيين ومسلمين.

وفي فرنسا تدهورت الدراسات العربية منذ وفاة جالان (Galland) تدهوراً تاماً. فلم يُطبع من سنة ١٦٩٦م إلى ١٧٧٩م في باريس كتاب واحد بحروف عربية[1]، وطوى النسيان حروف سفاري (Savary) الرائعة، حين أراد دربلو (d' Herbelot) أن ينشر مؤلفه: Bibliothèque orientale، ووجب على لوروا دزوتسريه (Le Roux des Hautesrayes) أن يلجأ إلى الحروف المحفورة في النحاس kupfertich حين أراد أن ينشر سنة ١٧٦٦م دراسته حول علمي اللغة والخط الشرقيين[2]. وقد شُغل في الغالب كرسيّ الأستاذية في العربية في كوليج رويال «الكلية الملكية» (Collège Royal) (التي صارت فيما بعد كوليج دي فرانس) في القرن الثامن عشر الميلادي برجال كانوا قد برعوا في معارفهم اللغوية في أثناء العمل القنصلي، وحددت العنايةَ الرسمية بالدراسات الشرقية مراعاةُ مصلحة السياسة الفرنسية في الجزء الشرقي من البحر الأبيض المتوسط وحدها تقريباً، وبخاصة طلب المترجمين المدربين[3]. /وقد كلف كولبرت [١٢٧] (Colbert) سنة ١٦٧٠ الرهبان الكبوشيين بإنشاء مدرسة للمترجمين في اجتماعهم الروحي في برا (Pera)، وتعلم فيها على نفقة الدولة ثمانية عشر طالباً في المتوسط، يلتحقون بها في سن التاسعة تقريباً، الفرنسية واللاتينية واليونانية الدارجة والإيطالية، وأدخل خوجه اللغة التركية، أما العربية والفارسية

---

(1) (A. Carrière), Notice historique sur l École des langues orientales in den Mèlanges Orientaux, 1883, S. I.

(2) A. A. E. SCHLEIERMACHER in Jahresbericht der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft. f. d. Jahr 1845, S. 6 f.

(3) G. DUPONT - FERRIER, Les jeunes de langue ou .. Arméniens à Louis le - Grand in Revue des Études Arméniennes II, 1922, 189-232 und III, 1923, 9- 46.

فلم يُدرِّسا فيها، ولكن لما كان الرهبان الكبوشيين غير مؤهلين إلى حد ما لـذلك العمل التربوي، بالإضافة إلى أنهم عُنُوا بطائفتهم أكثـر مـن تلاميـذهم، فـإن المشروع قد تأكد فشله بعد فترة قصيرة. ولذلك أنشأ سنة ١٧٠٠م لودفيج الرابع عشر Ludwig XIV بناء على حث اليسوعيين الين شُـغِلُوا للغايـة بتـدريب المبشرين في الشرق، في كوليج دي لوا لـوجران Collège de Louis - le – Grand التي يـديرونها – مدرسـةَ فتيـان اللغـة Ecole des Jeunes du langue[1] التي تلقى فيها على نفقة الملك اثنا عشر شـاباً أرمينيـاً وشـرقيون آخرون، تعليماً فرنسياً، غير أنه كان ينبغي عليهم أن يُعَلِّموا لغات أوطانهم حتـى يعملوا فيما بعد مبشرين للكنيسة أو مترجمين للملك. بيد أنه برغم أن اليسوعيين كانوا معلمين أكفاء كانت النتائج غير مرضية مرة أخـرى، فحـين عـادوا إلـى أوطانهم نسى أغلب الأرمينين – والسريان والعرب واليونانيون كانوا في إثـرهم أيضاً – الملك واليسوعيين ومضوا في شئونهم الخاصة، ولم يحقق أماني معلمهم إلا القليل منهم، وصاروا مبشرين، ووُجِدت أيضاً فئةٌ مـنهم مَـنْ اصـطدم مـع كنيستهم القديمة وصاروا خصماً لدوداً للاتحاد مع روما، ولـم يُثْبِـت أيٌّ مـنهم صلاحيته مترجماً، ومن ثم تحتم أن تطرح قضية المترجمين الشرقيين على أساس جديد كليةً. وحل آنذاك محل الشرقيين الشبان عشرة فتيان فرنسـيين فـي سـن الثامنة تقريباً في مدرسة فتيان اللغـة: Èole des jeunes de langue وتلقـوا على يد اليسوعيين تعليماً مناسباً، وثقافة عامة جيدة ترتكز على معارف مفيـدة باللاتينية، وتعلموا بالإضافة إلى ذلك على يد معلمي اللغـة – هـم فـي الغالـب مترجمون ذوو تجربة عملية ضخمة، ومنهم بعض أساتذة كانوا يعملون في الوقت ذاته في كوليج رويال (Collège Royal) – التركية والعربيـة، وانضـم إلـيهم بسبب / أهمية الوثائق التركية سنة ١٧٣٠م معلم ثالث لعلـم الكتابـة (الخـط) [١٢٨] التركي، وانصب التشديد على التركية، ومع ذلك ظلت النتـائج محـدودة لـنقص

---

(1) Lehnübersetzung von türk. dil oglan.

وسائل التعليم المناسبة وعدم استمرارية الدرس، وكانت الحال مع العربية كـذلك أكثر سوءاً، وأُرسل المبعوثون بعد ثماني سنوات تقريباً إلى بيرا (Pera)، حيث لم يتعلموا هناك بداهة إلا القليل، لأن المدرسة هناك كانت وظلت مشروعاً يُمَـول تمويلاً رديئاً ويُدَار إدارة سيئة. ولهذا السبب فقط لم تتوقف كليةً لأن الشبان من كلية اليسوعيين جلبوا معهم ثقافة راسخة، ومن ثم فقد كان إبعاد اليسوعيين عن فرنسا سنة ١٦٧٢م ضربة قاصمة لمدرسة École des jeunes de langues، فتقهقرت الإنجازات وانهار النظام، واستمر نقصان المعارف في اللغات الشرقية، وكانت الفارسية كعلم قد أدخلت فيها سنة ١٦٧٢م وانخفض عدد الطلاب، وعلت أصوات تطالب بإغلاق المدرسة، واقترحت بأن تتحول الترجمة إلى وظيفة حـرة. وبرغم ذلك ظلت المدرسة موجودة (بلا روح)، بل إنها نجت حتى مـن هجمـات الثورة، ولم يكن فيها في أثناء قيام الثورة إلا تلميذان (بديهي أن المدرسة في برا (Pera) قد أعيد فتحها، مثل كل الأديرة التي أغلقت، ولكن في سنة ١٨٠٣م بعد إعادة تنظيم جوهري). وحين بُعِثَت الحياة في مدرسـة خاصـة للغـات École spèciale des langues سنة ١٧٩٥م، اتَّبَعَت أهدافاً مماثلة تمامـاً (للمدرسـة السابقة) في البداية، ساعد المعهد القديم التنافسُ بين وزارة البحرية التي أشرفت عليه ووزارة المعارف التي أشرفت على المدرسة الخاصة. وبعد عامين شـهدت على يد تايران (Taillerand) إصلاحاً جذرياً؛ أدى ازدهار المعهد من جديد.

وكان للنمسا أيضاً، مثل فرنسا، معهد تعليمي خاص للمترجمين في الأكاديمية الشرقية التي أسستها ماريا تريزا (Maria Theresia) سنة ١٧٥٤م[1]. وكانت

---

(1) Victor Weiss Edler von Starkenfels, Die K. K. Orientalische Akademie, Wien 1839 (mir nicht zugänglich) WIHELM ANTON NEUMANN, Über die oriental. Sprachstudien seit dem 13. Jahrh. mit bes. Rüchsicht auf Wien in„ Die Feierliche Inauguration des Rectors der Wiener Univ. f. d. Studienjahr1899/1900 S. 49-113, Wien 1899; J. V. Hammer – Purgstall, Erinnerungen aus meinem Leben 1774 – 1852, Wien 1940, S. 19ff. und 14C.

إدارة المعهد هناك أيضاً في أيدي اليسوعيين، وظل أعضاء هذه الطائفة السابقون بعد إلغائه أيضاً أوفياء لروح المدرسة.

[١٢٩] / فقد كان التأديب فيها وفق أصول اللياقة، وتضم الدراسة فصلاً دراسياً عن علوم الفلسفة التي تشتمل على الفلسفة والمنطق وعلم الرياضة وعلم الفيزياء، وفصلاً دراسياً عن العلوم القانونية، والفرنسية والتاريخ والجغرافيا أيضاً، ويضاف إلى ذلك الرسم والرقص والفروسية، وينصب الدرس في اللغات الشرقية على التركية في المقام الأول، وبرغم ذلك كانت النتائج متواضعة، ويرسل التلاميذ المسمون «فتيان اللغة» بعد فصل دراسي كامل إلى استانبول، ويتدربون هناك في القسم الداخلي لمترجمي الباب تدريباً عملياً، ويدرسون التركية على يد خوجه. وساد أيضاً في الأكاديمية الشرقية بين التلاميذ، كما في مدرسة «فتيات اللغة»: Ècole des jeunes de langues روح زمالة قوية، وكما هي الحال هناك أبدت وظيفة المترجم هنا أيضاً الميل لأن تصير وظيفة موروثة، وتكون أشبه ما يكون بممالك المترجمين، فقد عُدَّت الوظائف في الأكاديمية امتيازات عائلية، ومع ذلك كان ثمة فرق جوهري، وهو أن كل وظائف العمل القنصلي والدبلوماسي كانت مفتوحة أمام تلاميذ الأكاديمية الشرقية، بينما ظل فتيان اللغة منحصرين في وظيفة مترجم، وهكذا وصل على سبيل المثال أحد التلاميذ الأوائل في الأكاديمية وهو فرانس ماريا ثوجو (Franz Maria Thugut) (١٧٣٤- ١٨١٨م) – وقد كان ابن خشاب من تيرول يدعى تونيكوتي Tunicotti، غيرّت اسمه الذي حرف إلى ثونيشتجوت Thunichtgut، ماريا تيرزا حين قبلت الصبي في الأكاديمية – إلى وظيفة مترجم البابا لدى الباب العالي، وصار أخيراً وزيراً للخارجية[1]، وثمة فرق آخر، وهو أنه قد بُذِل جهدٌ أكبر في فيينا لتهيئة وسائل تدريس مناسبة، وتعد الطبعة الجديدة من المعجم التركي لمنينسكي المذكورة فيما سبق مثالاً حيّاً لهذه الطموحات، وبديهي أنه لم يتحقق شيء بالنسبة للدراسات العربية، فقط في القرن

(1) J. V. Hammer - Purgstall, Erinnerungen S. 174 f., 245.

السابع عشر الميلادي أراد أشهر تلميذ في الأكاديمية وهو يوسف فون هامر بورجشتال Josef von Hammer Purgstall، أن ينشر نشاط الجاد في هذا المجال أيضاً.

٢٦- سير وليم جونز

من التنوير انطلقت مرة أخرى القوى التي حافظت على دراسة العربية والدراسات الشرقية بوجه عام أمام خطر تجمد تام هددها في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي تقريباً، واكتشف التوجه الذي يميزه إلى / ما هو طبيعي [١٣٠] وما هو حسي الذي يؤثر في علوم الطبيعة، المذهبَ التجريبي والمناهجَ العملية - الرياضية، آنذاك في الشرق، أوجهَ الجمال التي لم يكن قد أدركها أي أوربي بعد. ويبرز هذا الاتجاه الجمالي بروزاً قوياً مع وليم جونز (William Jones)، مؤلف شروح على الشعر الآسيوي Poeseos Asiaticae Commentarii، ومؤسس جمعية البنغال الآسيوية.

يرجع أصل وليم جونز (١٧٤٦- ١٧٩٤م) [1] من جهة أمه إلى ويلز (Wales)، ويدين لأجداده الكلتيين باستعداد فني عالٍ وبخاصة الاستعداد الموسيقي وموهبة لغوية عظيمة أيضاً، وقد رأى أنه يمكن أن يَمْلُك المرء ناصيةَ أي لغة في نصف عام، ولذلك لم يهتم بما هو لغوي محض بأية حال، ولكنه عدّه وسيلة لتذوق أي أدب أجنبي فحسب، ودفعه حبه للشرق الذي انبعث مبكراً وأججته محاضرات ألف ليلة وليلة، إلى تعلم العربية والفارسية والتركية في أثناء فترة دراسته في أكسفورد دون مساعدة خارجية، ثم عمل مع شآمي مسيحي من حلب بعض الوقت، وكان قد تعرف إليه في لندن، ودرس إلى جانب ذلك الصينية، وعرف من اللغات الأوربية الألمانية والفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية،

(1) Lord Teignmouth, Memoirs of the Life, Writings, and Correspon dence of Sir William Jones, Philadelphia 1805.
نشرت أرملته مجموعة أعماله، (London 1799 ff., 6 Bände)

وبعد انتهاء دراساته عمل في وظيفة مدرس خاص لدى عائلة نبيلة، ودخل بذلك إلى مجتمع الصفوة في لندن، وعثر بعد ذلك بقليل على فرصة لتقويم معرفته باللغة الفارسية تقويماً مفيداً، فقد أحضر الملك كرستيان السابع (Christian V II) ملك الدنمراك في زيارة له إلى لندن مخطوطة فارسية، وعبّر عن رغبته في أن يراها مترجمة إلى الفرنسية، وكانت تضم تاريخ نادرشاه الذي دوّنه مؤرخ البلاط مهدي خان، وهو الذي تابعت أوربا في دهشة وقلق انتصاراته المتلاحقة ونهايته، واضطلع جونز بالمهمة، وقَدَّم في وقت قصير ترجمة ظهرت مطبوعة سنة ١٧٧٢م، وفي العام التالي ظهرت طبعة إنجليزية وطبعة ألمانية(1)، ولم يقيده ما هو تاريخي / محض؛ فقد عثر على سرد للأحداث التاريخية بعد لأيٍ، وتحمس [١٣١] للنثر المزخرف في النص الأصلي تحمساً شديداً، وتعرف في مجتمع لندن بالإضافة إلى ذلك سنة ١٧٦٨م على جرافن رفيجسكي Graphen Rewiczky) (١٧٣٧- ١٧٩٣م)، دبلوماسي في بلاط فيينا، الذي كان قد عُنِيَ في استانبول بدراسة العربية والفارسية والتركية، وكان معجباً بالشعر الشرقي ومتحمساً له، وتبادل الشابان الرسائل مدة طويلة من ١٧٦٨- ١٧٧٠م(٢)، فُتنا فيها في غمرة الشباب بجمال الشعر الشرقي، وقد عرّف رفيجسكي الغرب سنة ١٧٧١م بكتابه «لمع من الشعر الآسيوي» Specimen Poeseas Asiaticae بحافظ (الشيرازي) الذي لم يطبع له إلا الديوان الأول في الغزل حتى الآن معرفةً وثيقة، نشر فيه ست عشرة قصيدة غزلية في نصها الأصلي الفارسي، وحاكاها شعراً

---

(1) Histoire de Nader Chah .. trad. Du person .. avec des notes chrono logiques, historiques, géographiques, et un traitè sur la poèsie orientale par W. Jones, London 1790, - The history and Life of Nader Shah .. with an introduction and an appendix, to which is added pieces relative to the French edition by W. Jones, London 1773, wieder abgedruckt in den Works vol. V – Geschichte des Nadir Shah .. ins Deutsche ubers. V. TH. Gadebusch, Greifswald 1773.

(٢) يقدم لورد تينماوث Lord Teignmouth نماذجاً منه في الكتاب السابق ذكره.

بأبيات لاتينية، وأرفق بها بالإضافة إلى ذلك صياغة لاتينية حرفية، وأوضحها في النهاية بتعليقات مفصلة مستقاة أساساً من شرح سودي، ونشر جونز في العام ذاته كتاباً في نحو اللغة الفارسية، ترجم إلى الفرنسية سنة ١٧٧٢م وأعاد طبعه ١٨٤٥م أيضاً جراس دي تاسي (Gracin de Tassy). وفي سنة ١٧٧٤م ظهر الكتاب الذي جعله فجأة مشهوراً، وهو: «شروح على الشعر الآسيوي» Poeseos Asiaticae Commentariorum libri six الذي أتاحه في يسر للجمهور الألماني أيشهورن (Eichhorn) بعد ثلاث سنوات بطبعه طبعة ثانية(1). وقد بدأ جونز العمل في سن الحادية والعشرين، وحمّسه الكتاب المشهور للأسقف لوث (Lowth) (١٧١٠- ١٧٨٧م) وهو: Praelectiones de Sacra Poesi Hebraeorum «في الشعر العبري المقدس» وأراد جونز أن ينجز للمحيط الكلي للشعر الآسيوي ما فعله لوث للعهد القديم: فأقل شيء أن يقرّب للقارئ أوجه الجمال الشعري، بديهي أن ذلك المشروع في حد ذاته مشروع ضخم لتشعبه حتى وإن أورد قصيدة صينية في نظرة عامة للباب الأول المدخل (ص ٦ (٨)) / وذكر [١٣٢] أيضاً شعراً حبشياً(2). ويضم الكتاب كذلك في المقام الأول عرضاً لعلمي العروض والشعر الإسلاميين؛ فيتناول ستة عشر وزناً (باب/ ٢) والقصيدة (ب/ ٣) والغزل (ب/ ٤) ثم صور القول والمحسنات (ب/ ٥- ١١)، ويورد بعد أغراض الشعر معلومات قليلة عن شعراء عرب وفرس وتُرك (ب/ ١٩) وفي الخاتمة باب (ب/

---

(1) Poeseos Asiaticae Commentariorum libri V I cum appendice. Auetore Guil. Jones .. recudi curavit. Jo. Gotter. Eichhorn. Lipsiae, 1777.

أنقل عن هذه الطبعة، وأضيف بين أقواس أرقام صفحات الطبعة الأصلية المشار إليها في الجانب.

(٢) من الواضح كذلك بالنسبة لجونز أنه أهمل الشعر السرياني كما هي الحال بالنسبة لايشهورون (Eichhorn) الذي عد في مقدمته ص (XV - XXXVI) سد هذا الفراغ ضرورياً.

٢٠) عن الأسلوب الجزل والمنمق والبسيط. واستقيت الأمثلة الموضحة في الغالب من الشعر العربي والفارسي ونادراً من الشعر التركي، ومُثِّل إلى جانب ذلك بمواضع قرآنية ومن العهد القديم أساساً لتوضيح الأسلوب الجزل. وافترض جونز بوصفه وليداً أصيلاً لعصر التنوير، ضمنياً أن كل الناس متساوون في فطرتهم وفي مسائل التذوق الفني أيضاً، فتبنى بذلك بغير شك نظرية الشعر القديم، ولم تعرض الأوزان العربية من خلال الحركات والسكنات على نحو أوزان العصور القديمة فحسب، بل حوكيت بأبيات لاتينية مُعلَّمة، مثل بحر الطويل:

Amator / puellarum / miser sae / pe fallitur
Ocellis / nigris, labris / odoris, / nigris comis

وقوبلت المصطلحات العربية بمصطلحات الشعر الأوربي القديم مقابلة تعسفية حقاً (على سبيل المثال جعل مصطلح قصيدة يقابل idyllium). ويذكر البلاغيون القدامى بكثرة، ويجلب بوفرة من الشعر اليوناني واللاتيني أشعاراً موازية، ومن ثم كان الإحساس بخصائص كل شعب على حده وبخصائص الأسلوب الذي يميز عصراً محدداً، ضئيلاً وإن نظم كثيراً على منوال مواضع متفرقة شعراً في شكل قديم، مثل قصيدة لابن الفارض في ثنائيات رشيقة ص ٨٤ (٩٩)، وقطعة من الشاهنامه في أسلوب «الانيادة» (Aeneis) في وزن السداسي التفاعيل(*) ص ٢٥١ (٣٠٤) وقصيدة في الربيع المسيحي على منوال نموذج (Pervergilium Veneris) سباعي التفعيلات ص ٢٢٧ (٢٧٤) وغزلية لحافظ في ثنائيات أرشيلويوس على منوال نموذج الأيبودة (Epode) الثالثة عشرة لهوراس

(*) استخدام المصطلحات العروضية الآتية:
- Hexameter: وهو وزن يوناني قديم يتألف من ستة أقدام.
- Trochäus: وهي تفعيلة مؤلفة من مقطع طويل يتبعه مقطع قصير.
- Septenar: وهي تفعيلة سباعية مؤلفة من مقطع طويل يتبعه مقطع قصير.
- Duktylüs: وهي تفعيلة مكونة من قطع طويل منبور ومقطعين قصيرين غير منبورين (ب ب -).

(Horaz) ص ٨٩ (٤٠٩). ويُترجم جونز قصيدتين أخريين لحافظ إلى اليونانية؛ الأولى على نحو وزن الانكريونتين ص ١٧٩ (٢١٥)، والثانية وفق نموذج ثيو كريبت (Theokrit) الثالث والعشرين في وزن (us) Daktylen المكون من مقطع طويل ومقطعين قصيرين ص ٩٢ (١٠٨).

/ لقد كان لهذا الكتاب عند ظهوره تأثير قوي – بوصفه إنتاجاً مميزاً لعصر [١٣٢] التنوير -؛ فقد وجدت للمرة الأولى نظرة عامة في الشعر الإسلامي. يُقدم النماذج الأولى من الشاهنامه للفردوسي، ويُلفت النظر بشدة إلى حافظ، ويتخذ موقفاً في باب خاص (الباب التاسع) من الشرح الغامض لشعر الحب والخمر الفارسي.

ويقدم نظرة عامة في المحيط الكلي للشعر العربي بدءاً من المعلقات وقصيدة بانت سعاد، ومروراً بأبي نواس وابن المعتز وأبي العلاء حتى ابن الفارض وشعراء آخرين في عصر ما بعد الكلاسيكية، ويمهِّد بتقويم جمالي للشعر العربي الذي وصل في عصر الرومانسية إلى ذروته، وأقصته في منتصف القرن التاسع عشر وجهة نظر نحوية أولاً ثم وجهة نظر تاريخية.

وحين ظهرت شروحُه (Commentarii) كان جونز قد سلك مهنة محام، وقلل بشدة من دراساته الشرقية، فلم يشتغل بها إلا في أوقات فراغه، وظهرت سنة ١٧٨٢م – ثمرة لذلك – ترجمة للمعلقات[1]. وكانت أمنيته أن يكرس، بوصفه رجلاً مستقلاً، كل حياته لميوله. وأمل من أجل ذلك أن يحصل في الهند على الوسائل الضرورية لما كان يتطلع إليها، فقد كانت الأيام أيام الأغنياء. بيد أنه عين سنة ١٧٨٣م بفضل وساطة فاعل خير نبيل قاضياً في المحكمة العليا في فورت وليام في كلكُتا، ورُفع في الوقت ذاته إلى مرتبة النبلاء (لقب سير). وفي

---

(1) **Moallakat, or seven Arabian Poems, which were suspended on the temple at Mecca, with a translation and arguments by William Jones, London 1783.**

تكررت في المجلد الرابع من كتاب (Works)، لندن ١٧٩٩.

كلكتا عَرَف من بين موظفي وضباط وأطباء شركة الهند الشرقية بعضَ رجال كانوا مولعين مثله بلغات آسيا وآدابها: مثل تشارلز ويلكنز (Charles Wilkens) المغرم بالسنسكريتية، أول من ترجم (Bhagavadgītā) سنة ١٧٨٥م، وHitopadeša سنة ١٧٨٧م، وفراسيس جلادوين (Francis Gladwin)، الذي عمل بحماس مترجماً من الفارسية، وعُرِف فيما بعد بكتابه في النحو الفارسي[1]، ودراساته في البلاغة والتطريز الصوتي والقافية في اللغة الفارسية (Disserations on the Rhetoric, Prosody and Rhyme of the Persians)[2] ثم و. تشامبرز (W. Chambers) الذي اهتم بالفن الهندي، وأخيراً الكسندر هاميلتون (Alexander Hamilton) الذي عَرَّف / فيما بعد [١٣٤] فريدريش فون شيلجل (Friedrich von Schlegel) السنسكريتية. وفي يناير ١٧٨٤م أسس جونز معهم على مثال جمعية لندن للعلوم جمعية (البنغال) الآسيوية؛ أول جمعية علمية جعلت هدفها دراسة الشرق، واتخذت اهتماماته العلمية في الوقت ذاته اتجاهاً جديداً، وبعد انتصار بلساي (Plassey) سنة ١٧٥٧م ببضع سنوات حصلت شركة الهند الشرقية على حقوق السيادة وتولت فرض الضرائب في البنغال وبهار وأوريسّا. ولما لم يكن موظفو الشركة على علم بنظام الإدارة المعقد في إمبراطورية المغول، ولم يؤهلوا مثل التجار إطلاقاً لتلك المهمة فإنه قد كان عليهم أن يتغلبوا على المصاعب الجسام، وأن يسيطروا على الموقف، وكانت حال القضاء سيئة أيضاً؛ فبدون معرفة كافية بلغة البلاد وبدون إلمام بقانون الهندوس وشريعة المسلمين أيضاً كان على القاضي الإنجليزي أن يهتدي بمعاونة مترجمين من أهل البلاد لا تخلو من ريبة، وتزداد تبعيته لهم كلما قلت معرفته بالبلاد والناس. هنا لا يمكن أن يُحقق تغيراً تدريجياً إلا دراسة عميقة للغات البلاد، ولذا انكب جونز في حماس على دراسة السنسكريتية (Sanskrit)،

---

(1) The Persian Moonshee, Calcutta 1799- 1801, 2 Vols.

(2) London 1801 وأيضاً Calcutta 1801.

وبلغ بسرعة مهارة فعلية في التحدث باللغة وإن كانت ألسنة بذيئة قد رمته بـأن نطقه لكل لغة سيئ إلى حد لا يمكن معه أن يفهمه أحد من الأهالي[١]. غير أنـه اهتدى سنة ١٧٨٦م إلى كتـاب هيتوبادشـا (Hitopadeša) وقـوانين مـانو (Manu) بخصوص هذا الأمر، وترجم كلا الكتابين، وبالإضافة إلى ذلك فقد كـان مقتنعاً بأنه لا يمكن الحديث عن قضاء منظم ما دام القضاة الانجليـز لا يعرفـون قانون الهندوس وشريعة المسلمين، ولذلك اقترح على الحاكم العام المعين حـديثاً لورد كورنولس (Lord Cornwallis) أن يجمع على مثال البندكتيين في كتـاب (Digst of hindu and Mohammeden law) مجموعة ضخمة من القضايا من مصادر هندوسية وإسلامية، وأن يطرحها مرشدة لمشروع يُنفـذ بمسـاعدة الباندتيين والمونشيين، ووافق كورنولس على الخطة، غير أن جـونز لـم يعـد يرغب في أن يشهد إتمام العمل.

ونشر تبعاً لهذه الدراسات في القانون سنة ١٧٩٢م أشـهر عـرض للفقـه الحنفي في أحكام المواريث وهو كتاب الفرائض السراجية (Sirāšiya) لسجاوندي بالعربية والإنجليزية[٢]. وتابع بالإضافة إلى ذلك دراساته الأدبية: فتـرجم سـنة ١٧٨٨ أجمل دراما هندية (Sakuntala) لكاليداسا (من أعظم شعراء الهند) التي أحدثت أثراً عميقاً في أوربا بمعرفتها، فقد ترجمها عن الإنجليزية فـي ألمانيـة سلِسَة جيورج فورستر (George Forster) فأحـدثت فـي كـل مـن هـردر (Herder) وجوته (Goethe) فتنة غامرة، وتـرجم فـي العـام ذاتـه كتـاب (Gitagovinda). وفي سنة ١٧٩٢م نشر (Ritusamhāra) لكاليداسا، أول ما طبع بحروف سنسكريتية، واستمر في دراسة الفارسية إلى جانب ذلك التي عدها أجمل لغة، ويعزو إليها أهمية عملية ضخمة بوصفها لغة الإدارة والتقاضي فـي

---

(1) W. H. Hutton, The Marquess Wellesley, Oxford, 1893, S. 121.

(٢) أعيد في كتاب (Works) المجلد الثالث ص ٥٠٥- ٥٩٢، وص ٢٤ أيضاً انظر الـنص العربي).

إمبراطورية المغول، ومن ثم اكتشف سنة ١٧٨٧م كتاب دابستان (Dabistān)؛ ذلك العرض لديانات الهند الذي يرجع إلى القرن السابع عشر الميلادي الذي فتن بمزجه بني علم مادته الثرية ونادرة طريفة وتجديف فاحش افتناناً بالغاً. ونشر في العام التالي رواية العشق (ليلى ومجنون) للهاتفي (أحد كبار أدباء الفرس) بنصها الفارسي، وكان قد نوى زيارة إيران، وشُغل بخطط أخرى كثيرة لم تعد تمكنه من القيام بذلك، وقد أضعف مكوثه الطويل في البنغال من صحته، فمات في ٢٧ أبريل ١٧٩٤م في كلكتا، ولم يجاوز السابعة والأربعين بعد.

٢٧- كلية فورت وليم

عادت الجهود الغنية والمتعددة التي قام بها جونز وجمعية البنغال الآسيوية بالنفع على الدراسات الأدبية واللغوية الهندية وآدابها المتفتح الذي ترقى بعد فترة قصيرة إلى مرتبة علم قائم بذاته، ووجد ممثلين له مشهورين في ألمانيا أيضاً ابتداءً من العقد الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.

بيد أن الدراسات العربية والعلوم الإسلامية أيضاً لم تخرج خاوية الوفاض، إذ إنه لما كانت إمبراطورية المغول دولة إسلامية وكانت العربية فيها لغة الثقافة والعلم والفارسية لغة الدواوين والإدارة العامة، فكان على الإنجليز في الهند أن يأخذوا الإسلام ولغاته الثقافية أيضاً، مثلما هي الحال مع السنسكريتية والهندوسية بعين الاعتبار، ومن ثم اقترح الحاكم العام التالي للهند وارن هستنجز (Warren Hastings) بعد انتصار في بلساي (سنة ١٧٥٧م) ببضع سنوات/ إنشاء كرسي / لتدريس الفارسية في جامعة أكسفورد، غير أن مديري الشركة آنذاك رفضوا [١٣٦] التمويل(1). ثم أكد لورد ويلسلي (Lord Wellesley) (الحاكم العام في الهند من ١٧٩٨- ١٨٠٥م) من جديد ضرورة أن يزود موظفو الشركة الذين لم يعودوا يعملون تجاراً فحسب، بل ينبغي أن يديروا البلاد، ويفصلوا في القضايا ويحكموا

---

(1) W. H. Hutton, The Marquess Wellesley, Oxford 1893, S. 123.

أيضاً، بتدريب متخصص شامل، وأوصى بإنشاء مدرسة متخصصة في كلكتا ينبغي أن يتدرب فيها المرشحون للعمل في الشركة الذين يصلون إلى الهند عادة في سن ١٦- ١٨ سنة، ولم يحصلوا في إنجلترا إلا على تعليم تجاري غالباً، من أجل وظيفتهم في المستقبل، ووضع خطة تدريس شاملة نصّ على علومها وهي علم الأخلاق، والقانون المدني، والقانون الدولي والتاريخ والفولكلور الهندي والقانون الهندوستاني والشريعة الإسلامية أيضاً. بيد أن مديري الشركة رفضوا مرة أخرى هذه الخطة باعتبارها مكلفة، ولم يوافقوا إلا مكرهين على تمويل مدرسة للغات الشرقية، وهكذا افتتحت سنة ١٨٠٠ كلية فورت وليم (College of Fort William) في كلكُتا التي استمرت حتى ١٨٥٤م[1]، وعلى النقيض من ذلك أسست الشركة سنة ١٨٠٦م في انجلترا ذاتها معهداً لتدريب المرشحين للعمل فيها، وهو كلية الهند الشرقية (East India College) في هيرتفورد كاستل (Hertford Castle) التي نُقلت سنة ١٨٠٩م إلى هايليبوري (Hailey Bury). واشتملت خطة التدريس في هذا المعهد مدة سني الدراسة الثلاث: الرياضيات، وتاريخ الأدب الكلاسيكي والعام، والقانون والتاريخ والاقتصاد السياسي، وأقيمت إلى جانب ذلك دروس عملية تمهيدية إلى اللغة العربية واللغة الفارسية، أما اللغات التي كانت تُدَرَّس في كلية فورت وليم في كلكُتا، فكانت في المقام الأول العربية والفارسية والسنسكريتية والأُوردية والهندية والبنغالية، وكان أول مدير للمعهد من ١٨٠٠- ١٨٠٤م هو جون جيلشريست (John Gilchrist) (١٧٥٩- ١٨٤١م) وهو طبيب اسكتلندي، عمل في الشركة منذ ١٧٨٣م،

---

(1) Die Annals of the College of Fort William, from the period of its Foundation .. to the present time compiled from Office Records, arranged and published by Thomas Roebuck, Calutta 1819.

الحوليات التي تضم أيضاً قائمة بالكتب التي طبعتها الكلية من ١٨٠٠- ١٨١٨ لم تتوفر لي. ويرتكز العرض أعلاه في الحقيقة على كتاب:

L. S. S. O'malley, The Indian Civil Service 1601- 1930, London 1931.

/ فقد أدرك مبكراً أهمية اللغات الدارجة الهندية واهتم بتنمية اللغة الهندوسـتانية [١٣٧] بصفة خاصة التي تصور اللغة المستعملة بين الطبقات الأولى فـي إمبراطوريـة المغول، ويمكن أن تفهم في كل مكان بصورة متدنية علـى أنهـا لغـة التفـاهم (Franca lingua)(*). وقد كلف علماء البلاد بأن يترجموا أعمـالاً مشـهورة، وبخاصة من الأدب الفارسي، إلى لغتهم الأم، وقدم بذلك باعثاً قوياً لنشـوء نثـر الأُردية(١). وكان يعمل معه في المعهد بعض موظفين آخرين في الشركة، ولكنهم كانوا أوربيين آخرين، مثل معلم السنسكريتية والبنغالية والمَهرَتية المبشر ولـيم كـاري (William Carey) مـن بعثـة التبشـير البابويـة فـي سـيرامبور (Serampore) الدنمراكيـة، ودرَّس جـون بيلـي (John Baillie) العربيـة والفارسية والشريعة الإسلامي وهو ملازم ثان عمل في خدمة الشركة، واعتمـد في محاضراته في العربية على مناهج التدريس المألوفة في المـدارس، ونشـر كتاب (مئة عامل) للجرجاني مع شرح له، و(مصباح) المطرزّي و(هداية النحـو) للغزنوي و(الكافية) لابـن الحاجـب(٢). والتـزم مـاتثيو لمسـدن (Matthew

---

(*) lingua franca لغة التفاهم أو التعامل وهي لغة مشتركة أو إحدى اللغـات المسـتخدمة كلسان مشترك أو تجاري بين أقوام مختلفي اللغة.

(١) انظـر: S. A. Latif, The Influence of English Literature on Urdu Literature, London 1924, 77- 84; T. Grahame Bailey, BSOS 8, 365 ff; ABDUL HAQ, EL IV, 1114.

(٢) هذه مجموعة الكتب المتداولة لدرس النحو وقد اعتهد تصحيحها وصـونها عـن الغلـط والسهو An entire and correct edition of the Five Books upon Arabic Grammar, which together with the principles of inflexion in the Arabic language, form the first part of a classical education throughout all the seminaries of Asia. Carefully collated with the most ancient and accurate mss. Which could be found in India and now for the first time offered to the European world from the Press. By Lieut. J. BaIlIE, Prof. of Arabic in the College of Fort William, 3 vols. Calcutta r 802 – r8 نشرا. لوكت (A. Lockett) كتاب مئـة عامل وشرحه من جديد سنة ١٨١٤م مع ترجمة وهوامش.

(Lumsden) (١٧٧٧- ١٨٣٥م) أيضاً الذي عمل في المعهد أستاذاً مساعداً ابتداءً وأستاذاً للعربية والفارسية منذ ١٨٠٨م، إلى حد ما بنموذج بنظام التعليم التقليدي الإسلامي. ويعتمد كتابه في النحو العربي الذي لم يظهر منه إلا مجلد واحد[1]، اعتماداً كلياً على النحاة العرب، / وتكمن إنجازاته الرئيسية في مجال [١٣٨] اللغة الفارسية ولما كان يمكن أن يعد أفضل عارف بها في عصره فقد كتب كتاباً ضخماً في نحو اللغة الفارسية[2]، ويَسَّر إلى حد كبير في كتابه «مختارات فارسية»: (Persian Selections) [3]، مؤلفات قيمة في الأدب الفارسي مطبوعة للمرة الأولى: يوسف وزليخة، ورسالة الإنشاء، وصحبة الأبرار للجامي، ومجنون وليلى لأمير خسرو، وأخلاقِ جلالي لدواني، ومنتخب أيضاً من بستان وكلستان وديوان سعدي، وبهارِ دانش لعناية الله كمبو، وأخلاقِ محسني للكاشفي، وبدأ أيضاً بطبع الشهنامه للفردوسي، ولكنه لم يتجاوز المجلد الأول[4]. وفي سنة ١٨٢٩م فقط قدم ترنر مَكَن (Turner Macan) النص بأكمله مستخدماً مواد لمسدن[5]. وتفرد الباندتيون والمونشيون أساساً بالتدريس العملي للغة، وقد كُلِّفوا بالإضافة إلى ذلك بكل الأعمال الأدبية، وعهد إليهم بوضع الترجمات ونشر النصوص. وهكذا تكونت سلسلة طويلة من المعاجم وفهارس الكلمات وكتب

(1) A Grammar of the Arabic language, according to the principles taught and maintained in the Schools of Arabia etc., vol. I (un)., Calcutta 1813.

ظهرت ترجمة هذا الكتاب إلى الفارسية التي أنجزها عبد الرحيم بن عبد الكريم بإشراف لمسدن (Lumsden) سنة ١٨٢٨م تحت عنوان: غاية البيان في علم اللسان، انظر: Zenker, Bibliotheca Orientalis I, 1846, Nr. 141.

(2) A Grammar of the Persian Linguage etc., Calutta 1800., 2 vols., fol.

(3) Selections for the Use of the Persian Class, College of Fort William 1- VI Cucutta 1809.

(4) The Shanameh .. Clcutta 1811; S. Zeneer, Bibliotheca Orientalis I, 1846, Nr. 526.

(5) The Shah Nameh .. Cacutta 1829, 4 Bande, S. Zeneker a. a. O. Nr. 527.

النحو، ومختارات، وترجمات، وطبعات لنصوص، وتُرجم كتاب الفقه الحنفي المهم وهو «الهداية» للمرغناني إلى الفارسية[1]، وأنجزت الطبعات الأولى الكاملة من مقامات الحريري[2]، وديوان المتنبي[3]، وأعد أحد الناشرين وهو جان على معجماً (عربي – فارسي) لمقامات الحريري، الذي ظهر سنة ١٨١٤[4]، ونشر جان على قبل ذلك بعام بإشراف لمسدن (Lumsden) /١٣٩/ للمرة الأولى كتاب البلاغة التعليمي المحبب للغاية؛ وهو «مختصر المعاني» للتفتازاني[5]. وكان أحمد بن محمد الشرواني اليمني (ت ١٨٤٠م) [6] الذي عمل في المعهد منذ (١٨٠٥) أكثر نشاطاً؛ فقد أعد بتوجيه من لمسدن كتاباً للمطالعة بالعربية سنة ١٨١١م وهو (نفحة اليمن)، وتلاه بنشره لتاريخ تيمور لابن عربشاه سنة ١٨١٢م، وفي سنة ١٨١٣م مجموعة من صيغ الرسائل العربية تحت عنوان (العجب العُجاب) وكتاب مطالعة جديد هو (حديقة الأفراح)، وكان له الفضل أيضاً في أول طبعة للقاموس[7]، وبقي نشره لرسائل إخوان الصفاء غير مكتمل[8]، ولم يظهر من نشره لألف ليلة وليلة أيضاً إلا مجلدان (من الليلة الأولى إلى الليلة المائتين)، ونشر النص العربي كاملاً سنة ١٨٣٩- ١٨٤٢م ماكنجتن

(1) هداية Hidaya, a very celebrated book of Moohummudan Law, translated from Arabic ed. By Muolavee Moohummud Rashid, I - IV, Calcutta 1807. bis. 1808.

طبع النص الأصلي العربي للمرة الأولى في كلكتا: ١٢٣٤هـ (١٨١٩- ١٨١٨).

(2) المقامات الحريرية The Muqamat ool Hureeree .. collated with eight Arabican Ms. Copies and corrected for the Press by Muoluvees Ulluh Daud and Jaun Ulee, Arabic and Persian Department of the College of Fort William, Calcutta, 1809, 1812, 2 Bde.

(3) Zenker, Bibliotheca Orientalis I, 1846, Nr.650.

(4) Calcutta 1814.

(٥) انظر: Zenker, Bibliotheca Orientalis I, 1846, Nr. 328.

(6) Brockelmann, Gesh. D. arab. Literatur II, 502 und Suppl. 2, 850.

(7) Calcutta 1817; S. Zenker a. a. O. Nr. 20.

(8) Calcutta 1812; S. Zenker a. a. O. Nr. 1344.

(Macnaghten) [1]. وعثرت المعلقات سنة ١٨٢٣م على ناشر لها وهو عبد الرحيم بن عبد الكريم (المتوفى ١٨٥١م)، الذي ظل تابعاً في شرحه للزوزني تبعية تامة[2]، وينبغي أن نذكر في الختام أنه قد ظهر في كلكُتا سنة ١٨١١م أول معجم مفهرس للقرآن الكريم[3]، وبذلك اكتملت صورة الحياة العقلية النشطة والعمل العلمي المتنوع اللذين سادا في كلكتا في مطلع القرن الماضي.

وبرغم ذلك فقد تناسب ما أثمرته كلية فورت وليم في نقطة محددة وهي تدريب موظفي الشركة المتخصص وليس التوقعات المأمولة، «فالكتبة» الشبان كانوا يدرسون في المعهد من ١٢: ١٥ شهراً، وكان الامتحان النهائي يشتمل على الفارسية والهندية أو الفارسية والبنغالية[4]. / وكانت مناهج التدريس [١٤٠] متخلفة والمتطلبات ضئيلة، هذا يعني أنه يمكن أن يستعد طالب جيد للامتحان في حدود شهرين، وأن أغلب الشباب يفضلون متع المدينة الكبيرة على دراسة جادة، فاستمر تقهقر المدرسة بعد فترة ازدهار قصيرة لمدة عقدين تقريباً، ويكمن السبب الخفي - بداهة - في أنه منذ عشرين عاماً قد مُهِّد الطريق لتغير عام في وجهات النظر حول جدوى الدراسات الشرقية. فإذا كان المرء قد نظر إلى الهند حتى ذلك الوقت في ضوء ساطع، واستبان من خلاله حماس الشرق للتنوير والرومانسية،

---

(1) The Alif (so!) Laila; or book of the thousand nights and one night; commonly known as the Arabian Nights Entertainments; publ. complete in the original Arabic by the late Major Turner Macan, ed. By. W. H. Macnaghten, I – IV, Calcutta 1839- 1842.

(2) The Seven Poems, Calcutta 1823; S. Zenker, Bibliotheca Orientalis I, 1846, Nr. 452.

(3) نجوم الفرقان Noojoom ool- Foorqan: an Index to the Koran. Calcutta; S. Zenker, Bibliotheca Orientalis I, Nr. 1410. Nach V. Chauvin, Bibliographie des ouvrages arabes X, 1907, S. 116.
يسمى المؤلِّف مصطفى بن محمد، ولا أدري هل انضم إلى كلية فورت وليم أم لا.

(٤) لما أُلغيت الفارسية سنة ١٨٣٧م كلغة دواوين، أمكن أن يختار منذ ١٨٤٢م بدلاً منها الأُردية تخصصاً للامتحان فيه.

كل ما هو شرقي فإنه قد أصيب بصدمة من جراء انطباع الواقع المخيب للآمال، ولم يَر المرء آنذاك إلا الجوانب المعتمة (السلبية). فكان المرء يؤمن بالتفوق التام للثقافة (للحضارة) الغربية، وحين اقتنع مع عصر التنوير بالمساواة الجذرية بين الناس أجمعين وقدراتهم الثقافية فإنه قد سادت تدريجياً وجهة النظر القائلة بأنه لا يمكن أن يتحقق أي تقدم للهند إلا على طريق التغريب، وانتهت أخيراً الحوارات التي امتدت لسنوات بين «المستشرقين» الذين أبقوا على المدارس التعليمية الوطنية، وعُنُوا بالسنسكريتية والفارسية والعربية بوصفها لغات الثقافة الرفيعة، وبين علماء الإنجليزية الذين أيدوا نظاماً تعليمياً على منوال نموذج إنجليزي، وإدخال الإنجليزية لغةً للتدريس، إلى أن جعل لورد ماكولي (Macaulay) سنة ١٨٣٥م نظام التعليم الهندي إنجليزياً[١].

٢٨- سلفستر دي ساسي

تُقدر أهمية إنجلترا بالنسبة للدراسات الشرقية في القرن الثامن عشر المنصرم وأوائل القرن التاسع عشر تقديراً كبيراً، ومع ذلك فإن القيادة في هذا المجال قد أُلقيت بلا جدال على عاتق فرنسا في مستهل القرن التاسع عشر بفضل الإنجازات الضخمة لانطوان اسحق سلفستر دي ساسي[٢] Antoine Isaac Silvestre de Sacy (١٧٥٨- ١٨٣٨م). ففي هذا البلد كانت آراء / عصر [١٤١] التنوير وتشجيعه للتفكير الفردي، وثقته المتصاعدة في إفراط في العقل الإنساني، ورفضه للعقيدة السماوية، وميله لتفسير أي تاريخ تفسيراً سببياً، قد حَرَّرَتْ الفكر الغربي من الإيمان بسلطان الكنيسة، فهيأت بذلك الأسباب لدراسات عربية متحررة من كل قيود علم اللاهوت، ومن جانب آخر جعلت اهتمامات فرنسا

(١) انظر: Gerta Hertz, Das britische Erziehungswesen in Indien, Berlin 1932 S. 83 ff.

(2) Henri Dehérain, Silvestre de Sacy, ses contemporains et ses disciples (= Bibliotèque et historique t. 27) Paris 1938.

السياسية والاقتصادية، والجمهورية الجديدة أيضاً، في الشرق من دراسة اللغات الشرقية فرضاً لا يُرد، فقد كانت هناك وجهات نظر واقعية عبّر عنها لوى ماثيو لانجليه Louis Mathieu Langlès (١٧٦٣- ١٨٢٤م) حين أوصى في التماس موجه إلى التجمع الوطني De l'importance des langues orientales pour l'extension du commerce et le progrès des lettres et des sciences بإنشاء ثلاثة كراسٍ لتدريس العربية والفارسية والتركية في كلٍ من باريس ومرسيليا، وشغلها بعلماء ذوي خبرة طويلة بالشرق[١]. وهو نفسه قد خطط في شبابه أن يسافر إلى الهند، وأن يقوم بدراسات عربية وفارسية في كوليج دي فرانس Collège de France. ثم انضم إلى الثورة، وتخلى عن خططه للهجرة دون أن يفقد ميله للدراسات الشرقية، ولم يحظَ التماسه في تلك الفترة بأي قبول، وقد امتنع أغلب المترجمين عن الاعتراف بالجمهورية (في تلك الفترة)، وسرعان ما دخل أفضلهم في خدمة حكومات أجنبية[٢]. فأدى ذلك العجز في مترجمين متخصصين إلى ضرورة سده، ومن ثم جدّد لانجليه (Langlès)، الذي كان منذ ١٧٩٢م أميناً لقسم المخطوطات في المكتبة الوطنية، اقتراحه مع تغيرات طفيفة[٣]، فأوصى بالإشارة إلى الفائدة العملية التي تجنيها تجارة فرنسا وسياستها من معرفة اللغات الشرقية «الحية» (في مقابل اللغات «الميتة» أو «العلمية») / بإنشاء مدارس خاصة لدراستها، [١٤٢]

---

(١) انظر: (A. Carrière) Notice historique sur l École des langues orientales in Mèlanges Orientaux 1883, S. I ff.

(2) G. Dupont - Ferrier, Revue des Études Arnèniennes 2, 229; A. Carrière, Mélanges Orientaux 1883, S. 6 H. Cordier, Un interprète du general Brune (= Mém de l Acad. Des Inscr. Et Belles Lettres 38, 1911) S. 29.

(٣) أعاد هـ. كورديه (H. Cordier) طبع تقرير اللجان الذي يرتكز على طلبه للتدريس العام والممولين وهو: (Un interprète du Gènèral Brume) في: Mémoires de l Acad. Des Inscriptions et Belles Lettres, t. XXX VIII, 2, P. 39-42.

وتزويدها بمخطوطات وكتب، إلى جانب المكتبة الوطنية، ضـرورية للتـدريس. ونجح هذه المرة: في إنشاء مدرسة خاصـة باللغـات الشـرقية الحيـة École spéciale des langues orientales vivantes في باريس فـي ٢٠ مـارس ١٧٩٥م بقرار التجمع الوطني مع كرسي لتدريس العربية الأدبية والدارجة، وثانٍ لتدريس التركية وتترية القرم وثالث لتدريس الفارسية والملايويـة، وينبغـي أن يتلقى التلاميذ إلى جانب تعلم هذه اللغـات دروسـاً حـول العلاقـات السياسـية والاقتصادية بين فرنسا وشعوب الشرق المتحدثة بها أيضـاً، وتـولى لانجليـه (Langlès) نفسه كرسي تدريس الفارسية والملايوية، وظل كرسي تدريس اللغة التركية شاغراً في البداية، وعُيِّن سلفستر دي ساسي أستاذاً للعربية.

وُلد انطوان اسحق سلفستر دي ساسي سنة ١٧٥٨م ابناً ثانياً لموثق العقود ابرهام جاك سلفستر (Abraham Jacques Silvestre) (ت. ١٧٦٥م). ولمـا لم يكن هو المولود البكر فقد سمّى وفق عُرف عصره بإضافة مختلفة (de Sacy) إلى جوار لقب العائلة، اشتُهِر بها. وقد تلقى تعليماً دقيقاً على يـد معلـم خـاص وبخاصة في اللاتينية واليونانية، وكان في مقابل منزل والديه دير سانت جيرمان دوبريه Saint Germain des Près، الذي قابل الصبي في حديقته الرجل الذي أثار أو على الأقل شَجَّع فيه حب الدراسات العربية؛ وهـو مورنـه دوم جـورج فرانسـوا برثـرو Mauriner Dom George Francois Berthereau (١٧٣٢- ١٧٩٤م)، العارف بالعبرية والآرامية والسريانية والعربية، الذي أعـد بتكليف من طائفته لمجلدٍ من: Historiens de France المصادر العربية فـي تاريخ الحروب الصليبية، وقد أخذ هذا العالم بيـد (دي ساسـي) فـي العبريـة والعربية، ودرس بعد ذلك القـوانين، وفـي سـنة ١٧٨١م انضـم إلـى إدارة المسكوكات. وفي أثناء فترة دراساته لم تتح له أية فرصة لسماع محاضرات لدى ممثل العربية لو روا دزوتريه Le Roux des Hautesrayes (من ١٧٢٤ إلى ١٧٩٥م) أو لدى كاردون (Cardonne) (١٧٢٠- ١٧٨٣م) الذي تولى كرسي

تدريس التركية والفارسية، وعلى النقيض من ذلك احتك من ١٧٧٨- ١٧٨٢م تقريباً مع باتيان لوجران Ètiene Le Grand (عاش تقريباً من ١٧١٠ إلى ١٧٨٤م) [١] الذي عاش مهنة مشرفة كمترجم، وكان يعرف التركية معرفة ممتازة. وبدأ دي ساسي أولى أعماله الشرقية في ذلك الوقت تقريباً؛ / فنشر في [١٤٣] كتاب ايشهورن (Eichhorn): Repcrtorium für biblische und morgenländische Litteratur رسائل السامريين إلى سكاليجيه في نصها الأصلي مع ترجمة لاتينية[٢]. وصار سنة ١٧٨٥م عضواً منتسباً، وسنة ١٧٩٢م عضواً منتظماً في أكاديمية: Acamèmie des Inscriptions et Belles Lettres. وفي العام ذاته استقال من عمله في إدارة المسكوكات، لأنه بوصفه ملكياً وكاثوليكياً لم يستطع أن يستسيغ الاتجاه الحر للثورة الفرنسية، وقضى فترة الرعب السائد مع عائلته في ضيعته، واستغل فراغه في إتمام كتابه الضخم الأول، الذي ظهرت خمسة أجزاء منه سنة ١٧٩٣م: Mèmoires sur diverses antiquitès de la Perse[٣] وضع فيه أساس حل رموز النقوش والعملات الساسانية، فقد كان عالماً ذا سمعة لا تنكر حين اقترحه لانجليه سنة ١٧٩٥ لكرسي تدريس العربية المنشأ حديثاً، وبرغم روحه الملكية – فقد رفض أن يؤدي اليمين الذي طلب منه (Serment de haine à la royautè) – فقد عُيِّن أستاذاً في مدرسة اللغات الشرقية، وبدأت بدخوله فيها المرحلة الأولى الزاهية من مراحل المدرسة الجديدة، فقد طُبِعَت بطباع شخصيته الرائعة، فلم تعد، كما كان مخططاً لها في بادئ الأمر، مدرسةَ لغاتٍ يكتسب فيها مترجمو المستقبل مهارة محددة في الاستعمال الشفوي والتحريري للغة أجنبية، بل صارت مركزاً تعليمياً

(1) H. Dehérain, Silvestre de Sacy, Paris 1938, S. 12- 24.
(2) Bd. 13, 257- 277.
(3) Mèmoires sur diverses antiquitès de la Perse et les mèdailles des rois de la dynastie des Sassanides suivis de l'histoire de cette dynastie traduite du persan de Mirkhond, Paris 1793.

لعلم جاد، وبرغم أن مهمته التعليمية تنص على العربية الدارجة فإنه قد عد أهمية العربية الكلاسيكية فائقة إلى حد أنه أولاها اهتماماً خاصاً في الدرس، وربما عني بأن يشتغل شآمي مسيحي هو ميخائيل صبّاغ بنسخ المخطوطات العربية، ولكنه رأى أنه لا حاجة لمحاضر عربي.

وحين أنشأ قبطي من القاهرة كان قد تشيع للفرنسيين كرسياً ثانياً لتدريس العربية في المدرسة الخاصة للغات الشرقية الحية سنة ١٨٠٣م بناءً على أمر القنصل الأول لأسقفية Raphael de Monachis، وهو ما يؤول من الناحية العملية إلى العربية الدارجة، فإن دي ساسي قد اعترض على ذلك، وإن كان بلا جدوى، وربما لعلمه أن / مدخل البحث العلمي للعربية الدارجة لا يمكن اجتيازه إلا [١٤٤] عن طريق اللغة الفصحى، بيد أنه قد ملك ناصية العربية الفصحى تماماً كما تبين مقدمته المكتوبة بالعربية لطبعته للحريري، وترجم مراراً أيضاً لوزارة الخارجية مكاتبات رسمية إلى العربية مثل مجلة الجيوش العظمى، وترجم العهد القديم للودفيج السادس عشر (Ludwig X VI)، وطبع هذه الترجمة سنة ١٨٢٠م مع النص الأصلي الفرنسي، آملاً أن تواسى المسيحيين الشرقيين وتقويهم، أما لغير المؤمنين فتصير شاهدًا على خشوع المسيحي وحِلْم الإنجيلي[1]. ولم يكترث بالاستعمال الشفوي للغة، فلم يكن نطقه بأية حال من الأحوال صحيحًا، بل كان ذلك ما تلقاه عن أستاذه دوم برثرو (Dom Bertherau)، وسعى أيضًا إلى أن يعرّف طلابه بالعربية الفصحى في المقام الأول. وأسفر عن محاضرته في العقد الأول كتابه الذي ألفه على فترات في النحو العربي[2]، الذي ظهر مطبوعًا للمرة

---

(1) Le Testament de Louis XVI. Voi de France et de Navarre, avec une traduction arabe par M. le Baron SILVESTRE DE DE SACY. Paris 1820.

(2) التحفة السنية في علم العربية Grammaire Arabe, à l'usage des élèves de l'École spéciale des langues orientales vivantes; avec figures par A. I. SILVESTRE DE SACY, 2 Bände, XXVI, 434 und X, 473 Setien, Paris I810 كتب فلايشر حول الطبعة الثانية في كتابه المشهور FLEISCHER

الأولى سنة ١٨١٠م. وفي الطبعة الثانية ١٨٣١م صُحِّح تصحيحًا جوهريًا، وزِيد عليه زيادة كبيرة، كما أنه ظهر موسعًا بعرض للتطريز الصوتي والعروض العربيين. فهو يقدم ببراعة من خلال غزارة محتواه وجلاء ترتيبه ووضوح صياغاته واتزان قواعده أيضًا. خطوةً أولى مهمة قد تحققت في مجال النحو العربي منذ أيام ارينيوس Erpenius والآراء اللغوية التي سار عليها هي آراء عصر التنوير في فرنسا الذي ينطلق من الفرضية القائلة بأن العقل قاسم مشترك بين جميع الناس، ورأى في اللغة وسيلة لتبادل الأفكار / بوجه خاص / وبذل [١٤٥] جهدًا لتحديد أساس اللغة غير المتغيرة على الإطلاق في نحو عام حيث تجلت في وسائل التعبير المتغيرة في كل لغة على حده النتائج العرضية لابتكارات العقل الإنساني وأتمت بوعي مرادها، وفي الحقيقة كان دي ساسي قد يَسَّر فهم أسس هذا النحو العام وفق كتب النحو التالية، كتاب: النحو العام وعقلانية بور رويال Grammaire gènèrale et raisonnèe de Port Royal وكتاب النحو العام: Grammaire Générale لبوزه (Beauzée)، وكتابي: التاريخ الطبيعي للكلام Histoire Naturelle de la Parole والنحو الشامل Grammaire Univeselle لكور دوجبلي: Court de Géblin، ١٧٩٩م، يسر فهمها لابنه الأكبر فيكتور (Victor) المولود سنة ١٧٩١م، وعرضها في صورة تلائم قدرة الفهم البسيطة(١)، ليعده للدرس الأول في اللاتينية، هذا الكتيب الذي لا يمكن

"Beiträge zur arabischen Sprachkunde" in den Berichten d. Ges. D. Wiss. Zu Leipzig I863 – I884 (= Kleine Schriften Bd. I). Die seconde edition, corrigée et augmentée, à laquelle on a joint un traité de la prosodie et de la métrique des Arabes, erschien in Paris I183I (XXX, 608 und XII, 697 S.). بطبعة ثالثة L. Machuel, عُني Paris 1904.

* للسيوطي كتاب صغير في النحو يحمل العنوان ذاته.

(1) Principes de Grammaire générale, mis à la portée des enfants, et propres à servir d introduction à l' étude de toutes les langues. Paris 1799.

تقليده في مزجه الجذاب بين عقلية علمية حقاً وحب أبوي متدفق نحو الوليد الصغير، هذا الكتيب الذي كان يعده دي ساسي أحب أعماله جميعاً إلى نفسه، يضم عرضاً واضحاً بصورة نادرة للمقولات النحوية وأقسام الكلام في لغات الثقافة الأوربية، ويقدم مدخلاً للتحليل النحوي، ويُحال قارئ النحو العربي إلى هذا المؤلَّف باستمرار، ويكشف أيضاً عن الخصائص التالية: الإعراض عن أي تأمل نظري أو فرضي، ووصف المذهب العقلي القائم على الحقائق فحسب، الذي يراعي الاستعمال اللغوي الإيجابي في موضوعية مجردة، وإدراك في قواعد واضحة وترتيب منهجي باستخدام مصطلحات شديد الوضوح، ولا تجيز أي ازدواجية في المعنى، وقد مكنت هذه الوضعية دي ساسي من استخدام نتائج النحاة العرب وملحوظاتهم وتحديداتهم كما هي مدرجة في المصادر النحوية والمعجمية والتفسيرية العربية، استخداماً واسعاً برغم الاختلاف الجذري بين كتاب النحو العام (grammaire générale) وبين نظام كتب النحو العربي، ولا تكمن قيمة هذا الكتاب أخيراً في الغزارة المفرطة من الملحوظات اللغوية من كل نوع، التي أُطلع القارئ عليها، ويتضح مدى تقدير دي ساسي العظيم للتفسير اللغوي لفهم الشروح / والحواشي والهوامش من معالجة النحو معالجة مضاعفة: أولاً [١٤٦] بالتفصيل وفق أسس النحو العام[١] ثم في منتخب من كتاب مارتلوتي (Martelotti) [٢] أساساً، وهو: .Institutiones arabicae 1620 وفق نظام النحاة العرب[٣]. وعلى النقيض من ذلك لم يفضِ فكر دي ساسي اللغوي إلى أي سبيل للفلسفة اللغوية كما شُغل بها في الفترة ذاتها تقريباً فيلهلم فون همبولت (Wilhelm von Humbodt) (١٧٦٧- ١٨٣٥م) الذي لم ير في اللغة عملاً

طُبع هذا الكتاب خمس طبعات، وترجمه إلى الألمانية سنة ١٨٠٤ ي. س. فاتر (J. S. Vater).

(1) Bd. II I - 377 (I. Aufl.) bzw. II I - 508 (2. Aufl).

(٢) كتب دي ساسي: مارتلوتو (Martellotto).

(3) Bd. II 378- 456 (I. Aufl). Bzw. II 509- 600 (2. Aufl).

(Ergon) بل طاقة مبدعة (Energia)، ولا تعني دراسة اللغة له وسيلة لتعليم شكلي بل مواجهة مع روح شعب آخر. وابتعد دي ساسي أيضاً عن عمد عن المنهج الاشتقاقي، برغم أنه كان ملماً بالعبرية والآرامية والسريانية ولم يكن عارفاً بالسامرية والمندعية والأثيوبية، وتجنب أن يستخدم هذه اللغات عند الشرح في كتابه في النحو العربي.

ولم يتأثر بالنابغة فرانتس بوب (Franz Bopp) (١٧٩١- ١٨٦٧م) أيضاً مؤسس علم اللغة المقارن، الذي درس العربية والفارسية لديه في أثناء توقفه في باريس، وعجز عن أن يحمله على تغيير آرائه اللغوية، فقد كتب دي ساسي كتابه في النحو في بادئ الأمر لمستمعيه مثلما وضع مختاراته أيضاً (Chrestomathie) لهم أولاً. فقد كان يُفتَقَر في بداية القرن الثامن عشر الميلادي إلى مادة للمطالعة بالنسبة للتدريس الأكاديمي للعربية.

والحق أن كتاب «المكتبة العربية» (Bibliotheca Arabica) [١] الذي أنجز بإسهام نشط من دي ساسي، والذي أهدى إليه، لشنورر (Schnurrer) البارع (١٧٤٢- ١٨٢٢م) [٢]؛ تلميذ رايسكه (Reiske)، والذي لا يخلو من ثغرات، ولكنه يقدم أوصافاً بالغة الدقة لكتيبات مدوَّنة فيه، ترتكز في الغالب على تحليلها، يُبيِّنُ (الكتاب) أن عدد النصوص العربية المطبوعة آنذاك /١٤٧/ كان غير بسيط، [١٤٧] ولكنها غالية غالباً، وبعضها أيضاً، مثل طبعات كلية فورت وليم، بسبب الحصار القارّيّ، لم تكن متاحة في البداية إطلاقاً. ولم يستأثر بكلام غير عادي لدى ساسي سنة ١٨٠٦م لأغراض المحاضرات - في الحقيقة - إلا القرآن وحكايات لقمان

---

(1) Bibliotheca Arabica, Auctam nunc atque integram edidit D. Christianus Fredericus Schnurrer, Halae 1811.

أورد ف. شاوفن: V. Chauvin, Bibliographie des ouvrages Arabes I, CXVII–S. XLL 1892، سجلاً ألفبائياً له.

(٢) وصف حياته حفيذه ك. ف. فبر (Chr. Tr. Weber) في: (Christian Friedrich Schnurrers Leben, Charakter und Verdienste, Kannstadt 1823).

وتاريخ تيمور لابن عربشاه، وجزء مطبوع لأساطير بيدبا (عُني هو نفسه سنه ١٨١٦م بطبعة كاملة للنص بناءً على نسخة حديثة) وبعض قصائد أيضا، حيث صار عدد كبير من نسخ هذه النصوص فقط متاحا بدرجة كافية، وقد دفع هذا الضرر إلى ظهور كتابه «مختارات عربية» (chrestomathie arabe) [١] أول الأمر سنة ١٨٠٦م.

بيد أنه ربط في الحال المهمة العلمية بالهدف العملي، وهي التعريف بنصوص قيمة من كنوز مخطوطات مكتبة باريس وإعدادها، وهكذا ضم كتابه chrestomathie مختارات عربية) منتخبات غنية لمؤرخين (كالمقريزي) وجغرافيين متأخرين ومن مقامات الحريري، وأحكام الدروز وكوزموجرافيا[*] القزويني بالإضافة إلى بضع قصائد بدءاً من النابغة حتى ابن الفارض وأخيرا مجموعة من المكاتبات الرسمية، كلها في نصها الأصلي مع ترجمة فرنسية وملحوظات غنية، مراعاةً للحاجات العملية لمترجمي المستقبل، وظهرت طبعة ثانية له سنة ١٨٢٦م ونشر كذلك بعد ثلاث سنوات تكملة وهي «منتخبات نحوية»: Anthologie grammaticale [٢] وتضم قطعاً مختارة من المصادر النحوية، من كتاب سيبويه حتى إعراب ابن هشام، ومختارات من تفاسير القرآن

---

(1) كتاب الأنيس المفيد للطالب المستفيد Chrestomathie arabe ou extraits de drives écrivains arabes tont en prose qu'en vers, avec une traduction français et notes. A l'usage des élèves de l'Ècole royal et spéciale des langues orientales vivantes Paris 1806.

طبع هو نفسه ثانية، في باريس ١٨٢٦.

(*) يعني المصطلح وصفاً عاماً للعالم أو الكون، وهو علم يبحث في مظهر الكون وتركيبه العام وهو يشمل علوم الفلك والجغرافيا والجيولوجيا. وهو ما يقصد به كتابة المذكور فيما سبق.

(2) Anthologie grammaticale arabe ou morceaux choisies de divers grammairiens et scholiastes arabes, avec une traduction française et de notes, pouvant faire suite à la Chrestomathie arabe, Paris 1829.

للزمخشري والبيضاوي، وأخيراً باباً متعلقاً بهذا الموضوع من مقدمة ابن خلدون، وبرْهن دي ساسي بهذه المجلدات برهاناً قاطعاً على أستاذيته في فن التفسير (Interpretation) بما لا يجيز للشك مجال. وقد وصف بأن كتابيه مختارات عربية Chresthomathie ومنتخبات نحوية Anthologie أثبتا حيوية عظيمة للغاية، في حين أنها متواضعة في كتب مشابهة لغيرها، دَبَّت فيها الشيخوخة فجأة في الغالب بسبب تقدم المعرفة العلمية، فقد مهدت بعد قرن تقريباً / طريق التراث [١٤٨] العربي لكثير من طلاب العلم، وعرفتهم ببعض روائعه المهمة، وبدأت تفقد أهميتها العظيمة للتدريس تدريجياً حين عُرِفَت النصوص القديمة، وأعدت وسائل معينة نحوية ومعجمية أفضل، بينما احتفظت شروح دي ساسي للأعمال التي دَرَسها في أخريات حياته بقيمتها إلى حد ما حتى يومنا هذا، ولا تقل طبعته لمقامات الحريري المزودة بشرح عربي منتخب امتيازاً[1]، فقد شُغِلَ في وقت مبكر بهذا الكتاب الرائع في فن النثر العربي الذي لفت انتباه دارسي العربية إليه باستمرار منذ أيام جوليوس (Golius)[2]. وأعلن عن طبعة كاملة ابتداء من ١٨١١م حتى سنة ١٨١٣م، غير أن هذه الخطة قد أجلتها كثيراً أحداث سياسية في الأعوام التالية. وفي تلك الفترة تطلبت مادة المخطوط التي صارت معروفة إصلاحاً للنص والشرح، ثم نبا إلى علمه أن النص العام قد نشر في كلكتا من سنة ١٨٠٩- ١٨١٤م. وأخيراً سبقه سنة ١٨١٨م كوسين دي برسفال (Caussin de Perceval) الأب (١٧٥٩- ١٨٣٥م) الذي عمل منذ سنة ١٧٨٤م أستاذاً للعربية في كوليج دي فرانس، على نحو غير متوقع إطلاقاً، بطبعة ثانية كاملة، ولحسن الحظ لم يثنِ ذلك دي ساسي عن خطته، وفاقت طبعته الطبعات السابقة

---

(1) Les Séances de Hariri, publiées en arabe avec un commentaire arabe choisi. Paris 1822.

عني تلميذ دي ساسي وخليفته رينوه (Reinaud) بالاشتراك مع ج. ديربنورج (J. Derenbourg) بطبعة ثانية، في مجلدين: Paris 1847- 1853.

(٢) انظر: Schnurrer, Bibliothca Arabica S. 222- 227. Paris 1847- 1853.

بصورة كبيرة إلى حد أنها صارت بعد فترة ضئيلة نسيا منسيا، وقد وصل أثرها إلى الشرق أيضا، فقد أوصلها القنصل الفرنسي في بيروت إلى يد الشآمي المسيحي نصيف اليازجي (١٨٠٠- ١٨٧١م) الذي درسها دراسة دقيقة، وكتب أيضاً سنة ١٨٣٣م سلسلة من الملحوظات النقدية التي قدمها سنة ١٨٣٨م للمبشر الأمريكي ايلي سميث (Eli Smith) ليسلمها إلى دي ساسي، ولما كان دي ساسي قد توفى قبل ذلك بقليل فقد ترك سميث الخطاب لفلايشر (Fleischer) لينشره، وقدم هذا الأخير نسخة لتلميذه ا. ف. ميرن (Mehren) الذي ترجمها وأضاف إليها ملحوظات نقدية معارضة، وراجع اليازجي بناءً على علمه بهذه الخطط / خطابه مراجعة دقيقة، ونشرها ميرن (Mehren) سنة ١٨٤٨م في [١٤٩] نصها الأصلي مع ترجمة لاتينية وملحوظات نقدية[١]، وكان هذا الصوت النقدي الأول الآتي من مشرقي حول إنجاز في الدراسات العربية في الغرب أجدر بالتقدير مما لو صدر عن مستشرق أجيز له أن يدلي برأيه بوصفه عالماً ممتازاً في العربية الفصحى وفي مرتبة الكتاب، وتبين أيضاً أن ملحوظاته تشتمل إلى جانب ما هو صحيح وقيم بضع أوجه قدح لا أساس لها، بل إن النقد المبالغ في حدته (الراجع) لفكره المدرب تدريباً مدرسياً قد سلطه على الحريري ذاته، بينما أراد البحث الغربي أن يحقق له مزيداً من الإنصاف. ومن ثم فقد أثبتت الدراسات العربية في أوربا هذه الكفاءة الأولى، وأكدت حقها الكامل في الوجود.

وفي سنة ١٨٣٣م نشر دي ساسي القصيدة التعليمية النحوية (الألفية) لابن مالك، فقد نشر وحقق من قبل في كتابه (Anthologie) ثمانية فصول[٢]، وظهر

(1) Epistola critica Nasifi al - Iazigi Berytensis ad de Sacyum versione tat. et adnot. illustravit A. F. Mehren, Lips. 1848.

(2) Alfiyya ou la Quintessence de la grammaire arabe; ouvrage de Djemal eddin Mohammed, connu sous le nom d'Ebn Malec; publiè en original, avec un commentaire, par Sulvestre De Sacy. Paris 1833.

في عام وفاته مؤلفه الرائع عن الدروز[1] الذي أنهى دراساته التي ترجع إلى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي - ول هذه الفرقة بعرض مفصل لمذهبهم، وظل مرجعاً أساسياً لمدة طويلة في هذا الفرع من البحث.

وفي سنة ١٨٠٦م تولى دي ساسي إلى جانب تدريسه كرسي الأستاذية المنشأ حديثاً في الفارسية في كوليج دي فرانس. فقد كان هذا التخصص يشغله بالتبعية منذ ١٧٧٣م ممثل اللغة التركية بيير روفن (Pierre Ruffin)[2] (١٧٤٢- ١٨٢٤م) الذي كان ينوب عنه في تلك الفترة غالباً تلميذه دانيال كيفر (Daniel Kieffer) (١٧٦٧- ١٨٣٣م)[3]، / غير أن تلليران (Talleyrand) [١٥٠] قد رأى أن الأهمية العملية لأهم لغات الإسلام الثلاث يسوغ أن يُنشأ لكل لغة منها كرسي تدريس خاص بها، وهنا عرَّف دي ساسي دائرة من المستمعين (كانوا بوجه عام هم أنفسهم الذين يدرسون على يديه العربية في مدرسة اللغات الشرقية) بالفارسية الحديثة.

ومن النصوص التي فسرها بتفوقه الفريد في فن التفسير اللطيف بخلاف مختارات ويلكن (Wilken)[4] الطبعةَ التي عني بها ويلكن نفسه للقصائد

---

(1) Exposè de la religion des Druzes tiré des livres religieux de cette Secte. Paris 1838, 2 Bande.

(٢) ظلت سيرة هـ. دهرن غير متاحة لي. H. Deheran, La vie de Pierre Ruffin, Orientaliste et diplomate.

(3) Dehéran, Un orientaliste alsacien Daniel Kieffer, Paris 1920.

طبعة خاصة من:

Bulletin de la Section de Géographie du Comitè des travaux historiques et scientifiques. غير متاحة لي

كيفر (Kieffer) هو مؤلف المعجم المستعمل:

Dictionnaire Turc - Français à l'usage des agents diplomati bues et consulaires,

الذي أتمه مساعده بينشي (Bianche) سنة ١٨٣٥، ونشره.

(4) Institutiones ad fundamenta linguae persicae cum chrestomathia

السامانية لميرخوند (Mirchond) [١] وكلستان وبوستان سعدي وأنوارِ سهيلي[٢] أيضاً.

ونشر هو نفسه سنة ١٨١٩م بندنامه للعطار مع كم من الملحوظات الممتازة[٣]، فقد كان آنذاك أول مستشرقي عصره بلا خلاف، ورفعه نابليون سنة ١٨١٤م إلى مرتبة بارون (Baron)، وحين أسست الجمعية الآسيوية (Societe Asiatique) سنة ١٨٢١م صار أول رئيس لها غير أنه تخلى عن هذا المنصب سنة ١٨٢٥م، وكان مديراً لكوليج دي فرانس منذ ١٨٢٣م، وتولى بعد موت لانجليه (Langlès) سنة ١٨٢٤م إدارة مدرسة اللغات الشرقية أيضاً.

بيد أنه برغم استنفاد طاقته على العمل بكثرة مشاغله بكل هذه الوظائف والألقاب فقد وجد الوقت حتى وفاته لنشاط بحثي تجلى في أعمال أدبية متباينة[٤]، وهو الذي نبع من تفسيره للنصوص باعتبار أنه محور فقه اللغة، ويمتد عبر ميادين كثيرة في العالم الإسلامي؛ تاريخ دوله، وحياته الأدبية والدينية والثقافية منذ بداياته حتى التاريخ المعاصر، وسَخَّر في ذلك إلى جانب الرواية الأدبية أوجه العون التي يمكن أن تتيحها الوثائق والبرديات والمسكوكات والنقوش أيضاً.

/ وأثر دي ساسي بذلك تأثيراً شديداً في مسار الدراسات العربية والعلوم [١٥١]

---

maximam partem ex auctoribus ineditis collecta et glossario locupleti edidit Frid Wilken, Lipsiae 1805.

(1) Gottingen 1808.

(٢) انظر: Kosegrten, Carminum orientalium triga, Stralsundii 1815.

(3) Pendnameh, ou le livre des conseils, de Ferid - ed - din Attar, en persan et en francais avec des notes, des extraits de Saado et d autres ècrivains persans. Paris 1819.

(٤) يضع جورج سلمون (Georges Salmon) قائمة مصادر (غير متاحة لي) في المجلد الأول من كتابه: Bibliothèque des arabisants français, Le Caire 1905.

وأورد ب. كزانوفا (P. Casanova) أيضاً ملاحق في الكتاب ذاته في المجلد الثاني ١٩٢٣.

الإسلامية في الغرب. ولا تكمن عظمته الباقية إلى حد كبير في إنجـازات علميـة متفرقة، ولكنها تتميز بجلاء أيضاً بفكر واضح وعرض بيِّن بقدر ما تُعزي إلى حد بعيد إلى التأثير الكلي لشخصيته التي طبعتها روح بـور رويـال Port Royal بالورع الحق والشعور الحاد بالواجب والشجاعة الأدبية وسعة الأفق القائمة على وضوح فكري والتصاق بالحقائق بوصفها ملامح جوهرية، ويضاف إلى ذلك رقته وذوقه ودماثة خلق جعلته نبيلاً في حواره، إن الموقف الأخلاقي العام لشخصـيته بوصفه أستاذاً وباحثاً قد حدد روح مدرسة اللغات الشرقية، ولم يتسع هذا المعهد حتى وفاته سنة ١٨٣٨م اتساعاً شكلياً فحسب ليضم إلى كراسي الأستاذية الثلاثة التي افتتح بها سنة ١٧٩٥م، كراس أخرى: ١٨١٢م كرسي أستاذية للأرمينيـة، و١٨١٩م لليونانية الحديثة و١٨٢٠م للعربية الدارجة، وأخيـراً سـنة ١٨٣٠م للهندوستانية، بل صار نموذج دي ساسي للأساتذة العاملين فيـه أيضـاً – كـلٌ بحسب عمله – قدوة إلى حد أنهم وجهوا طموحهم إلى أن يُعِـدُّوا بـاحثين، وأن يُخَرِّجوا علماء المستقبل، وفي الواقع وَصَمَهم لذلك أساتذة مدرسة فتيـان اللغـة (École des jeunes de langues) التي تخـرج فيهـا آنـذاك أيضـاً معظـم المترجمين بأنهم علماء الأبراج العاجية الذين ليس لديهم أية رؤيـة حيـة عـن الشرق، ولا يتقنون لغة التخاطب الحديثة، ولكنهم اسـتطاعوا خلافـاً للاتمـيهم ن يكفوهم حاجتهم إلى منهج فيلولوجي ونقد تـاريخي والقـدرة علـى التحليـل النحوي.

شغل كرسي تدريس العربية الدارجة في البداية قبطي هـو اليـوس بقطـر (Ellious Bocthor) (١٧٨٤- ١٨٢١م) الذي رافق جيش الشـرق الفرنسـي مترجماً، ثم شغله بعد موته المبكر ارمان بيير كوسين دي برسـفال (Armand Pierre Caussin De Perceval) ابن (١٧٩٥- ١٨٧١م) مؤلف مقال حـول تاريخ العرب قبـل الإسـلام: Essai sur l histoire des Arabes avant l' islamisme، ونشر كوسين الثروة اللغوية للغة العامية في مصر التـي جمعهـا

بُقطر، في معجمه الفرنسي العربـــي Dictionnaire francais arabe Paris 1828- 1829, 2 Bande, 4. Aufl. 1868.

وكتب كتابه في نحـــو العربيـــة الدارجـــة الـــذي اســـتخدم كثيـــراً وهـــو: Grammaire arabe vulgaire (Paris 1824, 4. Aufl. 1858). الذي يعيبُه خطأ فادح وهو أن اللهجات المختلفة فيه لم يفصل بينها بصورة منظمة، وعلـــى العكس منه فقد اقتصر قبله بربع قرن المترجمُ النمســـاوي فـــرانتس ف. دُمبـــي (Franz V. Dombay) (١٧٥٨- ١٨١٠) فـــي كتابـــه (Grammatica Linguae Mauro - Arabicae juxta vernaculi idiomatic usum) الذي ظهر سنة ١٨٠٠م اقتصر فيه على لهجة أهل طنجة، وقدم بـــذلك / أول دراســـة [١٥٢] للهجة المغربية وأول إسهام علمي في بحث اللهجات العربية.

وقد أثبت فـ. جزنيوس (W. Gesenius) سنة ١٨١٠م أن اللغـــة الملطيـــة أيضاً لهجـــة عربيـــة، ومنـــذ أيـــام امبروزيـــوس Ambrosius وبوســـتلوس (Postellus) (انظر ما سبق ص١٢٣) كان بضع باحثين في اللغة يتبنون رأيـــاً خاطئاً، وهو أن اللغة البونية بقيت في العربية – المغربية. وقـــد طـــور الملطـــي فرانك اجيوس دي سولدانس (Franc Agius de Soldanis) في كتابه عن نحو اللغة الملطية الذي ظهر سنة ١٧٥٠م، حول علاقات القرابة نظرية شديدة الجرأة يتضح محتواها المهم من العنوان:

Della lingua Punica, presentamente usata dai Maltesi ovvero nuovi documenti, li quail possono servire di lume alla antica lingua Etrusca Michele Antonio Vassalli وتمســـك الملطـــي ميشيل انطونيو فاسكلي[1] أيضاً (١٧٦٤- ١٨٢٨م)، الذي وضع للغته الأم كتابة صوتية ثابتة بحروف لاتينية وبعض رمـــوز اصـــطنعها، وهيـــأ بـــذلك أســـباب

---

(١) لم أتعرف على السيرة الذاتية لـــ أ. كرمونـــا (A. Cremona) إلا مـــن أخبـــار ك. ل. دسولفي (C. L. Dessoulavy) في مجلة: BSOS 9. 1939, S. 812- 814.

استخدامها الأدبي، بنظرية أصلها البوني الوهمي، وحين أيده سنة ١٨٠٩م يوهان يواخيم بلرمان Johann Joachim Bellermann (١٧٥٤- ١٨٤٢م) في برنامج مدرسي حول بحث لغوي صوتي في نماذج ملطية: Phoeniciae linguae vestigiorum in Melitensi specimen وقام بشرح الألفاظ الملطية، التي استمدها من كتاب اجيوس (Agius) شرحاً اشتقاقياً بمساعدة العبرية، عارضه جزينيوس (Gesenius) في العام التالي في كتابه: محاولة في اللغة الملطية: Versuch über die maltesische Sprache وأثبت بطريقة تصلح نموذجاً من ناحية المنهج تبعيتها للعربية، ومما يمثل خسارة لفقه اللغة العربية أن جزينيوس لم يتطرق إلى مجالها مرة أخرى مطلقاً، وكرس أعماله التي يهتز لها التاريخ للنحو العبري وعلم المعاجم ودراسة النقوش السامية.

بيد أنه لم يتجلَ تأثير دي ساسي في شيء أكثر مما في العدد الضخم لتلاميذه وإنجازاته، وصارت باريس به في الثُلث الأول من القرن التاسع عشر الميلادي كعبة كل من أراد أن يتخصص في دراسة اللغات الشرقية.

ولما ضم المفهوم الجديد للدراسات الشرقية المنفصم عن أي قيد لاهوتي السنسكريتية والدراسات الهندية وحتى اللغة الصينية فإن مستشرقين من تخصصات أكثر تبايناً قد ركعوا تحت أقدامه، ويعد من تلاميذه اتين قوطرمير (Étienne Quatremère) (١٧٨٢- ١٨٥٢م)؛ أهم عالم في العربية في فرنسا بعد دي ساسي، وكان منذ ١٨٠٨م أستاذاً للعبرية والكلدانية والسريانية في كوليج دي فرانس، ومنذ ١٨٢٣م خليفته شيزي (Chézy) على كرسي تدريس الفارسية في مدرسة اللغات الشرقية، وكان قوطرمير كأستاذه لم يتأثر بعلم اللغة المقارن، ولكن خلافاً له لم يهتم بالنحو بل بتاريخ وجغرافيا / الشرق الأدنى، ويختلف [١٥٣] غيوراً على الإنجازات الأجنبية، أيضاً عن دي ساسي اختلافاً تاماً في أنه لم يكوّن أية مدرسة، فقد نذر نفسه جاداً ومنغلقاً لدراساته في شبه عزلة عن مجتمعه

تقريبا وسط مكتبته الغنية[١]. وتعد ترجمته لكتاب المقريزي «تـــاريخ الســلاطنة المماليك في مصر»[٢]، وطبعاته لمقدمة ابن خلدون[٣]، وتاريخ المغول في فارس لرشيد الدين[٤]، آثاراً لعلمه الذي يدل على سعة اطلاع غير عادية، ولكنه لــيس لديه أية قدرة صياغية على البناء الكلي.

وعُنِي تلميذ آخر لدي ساسي؛ خليفته في العربية في مدرسة اللغات الشرقية، جوزيف رينو (Joseph Reinaud) (١٧٩٥- ١٨٦٧م) [٥] بالتعاون مع جـــ. ديرنبورج (J. Derenbourg) بالطبعة الثانية لكتاب الحريري، غير أنه اتجه بعد هذا مثل قوطرمير (Quatremère) إلى الدراسات التاريخية والجغرافية بوجــه خاص. وهكذا نشر مــع مــاك جــوكين دي ســلان (Mac Gukin de Slane) جغرافيا أبي الفداء[٦]، وكتب مدخلاً لترجمته لهذا الكتـــاب مقدمـــة عامـــة فـــي الجغرافيا الشرقية[٧]، وعُنِي أيضاً بمجال لم يُتطرق إليه إلا نادراً، هو مجال الآثار الإسلامية[٨]. ويلحق مساعده دي سلان (de Slane) الذي اشتهر بنشره لديوان

---

(١) تعد بما يزيد على (٤٠) ألف مجلد، وانتقل فيما بعد إلى ميونخ بتركته من المخطوطات.

(2) Histoire des Sultans Mamluks de l Égypte, écrite en arabe .. trad. en français et accompagnée des notes philologiques, historiques et géographiques, Paris 1837- 1845, 4 Bände.

(3) Prolégomènes d'Ebn Khaldoun. Texte arabe par Quatremère (=Notices et Extraits des manuscripts 16, I; 17, I; 18, I). Paris 1858, 3 Bände.

(4) Histiore des Mongols de la Perse .. publiée, trad. en francis, accompagnée de notes et d'un mémoire sur la vie et les ouvrages de l'auteur, Bd. I (einz.) Paris 1836.

(٥) انظر: Dugat, Histoire des Orientalistes I, 1868, S. 186- 232.

(6) Géographie d'Aboulféda. Texte arabe. Paris 1840.

(7) Géographie d'Aboulféda, trad. de l'arabe en français par Reinaud.vol. I: Introduction générale à la géogrouphie des Orientaux, Paris 1848.

(8) Mnumens arabes, persans et turcs du cabinet de M. le Duc de Blacas 1828, 2 Bde.

امرئ القيس[1] وترجمته لكتاب ابن خلكان[2] بتلاميذ دي ساسي الذين استفادوا بوصفه مترجماً من معرفته بالعربية استفادة عملية.

/ وكان التلميذين الأقدم منه جين - جوزيف مارسيل (Jean Joseph [١٥٤] Marcel) (١٧٧٦: ١٨٢٤م) [3] الذي اشترك في الحملة على مصر، وصار مديراً للمطبعة الحكومية في مصر، واما ديه جوبرت (Amédée jaubert) (ت. ١٨٤٧م) الذي عمل مترجماً لنابليون منذ حصار عكا سنة ١٧٩٩م، وأُرسل فيما بعد مراراً في مهمات دبلوماسية إلى الشرق، ودَرّس منذ سنة ١٨٠١م التركية في المدرسة الخاصة (École spéciale). وتعود إليه ترجمة مفسرة وغيرها لكتاب نزهة المشتاق في اختراق[4] الآفاق المعروف بكتاب روجر وكان أميزهم لوي جاك برسنيه (Louis Jaques Bresnier) (١٨١٤- ١٨٦٩م) الذي كان في بادئ الأمر صفّافاً للحروف ثم دَرَّس، وأُرسِل إلى الجزائر سنة ١٨٣٦م بناءً على اقتراح دي ساسي، حيث أدخل منهجه في تدريس العربية، وشكل هيئة مترجمين عسكرية، لعبت دوراً خطيراً عند احتلال البلاد[5]. وكان كازميرسكي (Kasmirski) أيضاً مترجماً، ولقيت ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم انتشاراً

---

(1) Le diwan d'Amro' lkais, Paris 1837.

(2) Ibn Khallikan's Biographical Dictionary, transl. from the Arabic. Paris, London, 4 Bände.

(٣) انظر: Belin im Journal Asiatique, s. V., t. 3, 1854, 553 ff.

(4) Géogprahie d'Edrisi traduite de l'arabe en francais d'apres deux mss. de la Bibliothèque du Roi et accompagnée de notes (= Recueil de voyages et de mémoires V. VI). Paris 1836. 1840.

(٥) يشير دريهان (Dehérain) في: Silvestre de Sacy S. XXXI, Anm. 2.

إلى مقالة غير متاحة لي وهي: L orientaliste Bresnier et la création de l' enseignement français de l' arabe à Alger im Bulletin de la Section de géographie du Comitě des Travaux historiques et scientifiques 1915, S. 15- 19.

واسعاً[1]، وتوجه آخرون بقوة نحو الفارسية، مثل يوليوس مول (Julius Mohl) (١٨٠٠- ١٨٧٦) ابن شتوتجارت الذي اكتسب الجنسية الفرنسية وأسندت إليه وظيفة الأستاذية في الفارسية في كوليج دي فرانس، وعُني من أجل السلسلة الضخمة للمجموعة الشرقية بالطبعة القيمة، وإن كانت قاصرة من الناحية الفيلولوجية، من الشهنامه للفردوسي[2]، مع ترجمة فرنسية ومقدمات قيمة، وعلى العكس من ذلك كان التلميذ الأثير لدى دي ساسي وهو انطوان ليونار دي شيزي (Antoine Léonard de Chézy) (١٧٧٣- ١٨٣٢م)، برغم أنه شغل سنة ١٨٢٤م بعد موت لانجليه (Langlès) وظيفة الأستاذية في الفارسية في مدرسة اللغات الشرقية، في الأساس متخصصاً في اللغة الهندية وآدابها، وأنشئ من أجله بناءً على دفع أستاذه سنة ١٨١٤م في كوليج دي فرانس أول كرسي فرنسي لتدريس السنسكريتية، وقد استمع إليه ا. ف. ف شليجل / .A. W [١٥٥] (V. Schelgel) سنة ١٨١٦م. وبدأ التلميذ الأثير الآخر لدى ساسي جوزيف هيلودور جارسي دي تاسّي (Joseph Héliodore Garcin de tassy) (١٧٩٤- ١٨٧٨) مسيرته الأدبية بتحقيق لرسالة صوفية غير مهمة، وهي «كشف الأسرار» لعز الدين المقدسي، التي نشرها بأكملها، على نهج أستاذه، بالعربية ومزودة بترجمة فرنسية وتعليقات مستفيضة[3]. غير أنه تحول إلى دراسة اللغة الهندوستانية بعد ذلك، وكُلِّف سنة ١٨٢٨م بفضل جهود دي ساسي

---

(١) انظر عنها: Chauvin, Bibliographie des ouvrages arabes X, 1907. S. 79 ff.

(2) Le livre des rois par Abu'l Kasim Firdousi, publié, traduit et commenté par Jules Mohl, Paris 1828- 1878, 7 Bände.

طبع المجلد الأخير بارتليمي سان هيلير (Barthèlemy Saint Hilaire) وظهرت الترجمة والمقدمات أيضاً مستقلة.

(3) Les oiseaux et les fleurs, allégories morales d'Azz - eddin Elmocaddessi, publiées en arabe, avec une traduction et des notes, Paris 1821.

بتدريس هذه اللغة في مدرسة اللغات الشرقية، وأظهر بكتبه في النحو ومختاراته وتاريخ الأدب والتقارير السنوية وطبعته لديوان والي وبخاصة ترجماته الغزيرة في هذا المجال الذي لم يُطرَق تقريباً في أوربا، نشاطاً جماً اتخذ مساراً عرضياً أكثر من كونه عميقاً، ولم تحصل دراسة الإسلام في الهند في إطار علوم الإسلام ككل على المكانة التي تستحقها، وانتقل ادوار دولوريه (Èdouard Dulaunier) (١٨٠٧- ١٨٨١م) من العربية إلى الملايوية واليابانية، وصار أخيراً سنة ١٨٦٢م أستاذاً للغة الأرمينية في مدرسة اللغات الشرقية، واشتغل غليوم بوتيه (Guillaume Pauthier) (١٨٠١- ١٨٧٣م) أخيراً في مجالات عدة، غير أنه كان متخصصاً في الدراسات الصينية في المقام الأول.

لا شك في أن دي ساسي لم يُخَرِّج المستشرقين الفرنسيين فحسب، بل تدفق عليه المتلهفون إلى العلم من البلاد الأوربية الأخرى أيضاً، الذين أدخلوا في بلادهم فيما بعد منهجه في التدريس، وكان تفوقه واضحاً ومعترفاً به بوجه عام إلى حد أن الحكومات الأجنبية كانت تستدعيه للنصيحة عند إنشاء كراسي تدريس شرقية وشغلها أو ترسل إليه المبعوثين للدراسة على يده، فقد توجه إليه رجل الدولة الروسي جراف أُفاروف (Graf Uwaroff) [(1)] حين خطط زار الكسندر الأول (Zar Alexander) لإنشاء كرسي تدريس العربية في بطرسبرج وآخر للفارسية، وعمل منذ ١٨٠٧م كرستيان مارتن فران (Christian Martin Fràhn) (١٧٨٢- ١٨٥١م) من روستوك (Rostock) الذي اجتهد في علم المسكوكات الإسلامي وتلميذ اج. ج. توشسن (O. G. Tychsen) وشنورر (Schnurrer) أستاذاً للأدب الشرقي في جامعة قازان (Kasan) التي أُسِّست سنة ١٨٠٤م، بيد أن اهتمامات روسيا الآسيوية تطلبت منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي بقدر متزايد عناية أشد باللغات الشرقية، فعين بناء على توصية دي ساسي سنة ١٨١٧ تلميذيه / شارموي (Charmoy) وديمان (Demange)[١٥٦]

(1) H. Dehérain, Sulvestre de Sacy S. 25- 35.

في وظيفتي أستاذ كرسي اللتين أنشئتا حديثاً في المعهد التربوي المركزي في بطرسبورج.

وحين افتتح سنة ١٨٢٣م المعهد الشرقي في القسم الآسيوي في وزارة الشئون الخارجية لتدريب المترجمين قام شارموي (Charmoy) بتدريس الفارسية والتركية، في حين عهد إلى ديمان (Demange) تدريس العربية، وكان عدد أولئك الذين جاءوا من الخارج إلى باريس لدراسة العربية والفارسية على يد دي ساسي، عظيماً، ويعد من تلاميذه الأسباني دون باسكوال دي جيانجوس (Don Pascual de Gayangos) الذي صار فيما بعد أستاذ العربية في مدريد، واشتهر بوصفه مترجماً لتاريخ المسلمين في أسبانيا عن الفصل الخاص بذلك من كتاب (نفح الطيب) للمقرّي[1]. ومن جنيف جين همبرت (Jean Hambert) (١٧٩٢- ١٨٥١) الذي عمل فيما بعد في وطنه أستاذاً للعربية، وأرسلت الدنمراك جان لارسن راسموسن Jan Larson Rasmussen (١٧٨٥- ١٨٢٦) مستشرق جامعة كوبنهاجن الذي توفى في وقت مبكر، وجاء من النرويج تش. أ. هولمبو (Ch. A. Holmboe) (١٧٩٦- ١٨٨٢) الذي صار فيما بعد أستاذاً للغات الشرقية في كرستينيا (Christiania)، ومن السويد ك. ج. تورنبيرج (K. J. Tornberg) (١٨٠٧- ١٨٧٧) ومن انجلترا عالم السنسكريتية جرفس تشمني هوجتون (Graves Chamney Haughton). بيد أنه لم ترسل بلد ما طلاباً إلى دي ساسي أكثر من ألمانيا، جاء كثير منهم مبعوثين من قبل حكومتهم لأنه قد أدرك في ألمانيا أيضاً آنذاك أهمية الدراسات الشرقية، فقد شجعتها بصور شتى، وأنشأت لها كراسي تدريس خاصة، أرسلت مقاطعة بايرن (Bayern) بوب (Bopp) ومنافسه أوتمار فرانك (Othmar Frank)

(1) The History of the Mohammedan Dynasties in Spain, extracted .. translated .. illustrated with critical notes on the history, geography and antiquities of Spain by Pascual de Gayangos, London 1840-1843, 2 Bände.

كذلك الذي نسي في وقتنا الحاضر. وأرسلت فورتمبرج (Württemberg) عالم اللاهوت السابق في توبنجن (Tübingen) فريدريش شتويدل (Friedrich Steudel)، ومول (Mohl) الذي ذكر فيما سبق، وأدى انتقاله إلى الخدمة في فرنسا إلى بقاء كرسي تدريس الاستشراق في توبنجن شاغراً حتى حضور ايفالد (Ewald) سنة ١٨٢٨، وأرسلت بروسيا فولرز (Vullers) من منطقة الراين الذي استدعه حكومة هسّن سنة ١٨٣٣م بوصفه تلميذاً لدى ساسي إلى جيسن (Giessen) [1]، ومن تلاميذ دي ساسي أيضاً / على سبيل المثال فياهلم فرايتاج [١٥٧] (Willhelm Freytag) (١٧٨٨- ١٨٦١م) الذي ألف المعجم العربي - اللاتيني وعرضاً للعروض العربي لم يحل محله آخر إلى الآن، ونشر أيضاً كتب أخرى كالحماسة والأمثال العربية أيضاً، ثم جوستاف فلوجل Gustav Flügel (١٨٠٢- ١٨٧٠م) الذي يحمد له طبعته للقرآن ومعجم مفهرس للقرآن ونصوص مهمة كثيرة مثل معجم التراجم لحاجي خليفة والفهرست (لابن النديم). وفيهم أيضاً ماكسمليان هابشت (Maximilian Habicht) (١٧٧٥- ١٧٣٩م) الذي عاش عقداً في باريس بوصفه مستشاراً لسفارة بروسيا وخبيراً جيداً بالعربية الدارجة وناشراً للنص العربي لألف ليلة وليلة، وكذلك المتعدد الاهتمامات ي. ج. ل. كوسيجارتن J. G. L. Kosegarten (١٧٩٢- ١٨٥٠م) الذي نشر ديوان الهذليين وأشياء أخرى، وجوستاف شتيكل (Gustav Stickel) (١٨٠٥- ١٨٩٦م) الذي حثه جوته (Goethe) على دراسة المسكوكات والأختام الإسلامية [2].

وكان من تلاميذ دي ساسي أيضاً عالم الدراسات الإيرانية برنهارد دورن

(١) طبع في. بابنجر (F. Babinger) مرسوم وزارة هسن (Hessen) المهم للغاية في:
Ein Halbjahrhundert morgenland. Studien an der hess. Landesuniversität, J. A. Vullers in Nachr. D. Giessener Hochschulgesellschaft, II, 1919, S. 70- 74.

(2) ZDMG, 36, 438.

(Bernhard Dorn) (١٨٠٠- ١٨٨١م) الذي سلك في خدمة روسيا، وعـالم العهد القديم يوستوس اولسهاوزن (Justus Olshausen) (١٨٠٠- ١٨٢٢م) الذي قام بدراساته أيضاً لـدى انكوتيـل دو بـرون Anquetil du Perron ، وآيلهارد ميتشرليش (Eilhard Mitscherlich) (١٧٩٤- ١٨٦٣) الذي درس الفارسية ثم انتقل إلى الكيمياء وحقق الشهرة والسمعة في هذا المجال.

وكان عدد علماء اللاهوت الذين قضوا فترة أقصر أو أطـول فـي بـاريس، عظيماً، على سبيل المثال أستاذ شرح العهد الجديد من شتراسبورج اد. رويـس (Ed. Reuss) (١٨٠٤- ١٨٩١) الذي اشتهر أيضاً بنقـد الأسـفار الخمسـة، وهاينريش ميدلد رويف (Heinrich Middeldorpf) من برسلاو (Breslau)، وي. فر. اليوالي (Jos. Fr. Allioli) (١٧٩٣- ١٨٧٣م) راعي الكاتدرائية الذي اشتهر بترجمته للكتاب المقدس.

وأخيراً يجب أن نذكر أيضاً عالم السريانية جيورج هـ. برنشتاين (١٧٨٧- ١٨٦٠م) والرحالة من أجل البحث فر. اد. شولتس Fr. Ed. Schulz (١٧٩٩- ١٨٢٩م) الذي قُتِل في كردستان، والأستاذ في الثانوية في أولم (Ulm) كـونراد ديتريش هَسـلر (Konrad Dietrich Hassler) (١٨٠٣- ١٨٧٣م) الـذي وضع برسائله التي ظهرت غير موقعة سـنة ١٨٢٦م حـول سـير الدراسـات الآسيوية في باريس أمام أعيننا صورة حية لتلك الأيام.

بيد أنه كان الأكثر أهمية بالنسبة للدراسات العربية أنه وُجِد بين أولئك، مـن كان قد دُعِي ليؤول إليه الإرث العلمي لدى ساسي، ألا وهو هـاينريش ليبرشـت فلايشر (Heinrich Leberecht Fleischer) [1] (١٨٠١- ١٨٨٨م).

---

(1) A. Fischer, Heinrich Leberecht Fleischer in Sächs. Lebensbilder I, Dresden 1930, S. 396.

٢٩- يوسف فون هامر – بورجشتال

/ بينما تهيأت الأسباب في فرنسا بإنقضاء التطور السياسي في نهاية القرن [١٥٨] الثامن عشر الميلادي، لدراسات عربية متحررة من وصاية كنسية، ظل هذا الموقف في المعاهد العليا كما كان من ذي قبل في المرتبة الدنيا، حيث ألحقت الدراسات الشرقية بفقه اللغة المقدس (sacra philologie) بوجه عام.

وأدى ذلك إلى أن الاعتراف التام بصورة الشرق الجديدة التي شكلها عصر التنوير كان أولاً في أوساط غير الخبراء من الطبقة الوسطى المثقفة، وليس من ممثلي العلم الأكفاء، لقد كانوا عشاق الشرق الذين تفرغوا لدراسته.

إن أهم ممثل لذلك الاتجاه هو يوسف فون هامر – بورجشتال (Josef von Purgstall–Hammer)[١] (١٧٧٤- ١٨٢٦م) وتلقى هامر، وهو ابن لمستشار في الحكومة النمساوية، مولود في جراتس (Graz) سنة ١٧٧٤، تعليمَه من ١٧٨٩- ١٧٩٩م في الأكاديمية الشرقية ثم أُرسِل إلى استانبول كمتعلم للغة في القسم الداخلي للمترجمين التابع لبلاط فيينا، لدى الباب العالي، وتمكن بسرعة، لما وهب من فطنة لمّاحة وذاكرة ممتازة في حفظ الألفاظ، من معرفة لغات الإسلام الثلاثة؛ فقد تحدث التركية بعد وقت وجيز بطلاقة، والعربية بقدر كافٍ، وقد أتقن الفارسية إلى حد أنه استطاع أن يفاوض رُسل الشاه بلغتهم سنة ١٨١٩م، وترجم أيضاً تأملات ماركوس أوليروس انطونينوس (Marcus Aurelius Antoninus) إلى اللغة الفارسية[٢]. وفي سنة ١٨٠٠م أُرسِل إلى

---

(١) نشر راينهارت باخوفن فون اشت (Reinhart Bachofen V. Echt,) من كتابه Erinnerungen aus meinem Leben, 1774- 1852. العُشر تقريبا في تحقيق موجز للغاية في Fontes rerum Austriacarum, 2. Abt., 70. Bd., Wien 1940).

(٢) Μαρκου 'Αντονινου αὐτοκρατορος του εἰς ἑαυτον βιβλια ιβ' περσιστι καθερμηνευσαντος Ιωσεφ 'Αμμερ.'Εν Βιεννη της Αυστριας 1831.

مصر في مهمة خاصة، وتعرف قصة ألف ليلة وليلة ونتاجـات مماثلـة لـلأدب الشعبي، بعد أن كان قد قرأ في استانبول حكاية عنتر مع حلبية علمته العربية[1].

وسافر من مصر إلى انجلترا ثم عاد إلى استانبول سنة ١٨٠٢ سكرتيراً للسفارة، /وفي سنة ١٨٠٦م نُقِل إلى يسي (Jassy)، وعين وكيلاً للقنصل فـي مولـداو [١٥٩] (Maldau) غير أنه سُحِب في السنوات التالية.

ومنذ ذلك الوقت عاش في فيينا، واستطاع أن يُكَرِّس نفسه حيث لم يُشغل بوظيفته كمترجم للقصر (من ١٨١١- ١٨٣٦م) إلا نادراً، لأعماله الأدبية المقدمة على نحو تام بفضل إدراك واعٍ[2]. وأظهر في هذا المجال نشاطاً كبيراً ومتنوعاً بصورة غير عادية، وأصدر من ١٨٠٩ إلى ١٨١٨م بمساعدة مالية من الثري مشجع الفنون النمساوي جراف فنتسزلاوس فون رتسفوسكي (Graf Wenzes laus von Rzewusky) (١٧٦٥- ١٨٣٢م) مجلة: Fundgruben des Orients (ينابيع الشرق)، يحررها جماعة من عشاقه، واختار لها آية من القرآن شعاراً: ٢/ ١٤٢ وهو قوله تعالى:(*) ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3]. ولزم أن تضم هذه المجلة كل شيء، «ما يصدر عن الشرق فقط أو ما يتعلق به». ولا ينبغي حقيقة أن يُستَبعد علم اللاهوت كلية، غير

تضم الطبعة النص اليوناني أيضاً، فقد أراد وفق ما ورد في: Erinnerungen، أن يقدم بذلك مثالاً نموذجياً، كما يمكن أن يقوم برد فعل ضروري للثقافة الغربية الكلاسيكية فـي الثقافية الشرقية، قارن حول الطبع الكتاب نفسه ص ٢٧٣.

(1) Erinnerungen, S. 43, 88, III f., 219.

(٢) انظـر بصـفة خاصـة رأي الأميـر ميتـرنيش (Metternich) الـذي أورده فـي: Erinnerungen، وانظر أيضاً الكتاب نفسه ص ٢٤٠.

(*) البقرة آية / ١٤٢.

(٣) انظر عن نشأتها فـي: Erinnerungen S. 182, Wien, 1809- 1818, 6 Bànde .183 f., 219

أنه في واقع الأمر لم يعتد به، فلم تنفذ روح فقه اللغة المقدس إلا في مقالتين: حين كشف شنورر (Schnurrer) في العدد الأول من ص ٤٣٨- ٤٤٨، في ترجمة ألمانية عن نص الخطاب الذي أجاب فيه السامريون سنة ١٨٠٨م عن استفسارات القنصل الفرنسي في حلب، وحين عقد الباحث اللغوي يوهان سفرين الأب (Johann Severin) (١٧٧١- ١٨٢٦م) على خبر عن الأسفار الخمسة ليهود بخاري (٤/ ١٠٩) أملاً لا أساس له، فمن الممكن أن يظهر فيها نص ما قبل ما سوري. وقد وضعت عن قصد مقدمة المجلد الثاني سنة ١٨١١ اللغات الثلاثة العربية والفارسية والتركية التي عني بها في فيينا، مقابل اللغات الثلاثة العربية والعبرية والكلدانية التي قد شجع المجلس الملي في فيينا دراستها قبل نصف قرن.

وتشكل بذلك للمرة الأولى في ألمانيا جهاز جعل دراسة اللغات الأساسية الثلاثة في العالم الإسلامي في الصدارة، وشجع بذلك بقوة الدراسات الإسلامية المستقبلية، وسمح هامر (Hammer) مقتنعاً بأن الأمر يتعلق هنا بمهمة أوربية، أن تكون بالفرنسية والإنجليزية والإيطالية والأسبانية واليونانية الحديث أيضاً إلى جانب الألمانية واللاتينية، واختار / مساعديه الخمسين من كل الأمم المثقفة في [١٦٠] أوربا، وشكلت أقوى مجموعة، الثلث تقريباً، من مستشرقي فيينا الذين كان كثير منهم مثل هامر طلاباً سابقين في أكاديمية الاستشراق، وعرفوا الشرق عن تجربة عملية من خلال عملهم مترجمين، وقد وجهوا اهتمامهم إلى جانب التركية إلى الشعر الفارسي غالباً.

فَقَدَّم على سبيل المثال الشاب فينتستز فون روز نشفايج – شفاناو (Vinzenz von Rosenzwig - Schwonnau) (١٧٩١- ١٨٦٥م) – رائداً – لطبعة كاملة في المستقبل مطلع قصة (يوسف وزليخة) لجامي مصحوباً بترجمة ألمانية في شعر مرسل وتعليقات مفسّرة (٢/ ٤٧، ٣١٣- ٣١٥، ٣/ ٢٩٠- ٣٠٩، ٤/ ١٧١- ١٧٨، ٥/ ٣٢٥- ٣٣٠)، واختار فالنتين هوسارد أيضاً

(Valentin Hussard) (١٧٨٧- ١٨٦٥م) الشعر المرسل لترجمة فصل مختار من مثنوي جلال الدين الرومي الذي ضم النص الأصلي أيضاً (٢/ ١٦١- ١٦٤، ٣/ ٣٣٥- ٣٤٧، ٤/ ٨٧- ٩٢، ٥/ ٩٩- ١٠١).

وقد انحدر عدد آخر من مساعديه من مقاطعات ألمانيا الأخرى وهم تارة علماء كهول، مثل عالم اللاهوت يوهان جوتفريد أيشهورن (١٧٥٢- ١٨٢٧) الذي بدأ أستاذاً للغات الشرقية (في يينا (Jena) من سنة ١٧٧٥- ١٧٨٨م) وعاد آنذاك بمقالتين عن إمارتي الحيرة والغساسنة (٢/ ٣٥٩- ٣٧٤، ٣/ ٢١- ٤٠، ٦/ ٢٢١- ٢٣٩) إلى دراسات شبابه، وتارة أخرى الجيل الأحدث أيضاً، مثل الواعظ الذي توفي صغيراً من دانتسج (Danzig) فر. ت. رينك (Fr. Th. Rink) (١٧٧٠- ١٨١١) الذي طرح السؤال الآتي: ماذا يُنتظر من نقد القرآن الكريم؟ (١/ ١٢٩- ١٤١) ووصف حياة البخاري اعتماداً على ابن خلكان في وفيات الأعيان (٢/ ٢٠١- ٢٠٥)، وعمل معه ألمانيان كانا قد تلقيا تعليمهما على يد دي ساسي وهما: فرايتاج (Freytag) (٦/ ٢٥٨- ٢٦٠) الذي أورد مسئلة ركيكة ومليئة بالأخطاء من مادة عن ياقوت في كتاب ابن خلكان (وفيات الأعيان)، وكوسيجارتن (Kosegarten) الذي قدم نماذج من قصيدة فارسية عن الأبطال بورزونامه، مع ترجمة في شعر مرسل (٥/ ٣٠٩- ٣٣٠). وعالم الفلك في أكاديمية بروسيا للعلوم لودفيج اديلر (Ludwig Ideler) الذي نشر سنة ١٨١٠م في أبحاثه عن أصل أسماء الكواكب ومعناها: Untersuchungen über den Ursprung und die Bedeutung der Sternnamen، الفصل المتعلق بذلك من كتاب «عجائب المخلوقات» للقزويني، وتُرجِم وشُرِح ببراعة. وأورد لهذا الكتاب القيم في مجلة (Fundgruben (II 239- 268) ملاحق وتصحيحات، وقدم في مقالة أخرى (٤/ ٢٩٩- ٣٠٨) عرضاً واضحاً / لحساب [١٦١]

الزمن عند المسلمين[1]، بينما فسر مستشار السفارة ج. ف. س. بايجل (G. . S. Beigel) من زاكسن المعرفة الروحية الإسلامية عن خبرة تبعا لموضع في تاريخ أبي الفداء. ونشر الحبْرُ الذي صار معروفاً في أوساط أخرى من خـلال علاقاتـه بجوته (Goethe)، هـ. فريـدر فـون ديـتس (Hch. Friedr von Diez)[2] (١٧٥١- ١٨١٧)، الذي كان قائماً بأعمال بروسيا لدى الباب العـالي، فـي (١/ ٢٤٩- ٢٧٤) النص التركي لقصيدة أويسي (Uwaisi) «تحذير إلى استانبول»[3] في صياغة مليئة بالأخطاء مع ترجمة نثرية ألمانية وشرح مقتضـب، وفـي (١/ ٣٩٧- ٣٩٩) قصيدة كمال باشزاده «ما الإنسان؟».

وقد زود هامر كلا الإسهامين بتعليقات المحرر التي وضعته فـي خصـومة طويلة غير مجدية مع ديتس[4]. وتقدم فرنسا من بـين البلـدان غيـر الناطقـة بالألمانية أغلب المعاونين: خلافاً لرجال فيينا الذين نظمـوا القصـائد الشـرقية بالألمانية وهو ما فعله هامر أيضاً عند ترجمته لسور مختـارة (٢/ ٥٢٥- ٤١، ٣٣٦- ٣٥٨، ٣/ ٢٣١- ٢٦١) أو على الأقل صاغوها في شعر مرسـل، فقـد اكتفى الفرنسيون بصياغة نثرية، وأعرضوا عن محاولة تقديم الشـكل الشـعري للأصل، فقد قدم دي ساسي هناك للمرة الأولى ترجمة للبندنامه «كتاب النصيحة»

---

(١) قدم ف. ك. جنتسل (F. K. Ginzel) طريقـة ادلـر فـي الحسـاب، باختصـار فـي:
Handuch der mathem. u. techn. Chronologie I, 1906, S. 260 f.

(2) FR. Babinger, Ein orientalischer Berater Goethes in Goethe Jahrbuch 34, 1913, 83- 100.

وأيضـا: Curt Balcke, Neues über Goethes rientalischen Berater in ZDMG. 84, 74- 77.

(٣) انظر حول هذه القصـيدة ومسـألة التـأليف: ا.ج. و. جـب E. J. W. Gibb ، فـي:
A History of Ottoman Poetry, III, 1904, 210- 218.

(4) V. Diez, Denkwürdigkeiten von Asien, Bd. II, 481- 1078,

ومستقل أيضا تحت عنـوان: Unfug und Betrug in der morgenländischen Literatur. Berlin, 1815.

لفريد الدين العطار (٢/ ١- ٢٤، ٢١١-٢٣٣، ٤٥٥- ٤٦٩) وترجمة قصيدة (ودّع هريرةَ) للأعشى (٥/ ١- ١٦)، وأسهم أيضاً (١/ ٣٢١- ٣٤٨)، ببحث مستفيض في الجغرافيا التاريخية لطبيعة غرجستان وجوزجان، وصدر عن قوطرمير (Quatremère) ثلاث مقالات مغرقة في العلمية عن علاء الدين جويني (١/ ٢٢٠- ٢٣٤) والإسماعيلية (٤/ ٣٣٩- ٣٧٦)، وفضل الله رشيد الدين (٥/ ٢٦٥- ٢٧٢)، ونشر جرانجريه دو لاجرنج (Grangeret de Langrange) نصاً وترجمةً قصيدة للصفدي (٣/ ٢٠٧- ٢١١) وقصيدة في الرثاء للمتنبي (٦/ ١٧٩- ١٨٥) والمقامة الرابعة والثلاثين من مقامات الحريري (٥/ ١٦٤- ١٧٤)، بعد أن كان آخرون / قد تقدموا بتحقيق المقامة [١٦٢] الثامنة والثانية عشرة والتاسعة والأربعين (١/ ٢٠- ٢٦، ٢/ ٥٢- ٥٧، ٤/٣٨٥- ٣٩٢).

وأخيراً عارض دي ساسي في المقالات (٣/ ١٧٩- ١٩٦، ٢٧٩- ٢٨١، ٤/ ١٨٣- ٢٠١) منافس عظيم هو ابل دي ريموسا Abel de Rémusat (١٧٨٨- ١٨٣٢م)، والدراسات الصينية أيضاً التي كان يمثلها أساساً يوليوس فون كلابروت (Julius von Klaproth) (١٧٨٣- ١٨٣٥م) الذي عمل في خدمة روسيا ١٠/ ٤٢٨، ٢/ ١٦٧- ١٩٥، ٣/ ٤١- ٤٦، ٥/ ٦٠- ٦٧، ٤٢١- ٤٢٣)، وكان إسهام بلدان أخرى نادراً للغاية، فقد نشر المترجم الفينسي في استانبول (٤/ ٣٨- ٦٧، ١٢٧- ١٥٣، ٢٥٣- ٢٧٧) ج. ب. نافوني (J. B. Navoni) روزنامه تركية دائمة[1]، وتحدث مؤرخ أسبانيا تحت حكم المغاربة يوسف انطونيو كوندي (Josef Antonio Conde) عن مقدمة ابن خلدون (٤/ ٤٤٢- ٤٤٤)، واجتهد السفير الروسي في نابولي أ. ج. ايطالينسكي (A. J. Italinski) (١٧٤٣- ١٨٢٧) الذي تَعَرَّف على هامر في استانبول، في فك

---

(١) أعادها جينتسل (Ginzel) في كتابه السابق ١/ ١٩٠٦، ص ٢٦٦- ٢٧١.

رموز شاهد ميمونة الملطي الذي دَرس كثيراً (١/ ٣٩٣- ٣٩٧)، وعرّف أسقف زيلاند (Dseeland) المولود في جوتا (Gotha)، فريدريش كريستيان مونتر (Friedr, Christian Munter)، ببعض ترجمات إيطالية من الهندوستانية (٢/ ٣١٩- ٣٣٥، ٣/ ٣٠٨- ٣١٧، ٥/ ٧١- ٨٠، ١٨٨- ١٩٧)، المقالات الوحيدة لمعرفة الهندوكية التي سخرها هامر لخدمة مجلة (Fundgruben)، وقد أولى هامر عناية خاصة لمراسلات من الشرق يتعرف القارئ من خلالها بسرعة وأمانة على الرحلات والاكتشافات الأحدث في الشرق، حيث كان أولريش يسبارزيتتسن Urich Jaspar Seetzen (١٧٦٧- ١٨١١) [1] الذي تعرف عليه هامر سنة ١٨٠٢م في استانبول، وعاش في القاهرة من ١٨٠٧- ١٨٠٩م، ومن هناك تنكر في زي مسلم وذهب في رحلة الحج، ولقى مصرعه في اليمن سنة ١٨١١م، وقد مس في رسائله إلى هامر أشياء شديدة التباين: رحلته إلى الفيوم، المخطوطات العربية التي جمعها للمكتبة الدوقية في جوتا، الآثار المصرية، الخيول العربية (١/ ١٥٨، ٢/ ٢٧٥- ٢٨٢) البربر (٣/ ٩٩)، وقدم نماذج من الألغاز العربية (١/٧٥)، وأرسل رسوماً من نقوش عربية جنوبية (٢/ ٢٨٢)، وسينائية (٢/ ٤٧٤)، وحكى عن رجال قابلوه، مثل المؤرخ المصري / الجبرتي [١٦٣] (١٧٥٤- ١٨٢٢م) والترجمان الفرنسي اسلي دو شرفل Asselin de Cherville [2] (١٧٧٢- ١٨٢٢م) الذي علل لهامر وجهة نظره التي كشف عنها زيتتسن (Seetzen) حول نشأة ألف ليلة وليلة المتأخرة، وأول من نبه إلى الموضع المشهور في كتاب المسعودي مروج الذهب (١/ ٥٤)، وهكذا تقدم

---

(١) أضيف موجز لحياته للمجلد الأول من طبعة كتابه التي عني بها ف. كروزه (Fr. Kruse) وهو: Reisen durch Syrien, Palastina, die Transjordan - länder, Arabia Petraea und Unterägypten, Berlin 1854.

(٢) انظر: Dehérain, Silvestre de Sacy, 94- 112. ويوجد في مجلة: Fundgruben ٣/ ٢٦٨- ٢٧٥، خطاب منه حول الترجمة التي حث عليها للكتاب المقدس إلى الأمهرية

المقتطفات الطويلة من رسائل زيتتسن (١/ ٤٣- ٧٩، ١١٢/ ١٢٧، ٢/ ٢٧٥- ٢٨٤، ٣/ ٩٩- ١٠٤) للقراء معرفة متشعبة وشيقة، وقدم ادوارد روبل (Eduard Ruppell) من فرانكفورت (١٧٩٤- ١٨٨٤) تقريراً عن رحلته البحثية إلى مصر والبتراء العربية، وأرسل نقولاً منسوخة من نقوش سيناء (٥/ ٤٢٧- ٤٣٣)، وتدين مجلة (Fundgruben) للقنصل العام الفرنسي جوزيف روسو (Joseph Rousseau)[1] (١٧٨٦- ١٨٣١م) بالفضل لتقاريره القيمة على سبيل المثال حول الوهابيين (١/ ١٩١- ١٩٨، ٢/ ١٥٥- ١٦٠) وحول تربية الخيل العربية (٣/ ٦٥- ٦٩)، تحدث في هذا الموضوع ريتسفسكي (Rezwusky) أيضاً ٥/ ٤٩- ٦٠، ٣٣٣- ٣٤٥) ووصف باشوية حلب أيضاً (٤/ ١- ٢٥، ٩٣- ٩٩). وأرسل القائم بأعمال جمعية الهند الشرقية في بغداد ضمن أشياء أخرى وصفاً لأطلال بابل (Babylon) (٣/ ١٢٩- ١٦٢، ١٩٧- ٢٠٠) وقائمة وصور للقطع المكتشفة (أيضاً في ٤/ ٨٩، لوحة «لخواتم وتمائم بابلية») باذلاً جهداً دون جدوى لقراءتها قبل مَنْ فك رموز الخط المسماري الفارسي القديم جروتهفند (Grotefend) المشهور بقليل (٤/ ٣٣١- ٣٣٨، ٦/ ١٤٣- ١٦٢).

وترجم ريتش (Rich) أيضاً صياغة عربية لحكاية أهل الكهف (النائمين السبعة) إلى الإنجليزية (٣/ ٣٤٧: ٣٨١)، وقدّم فهرساً موجزاً لثلاثمائة واثنين وتسعين مخطوطة عربية وفارسية وتركية كان قد جمعها (٣/ ٣٢٨- ٣٣٤، ٤/ ١١١- ١٢٦، ٤٥٥- ٤٥٨) وتحدث مراسلون آخرون عن الظواهر الجديدة في سوق الكتب الإنجليزي (١/ ٢٧٤- ٢٧٦) وبخاصة حول نشريات كلية فورت وليم في كلكتا (١/ ١٩٥، ٣/ ٢٧٧، ٤/ ١٧٨- ١٨١).

واعتمد هامر على هؤلاء المراسلين اعتماداً أكبر من أية رؤية تاريخية كانت غريبة عليه كليةً، لا تقر إلا للماضي بوصفه موضوعاً جديراً ببحث جاد، وتضم

---

(1) Dehérain, Silvestre de Sacy, 65- 92.

نظرته حياة الشرق الزاخرة والغنية مما قبل التاريخ حتى الحاضر الحيّ ولم يتردد في / أن يتيح لمعاصرين شرفيين الكتابة، فلم يقدم فقط نماذج من شاهنشاه نامه للصبا، شاعر قصر شاه الفرس الحاكم (٦/ ٣٤١- ٣٤٨، ٤١٧- ٤٢٠) بل قَبِل أيضاً قصائد المناسبات مثل رثاء السلطان سليم الثالث المخلوع سنة ١٨٠٧م أو قصيدة تودد عربية للصباغ في نابليون أو قوافٍ فارسية لناشر طبعة حافظ الشيرازي في كلكتا الذي عُرِف من خلال رحلته في أوربا؛ أبي طالب خان (٣/ ٤٠، قارن ٤/ ٤٥٩).

وقد عد الخطب التي ألقيت عند استقبال سفير إيراني في فيينا وبراءات الأوسمة ووثائق التعيين وقصائد المناسبات التي وصلت لهذا السبب إلى هامر، جديرةً بالنشر (٦/ ٢١٣- ٢٢٠، ٢٩٨) وقد أثار اهتمامه (خط شريف) حديث (١/ ٤٣٥- ٤٣٧) قدر اهتمامه بوثيقة سنة ٨٠٠/ ١٣٩٧م في خط الأويغوري (٦/ ٣٥٩- ٣٦٢).

وحين جمع الآيات القرآنية والصيغ والأسماء التي قابلته غالباً على حجارة منقوشة (٤/ ١٥٥- ١٦٤) فإنّ علة ذلك أنه كان في العالم الراقي آنذاك جمع تلك «التمائم» من الموضة، ولم يستقِ من كتاب فارسي عن الحجارة الكريمة يرجع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي إلا معلومات عن خصائص الأحجار الكريمة الخارجية الظاهرة ومواضع اكتشافها، وأهمل خلافاً لما سبق المعلومات عن ثمنها وسرد خصائصها الخيالية، لأن تلك تعني على أقصى تقدير إرضاءً – غير مجدٍ البتةَ – لفضولي شغوف بها»، غير أنها «لا تكفل للعلم الحق أية فائدة إطلاقاً، وفي عصرنا لا يمكن أن يسبب سيادة ما هو أسطوري وخيالي في العلوم الطبيعية كذلك إلا أضراراً» (٦/ ١١٢).

وكانت إسهامات هامر الخاصة برغم العدد الكبير من معاونيه غزيرة إلى حد أنها تساوي سدس المجلة بأكملها، وأسهم إلى جانب ذلك في مجالات أخرى مثل: دورية فيينا السنوية لكتب الأدب: **Wiener Jahrbücher der Literatur** التي

أسست سنة ١٨١٧م، وتآليف خاصة ثرية تربو في النهاية على مائة مجلـد(١).

وكما حدث غالباً في تلك الحالات لا يتطابق المضمون الـداخلي لهـذه الأعمـال حجمها الخارجي، فلم يكن هامر فقيهاً لغوياً، ولكنه كان ثاقب الفكر وخفيف الروح ولديه أفكار، وكان فوق كل هذا طموحاً ومجتهداً، غير أنه كان يعوزه بصفة عامة النظام المنهجي / والدقة والضبط، وقد كان يفتقر بصورة دقيقة إلى النقد. حـين [١٦٥] أتم المعجم الفارسي الذي استقاه ريتشارد سن (Richardson) (٢) بصورة خاطئة إلى حد ما من معجم منينسكي (Meninsky) الكنـز: Thesaurus(٣)، بإسـقاط الكلمات التركية من أجل موظفي شركة الهند الشرقية، ولاحظ بالإضافة إلى ذلـك أنه «لا مفر تقريباً لمن يريد أن يتعرف على لغة في ثرائها الكامل» أن يقرأ فـي معاجمها، فإن هذا يبين الثقة الساذجة التي عامل بهـا بـلا تمحـيص وسـائله المشكوك فيها، بيد أن افتقاره إلى إعداد فيلولوجي لم يتمكن مـن إبقائـه خافيـاً بمضي الوقت، وحين نشر سنة ١٨٣٥م كتـاب الزمخشـري (أطـواق الـذهب) بالعربية والألمانية(٤)، كشف فلايشر في طبعته المضادة التالية في العام ذاتـه(٥)،

---

(١) يوجد فهرس في آخر كتابه: Erinnerungen s. 570- 575.

(٢) يعتمد جونسون ()Johnson كما وصف هامر في: Erinnerungen S. 218 بوضوح على خطأ الذاكرة، ظهـر معجـم ريتشـارد سـن (Richardson): A Dictionary Persian Arabic and English، في: Oxford 1777- 1780. ، وظهـرت طبعـة جديدة عني بها ت. ويلكنز (Ch. Wilkins) في: لندن ١٨٠٦- ١٨١٠م.

وظهرت الطبعة التي اشترك فيها فرانسس جونسون (Francis Johnson) إلى جانـب ويلكنز، سنة ١٨٢٩م، بينما استندت معلومات في يوميات كتبت بعد سـنة ١٨٤١م إلـى أحداث سنة ١٨١٤م.

(٣) انظر: P. De Lagarde, Persiche Studien, Göttingen 1884, S. 10.

(4) Samachchari' s Goldene Halsbänder. Als Neujahrsgeschenk arabisch und deutsch von Josef von Hammer. Wien 1835.

(5) Samachschari' s Goldene Halsbänder nach dem zuvor berichtigten Texte der V.Hammerschen Ausgabe von neuem Übersetzt undmit kritischen und exegetischen Anmerkungen begleitet von Hch. Lebr.

بلا هوادة عن القصور الكامل في عمل هامر.

وتتهافت اليوم ترجماته من العربية وكتابه تاريخ الأدب العربي في سبعة مجلدات، ومحاضراته في فقه اللغة الفارسيِة، ولم تثبت قدرة على البقاء مدة أطول إلا أعماله الراسخة بصورة أفضل نسبياً في مجال تاريخ ودستور الدولة العثمانيين، ويظل برغم ذلك اعتبار أهمية هامر في أن الدراسات العربية في القرن التاسع عشر الميلادي قد أحرزت من خلال أعماله تقدماً، لا يُمس نهائياً، ويُعزا إليه الفضل في أنه بشّر بلا كلل وبصورة فعالة في ألمانيا في وقتٍ أوشكت أن تقع الدراسات العربية في مأزق، بصورة جديدة للشرق، فقد ذكر جوته (Geothe) مقرظاً في مذكراته ورسائله في الديوان الشرقي للمؤلف الغربي أعمال هامر /وصرّح بأن ترجمته لشعر حافظ هي التي دفعته إلى أن «ينشئ [١٦٦] علاقة بينه» وبين الشاعر الفارسي من خلال إنتاجه المتميز، أما روكرت (Ruckert) فقد كان هامر هاديه إلى اللغة الفارسية، وأي حظ عظيم يمكن أن يتاح لرجل أثّر في معاصريه بتلك الطريقة المثمرة؟ ويجب أن تمنحه إلهة فقه اللغة التي تعد بميزانها السليم أعمال هامر كلٌ على حده بسيطة للغاية، مرتبة عليا احتلها في تاريخ الفكر الألماني.

٣٠- جيورج فيلهلم فرايتاج

دُعي جيورج فيلهلم فرايتاج (George Wilhelm Freytag) (١٧٨٨-١٨٦١م) الذي قابلنا فيما سبق ضمن تلاميذ دي ساسي، سنة ١٨١٩م، إلى جامعة بون التي افتتحت قبل ذلك بعام أستاذاً للغات الشرقية، ومارس نشاطاً تدريساً كبيراً، أفاد منه فقه اللغة العربية في المقام الأول، فقد أوصل لتلاميذه معرفة راسخة في النحو، وعني بصورة واقعية وعملية بحاجات التدريس، وليس معجمه العربي – اللاتيني: Lexicon Arabico – Latinum (هاله ١٨٣٠-

---

Fleischer, Leipzig1835.

١٨٣٧م، في أربعة مجلدات، والمنتخب منه في مجلد واحد سنة ١٨٣٧م) إلا عملاً مزيداً ومنقحاً إلى حد ما لمعجم جوليوس (Golius)، وجب أن يحل الأول محله، وقد صمد برغم عيوبه إلى يومنا هذا، لأنه لم يقدم أي مؤلَّف آخر الثروة اللغوية العربية بنفس القدر مع ترجمة لاتينية. وقد وفرت نشرته لحماسة أبي تمام بشرح التبريزي المرفقة بترجمة لاتينية (مجلدان من ١٨٢٧- ١٨٤٧م) مع فهارسها وهوامشها الأخرى، المدخل الأول للشعر العربي لكثير من طلاب الدراسات العربية، حتى ظهور كتاب نولدكه (Nöldeke): منتخبات من الشعر العربي القديم delectus veterum carminum arabicorum ، ويضم كتاب فرايتاج أيضاً «الأمثال العربية»: Arabum Proverbia (بون ١٨٣٨ إلى ١٨٤٣م في ثلاثة مجلدات) بخلاف النص وترجمة مجموعة أمثال الميداني قيمة علمية كبيرة إلى حد أنه ما يزال يستخدم حتى الآن (برغم النص الأفضل في طبعة بولاق سنة ١٢٨٤ هـ). وقد تابع عن عمدٍ في كتابه: «عرض لفن الشعر العربي» Darstellung der arabischen Verskunst نظرية العروضيين العرب، ومن لا يرغب في استخدام المؤلفات العربية يجد هناك العرض الكامل لنظامهم الذي قُدِّم بلغة أوربية.

٣١- هاينريش ايفالد

/ كان هاينريش ايفالد (Heirich Ewald) (١٨٠٣: ١٨٧٥م) ذو النزعة [١٦٧] المخالفة تماماً لفرايتاج، واحداً من أعلام جوتنجن السبعة، كان عالم لاهوت، وكرَّس عمله للعهد القديم في المقام الأول وبخاصة أنبياء إسرائيل وتاريخهم وعارضت أعماله الأولى لتفسير العهد الجديد مدرسة توبنجن معارضة شديدة، وقد كانت لديه اهتمامات بوصفه باحثاً لغوياً تتخطى إلى حد بعيد اللغات السامية، فلم تكن الفارسية والأرمينية والتركية والقبطية والسنسكريتية وحتى السيامية غريبة عليه، وبذل جهداً متأثراً بهمبولت (W. V. Humboldt) وبوب (Bopp)

لشرح صيغ اللغة بمساعدة قوانين عامة من خلال منهج تركيبي - تأملي شرحاً عقلياً، وقدّم في طرافة وفطنة ودراية من خلال مقارنة تعبيرات ذات قرابة بصورة قوية في فقه اللغات السامية، وكان كتابه «دراسة نحوية للغة العربية»: Grammatica critica linguae Arabicae (ليبزج ١٨٣١- ١٨٣٣م، في مجلدين)، محاولة جادة لوضع تفسير عقلي جديد لصيغ اللغة محل نظام النحاة العرب، وقد برهن في أعماله حول العروض العربي (أولاً في: De metris carminum Arabicorum libri duo) ، براون شفايج ١٨٢٥م ثم في ملحق كتابه في النحو المذكور آنفاً، المجلد الثاني ص ٣٢٣- ٣٤٣) على خاصيته الكمية، وخرج بذلك بصورة قاطعة على مسار نظام (عرضه من جديد فرايتاج) النحاة العرب، وقد دفع ايفالد الدراسات العربية أيضاً من خلال آرائه المتأرجحة بين الصحة والمبالغة على نحو ذاتي - انطباعي غالباً ومفعم بالخيال بوضوح دفعات قوية، ويؤكد أهميته أن نولدكه وفلهاوزن أقرا مراراً أنهما تلميذاه.

٣٢- فريدريش روكرت

ولما كان ايفالد قد أدخل الفلسفة اللغوية التأملية في الدراسات العربية، فإن روح الرومانسية قد أثرت فيها تأثيراً تاماً على يد فريدريش روكرت (Friedrich Rückert) (١٧٨٨- ١٨٦٦م). فقد حصل على الأستاذية بعد انتهائه من دراسات أعدها سنة ١٨١١م في يينا (Jena) في فقه اللغة الكلاسيكي ثم عاش بضع سنوات كاتباً حراً قبل أن يَطَّلِع سنة ١٨١٨م في أثناء رحلة العودة من إيطاليا على يد هامر - بورجشتال في فيينا / على اللغة والشعر الفارسيين، [١٦٨] وصار بناءً على توصية هامر - بورجشتال سنة ١٨٢٦م أستاذاً للغات الشرقية في ارلانجن، ودعى سنة ١٨٤٠م إلى جامعة برلين، وعاش منذ ١٨٤٨م على أملاكه قرب كوبورج (Coburg).

وقد انصب اشتغاله بآداب الشرق المختلفة كلية على فنه الشعري الذي أدرك

حقيقته بغريزة سليمة للشاعر الرومانسي الأصيل(*) إدراكاً حدسياً، وتمكن باقتدار لغوي لا نظير له أن ينقل شعرها إلى أشعار ألمانية.

فترجمته للحماسة التي نشرها فرايتاج (Freytag) وبخاصة ترجمته لمقامات الحريري ترجمة ألمانية فنية تتبع الأدب الألماني (لأنه صنع منهما تحفتين أدبيتين باللغة الألمانية الشعرية الرفيعة).

٣٣- ادوارد وليم لين

استمر ربط علم اللاهوت بدراسة اللغات الشرقية في انجلترا مدة أطول من غيرها في بلاد أخرى في قارة أوربا، إذ لم تلق العربية حتى منتصف القرن

(*) ترجم مقامات الحريري تحت عنوان: أطوار أبي زيد Die Verwand lungen des Abu Seid ، وقد ظهرت في مجلدين (اشتوتجارت ١٨٢٦) والترجمة مصوغة في الألمانية على قالب الأصل العربي تماماً: من حيث السجع والتلاعب اللفظي والمحسنات البديعية بمختلف أنواعها، والألغاز اللغوية، إلى آخر كل ألاعيب الصنعة الأدبية عند الحريري .. وتعد هذه الترجمة من معجزات الصيغة الأدبية في تاريخ الآداب الأوربية كلها. وترجم أيضًا:

- امرؤ القيس الشاعر والملك Amrilkais, der Dichter und König.
- الحماسة أو أقدم القصائد الشعبية العربية في مجلدين، اشتوتجارت ١٨٢٦م.
- ترجمة سور وآيات مختارة من القرآن، نشره ا. ملر، فرانكفورت ١٨٨٨م.
- رستم وسهراب، قصة بطولة (ارلانجن ١٨٣٨م).

وترجم من آداب الهند والشرق معاً: القصة الهندية: نال ودماجنتي، وقصص براهيمية، وحكمة البراهمة، وسبعة كتب في الأساطير والحكايات الشرقية، ومواعظ وتأملات من بلاد الشرق، وحياة يسوع، توافق الأناجيل في قول مترابط وشكونتالا للشاعر الهندي كاليداسا، وترجم من الأدب الفارسي: بوستان لسعدي الشيرازي، وشاهنامه الفردوسي، وقصائد سعدي الشيرازي السياسية، وألف عدة مسرحيات منها: شاؤول وداود، وهيرودس الكبير، والامبراطور هاينريش الرابع، وكرستوفر كولمبوس.

انظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين من ص ٢٩٥، ٢٩٦.

التاسع عشر أية عناية تستحق الذكر في اكسفورد ولا في كمبـردج. ولـم يعـن الصندوق الشرقي للترجمة Oriental Translation Fund الذي أسس سـنة ١٨٢٨م بطبع ترجمات الأعمال الشرقية فحسب، بل بطبع نصوص مثل طبعة دي ساسي لكتاب ابن مالك مع ترجمة فرنسية سنة ١٨٣٣م، وطبعة فلوجـل لكتـاب حاجي خليفة في سبعة مجلدات ضخمة ١٨٣٥- ١٨٥٨، والجزء الأول من ديوان الهذليين الذي نشره كوسيجارتن سنة ١٨٥٤م.

بيد أن أهم إنجاز في دراسات الاستشراق الإنجليزية يُعزا الفضل فيه إلى عالم قام بدراساته بعيداً عن الجامعة، هو ادوارد ولـيم لـين (Edward William Lane) (١٨٠١- ١٨٧٦م)[١]. فقد سافر إلى مصر في خريـف ١٨٢٥م وهـو معتل الصحة، ورحل إلى أعالي النيل حتى الشلال الثاني، وجعل بينه وبين الأرض والناس ألفة إلى حد أنه استطاع أن يقدم بعد توقفه في القـاهرة للمـرة الثانيـة (١٨٣٣- ١٨٣٥م) عرضاً رائعاً لعاداتها وتقاليدها[٢] ثم تلته من سـنة ١٨٣٨ ١٨٤٠م ترجمته لألف ليلة وليلة / (وفق طبعة بولاق الأولى سنة ١٨٣٥م مـع مقارنة بطبعة برسلاو (Breslau)) مع تعليقات مستفيضة وقيمة تقدم صـور مكتملة للمجتمع الإسلامي في عصر المماليك، إلى حد أنها نشرت مستقلة تحـت عنوان: المجتمع العربي في العصور الوسطى سنة ١٨٨٣م: Arabiab Society in the Middle Ages ، وشكل مشروع المعجم الخاتمة، إذ لم تغب عـن لـين (Lane) العيوب الظاهرة في معجم فرايتاج الذي أتمـه سـنة ١٨٣٨م ومؤلـف

---

(١) قدم حفيده الأكبر ستانلي لين – بول Stanley Lane Poole سيرته الذاتية في المجلـد السادس من معجمه.

(2) An Account of the Manners and Customs of theModern Egyptians, London, 1836.

ظهرت طبعات أخرى سنة ١٨٣٧ و١٨٤٢ و١٨٦٠ (بعناية حفيده ادوارد سـتانلي بـول (Edward Stanley Poole) سنة ١٨٧١. وعُني ي. تسنكر (J. Zenker) بترجمـة ألمانية. ليبزج ١٨٥٢م.

جوليوس القديم؛ فكلاهما كان قاصراً عن تقديم معنى الكلمة ومعلومات عن المصادر بدقة أحياناً، وغالباً ما ضلّل مستعملهما تبعاً لعدم درايتهما بالطبيعة الشرقية، ومن ثم قرر لين أن يهيئ للغرب أفضل إنجازات علم المعاجم العربية مع معلومة دقيقة عن المصدر في تأليف انجليزي، واختار بالإضافة ذلك تاج العروس لمحمد مرتضى الزبيدي[1]، واستخدم للتدقيق والإكمال من «الصحاح» صحاح العربية للجوهري وترجمته الفارسية و«القاموس المحيط» وترجمته التركية والمعجم العربي الفارسي «كنز اللغة» لابن معروف و«تعريفات» الجرجاني و«كليات أبي البقاء» و«مقدمة الأدب» للزمخشري وسلسلة من الأعمال النحوية والفيلولوجية أيضاً، وعمل في هذا المشروع الضخم أولاً من سنة ١٨٤٢ إلى ١٨٤٩م في القاهرة ثم في انجلترا، غير أنه استهان بضخامة تلك المهمة وصعوبتها، وحاول التيسير على نفسه، بأن يفرق بين الكلمات المستعملة (أي المعروفة بوجه عام في أوساط العلماء في القاهرة) والكلمات النادرة بصورة عشوائية إلى حد ما، ويحيل هذا إلى ملحق (لم يكتمل)، غير أن الاشتغال بالكلمات «المستعملة» تجاوز قدرة فرد، ومات لين قبل أن يتم حرف (ق). وهكذا بقي عمله غير تام، بيد أنه برغم أنه لم يكتمل، وأنه لم يتجاوز جوليوس وفرايتاج من الناحية المنهجية، حيث إنه أحجم أساساً عن أن يدنو من الاستعمال اللغوي الفعلي في المصادر التي وصلت إليها، / ومع ذلك فإنه قد تفوق على سابقيه إلى حد بعيد [١٧٠] بالدقة الفائقة التي ترجمت بها معاني كل كلمة على حده وفق معلومات علماء اللغة العرب، ويكفي هذا العمل وحده ليكفل للين (Lane) شهرة عالم كبير في العربية.

---

(١) عني إبراهيم دسوقي بنسخ مخطوطات هذا العمل المحفوظة في مكتبات مساجد القاهرة له، الذي أعانه بوصفه مساعداً له في عمله بمعارفه الواسعة (انظر جولد تسهير EI. I. 966). يوجد لدى علي مبارك: الخطط الجديدة ١١/ ١٠- ١٤ تصوير جدير بالقراءة قدمه دسوقي عن لين وعملهما المشترك.

٣٤- هاينريش لبرشت فلايشر

فازت ليبزج بقيادة الدراسات العربية مع نشاط هاينريش لبرشت فلايشر (Heinrich Leberecht Fleischer) (١٨٠١- ١٨٨٨) [١] أستاذاً للغات الشرقية منذ ١٨٣٥م (في أول الأمر في كلية اللاهوت ثم منذ سنة ١٨٤٠ في كلية الفلسفة). دَرَّس فلايشر في بادئ الأمر علم اللاهوت، غير أنه عُنِيَ من سنة ١٨٢٤- ١٨٢٨م في باريس بالعربية والفارسية والتركية، ولقى هناك من دي ساسي حوافز شديدة لبحثه وتعلمه، وعزف فلايشر وحده كما فعل دي ساسي عن التصورات التأملية والنظريات، ولم يحد عن حقائق الاستعمال اللغوي الإيجابي الذي لا يمكن إدراكه إلا عقلياً، وهي الحقائق التي أنعم النظر فيها بعمق ووصفها بدقة، وقد وجد بوصفه عقلانياً وعازفاً عن كل ما هو خيالي، في العقل الإنساني أعلى معيار في شرح تحليل النص الشرقي، وبرغم أنه كانت لديه معارف موضوعية متغلغلة في الحقائق أيضاً، فإنه قد أكد عن عمد على الجانب الشكلي من فقه اللغة وعالج بشغف مشكلات متفرقة في النحو والثروة اللغوية والاستعمال اللغوي.

وتطابق ميله إلى التحليل الذي كشف عنه في أول ما نشر بملحوظات نقدية حول المجلد الأول لطبعة ألف ليلة وليلة لهبيشت (Habicht)، وملحوظات حول طبعة ترومب (Trumpp) للآجرومية: Bemerkungen zu Trumpps Ausgabe der Ağurrūmīya وحول العربية في كتاب ثناء جايجر: zum Arbischen in Geigers Preisschrift وحول: Wiederherstellung der Verse in Abu l – Mahāsins Jahrbüchern، «إعادة (ترتيب) الأبيات في حوليات أبي المحاسن» والعمل التاريخي الضخم: – Maqqaris

---

(١) انظر جولد تسيهر (Goldziher) في: ADB 48, 584- 593. وأوغست فيشر (Aug. Fischer) في: sächsische Lebensbleder Bd. I, Dresden, 1930, 39- 61.

«تصويبات للنص في كتاب المقريزي» Textverbesserungen in al، وفضلاً عن ذلك فقد عاون زملاءه في التخصص بمعارفه الممتازة في تجرد كبير، وكتب حول طبعات كثيرة، مثـل: كتـاب أمـري (Amari): Bibliotheca Arabo - Sicula (١٨٥٧- ١٨٨٧م) وعملي فوستنفلد (Wüstenfeld): قطـب الـدين (١٨٥٧م) وياقوت (١٨٦٦: ١٨٧٣م) وطبعـة فلوجـل (Flügel) للفهرسـت (١٨٧١- ١٨٧٢م)، وطبعـة رايـت (Wright) للكامـل، وطبعـة تـورنبرج (Tornberg) لكتاب ابن الأثير (١٨٥١- ١٨٧٦م) إلى آخره، ملحوظات نقديـة صُححت فيها قراءات المخطوطات وصَوَّبَت سهو الناشرين أيضاً، بيد أنه قد تناول بصفة خاصة فـي محاضـراته فـي علـم اللغـة العربيـة: Beiträgen zur arabischen Sprackunde[1] كتـاب دي ساسـي: النحـو العربـي (Granmmaire arabe) (١٨٣١م) بتمحيص نقدي عميق، وأورد في كتابـه حول معجم دوزي: ملحـق أو تكملـة المعـاجم العربيـة: Supplèment aux dictionnaires arabes تصويبات غزيرة واستدراكات على مؤلِّفه[2].

وضمت كل هذه الأعمال كماً من الملحوظات السديدة حول النحو والاستعمال اللغوي والثروة اللغوية، وإن كان شكلها الخارجي صـعّب مـن الاعتـراف مـن غزارتها، إذ إن فلايشر كان يفتقر إلى نهج «التركيب». وبرغم أنه كان يرى مـع دي ساسي في أعمال النحاة العرب أساس فقه اللغة العربية فقد تفهـم صـعوبة نظرياتهم النحوية بنظرات لغوية حديثة، وأقر بلا تحفظ أفضال ايفالد في بناء علم نحو عربي[3]. بيد أنه هو نفسه ظل بعيداً عن إنجازات علم اللغة العام ولا سـيما علم اللغة الهندوجرماني كما تشهد بوضوح بصفة خاصة محاولاته على أسـاس اشتقاقي في محاضراته في الكلدانية والعبرية الحديثة والمعجم الكلداني ليـاكوب

---

(١) جمعت في: Kleineren Schriften Band I, 1885. (٨٤٤ صفحة).

(2) Ebd. Band 2, 470- 781 und Band 3, I – 102.

(3) Ebd. Band I, I.

ليفي (Jacob Levy)، ويمكن أن يوضح ذلك أنه لم يكتب عرضاً شاملاً في النحو العربي مع أنه كان بلا خلاف عالم العربية الأكبر في عصره. كما أنه لم يكن على يقين من تقنية النشر عند فقهاء اللغة الكلاسيكيين، فطبعته لتفسير البيضاوي (من ١٨٤٦: ١٨٤٩) نموذج للدقة، ودليل دامغ على إلمامه باللغة العربية والتفسير الإسلامي أيضاً، ولكنه يفتقر إلى الجهاز النقدي، (الهوامش والتعليقات والحواشي والفهارس)، ولا يضم أية معلومات عن المخطوطات المستخدمة (في التحقيق) والأسس التي اتبعها عند تركيب النص.

لقد أثر فلايشر بوصفه معلماً أكاديمياً تأثيراً لم يوفق إليه إلا قلة من المستشرقين، فقد جذب اسمه عدداً كبيراً من المستمعين إلهي من داخل البلاد وخارجها. وحين دَرَسَ على يده جولد تسيهر (Goldziher) وفيكتور روزن (Victor Kosen) توزع عشرات من المستمعين إليه على ست أمم مختلفة، ويعد من تلاميذه على سبيل المثال / الدنمراكي ا. ف. ف. ميرن (A.W. F. [١٧٢] Mehren) والنوريجي ي. ب. بروخ (J. P. Broch) والتشيكي جروميير كوشوت (Jarömir Kašut) (١٨٥٤- ١٨٨٠). أما عدد تلاميذه الألمان فلا حصر له تقريباً، ويعد منهم ي. بارت (J. Barth) وك. ب. كاسباري (K. P.Caspari) وفر. ديتريصي (Fr. Dieterici) وفيناند فل (Winand Fell)، ومارتن هارتمان (Martin Hartmann)، وا. هوبر (A. Huber) وج. يان (G. Jahn) ولودولف كريل (Ludof Krehl) (١٨٢٥- ١٩٠١م) وأ. لوت (O. Loth) وأ. مولر (A. Mùller) وف. بريتوريوس F. Praetorius، وادوارد زاخاو (Ed. Sachau)، وفر. ف. شفارتسلوزه (Fr. W. Schwarzlose) وا. سوسين (A. Socin) وف. شبيتا (W. Spitta) وهـ. توربكه (H. Thorbecke) وي. ج. فتشتاين (J. G. Wetstein) وم. فولف (M. Wolff). وكان من تلاميذه أيضاً جيورج روزن (George Rosen) (١٨٢٠- ١٨٦٩م) وهرمان اته (Hermann Ethè) (١٨٤٤- ١٩١٧م)،

وكارل هاينريش جراف (Karl Heinrich Graf) (١٨١٥- ١٨٦٩م) الذين لهم فضل على الأدب الفارسي الحديث، ثم عالم التركية فريدريش بيرنوزر (Friedrich Behranauer) (١٨٢٧- ١٨٩٠م) وعلماء الآشورية، فريدريش دليتسش (Friedrich Delitzsch) (١٨٥٠- ١٩٢٢) وفريتس هومل (Fritz Hommel) (١٨٥٤- ١٨٣٦م)، وعلماء التاريخ ادوارد ماير (Eduard Meyer)، (١٨٥٥- ١٩٣٠م) وجوستاف هيرتسبرج (Gustav Hertzberg). وأخيراً لم يكن ضئيلاً أيضاً عدد علماء اللاهوت الذين حضروا محاضرات فلايشر، ويعد منهم على سبيل المثال زوج ابنته ف. مولاو (F. Mühlau)، وف. ف. باوديسين (W. V. Baudissin) (١٨٤٧- ١٩٢٦م) وفرانتس دليتش (Franz Delitzsch) (١٨١٣- ١٨٩٠م) واميل كاوتسش (Emil Kautzsch) (١٨٤١- ١٩١٠م) والفريد رالفز (Alfred Rahlfs) وبرنارد شتاده (Bernhard Stade) (١٨٤٨- ١٨١٦م) أيضاً.

وارتكز أخيراً تأثير فلايشر كمعلم على سحر شخصيته العظيمة وأدبه الجدير بالحب الجم ومواساته الحنونة التي أولاها لتلاميذه، ولا تكتمل صورة فلايشر إذا ما أُغفِل نشاطه عضواً بالجمعية الشرقية الألمانية، فقد وضعت فكرة اتحاد للمستشرقين الألمان وفق نموذج الجمعية الأسيوية (Société Asiatique) في باريس والجمعية الآسيوية الملكية (Royal Asiatic Society) في لندن، موضع التنفيذ باشتراك فلايشر الحاسم في خريف ١٨٤٥م، فقد وجدت قدرته على التنظيم فيها ميدان نشاط خصب، وكان تأثيره بوجه خاص على نشريات الجمعية يذكر منها إلى جانب المجلة ومقالات في علم الشرق، ومؤلفات طبعت على نفقتها؛ منها كثير في مجال الدراسات العربية، على سبيل المثال، كتاب أماري (Amari) Bibliotheca Arabo - Sicula، وكتاب فوستنفلد Wüstenfeld تواريخ مدينة مكة (Chroniken der Stadt Mekka) ومعجم ياقوت، وطبعة و. رايت (W. Wright) للكامل، وج. يان (G. Jahn) لشرح المفصل لابن يعيش... إلى

اخره.

ويتوارى خلف صورة فلايشر علماء العربية الألمان الآخــرين فــي القــرن التاسع عشر الميلادي تواريًا تاما باستثناء المحقــق المجتهــد الجــدير بالــذكر فوستنفلد.

أما أفضال / تلميذه العبقري اميل روديجــر (Emil Rödiger) (١٨٠١ - [١٧٣] ١٨٧٤)[1] الذي درس اللغات الشرقية، منذ سنة ١٨٢٨م في هاله ومنذ ١٨٦٠م في برلين، في مجال فقه اللغة العبرية، وعنى فريــدريش ارنولــد (Friedrich Arnold) (ت. ١٨٦٩) الذي عمل إلى جانبه في هاله واشتغل أساسًا في المعاهد الفرنكية لتدريس اللاتينية، بطبعة كثيرة الاستعمال للمعلقــات الســبعة (١٨٥٠م) ومختارات (١٨٥٣). وقدم تيودور هاربروكر (Theodor Haarbrücker) (ت. ١٨٨٠م) الذي خرج من هاله وعمل فيما بعد مدرساً، ترجمة بها عيوب إلى حــد ما، ولكن لم تحل محلها أخرى بعد لكتاب الشهرستاني (الملل والنحــل) (١٨٥٠-١٨٥١).

وحقق فريدريش ديتريصــي (Friedrich Dieterici) (١٨٢١- ١٩٠٣م)، تلميذ روديجر، وآخرون ديوان المتنبي بشرح الواحدي ١٨٥٨- ١٨٦١م، وألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل، بالعربية (١٨٥١م) والألمانية (١٨٥٢م) وما يســمى بلاهوتيات أرسطو مع ترجمة Theologie des Aristoteles (١٨٨٣) ورسائل إخــوان الصــفاء (فــي البصــرة) (١٨٨٣- ١٨٨٦م)، والرســائل الفلســفية للفــارابي Philosophische Abhandlungen ١٨٩٠- ١٨٩٢، والمدينــة الفاضلة Musterstaat (١٨٩٥م)، وحاول أن يعرض أيضاً في ثمانية مجلــدات (١٨٦١- ١٨٧٩م) فلسفة العرب في القرن العاشر الميلادي من خــلال رســائل إخوان الصفاء: Die Philosophie der Araber im 1o. Jh. N. Chr. Aus

---

(1) ADB. 29, 26 – 30.

den Schriften der Lauteren Bruder وحدد مسار تطورها، حيث عد مرحلتها الأولى التي مثلها إخوان الصفاء في حقيقة الأمر أفلاطونية حديثة، وألحقت المرحلة المتأخرة بالأرسطاطاليسية.

ويوهانس جلديما يستر (Johannes Gildemeister) (١٨١٢-١٨٩٠م)[1] تلميذ فرايتاج وخليفته في بون، كان واحداً من أواخر من دَرَّسُوا السنسكريتية واللغات السامية وأثبت خبرته في المجالين في دراسته: Scriptorum Arabum de rebus In_ricis loci I (einz). 1838. وكان ماكسيمليان انجر أيضاً (Maximillian Enger) (المتوفى ١٨٢٣م) تلميذ فرايتاج، وقد صنع من كتاب الأحكام السلطانية للماوردي طبعة غير كافية.

وفي ميونخ مثّل ماركوس يوسف مولر (Marcus Joseph Müller) (١٨٠٩- ١٨٧٤م)[2] اللغات الشرقية، ويُعزا له ولآخرين الفضل في فهرس المخطوطات العربية في ميونخ.

٣٥- بدايات الحركة التاريخية في الدراسات العربية

/ لم يحظ أي تيار من بين التيارات الفكرية القرن التاسع عشر الميلادي [١٧٤] بتأثير عظيم على الدراسات العربية مثلما حظى تيار الحركة التاريخية، بيد أن هذا قد استغرق مدة طويلة إلى أن استطاع أن يتغلب على الاتجاهات الأخرى، فقد كانت صورةُ الشرق في عصر الرومانسية المثيرةُ إلى حد كبير للخيال والمخاطبةُ للقلب والوجدان هي التي عاقت منهج بحث، يسعى إلى أن يحدّد بدقة الأحداث التاريخية من خلال نقد دقيق للمصادر وفق حقيقتها المتفردة، ويسبرها على نحو متتابع بوصفها عناصر في سلسلة التطور، وكان رائد هذا الاتجاه ابراهام جايجر (Abraham Geiger) (١٨١٠- ١٨٧٤م). فقد نشأ في أحضان اليهودية

(1) Aug. Müller, Zentralblatt f. Bibliothekswesen I, 1890, 503- 509.
(2) ADB 22, 651; v. Schack, Ein halbes Jahrhundert I, 398 ff.

التقليدية، وتلقى تعليماً تلمودياً قبل أن يدرس في هايدلبرج وبون، حيث عَرَّفَه فرايتاج بالعربية، وهكذا فإنه قد شهد تحرر اليهودية الألمانية، وجنى من خلال رؤية مباشرة لعملية التحول الجذرية تفهماً جديداً لكُنْهِ الأحداث التاريخية، وشكّل بوصفه رائد حركة الإصلاح في اليهودية الألمانية من خلال معرفة العلاقات التاريخية علم لاهوت يهودي حدد له مهمة أن يعرض فكرة اليهودية التي كشف عنها هو في الأصل وأن يوضحها، وقد قدم في مؤلفه الأساسي: **Urschrift und Übersetzungen der Bibel in ihrer Abhängigkeit von der inneren Entwicklung des Judentums (1857)** «النص الأصلي وترجمات الكتاب المقدس في علاقته بالتطور الداخلي لليهودية». ط. ثانية مع مقدمة لباول كاله (**Paul Kahle**) فرانكفورت (**Frankfurt a. M. 1928**) عرضاً غنياً بوجهات نظر جديدة لتاريخ نص الكتاب المقدس في ثمانية قرون حتى نهاية التلمود. واكتسب أيضاً في هذا المقام بعمله المشهور الذي فاز بجائزة المكانة التي وصل إليها، فقد كان سببه مسابقة وضعتها كلية الفلسفة في بون حول المصادر اليهودية للقرآن[1] وظهر في تأليف ألماني سنة ١٨٣٣م تحت عنوان: **Was hat Muhammed aus dem Judentum aufgenommen.** ماذا استقى محمد من اليهودية؟!(*).

فقد عالج جايجر الخبير بالتراث اليهودي المؤهل فيلولوجياً معالجة نقدية ثاقبة في النص الأصلي لهذا المقال كل شيء ورد في القرآن يرجع وفق رأيه إلى اليهودية: الألفاظ الدخيلة، وتصورات العقيدة، والأحكام الدينية بل وبوجه خاص ما يسمى بقصص الكتاب المقدس.

---

(١) ظهرت طبعة ثانية بلا تغير سنة ١٩٠٢ في ليبزج.

(*) لاشك في أن هذا يندرج ضمن اتجاه قديم، ويحاول بعض الباحثين أن يجدده باستمرار، وهو مخالف تمامًا لعقيدة المسلمين، إذ إن الإسلام دين إلهي موحى إلى رسوله محمد ﷺ وليس من عنده حتى يؤلفه من اليهودية أو المسيحية أو أية ملة أو نحلة أخرى.

كتابه: مدخل تاريخي نقـدي إلـى القـرآن الكـريم Historisch Kritischen Einleitung in den Koran (1844; 2. Aufl. 1870). تقسيم السور المكية إلى ثلاث مجموعات ما تزال قائمة حتى اليوم، وألحقه بكتابه: Geschichte der Chalifen «تاريخ الخلفاء» في ثلاثة مجلـدات (١٨٤٦- ١٨٥١م)، وتكملتـه: تاريخ الخلافة العباسية في مصـر Geschichte des Abbasidenchalifates in Ägypten (1860- 1862). قام فيه غير مسبوق بمحاولة لم تتكرر بعدُ منـذ أن قام بها، بعرض التاريخ الإسلامي من سـنة ٦٣٢- ١٥١٧م علـى أسـاس [١٧٦] استيعاب مستقل لمصادر التاريخ العربية /. وبينما لم يحل محل كتاب فايـل فـي تاريخ الخلافة إلى اليوم كتاب آخر على شاكلته فقد تُجُوز كتابه في سيرة النبـي بسرعة إلى حد ما بفضل جهود ا. شبرنجر (A. Sprenger) الجادة أساساً التـي أتاحت مصادر أقدم وأفضل وأثرى في بدايات التاريخ الإسلامي، مما توفر لفايل.

٣٦- الويس شبرنجر

قرر الويس شبرنجر (Aloys Sprenger) (١٨١٣- ١٨٩٣م) من تيـرول (جنوبي النمسا) في صباه المبكر أن يكرس نفسه كليةً للدراسات الآسـيوية، وأن يزور الشرق، وأن يسهم في إدخال الثقافة الأوربية هناك، وأن يعود إلـى أوربـا ثانيةً بمعرفة صحيحة عن الشرق وأدبه[1] ووُفِّقَ في شجاعة ومخاطرة ومرونـة وعملية في تنفيذ هذه الخطة، فنجده سنة ١٨٤٠م في ليدن لدراسة المخطوطـات العربية، وحصل أيضاً فيها برسالة: De Originibus medicinae arabicae sub caliphatu (Lugd. Bat. 1840). «أوليات الطب العربي في عهد الخلفاء»

---

(١) انظر مقدمتـه: Das Leben und die Lehre des Mohammed nach bisher grösstenteils unbentzten Quellen bearbeitet Band I, 1861.

لم يتح لي كتاب مناسبة (ذكراه) لـ ا. هافنر (A: Haffner):

Aloys Sprenger. Ein Tiroler Orientalist. Zur Enthüllung des Sprenger Denkmals in Nassereith am 19. 1913 (Innsbruck 1913. 8 S).

كتابه: مدخل تاريخي نقـدي إلـى القـرآن الكـريم Historisch Kritischen Einleitung in den Koran (1844; 2. Aufl. 1870). تقسيم السور المكية إلى ثلاث مجموعات ما تزال قائمة حتى اليوم، وألحقه بكتابه: Geschichte der Chalifen «تاريخ الخلفاء» في ثلاثة مجلـدات (١٨٤٦- ١٨٥١م)، وتكملتـه: تاريخ الخلافة العباسية في مصـر Geschichte des Abbasidenchalifates in Ägypten (1860- 1862). قام فيه غير مسبوق بمحاولة لم تتكرر بعدُ منـذ أن قام بها، بعرض التاريخ الإسلامي من سـنة ٦٣٢- ١٥١٧م علـى أسـاس [١٧٦] استيعاب مستقل لمصادر التاريخ العربية /. وبينما لم يحل محل كتاب فايـل فـي تاريخ الخلافة إلى اليوم كتاب آخر على شاكلته فقد تُجُوز كتابه في سيرة النبـي بسرعة إلى حد ما بفضل جهود ا. شبرنجر (A. Sprenger) الجادة أساساً التـي أتاحت مصادر أقدم وأفضل وأثرى في بدايات التاريخ الإسلامي، مما توفر لفايل.

٣٦- الويس شبرنجر

قرر الويس شبرنجر (Aloys Sprenger) (١٨١٣- ١٨٩٣م) من تيـرول (جنوبي النمسا) في صباه المبكر أن يكرس نفسه كليةً للدراسات الآسـيوية، وأن يزور الشرق، وأن يسهم في إدخال الثقافة الأوربية هناك، وأن يعود إلـى أوربـا ثانيةً بمعرفة صحيحة عن الشرق وأدبه(١) ووُفِّقَ في شجاعة ومخاطرة ومرونـة وعملية في تنفيذ هذه الخطة، فنجده سنة ١٨٤٠م في ليدن لدراسة المخطوطـات العربية، وحصل أيضاً فيها برسالة: De Originibus medicinae arabicae sub caliphatu (Lugd. Bat. 1840). «أوليات الطب العربي في عهد الخلفاء»

---

(١) انظر مقدمتـه: Das Leben und die Lehre des Mohammed nach bisher grösstenteils unbentzten Quellen bearbeitet Band I, 1861.

لم يتح لي كتاب مناسبة (ذكراه) لـ ا. هافنر (A: Haffner):

Aloys Sprenger. Ein Tiroler Orientalist. Zur Enthüllung des Sprenger Denkmals in Nassereith am 19. 1913 (Innsbruck 1913. 8 S).

وفيما بعد كتاب السيوطي: الإتقان في علوم القرآن.

وأشرف بالتعاون مع وليام ناسو ليز (William Nassau Lees)[1] (١٨٢٥- ١٨٨٩) على طبع معجم المصطلحات الفنية المستخدمة في علوم المسلمين: (Dictionary of the technical terms used in the sciences of the Musalmans) مجموعة مستقاة من مصادر جيدة في القرن الثامن عشر الميلادي ومستخدمة في الدراسة المدرسية الإسلامية استخداماً واسعاً، وكرر شبرنجر سنة ١٨٥٤م ملحقاً له مختصر المنطق لنجم الدين الكاتبي الأثير في الهند والمطبوع مراراً وأتبعه بترجمة إنجليزية، وإذا كان قد استطاع أن يستخدم لمعجم المصطلحات الفنية نسختين من المخطوطات الأصلية فإنه لم يتوفر له ولمعاونيه إلا مخطوطتان كاملتان من كتاب ابن حجر الإصابة، ولكنهما مليئتان بالأخطاء، وإضافة لذلك لكل من الربع الأول والربع الرابع نسخة أفضل، لكن هذا لم يثنيه عن التحقيق (المجلد الأول، ١٨٥٦م، وتلاه الثاني حتى الرابع حتى سنة ١٨٩٣م)، وجعل بذلك هذا الكتاب المهم متاحاً بوجه عام.

ونشر و. ن. ليز (W. N. Lees) بمساعدة عالم هندي نصوصاً عربية أخرى، مثل طبعة القرآن المزخرفة مع كشاف الزمخشري من سنة ١٨٥٦: ١٨٦٢م. غير أن فضله الأكبر يكمن في نشره المؤلفات الفارسية حول تاريخ مسلمي الهند. إلا أن هذا النشاط في النشر الذي نمّى الدراسات العربية برغم قصوره الفيلولوجي سرعان ما توقف ثانية، فقد أوصى مديرو شركة الهند الشرقية سنة ١٨٥٦ بإيعاز من / عالم السنسكريتية هـ. هـ. ولسن (H. H. Wilson) [١٧٨] بأنه ينبغي ألا يقبل في مجلة: Bibliotheca Indica، في المستقبل إلا تلك النصوص التي تتصل بالهند اتصالاً مباشراً[٢].

---

(1) Siehe Jras 1889. 463- 466.

(٢) انظر: Centenary Review of the Asiatic Society of Bengal 1885, 62. التقرير المئوي لجمعية البنغال الآسيوية.

وفيما بعد كتاب السيوطي: الإتقان في علوم القرآن.

وأشرف بالتعاون مع وليام ناسو ليز (William Nassau Lees)[1] (١٨٢٥- ١٨٨٩) على طبع معجم المصطلحات الفنية المستخدمة في علوم المسلمين: (Dictionary of the technical terms used in the sciences of the Musalmans) مجموعة مستقاة من مصادر جيدة في القرن الثامن عشر الميلادي ومستخدمة في الدراسة المدرسية الإسلامية استخداماً واسعاً، وكرر شبرنجر سنة ١٨٥٤م ملحقاً له مختصر المنطق لنجم الدين الكاتبي الأثير في الهند والمطبوع مراراً وأتبعه بترجمة إنجليزية، وإذا كان قد استطاع أن يستخدم لمعجم المصطلحات الفنية نسختين من المخطوطات الأصلية فإنه لم يتوفر له ولمعاونيه إلا مخطوطتان كاملتان من كتاب ابن حجر الإصابة، ولكنهما مليئتان بالأخطاء، وإضافة لذلك لكل من الربع الأول والربع الرابع نسخة أفضل، لكن هذا لم يثنيه عن التحقيق (المجلد الأول، ١٨٥٦م، وتلاه الثاني حتى الرابع حتى سنة ١٨٩٣م)، وجعل بذلك هذا الكتاب المهم متاحاً بوجه عام.

ونشر و. ن. ليز (W. N. Lees) بمساعدة عالم هندي نصوصاً عربية أخرى، مثل طبعة القرآن المزخرفة مع كشاف الزمخشري من سنة ١٨٥٦: ١٨٦٢م. غير أن فضله الأكبر يكمن في نشره المؤلفات الفارسية حول تاريخ مسلمي الهند. إلا أن هذا النشاط في النشر الذي نمّى الدراسات العربية برغم قصوره الفيلولوجي سرعان ما توقف ثانية، فقد أوصى مديرو شركة الهند الشرقية سنة ١٨٥٦ بإيعاز من / عالم السنسكريتية هـ. هـ. ولسن (H. H. Wilson) بأنه ينبغي ألا يقبل في مجلة: Bibliotheca Indica، في المستقبل إلا تلك النصوص التي تتصل بالهند اتصالاً مباشراً[٢]. [١٧٨]

---

(1) Siehe Jras 1889. 463- 466.

(٢) انظر: Centenary Review of the Asiatic Society of Bengal 1885, 62. التقرير المئوي لجمعية البنغال الآسيوية.

وكان شبرنجر قد اضطر سنة ١٨٥٤م لأسباب صحية إلى أن يقوم بإجازة طويلة في منتصف حياته، استغلها في رحلات إلى الشرق الأوسط، فتعرف عن كثب مصر والشام وما بين النهرين والعراق وجزيرتي كشم ومسقط. وبحث هناك أيضاً كما هي الحال في الهند عن المؤلفات النادرة، فحصل على مخطوطات أو أُنجزت له نسخ منها، ومن المعلوم أنه وصل عن طريق الوسطاء أنفسهم من الأماكن المقدسة إلى مؤلفات عربية.

وحين عاد نهائياً في نهاية سنة ١٨٥٦م إلى أوربا جلب معه مجموعة من ألفي مجلد تقريباً؛ منها ١١٤٠ مخطوطة عربية، حصلت مكتبة برلين على ١٨٥٨ منها، وكان تحمس شبرنجر لجمع مخطوطات في مجال التاريخ الإسلامي المبكر موفقاً بوجه خاص، فقد وقف على سيرة ابن هشام بشرح السهيلي، واكتشف من كتاب الطبقات (الكبرى) لابن سعد المجلد الأول في مكتبة خاصة في كونبور (Cawnpore) ومجلدات أخرى في دمشق، وأعان ا. ف. كريمر (A. V. Kremer) على نشر كتاب (المغازي) للواقدي في مجلة: Bibliotheca Indica.

وامتلك أجزاءً من تفسير الطبري، وعرف الموطأ، وكتب الحديث الصحيحة الستة، ومشكاة المصابيح وتراجم صحابة الرسول لابن عبد البر وابن الأثير وابن حجر وعدداً كبيراً من تفاسير القرآن. وكان قد بدأ بمساعدة هذه المادة الغنية أن يضع في الهند كتاباً جديداً في سيرة الرسول، غير أنه توقف عند الهجرة[1]. وتناول أيضاً في مقالات عدة ظهرت في مجلة جمعية البنغال الآسيوية: Journal of the Asiatic Society of Bengal، علم الحديث الإسلامي وناقش فيها قضية الوثوق بالرواية، ثم ظهر سنة ١٨٦١م كتابة سيرة محمد بالألمانية[2].

---

(١) حياة محمد من مصادر أصلية.

The Life of Muhmmad from original sources, Allahabad 1851.

(2) Das Leben und die Lehre des Mohammad nach bisher grösstenteils

وأراد شبرنجر(*) في كتابه الرئيسي هذا أن يحدد القوانين العامة، من خلال رؤية فلسفة تاريخية معتمداً فيها على ابن خلدون، التي أسهمت في نشـوء الإسـلام، / وقد رفض التأملات المثالية بمفهوم هردر (Herder) والتمجيد الرومانسي في [١٧٩] العصور الوسطى ومثله الدينية، ومبدأ تقديس الأبطال أيضاً الذي كان قـد مثّلـه توماس كارليل (Thomas Carlyle) سنة ١٨٤١م في مقاله عن محمـد. فقـد رأى في الإسلام أكثر من ذلك، إنه ابتكار من روح العصر(**)، وسعى في إطـار ذلك إلى أن يقلل ما أمكن من دور محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي لـم يمتلـك لطبيعته الدينية إلا دراية محدودة، إلى أن لم يتبقَ في آخـر الأمـر إلا صـورة كاريكاتورية له. وبرغم ذلك فقد أثر كتاب شبرنجر تأثيراً شديداً من خلال كم مادته الغنية ومنهج المعالجة الطريف المتعمق ومعرفته بالشرق القائمة على رؤية ذاتية وأسلوبه الحي وسادت صورة الإسلام (التي قدمها) بين الأوسـاط المثقفـة فـي ألمانيا مدة نصف قرن.

لقد فُهِم الإسلام هناك على أنه معضلة في تاريخ العالم، ونُبه القارئ (خلافـاً لمثالية في العصر القديم الكلاسيكي ليست نادرة حتى في أوسـاط المستشـرقين أنفسهم آنذاك) إلى التأثير العميق الذي مارسته الثقافة الإسـلامية علـى أوربـا العصور الوسطى وفلسفتها ولاهوتها السكولاستيكي وعلومها ونمط حياتها.

---

unbenutzten Quellen bearbeitet, 3 Bände, Berlin 1861- 1865.
ظهرت طبعة ثانية بلا تغير سنة ١٨٦٩م.

(*) يعد كتاب شبرنجر هذا حياة محمد وتعاليمه وفقاً لمصادر معظمها لم تستخدم حتـى الآن، حافلاً بالآراء المتطرفة والتصورات الزائفة والنظرات الفاسدة، وقد عرض د. عبد الرحمن بدوي في موسوعة المستشرقين فصوله من ص٢٩: ٣٢ وانتهى إلى الحكم عليه بأن هذا نموج كاف للحكم على فساد الرأي وتغلغل الحقد والشطط في التقدير عنـد أ. شـبرنجر، وأرى أن عرضه فيه كثير من السخف والهذيان والتحامل المعروف عنـد أغلـب الـذين تناولوا سيرة النبي، وهم أشد عداوة له وللإسلام.

(**) هذا اتجاه في فلسفة التاريخ، يذهب إلى أن الأحداث هي التي تصنع الأبطال.

وبينما تنبأ آنذاك بضع نقاد غربيين في عجلة بنهاية وشيكة للإسلام أمّل شبرنجر من مواجهة الغرب بالشرق بالنسبة للدين الإسلامي أيضاً تحولاً كالذي أحدثته مدرسة توبنجن في علم اللاهوت المسيحي، وتبعد نظراته تلك عن تفسيره النحوي للنص الذي تصدر الدراسات العربية في المعاهد العليا الألمانية، فقد عارض شبرنجر، الذي نادراً ما عني بتفسير مفصل دقيق لنصوصه، وصب كل اهتمامه - وحيثما فعل هذا وجدت أحياناً نقاط ضعف قوية - في مضمون النصوص، عارض بقوة شديدة شكلية فقه اللغة العربية الطاغية(١).

ووافقت أعمال شبرنجر حول جغرافيا الشرق الأوسط التاريخية وبخاصة كتابه مسالك البريد والرحلة: Post – und Reiserouten (١٨٦٤) وكتابه «الجغرافيا القديمة لشبه الجزيرة العربية» Die alte Geographie Arabiens (١٨٧٥) أيضاً الاهتمام المماثل بما هو واقعي(*).

٣٧- وليم موير

/ كان قد ظهر في انجلترا قبل كتاب شبرنجر عن محمد بقليل كتابٌ علمي ذو [١٨٠] مضمون قريب منه وهو: حياة محمد وتاريخ الإسلام في أربعة مجلدات: The Life of Mohamet and History of Islam.London 1856–1861)، مؤلفه وليم موير (William Muir) (١٨١٩- ١٩٠٥م) (٢) الذي ترقى فيما بعد إلى أرقى المناصب في حكومة الهند، إذ كان يعمل منذ سنة ١٨٤٧م في أجر

---

(١) انظر: فلهاوزن (Wellhausen) في ملحوظاته الأولية في كتابه: Muhammed in Medina, S. 24.

(*) له أيضاً تحقيق كتاب اصطلاحات الصوفية لعبد الرازق الكاشاني، (كلكتا ١٨٤٤م)، ومختارات من المؤلفين العرب (كلكتا ١٨٤٥م)، وتاريخ محمود الغزنوي (كلكتا ١٨٤٧م).

(2) Dict. of National Biography, Suppl. II, Band 2 (1912), S. 659- 661.

لا يخلط بينه وبين جون موير (John Muir) (١٨١٠- ١٨٨٢) مؤلف كتاب:

Original Sanskrit Texts on the origin and history of the people of India, 5 Bande, 1858- 1870, S. Aufl. 1868- 1873.

(Agra). وكان يعرف شبرنجر وأعماله غير أنه ذو فكر مخالف له مخالفة جوهرية، فقد كان لارتباط متأصل بالمسيحية الأرثوذكسية مقتنعاً بأن محمداً قد وقع في حبائل الشيطان، وكان بعيداً كل البعد عن تقدير شبرنجر الذي أولاه للحضارة الإسلامية وأهميتها للغرب، وقد أسهم في البعثة التبشيرية المسيحية في (أجرا) إسهاماً فعالاً، التي كانت تتبع الرجل النشط بصورة فريدة كارل جوتليب بفاندر (Karl Gottlieb Pfander)(1) وكتب هو نفسه بحثاً موجزاً(2) ليثبت أن المسلمين الذين يربط بينهم القرآن يؤمنون بصحة الكتاب المقدس في صورته الحالية. وقد هدى بفاندر (Phander) موير إلى فكرة أن يضع كتاباً عن سيرة محمد من المصادر التي صارت معروفة بفضل جهود شبرنجر. وأمّل بفاندر أن تستطيع تلك الدراسة بترجمتها إلى الأُردية أن تخدم أهدافه في التنصير، بيد أن موير قد تعمق في مثابرة سكولاتينية في المادة ونشر في: Calcutta Review (من ١٨٦٣ إلى ١٨٦٤) سلسلة من المقالات عالج فيها في دقة علمية وتفصيل تاريخ الجزيرة العربية وتجارتها قبل الإسلام ومصادر السيرة وأخيراً حياة محمد حتى الهجرة حيث لم يغفل بناءً على وجهة نظره المسيحية / أن يرفض اعتقاد [١٨١] محمد في المصدر الإلهي للقرآن. وقد تبلور أخيراً من هذه الدراسات الكتاب المذكور آنفاً الذي يبدأ بمقدمة مستفيضة عن المصادر (المجلد الأول من ص ١- ٣٥) والجزيرة العربية قبل الإسلام (المجلد الأول من ص ٣٦- CC L XX I)،

---

(١) انظر: A. Wali, Life and Works of Jawad Sabat (Calcutta 1925, S. 83)
Pfander schrieb den Mīzān ul – ḥaqq, a treatise on the controversy between Cristians and Mohammadens.

* هاجم بفاندر في كتابه «ميزان الحق» الإسلام بمنتهى العنف ودافع عن العقائد المسيحية. وأبحاث أخرى، وجادل العالم السني رحمه الله من سارنبور (Sahaaranpur) والإمام سيد محمد هادي بن ديلار من لوكنو (Lucknow) جدالاً عنيفاً.

(٢) شهادة القرآن على الكتب اليهودية والمسيحية.
The Testimony borne by the Coran to the Jewish and Christian Scriptures, Agra 1856. ترجم هذا المقال إلى الأردية لأهداف تبشيرية

ويتبع موير في حقيقة الأمر شبرنجر فيما يتعلق بالمصادر لطبيعة المادة المعالجة، وعلى النقيض من ذلك فقد حافظ في العرض بوجه عام على استقلاليته، وحكم عليها بصورة واقعية وموضوعية أصح إلى حد كبير من سلفه العقلاني، وتشك حولياتُ الخلافة (Annals of Caliphate) التي ظهرت سنة ١٨٥٣م التي تمتد حتى سقوط دولة بني أمية تكملةً لكتابه في سيرة محمد ﷺ[1]. وأوجز موير في الطبعة الثانية التي ظهرت تحت عنوان: The Caliphate, its Rise, Decline and Fall (London 1891). «الخلافة، نشأتها وانحلالها، وسقوطها»، مضمون الحوليات، غير أن العرض اكتمل حتى نهاية الخلافة العباسية في مصر سنة ١٥٢٠م. وقد استقى المادة من الطبري وابن الأثير مع اعتماد متواصل على كتاب فايل (تاريخ الخلفاء) (١٨٤٦- ١٨٦٢). واستمد موير من مجلدي فايل الأخيرين المادة أيضاً لكتابه: The Mameluke or Slave Dynasty of Egypt (1260- 1557 A. D). «المماليك أو دولة العبيد في مصر» وختم به سلسلة عروضه للتاريخ الإسلامي.وهي تشكل في مجموعها عملاً مضاداً لكتاب شبرنجر عن محمد وكتاب فايل عن تاريخ الخلفاء، ووجد انتشاراً واسعاً في العالم الإنجلوسكسوني لغزارة مادته وموضعيته الشديدة[*] وموقفه المسيحي حقاً.

---

(١) ترك موير في الطبعة الثانية ١٨٧٦ باب المقدمه وثبت المصادر ، أوجز الملاحظات إلى حد بعيد، وتطابق الطبعة الثالثة سنة ١٨٩٤ الطبعة الثانية مطابقة تامة وعني توماس هنتر فير Thomas Hunter Weir، سنة ١٩٠٢ بطبعه رابعه مجدده بعض الشيء.

(*) أية موضوعية في كتبه الثلاثة المشار إليها؟ لقد قدم موير تاريخا شاملا للإسلام منذ قيامه حتى ١٥٥٧م، وتسودها كلها نزعه مسيحية تبشيرية شديده التعصب، كما يقول د عبد الرحمن بدوي. وعاد موير إلى تحامله الشديد على الاسلام فأصدر كتابين آخرين الأول هو القرآن: تأليفه وتعاليمه ١٨٧٨ The Coran Composition and Teaching ، والثاني هو: الجدال مع الإسلام ١٨٩٧ The Mohammedan Controversy انظر: موسوعة المستشرقين صـ ٧٩.

٣٨- راينهارت دوزي

في هولندا شهدت الدراسات العربية التي كانـت قـد تـدهورت فـي أثنـاء الاضطرابات التي أعقبت الثورة الفرنسية تدهوراً تاماً - ازدهاراً جديداً بعد سقوط نابليون واسترداد الحرية، فقد أرسى هندريك أرنت همـاكر (Hendrik Arent Hamaker) (١٧٨٩- ١٨٣٥م) الأستاذ في ليدن منذ ١٨١٧م وتلميذه وخليفته الذي توفى صـغيراً هنـدريك انجلـين فـايير (Hendrik Engelin Weijer) (١٨٠٥- ١٨٤٤م) دراسة العربية على أساس نحـوي متـين، / وبـرز مـن [١٨٢] مدرسـتهما تيـودوروس فـيلم يـان يونبـول (Theodorus Willem Jan Juynboll) (١٨٠٢- ١٨٦١م)[1] الذي صار خليفـة فـايير، ونشـر المعجـم الجغرافي: Lexicon Geographicum (أي منتخب من كتاب ياقوت، مقتصـراً على المادة الجغرافية المحضة، من سنة ١٨٥٢ إلى ١٨٦٤م)، وبالتعاون مع ب. ف. ماتس (B. F. Mathes) نصف المجلدات الثلاثة الأولى من تاريخ مصر لأبي المحاسن من سنة ١٨٥٥ إلى ١٨٦١م، وبالإضافة إلى ذلك فقد كرس نفسه لمـا هـو سـامري بطبـع كتـاب التقـويم الزمنـي السَـامري (Chronicon Samaritanum) العربي سنة ١٨٤٨م.

بيد أن فايير قد جذب بوجه خـاص راينهـارت دوزي (Reinhart Dozy) (١٨٢٠- ١٨٨٣م)[2] إلى الدراسات العربية، وأدخله في دراسة تاريخ أسـبانيا تحت حكم المغاربة وأدبها، وكان ما يزال تسود في هذا الحقل بوجه عام روح ذلك التحمس الرومانسي الذي عبر عنه ايرن جيمس كافانه مـورفي: Iren James Cavanah Murphy في كتابه العصور العربية القديمة في أسبانيا: Arabian Antiquities of Spain (١٨١٣م)، وشـاتوبريان (Chateaubriand) فـي

---

(١) انظر: Dugat, Histoire des orientalistes II (1870). S. 101- 106.

(2) M. J. De Goeje, Biographie de Reinhart Dozy, trad. De Hollandais par V. Chauvin, Leyde 1883.

ووليم رايت (W. Wright)[1] وقد قدم فلايشر (Fleischer) عدداً كبيراً من اقتراحات تصحيح النص أخذ ببعضها في الطبعة المرفقة به بعنوان: Additions et corrections «إضافات وتصويبات»، بينما نشر فلايشر الباقي الذي أهمله دوزي ومعاونيه في محاضر جلسة الجمعية السكسونية للعلوم من سنة ١٨٦٧ إلى ١٨٦٩م. ودفع هذا دوزي إلى مقال مضاد[2] محص فيه تصويبات فلايشر تمحيصاً نقدياً، وقد أثبت تفوقه بوصفه مؤرخاً ناقداً (الذي اعتُرِف به عند تعيينه أستاذاً لكرسي التاريخ سنة ١٨٥٠م) بوجه خاص في دراساته: «أبحاث في التاريخ السياسي والأدبي لإسبانيا خلال العصر الوسيط» Recherches sur l histoire politique et littéraire de l' Espagne pendant le moyen âge (١٨٤٩م، الطبعة الثالثة ١٨٨١م) ناقش فيها سابقيه نقاشاً نقدياً جدلياً وبحث سلسلة من المشكلات بتحليل المصادر كما في العرض الموجز لتاريخ أسبانيا من سنة ٧١١ إلى ١١١٠م)[3][*]. وقد أرسى بحث أسبانيا تحت حكم

---

(1) Analectes sur l' histoire et la litérature des Arabes d' Espagne, 2 Bande, 1855- 1861.

(2) Lettre à M. Fleischer concernant des remarques critiques et explicatives sur le texte d' al Makkari, Leyde 1871.

ألحق بالمقال فهرساً للمواضع مفيدًا للغاية، يعرف منه بشكل كاف ما إذا كان موضع محدد ما من المنتخبات في «الإضافات»، قد ذكر في تصحيحات فلايشر للنص أم في خطاب دوزي، ولا يجب أن يضع في اعتباره إعادة طبع «تصويبات النص» في كتاب فلايشر: Kleinere Schriften ٢/ ١٦٣- ٤٦٩ حيث وجدت في الهوامش على اعتراضات دوزي.

(3) Histroire des Musulmans d Espagne, 4 Bde., 1861.

ترجم إلى الألمانية والفرنسية أيضاً، وعني بتنقيحه ا. ليفي بروفنسال (E. Lèvi – Provençal) (١٩٣٢).

(*) وفيه صحيح كثيراً من الأخطاء التي وقع فيها الباحثون الأوربيون الذين كتبوا عن تاريخ المسلمين في إسبانيا وفيه فصل جيد عن السيد القمبيطور، حاول فيه أن يحل كل المشاكل التاريخية والنقدية والأدبية، التي تتعلق بوجود هذه الشخصية الغريبة والمصادر التي=

ووليم رايت (W. Wright)[1] وقد قدم فلايشر (Fleischer) عدداً كبيـــراً مـــن اقتراحات تصحيح النص أخذ ببعضها في الطبعة المرفقة به بعنوان: Additions et corrections «إضافات وتصويبات»، بينما نشر فلايشر الباقي الذي أهملـــه دوزي ومعاونيه في محاضر جلسة الجمعية السكسونية للعلوم من ســـنة ١٨٦٧ إلى ١٨٦٩م. ودفع هذا دوزي إلى مقال مضاد[2] محص فيه تصـــويبات فلايشـــر تمحيصاً نقدياً، وقد أثبت تفوقه بوصفه مؤرخاً ناقداً (الذي اعتُرِف به عند تعيينه أستاذاً لكرسي التاريخ سنة ١٨٥٠م) بوجه خاص في دراســـاته: «أبحـــاث فـــي التاريخ السياسي والأدبي لإسبانيا خلال العصر الوســـيط» Recherches sur l histoire politique et littéraire de l' Espagne pendant le moyen âge (١٨٤٩م، الطبعة الثالثة ١٨٨١م) ناقش فيها سابقيه نقاشاً نقـــدياً جـــدلياً وبحث سلسلة من المشكلات بتحليل المصادر كما في العـــرض المـــوجز لتـــاريخ أسبانيا من سنة ٧١١ إلى ١١١٠م)[3][*]. وقد أرسى بحث أسبانيا تحـــت حكـــم

---

(1) Analectes sur l' histoire et la litérature des Arabes d' Espagne, 2 Bande, 1855- 1861.

(2) Lettre à M. Fleischer concernant des remarques critiques et explicatives sur le texte d' al Makkari, Leyde 1871.

ألحق بالمقال فهرساً للمواضع مفيدًا للغاية، يعرف منه بشكل كافٍ ما إذا كان موضع محدد ما من المنتخبات في «الإضافات»، قد ذكر في تصحيحات فلايشر للـــنص أم فـــي خطـــاب دوزي، ولا يجب أن يضع في اعتباره إعادة طبع «تصويبات النص» في كتـــاب فلايشـــر: Kleinere Schriften ٢/ ١٦٣- ٤٦٩ حيث وجدت في الهوامش علـــى اعتراضـــات دوزي.

(3) Histroire des Musulmans d Espagne, 4 Bde., 1861.

ترجم إلى الألمانية والفرنسية أيضاً، وعني بتنقيحـــه ا. ليفـــي بروفنســـال (E. Lèvi – Provençal) (١٩٣٢).

(*) وفيه صحيح كثيراً من الأخطاء التي وقع فيها الباحثون الأوربيون الذين كتبوا عن تـــاريخ المسلمين في إسبانيا وفيه فصل جيد عن السيد القمبيطور، حاول فيه أن يحل كل المشاكل التاريخية والنقدية والأدبية، التي تتعلق بوجود هذه الشخصية الغريبة والمصادر التي=

العرب في هذه المؤلفات على أساس متين؛ وهو فضلُ دوزي الذي اعترف به أيضاً في أسبانيا، ومع أنه، وهو أسير تماماً لأفكار عصره، لم يوفق في تقدير فضل إنجازات سابقيه لم يكن من الممكن أن تُتَجاهل هنا – مثل إرهاق نفسه كثيراً بالمنهج التاريخي النقدي الجديد – نتيجة أن الدراسات الأسبانية الحديثة يجب أن تُقَوَّم أخذاً ببضع آرائه / بتصويبات على سبيل المثال في شخصية السِّيد (Cid) [١٨٤] وانتشار اللهجات الرومانية[1]. وقد تجلى تلاحم الموهبة التاريخية والفيلولوجية الذي ميز دوزي جلاء تاماً بصفة خاصة في أعماله المعجمية؛ فقد أظهر معجمه الذي كُلِّل بجائزة: معجم مفصل بأسماء الملابس عند العرب **Dictionnaire dètaillè des nouns des vètements chez les Arabes (1845).** سعة اطلاع عظيمة ليس في الكتب والمخطوطات العربية فحسب، بل في المصادر الغربية عن الرحلات إلى الشرق أيضاً، وأظهر بالإضافة إلى ذلك إدراكاً بالألفاظ والأشياء وحكماً سليماً في المسائل اللغوية، فإنه على سبيل المثال لم تُصَوَّب خلافاً لما كان مستخدماً آنذاك صيغ مفردات النصوص المتأخرة المروية في المخطوطات وفق قواعد النحو.

وتضم المقدمة تفاصيل معقولة حول نظرية علم المعاجم، فقد بدا له أن معجماً عربياً يتتبع تاريخ كل كلمة على حده في كل البلدان والعصور، ويقدم شواهد من الأدب، ويفرق بين الاستخدام الشعري والاستخدام النثري، ويجب أن يفهرس بالإضافة إلى ما سبق لكل المصطلحات، صعب المنال بالنظر، إلى حال الدراسات العربية آنذاك، وقد عد المراحل الأولية لذلكِ أولاً معاجم صغيرة لكل

= افتتح منها المؤرخون السابقون عليه. صـ ٢٦١ وجد دوزي في الجزء الثالث من «الذخيرة» لابن بسام الشنتريني معلومات نفيسة جديدة عن السيد القمبيطور في الروايات العربية، صـ ٢٥٩.

(١) قارن: **R. Menéndez, Pidal, Origines de l' Español, 1926, Ders., España des Cid. 1929.**

نص على حده، مثلما كانت العادة آنذاك، وثانياً قواميس موضوعية، مثل عملـه المتميز عن أسماء الملابس، وثالثاً قواميس خاصة لعرض الثروة اللغويـة لكـل مجال لغوي أو لكل فترة لغوية على حده. وقد ألحق دوزي مراعاةً لهذه المتطلبات بتحقيقاته في العادة معاجم صغيرة، أما عمله الرئيسي في (علم صناعة المعـاجم العربيـة) فهـو معجمـه: تكملـة المعـاجم العربيـة (*)Supplèment aux dictionnaires arabes (مجلدان ١٨٨١م طبعة ثانيـة بـلا تغييـر ١٩٢٧م) فهرس فيه كل الكلمات والمعاني التي لم ترد في معجم فرايتاج أو معجـم لـين، وهي التي مرت به خلال نشاط جمعه لها الذي امتد إلى ما يزيد عن أربعة عقود، وتشكل أسس هذا المعجم الذي عُدَّ عدة دارس العربية التي لا غنى له عنها منـذ وضعه، ثلاثةُ معاجم من أسبانيا في العصور الوسطى هي: المعجم اللاتيني العربي (Glossarium Latino – arabicum) والمعجم العربـي (Vacabulista in arabico) ومعجم (Vocabulista aravigo) لبدرو دي الكالا التي نقـل دوزي إلى حد كبير من مفرداتها، وأضاف إليها ما جمعه من معجمات العربية المكتوبـة الحديثة التي ظل في مفرداتها كثير من الحصيلة اللغوية لفترة ما بعد الكلاسـيكية حياً، واستقى كذلك من أدب الرحلات الأوربية / كثيراً من الإيضـاحات. بيـد أن [١٨٥] مصدره الرئيسي كان نصوصاً عربية كثيرة ترجع إلى فترة العصـور الوسـطى وبخاصة فترة حكم العرب لأسبانيا، وأخيراً فقد دان بالفضل لمعاونة متنوعة مـن

(*) وهذا المعجم مفيد للغاية، خصوصاً في فهم النصوص التاريخيـة والجغرافيـة الخاصـة بالمؤلفين الأندلسيين والمغاربة، فهو يورد اللفظ – حسب الترتيـب الأبجـدي العربـي – ويتلوه بشرح المعاني التي استعمل بها لدى مختلف المؤلفين وأحيانـاً بحسـب البلـدان والمناطق، ويزود هذا كله بإشارات إلى المواضع في المؤلفين العرب، التي ورد فيها هذا الاستعمال. وهذه الألفاظ التي يوردها هي إما كلمات عامية أو كلمـات عربيـة فصـيحة، لكنها استعملت بمعانٍ غير تلك الواردة في المعاجم العربية الفصيحة (مثل لسان العرب أو الصحاح إلخ إلخ) وغالبية هذه الألفاظ أو استعمالاتها تتعلق بمـا يعـرف باسـم ألفـاظ الحضارة: أي الصناعات والحياة اليومية والأدوات والحرف المختلفة.

كل من و. رايت وسيمونت وأماري ودي خويه. وكان دوزي نفسه علـى دراية تامة بعيوب معجمه؛ فقد ضم شواهد من كل الفترات اللغوية وضروب الأدب من الشعر العربي القديم حتى اللهجات المعاصرة له، وبرغم ذلك فإن عمله عمل رائع إذ إنه بينما يرتكز معجما فرايتاج ولين – مثلما هي الحال أيضاً بالنسبة لمعجم ا. كزيميرسكي دي بيبر ستين (A. Kazimirski de Biberstein) سـنة ١٨٦٠م – بشكل عام على إنجازات المعجمين العرب، فقد استشهد هنا، وإن كان في شكل غير منظم من الاستدراكات، على كل صيغة مدونة ومعنى مثبت بشواهد لغوية وصلت إلينا، ولما لم تؤخذ في الاعتبار بشكل عام الثروة اللغوية القديمة التي دونها كل من فرايتاج ولين فإنه قد برز عنصر ما بعد الكلاسيكية حيث روعيت المنطقة اللغوية المغربية، غير أنه قد تجدد فيه الاستعمال اللغوي الفعلي ودُوِّن وتُجُوِزَ نهائياً مبدأ النقاء اللغوي العربي ومُهِدت الطريق لنظرات لغوية تاريخية[١].

٣٩- ميشل أماري

ما أنجزه دوزي بالنسبة للحقبة العربية في التاريخ الأسباني فعله ميشل أماري (Michele Amari) (١٨٠٦- ١٨٨٩)[٢] بالنسبة لتاريخ صقلية تحت الحكم العربي، غير أنه بينما انطلق دوزي من اهتمام علمي بالمصادر الأسبانية العربية فقد لاءم اشتغالُ أماري (Amari) بتاريخ وطنه وطنيةً متأججة، فقد كان أماري ابن صقلي حُكم عليه بالسجن مدى الحياة لاشتراكه في ثورة سنة

---

(١) ويظهر نقد ابراهيم اليازجي الذي وجهه إلى معجم دوزي كيف واجه دعاة النقاء اللغوي العرب بصورة غير مفهومة الرؤية التاريخية انظر: فلايشر في كتابه: Flesicher, Kleinere Schriften III, 615- 641.

(٢) سيرته الذاتية ومؤلفاته في كتاب: Centenario della nascita di Michele Amari. I, 1910, IX – XLIV bzw. XLV – CVIII وانظر أيضاً: F. Gabrieli, Un secolo di studi arabo – siculi, in: Studia Islamica II, 1954, 89- 102.

١٨٢٠م، وقد صُودِر تصوره للتمرد الصقلي المفعم بروح ثورية، ولم ينجُ هو نفسه من / الاعتقال إلا بهروبه إلى باريس، هناك أحيت كتابات ابن خلدون عن [١٨٦] تاريخ أفريقيا وصقلية تحت الحكم الإسلامي، التي كان قد نشرها ا. نول دي فرجرز (A. Noel des Vergers)[١] (١٨٠٥- ١٨٦٧م) سنة ١٨٤١م مع ترجمة فرنسية وتعليقات في أماري (Amari) الأملَ في قراءة المصادر العربية حول تاريخ وطنه في نصها الأصلي، فدرس على رينو (Reinaud) ودي سلان (de Slane) العربية، وبدأ في جمع كل شيء من الكتب المطبوعة والمخطوطات العربية، يتعلق بتاريخ صقلية وجغرافيتها وشعرائها وكتابها وعلمائها، وتمخض عن ذلك كتاب المكتبة العربية الصقلية Biblioteca arabo – sicula الذي طبع سنة ١٨٥٧م في ليبزج على نفقة الجمعية الشرقية الألمانية، وأسهم فلايشر (Fleischer) فيه بتصويبات كثيرة للنصوص (كما فعل أيضاً بالنسبة لـ Appendices سنة ١٨٥٧م وسنة ١٨٨٧م).

بيد أن الجزء الأول من كتابه الرائع «تاريخ مسلمي صقلية»: Storia dei Musulmani di Sicilia كان قد ظهر سنة ١٨٥٤م، الذي استغرق إتمامه من وقته حتى سنة ١٨٧٢م، وقد استخدم باعتباره مؤرخاً حقيقياً إلى جانب المصادر الأدبية الوثائق والنقوش والعملات أيضاً حول تاريخ صقلية هذا من العصر البيزنطي حتى انتهاء عصر الاشتوفن(*)، كما أنه شرع أيضاً في جمع النقوش العربية في الجزيرة لمجلداته الثلاثة: «نقوش عربية في صقلية» (Epigrafi arabi di Sicilia).

---

(١) انظر عنه: G. Dugat, Histoire des Orientalistes I, 1868.

(*) عصر الاشتوفن: Staufenzeit يرجع إلى آل شتوفن، آل قبيلة الأشراف الاشقابيين الذين يحملون اسم قلعة جبل شتاوفن في الجانب الاشقابي من جبال الألب عند جوتنجن.

وقد دعته ثورة ١٨٤٨م إلى العودة إلى بالريمو حيث صار وزيراً للمالية ثم أُرْسِل إلى باريس ولندن في مهمة خاصة، وبعد إخفاقها عاد إلى العيش في باريس حتى وضع انتصار ريزور جيمنتو (Risorgimento) سنة ١٨٥٩ نهاية لنفيه، وحصل سنة ١٨٦٠م على وظيفة أستاذ للغة العربية وآدابها التي ظل فيها حتى سنة ١٨٧٣م(*). ويعد من تلاميذه سلستينو شيابرللي (Celestino Schiaparelli) (١٨٤١- ١٩١٩)(١)، الذي نشر معه الجزء المتعلق بإيطاليا من كتاب نزهة المشتاق للإدريسي في نصه الأصلي سنة ١٨٧٨م ومع ترجمة إيطالية سنة ١٨٨٣م، ونشر شيابرللي أيضاً المعجم العربي: (Vacabulista in Arabico) سنة ١٨٧١م الذي عثر عليه أماري في فلورنس (Florenz). وقدم سنة ١٨٩٧م طبعة ممتازة لديوان ابن حمديس وسنة ١٩٠٦م ترجمة إيطالية لرحلة ابن جُبير.

وعلى النقيض منه كان عالمان آخران كرسا نفسيهما للبحث حول صقلية، على علاقة ضئيلة بأماري: أولهما سلفاتوري كوزا (Salvatore Cusa) (١٨٢٢- ١٨٩٣م) الذي كان / أستاذ العربية في بالرمو (Palermo). وكتابه [١٨٧] الأساسي هو وثائق يونانية وعربية في صقلية، تحقيق النص الأصلي مع ترجمة وشرح: I diplomi greci ed arabi di Sicilia, publicati nel testo originale, tradotti cd illustrate لم يتخطَ مجلدين (١٨٦٨ و ١٨٨٢م)، ولا نفتقر تبعاً لذلك إلى الترجمة والتوضيح المعلن عنهما فقط بل إلى الجهاز النقدي أيضاً، الذي ينبغي أن يُصوب فرضياته التي لم يصرح بها في مجلداته،

(*) كتب خارج نطاق صقلية بحثًا عن الترتيب الزمني لآيات القرآن Mémoire sur la chronolgie du Coran، حظى بجائزة من معهد فرنسا في ١٨٥٨، وبسببه عُين عضوًا مراسلاً لهذا المعهد.

(١) انظر: Nallino. RSO 8, 450- 464. (وقائمة المراجع).

وكان الآخر تلميذ كوزا وهو بارتولوميو لاجو مينا Bartolomeo Lagumina[1]، (المولود سنة ١٨٥٠م، والمتوفى سنة ١٩٣١م) أسقف كنيسة أجريجنت (Agrigent) الذي عمل بصفة خاصة في حقل علم النقوش وعلم . اسة النُميَّات (العملات).

٤٠- الفريد فون كريمر

حـ ـ ـ نولدكه في فيينا في سنتي ٥٦/ ١٨٥٧م بدا له أن النمسا لن توهب ي مستشـ ى ـعد موت هامر بورجشتال، وفي الواقع لم تجد الدراسات الاستشر فية في فيينا إلا عناية بالأكاديمية الشرقية مقتصرة على حاجات الدربة العمليه للمحافظة على العلاقات بينها وبين الباب العالي في المقام الأول، ولم يف كتاب مختصر عملي للغة العربية الحديثة: Prakitische Handbuch der neuarabischen Sprache (١٨٦١م والطبعة الثانية ١٨٨٦م) ولا معجم اللغتين العربية الحديثة والألمانية Handwörterbuch der neuarabischen und deutschen Sprache (١٨٧٤- ١٨٧٧م، الطبعة الثالثة ١٨٩٨م) لأدولف فارموند (Adolf Wahrmund) (١٨٢٧- ١٩١٣م). الذي كان يعمل منذ ١٨٥٣م في مكتبة البلاط ومنذ ١٨٧١م في الأكاديمية الشرقية (ومديرها منذ ١٨٨٥م)، من وجهة نظر علمية بمتطلبات مرجوة، ولكن النمسا قد وهبت سنة ١٨٥٦م في أول مترجم في القنصلية الملكية العامة في الاسكندرية رجلاً اعترف نولدكه أيضاً في مجلة (WZKM 898) بأن إنجازاته فيما بعد في حقل الدراسات الإسلامية رائعة[2]، هذا الرجل هو الفريد فون كريمر (Alfred von Kremer) (١٨٢٨- ١٨٨٩م). فقد سافر في سن مبكرة سنة ١٨٤٩م إلى الشام في زي شرقي بدعم من أكاديمية فيينا للعلوم في استانبول (التي أسست سنة ١٨٤٦م)،

---

(1) G. Levi Della Vida, RSO V 94.

(١) انظر: حكم جولدتسهير على فون كريمر ص ٢٢٦، هامش ٥٥٧ (في ترجمة فلهاوزن).

ومكث ثلاثة أشهر في حلب، ثم عاماً تقريباً في دمشق، وتعرف بصـورة دقيقـة البلاد وسكانها في رحلات متعددة في كل أنحاء المنطقة، حيث قدم كتابه: «وسـط الشام ودمشق» (Mittelsyrien und Damaskus) الذي ظهر سـنة ١٨٥٣م دليلاً دامغاً على ذلك، وبعد أن عاد إلى فيينا دَرَّس العربية الدارجة فـي المعهد العالي الملكي للتقنية (الصناعات) (K. K. Polytechnikum) [١]، / غيـر أنـه [١٨٨] نُقِل سنة ١٨٥٢م إلى الأسكندرية، حيث ظل هناك سـبع سـنوات، وفـي سـنة ١٨٧٠م صار القنصل العام في بيروت، وفي سنة ١٨٧٦م عضواً فـي اللجنـة المصرية لديون الدولة، وبعد عودته من الشرق صار سنة ١٨٨٠م وزير التجارة غير أنه تنحى عن هذا المنصب سنة ١٨٨١م.

وقد جمع فون كريمر في أثناء أسفاره في الشرق مخطوطات كثيـرة تـارة لمكتبة فيينا وتارة أخرى لنفسه[٢]. فقد عثر سـنة ١٨٥١م فـي دمشـق علـى مخطوطة تضم الثلث الأول من كتاب المغازي للواقدي، ونشره سنة ١٨٥٦م فـي مجلة المكتبة الهندية: Bibliotheca Indica. غير أنه لم يعن بتفاصيل العمـل الفيلولوجية، فقد استهواه وصف تاريخ الإسلام الحضاري الثقافي وهو ما يجيـز فلسفة للتاريخ في المستقبل لتعرف من خلال مقارنة حضارة الإسلام بحضـارات أخرى، القوانينَ التي تحدد حركة التاريخ، وقد عدَّ فون كريمر متأثراً بابن خلدون

---

(١) نشر فون كريمر سنة ١٨٥٢ ككتاب للمطالعة في الدرس العربي كتاباً لمؤلـف مجهـول يلائم الغرض السابق ملاءمة ضئيلة يرجع إلى القرن السادس الهجـري / الثـامن عشـر الميلادي تحت عنوان: وصف أفريقيا: Description de l Afrique، وهـذه الطبعـة جديرة بالملاحظة لحروفها السلسة المستخدمة في غير ذلك أيضاً حروف مطبعـة الـبلاط والدولة، وكانت أكثر رشاقة حروف نستعليق (Nestaʿlīqutypen) التي استخدمت على سبيل المثال في طبعة جراف لديوان بستان لسعدي الشيرازي سنة ١٨٥٨م.

(٢) انظـر: – V. Kremer, Über meine Sammlung orientalischer Hand schriften, SWA 109 S. 153- 228.
وصلت هذه المجموعة فيما بعد إلى المتحف البريطاني في لندن.

الذي دَرس سنة ١٨٧٩م فلسفته للتاريخ في دراسة عميقة هي: Ibn Chaldun und seine Kulturgeschichte der islamischer Reiche في مجلة (SWA) عدد ٩٣ من ص ٥٨١ إلى ٦٤٠) استناداً إلى الأصل العربي، وليس إلى الترجمة غير الدقيقة لدى سلان (de Slane)، عَدَّ الدولةَ ظاهرةً اجتماعية يخضع نشوءها وازدهارها وسقوطها لقوانين محددة، وترتبط بكل أشكال الحضارة على نحو غير منفصم، ووجد فون كريمر، مستنداً إلى المثالية الفلسفية، القوى الدافعة التي يحددها الأفراد وفق طبيعة الدولة، في الأفكار التي يتجلى تأثيرها في السياسة والدستور والإدارة ووضع القوانين، وفي الدين والحضارة والعقيدة أيضاً، وتتحدد ملامح الحياة العقلية من خلال صراع مستمر بين الأفكار المتضادة بعضها مع بعض، وبوهنه انحطت الحضارة وانتهت في الأحوال الدينية والاجتماعية، التي / يلحظها فون كريمر أمامه في الإسلام المعاصر. [١٨٩]

وقد جعلت مسارات الأفكار هذه تأليف فون كريمر كتاب: Geschichte der herreschenden Ideen des Islams, Gottesbegriff, Prophetie und Staatsidee سنة ١٨٦٨م، «تاريخ أفكار الإسلام السائد، مفهوم الألوهية والنبوة وفكرة الدولة» أمراً معقولاً، قبل أن ينتقل في كتابه: «تاريخ الشرق الحضاري في عهد الخلفاء» Kulturgeschichte des Orients unter den Chalifen (مجلدان ١٨٧٥ – ١٨٧٧م) إلى الإنجازات الفكرية والمادية للإسلام في العصر الوسيط ليقدم عرضاً رائعاً غنيًا بالأفكار والملحوظات، ويضاف إلى ما سبق التنوع غير العادي للمضمون: فقد برزت السياسة ونظريات الدولة، والإدارة وتشريع قوانين الضرائب كما برز الدين الإسلامي وتفسيره ومذاهب فقهه، وعرض باختصار طريق تاريخ تطور الأدب العربي، وحددت بموهبة إحساس رفيعة ملامح الشعر العربي من خلال ممثليه العظام ونُوّه في تقدير إلى أهمية العلم «العربي» الذي شيد فوق الإرث القديم، ولم يؤثر هذا التنوع للموضوعات تأثيراً مضطرباً لأنه قد جمعت بينه وحدة عليا من خلال رؤية فلسفية تاريخية

بعينها، وكان من بين أعمال فون كريمر المتأخرة الأكثر تـأثيراً مقالتـه: حـول ميزانية الموارد في الدولـة العباسـية فـي سـنة ٣٠٦ هـ[١] (Über des (Einnahmebudget des Abbasidenereichs, vom Jahre 306 d. H. التي حقق فيها بموضوعية الوثائق التي أخبر عنها هلال الصابئ.

٤١- مجموعات من المخطوطات العربية

إن التقدم الذي أحرزته الدراسات العربية في القرن الماضي قد مكّن إلى حـد كبير من أن يُصَبَّ فيها دائماً مواد جَديدة، وقد أسهم تأثير القوى الأوربية الكبرى المتزايد في مقدرات الشرق وتحديثه الذي تولته حملة نابليون على مصـر سـنة ١٧٩٨م، وعدد الأوربيين الضخم الذين تعرفوه سواء أكانوا ممثلين لـبلادهم أو عاشوا في الشرق مدة طويلة في خدمة الحكومات الشرقية أو كانوا رحالة. (كـل هذا أسهم) في اتساع المعرفة بالمشرق. وكان مهماً للدراسـات العربيـة بوجـه خاص أن يزداد عدد المخطوطات العربية زيادة كبيرة في مكتبات أوربا الكبـرى، فإذا كانت مكتبة باريس / قد حصلت حتى سنة ١٨٠٠م على بضع مئات الواردات [١٩٠] من مكتبات الأديرة التي استولى عليها في أثناء الثورة ومن نهب الحملة الفرنسية على مصر بالإضافة إلى ما يسمى (ancient fonds) (أي المخطوطات العربيـة الألف والمائة وثلاثة وتسعون التي كانت بحوزتها سنة ١٧٣٩) فإنها قد أثريـت سنة ١٨٣٥م دفعة واحدة من حوالي ١٥٠٠ مخطوط أكثرها عربية خلّفها القنصل العام في مصر اسيلي دو شرفي (Asselin de Cherville) وقد فَهّرس في نهاية القرن الماضي فهرس دي سلان (de Slane)[٢] ليس أقل من ٤٦٦٥ رقماً.

---

(١) مذكرات أكاديمية فيينا: القسم الفلسفي التاريخي ٣٦، من ٢٨٣: ٣٦٢.

(2) Bibliothèque Nationale. Catalogue des mss arabes. Paris 1883-1895.

المقدمة التي استُقي منها المعلومات الواردة أعلاه (فـي المـتن) لهرمـان تسـوتنبرج (Hermann Zotenberg).

وكان بحوزة المتحف البريطاني حوالي سنة ١٨٠٠م أقل من مئتين وخمسين مخطوطة عربية. وقد زيد عددها إلى حوالي ٣٩٠ مخطوطاً من خلال مكتبة كلوديوس جيمس ريتش (Claudius James Rich) (١٧٨٧- ١٨٢١م) المذكور آنفاً ص ١٦٣ التي حصل عليها سنة ١٨٢٥م، وكان قد مثل شركة الهند الشرقية في بغداد مدة طويلة، وقد عُهد فهرستها سنة ١٨٣٧م إلى عالم لاهوت هو وليم كرتون (William Cureton) (١٨٠٨- ١٨٦٤م)[1] الذي اشتغل بالتاريخ الكنسي القديم، وأتم ما كلف به بعد خمسة عشر عاماً[2].

وفي ألمانيا عاد التحمس للمشرق والدراسات العربية أيضاً الذي أزكته الحركة الرومانسية، فعاد بالفائدة عليها، وقد شجّع الملك فريدريش فيلهلم الرابع (Friedrich Wilhelm IV) ملك بروسيا الذي شغل بأفكار رومانسية، بوجه خاص، الدراسات الشرقية، فاستدعى في السنة الأولى من سني حكمه فريدريش روكرت (Fr. Rüchert) إلى جامعة برلين، وفي سنة ١٨٤٢م حثه كاتم أسراره كرستيان فون بونزن (Christian von Bunsen) (١٧٩١- ١٨٦٠م) الذي كان في لندن آنذاك، على شراء مجموعة قيمة من المخطوطات السنسكريتية، التي كان قد جلبها السير روبرت تشامبرز (Robert Chambers) (المتوفى ١٨٠٣م) من الهند، وبتكليف منه قام عالم المصريات ريشارد لبسيوس (Richard Lepsius) من سنة ١٨٤٢ إلى ١٨٤٦م ببعثة كشفية / إلى مصر، [١٩١]

---

(١) انظر: DNB 13, 325 f.، صار سنة ١٨٤٧م قسيس الملكة فيكتوريا وسنة ١٨٥٠ أسقفاً لكنيسة ويست منيستر (Westminster)، ويكمن خدمته الجلي في نشر نصوص سريانية من مخطوطات دير نتري (Nitri) وصلت آنذاك إلى المتحف البريطاني، وصارت ذات أهمية جوهرية بالنسبة لتاريخ الكنائس. ونشر من النصوص العربية سنة ١٨٤٣م قواعد الدين (ربما يقصد تفسير النسفي) وسنة ١٨٤٦ تاريخ الفرق للشهرستاني (ربما يقصد هنا الملل والنحل).

(2) Catalogus codicum orientalium qui in Museo Britannico asservantur, Pars II, Londinis 1846- 1852.

وقد نُشرت نتائجها في المؤلفـــات الضـــخمة (Denkmälern aus Agypten) «آثار من مصر» منذ سنة ١٨٥٩م، وقد شجع الدراسات العربية من خلال شراء مجموعات من مخطوطات قيمة بوجه خاص، مثل مكتبة شبرنجر المذكورة آنفـــاً سنة ١٨٥٧م إلى حد أن مجموعة مكتبة برلين قد تفوقت في هذا المجـــال علـــى المجموعات الألمانية الأخرى إلى حد بعيد، وأُرْسِل هاينريش بيترمان (Heinrich Petermann) (١٨٠١- ١٨٧٦م) سنة ١٨٥٢م لشراء مخطوطـــات شـــرقية بوجه خاص غير أنه لم يجلب معه إلى وطنه مجموعتين مهمتين فحسب بل جلب معه أخباراً قيمة عن الجماعات الدينية المختلفة أيضاً، مثل السامريين والموارنة واليزيدين والمندعيين على وجه الخصوص، بل إن يوهان جوتفريـــد فتسشـــتاين Johann Gottfried Wetzstein[1] (١٨١٥- ١٩٠٥م) كان أكثر توفيقاً، فقد درس علم اللاهوت والدراسات الشرقية، وحصل على الأستاذية سنة ١٨٤٧م في برلين في تخصص اللغة العربية، وعمل بعد ذلك قنصلاً في دمشـــق مـــن ســـنة ١٨٤٨- ١٨٦٢م، وجمع هناك فـــي خبـــرة واســـعة أربعـــة مجموعـــات مـــن المخطوطات، أتى إلى برلين باثنتين، في حين بينما حصلت ليبزج علـــى الثالثـــة وتوبنجن على الرابعة، وكان فتسشتاين ضليعاً في السريانية والفلسطينية غير أنه مقالاته لم تلق تقديراً كافياً، حيث ظهرت غالباً في مواضع مهملة.

٤٢- فيلهلم آلفارت

نشطت في برلين بُعَيد ازدياد مجموعات المخطوطات العربيـــة الرغبـــةُ فـــي فهرستها، وهو عمل كُلِّـــف بـــه ســـنة ١٨٦٣م فـــيلهلم آلفـــارت (Wilhelm Ahlwardt) (١٨٢٨- ١٩٠٩م)، وكان يوجد آنذاك سلســـلة مـــن الفهـــارس وصفت فيها مخطوطات عربية وصفاً مسبهاً بدرجة أقل أو أكثر، بيد أن آلفـــارت

---

(١) انظر ج. يان (G. Jahn) في مقدمة حكاية خيال الظل التي نشرها من تركة فتسشـــتاين Die Liebenden von Amasia, AKM XII, 2, Leipzig 1906. :(Wetzstein)

أراد أن يُقدِّم بفهرسه لتأريخ مستقبلي في الأدب، حدد له مهمة، هي ليس رسم صورة كلية مضيئة وحية لشخصية كل كاتب فحسب، بل عرض المسار الداخلي للتطور لكل ضرب من ضروب الأدب أيضاً في سياق اتصاله بالتغيرات السياسية والاجتماعية بوصفه / تعبيراً عن الأفكار المحركة للعصر(1)، ولذلك فقد قدم [١٩٢] متجاوزاً نظام وصف المخطوطات المعتاد في الفهارس، معلومة دقيقة عن كل كتاب، وضحى من أجل هذه المهمة بعشرين سنة من أحلى سني عمره، ولكن حين تم طبع المجلدات العشرة سنة ١٨٩٩م كان قد أنجز عملاً ذا قيمة مستمرة لتاريخ المصادر العربية بفضل غزارة مضمونه ودقته.

وبديهي أنه نفسه لم يكفه أن يحث على إدراك أهمية العرب ودراسة مصادرهم، فقد أمَّل أيضاً أن يستطيع أن يقدم باعثاً للاشتغال بالشعر العربي.

وكما دَرَس وحده في سني شبابه نثر العرب وشعرهم في كتاب: Über Poesie und Poetik der Araber ، ونشر قصائد أبي نواس في الخمر «الخمريات» (سنة ١٨٦١م) والدواوين الستة لشعراء الجاهلية (المعلقات) برواية الأعلم الشنتمري (سنة ١٨٧٠م) عاد في شيخوخته إلى الشعر بعد تحقيقه كتاب (الفخري) في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية لابن طباطبا الطقطقي) (١٨٦٠م) وفي سنة (١٨٨٣م) كتاب: Anonymen arabischen Chronik «أحداث / تواريخ عربية مجهولة»، ونشر مجموعاتِ شعراء عرب قدامى: Sammlungen älter arabischer Dichter (في ثلاثة مجلدات من سنة ١٩٠٢ – ١٩٠٣م)(*) وختم مؤلفاته سنة ١٩٠٤م بترجمة لديوان رؤبة في أبيات مرسلة في وزن الإيامب عقد عليها الرومانسي الأخير بين دارسي العربية الأملَ والرغبةَ في أن يتمكن شاعر مطبوع من أن يتعرف طريقةَ أقرانه العرب.

---

(1) قارن: مقدمة طبعته لديوان أبي نواس، جـ ١ ، جرايفسفلد ١٨٦١، ص ٥.

(*) المجلد الأول للعجاج والزفيان، والثاني لرؤبة، والثالث الأصمعيات.

المتحف البريطاني Supplement to the Catalogue of the Manuscripts in the British Museum وصفاً دقيقاً، وأورد فيه إسهامات قيمة في تـــاريخ الأدب العربي من خلال أبحاث دقيقة عن كل مؤلف من المـــؤلفين علـــى حـــده، أسمائهم وحياتهم وعناوين مؤلفاتهم. وكان استدعاؤه إلى كمبردج ســـنة ١٨٩٤ خلفاً لـــ و. روبرتسن (W. Robertson) اعترافاً مستحقاً له بإنجازاته.

٤٤- فرديناند فوستنفلد

نشأت تبعاً للنمو الشديد الذي بلغته حصيلة المخطوطات العربية في مكتبـــات أوربا الكبرى، حركةٌ تحقيق نشطة أيضاً جعلت المؤلفات العربية المختلفـــة فـــي مضمونها أشد الاختلاف متاحة فجأة بصورة عامة، ويشغل تلميذ ايفالـــد، وهـــو فرديناند فوســـتنفلد (Ferdinand Wüstenfeld) (١٨٠٨- ١٨٩٩م)[(١)] بـــين أولئك الذين كرسوا حياتهم لخدمة الدراسات العربية، مكانةً جـــديرةً بـــالاحترام. فنحن ندين بالفضل لاجتهاده في نشر عدد ضخم من المؤلفات المحققـــة البالغـــة الأهمية لمؤرخين وجغرافيين عرب ككتاب ابن خلكان وفيان الأعيـــان (فـــ ١٣ جزءاً) (١٨٣٥- ١٨٥٠م)[(*)]، وكتاب ابن هشام «الســـيرة النبويـــة» (١٨٣٥- ١٨٥٠)، وتواريخ مدينة مكة المشـــرفة (أو أخبـــار أيـــام مدينـــة مكـــة) die Chroniken der Stadt Mekka - (١٨٥٧- ١٨٦١م)، وكتاب ابن قتيبـــة: المعارف (أول كتاب عربي في التـــاريخ) Handbuch der Geschichte [(**)]

---

(١) انظر: Welhausen. NGGW (geschaftl. Mitt.) 1899, 79 f. und ADB 55.

(*) أضفت أسماء الكتب التي يقصدها المؤلف إذ إنه كعادتهم في التأليف لا تذكر معظم الكتب بعناوين كاملة، بل يكتفي باسم المؤلف أو جزء من اسم الكتاب، ومن ثم رأيت إنه يجـــب أن أذكر اسم الكتاب المقصود كاملاً حتى لا يحدث خطأ عند التخمين ويتحدد الكتـــاب مـــن بين كتب المؤلف الذي له في الغالب عدة كتب.

(**) في أربعة كتب للأزرقي والفاكهي والفاسي وابن ظهرة القرشي:

الأول: أخبار مكة وما جاء فيه من الآثار لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي، ورواية=

المتحف البريطاني Supplement to the Catalogue of the Manuscripts in the British Museum وصفاً دقيقاً، وأورد فيه إسهامات قيمة في تـــاريخ الأدب العربي من خلال أبحاث دقيقة عن كل مؤلف من المـــؤلفين علـــى حـــده، أسمائهم وحياتهم وعناوين مؤلفاتهم. وكان استدعاؤه إلى كمبردج ســـنة ١٨٩٤ خلفاً لـــ و. روبرتسن (W. Robertson) اعترافاً مستحقاً له بإنجازاته.

٤٤- فرديناند فوستنفلد

نشأت تبعاً للنمو الشديد الذي بلغته حصيلة المخطوطات العربية في مكتبـــات أوربا الكبرى، حركةٌ تحقيق نشطة أيضاً جعلت المؤلفات العربية المختلفـــة فـــي مضمونها أشد الاختلاف متاحة فجأة بصورة عامة، ويشغل تلميذ ايفالـــد، وهـــو فرديناند فوســـتنفلد (Ferdinand Wüstenfeld) (١٨٠٨- ١٨٩٩م)[١] بـــين أولئك الذين كرسوا حياتهم لخدمة الدراسات العربية، مكانةً جـــديرةً بـــالاحترام. فنحن ندين بالفضل لاجتهاده في نشر عدد ضخم من المؤلفات المحققـــة البالغـــة الأهمية لمؤرخين وجغرافيين عرب ككتاب ابن خلكان وفيان الأعيـــان (فـــي ١٣ جزءاً) (١٨٣٥- ١٨٥٠م)[*]، وكتاب ابن هشام «الســـيرة النبويـــة» (١٨٣٥- ١٨٥٠)، وتواريخ مدينة مكة المشـــرفة (أو أخبـــار أيـــام مدينـــة مكـــة) die Chroniken der Stadt Mekka - (١٨٥٧- ١٨٦١م)، وكتاب ابن قتيبـــة: المعارف (أول كتاب عربي في التـــاريخ) Handbuch der Geschichte [**]

---

(١) انظر: Welhausen. NGGW (geschaftl. Mitt.) 1899, 79 f. und ADB 55.

(*) أضفت أسماء الكتب التي يقصدها المؤلف إذ إنه كعادتهم في التأليف لا تذكر معظم الكتب بعناوين كاملة، بل يكتفي باسم المؤلف أو جزء من اسم الكتاب، ومن ثم رأيت إنه يجـــب أن أذكر اسم الكتاب المقصود كاملاً حتى لا يحدث خطأ عند التخمين ويتحدد الكتـــاب مـــن بين كتب المؤلف الذي له في الغالب عدة كتب.

(**) في أربعة كتب للأزرقي والفاكهي والفاسي وابن ظهرة القرشي:

الأول: أخبار مكة وما جاء فيه من الآثار لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي، ورواية=

(١٨٥٠م) وكتاب ابن دريد: الاشتقاق (اشتقاق أسماء) - Genealogisch etymologisches Handbuch (١٨٥٤م)، وكتاب النووي أبي زكريا يحيي تهذيب الأسماء واللغات (في ٧ أجزاء) Biographisches Wörterbuch (١٨٤٢- ١٨٤٧م) ومعجم البلدان لياقوت الرومي (١٨٦٦- ١٨٧٣) ومعجم ما استعجم للبكري (١٨٧٦- ١٨٧٧) وكتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات Kosmographie للقزويني (١٨٤٨- ١٨٤٩م). وقد زود فوستنفلد، مراعاة لحاجات مستخدمها باستمرار، تحقيقاته بفهارس مفيدة غالباً(*). فلم يدوّن / في فهرسه لكتاب ياقوت، حوالي (١٢,٠٠٠) رجل فحسب، بل قدم لأكثرهم [١٩٤] حقائق ببلوجرافية أيضاً.

وتعد جداوله لأنساب القبائل والأسر العربية سنة ١٨٥٢م (Genealogischen Tabellen der arabischen Stämme und

---

= أبي محمد إسحق بن أحمد بن نافع الخزاعي – ليبزج ١٨٥٨م.

الثاني: المنتقى في أخبار أم القرى لابن ظهيرة – القرشي، وهي منتخبات من تاريخ مكة للفاكهي، ومن شفا الغرام بأخبار البلد الحرام لتقي الدين أبي الطيب بن أحمد الفاسي ومن الجامع اللطيف في فضائل مكة لأبي زكريا يحيي النووي وبناء البيت الشريف لابن ظهيرة ليبزج ١٨٥٩م.

الثالث: كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام تأليف محمد بن أحمد النهرواني، ليبزج ١٨٥٧م.

الرابع: تاريخ مكة باللغة الألمانية، وفيه لوحتان لأنساب أشراف مكة ورسم لمكة ليبزج ١٨٦١م.

(*) له أيضاً: ١- كتاب طبقات الحُفاظ لأبي عبد الله الذهبي في ٣ أجزاء ١٨٣٣م.

٢- اللباب في تهذيب الأنساب للسمعاني ١٨٣٥م.

٣- تاريخ أقباط مصر للمقريزي، جوتنجن ١٨٤٥م.

٤- المشترك وضعاً والمختلف صقعاً لياقوت الحموي، جوتنجن ١٨٤٦م.

٥- البيان والإعراب عما في أرض مصر من الأعراب للمقريزي. ١٨٤٧م.

٦- مختلف أسماء القبائل العربية ومؤتلفها لابن حبيب البغدادي جوتنجن ١٨٥٠م.

(Familien) إلى جانب الفهـرس سـنة ١٨٥٣م (*)، وجداولـه للمقابلـة بـين التقويمين الهجري والميلادي سـنة ١٨٥٤م (Vergleichungstabellen der muhammedanischen und christlichen Zeitrechnung) (١) حتى اليوم أداة من أدوات العمل التي لا غنى عنها لأي متخصص في العربية. وعُدّت أيضاً ترجماته للمؤلفـات العربيـة إلـى اللاتينيـة Überstezungen arabischer Werke ins Lateinische (١٨٧٧م) وكتبه عن المؤرخين العرب ومؤلفـاتهم (سنة ١٨٨٢- ١٨٨٣م) (Geschichtsschreiber der Araber und ihre Werke) وكتابه عن الشافعي (Schafcī) (١٨٩٠م) (**) وأعمالاً أخـرى لمـدة طويلة من المراجع الأكثر استعمالاً. ونقل في أعمال أخرى كثيـرة فـي صـورة منتخبات إلى الألمانية مضمون مصادر عربية.

إن إنجازات فوستنفلد الضخمة أكثر إثارة للعجب إذا وُضِع فـي الاعتبـار أن إدارة المكتبة التي كانت من متطلبات وظيفته لم تشغل من وقته في أثناء الفصـل الدراسي حتى بعد الظهر إلا حوالي ثلاث أو أربع ساعات، ولكنـه كـان داؤوبـاً ومجتهداً وعملياً. فلم تكن له نظرة واثقة بما هو ضروري فحسب، بل بما يُبلِّغُـه غايته أيضاً، فقد أدرك أن قيمة تحقيقاته تتوقف على جودة المخطوطات المتوفرة لديه، فإذا كانت حالتها التي لا وزن لها غالباً من الناحية الموضوعية بينةَ الفساد

(*) ظهرت طبعة جديدة بإشراف شبولر (١٩٦١).

(١) أعيدت إحصائياً سنة ١٩٠٣م (بإضـافة صـفحة «اسـتدراكات»)، وقـدم ادوارد مـاكر (Edward Mahler) (المولود سنة ١٨٥٧) سنة ١٨٨٧ تكملة مـن سـنة ١٣٠٠- ١٥٠٠ هـ، وأعاد هو نفسه تحرير الجداول القديمة وتكملتها من جديد ووسعت بملحـق «السنة الشمسية التركية» ونشر هذا كله تحت عنوان: Wüstrenfeld/Mahlersche Vergleichungs - Tabellen. طبعة ثانية، ليبزج سنة ١٩٢٦م.

(**) لا يقصد بذلك كتاب طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، بـل كتابـه «الإمـام الشـافعي» تلاميذه وأتباعه ١٨٩١ في ثلاثة أجزاء.

(كما كانت الحال في كتاب ياقوت) لم يخفه ذلك من النشر على الإطلاق. ولا يمكن أن يؤخذ عليه إلا تعصبه لمنهج بعينه. فحين اختار بحب تلك المؤلفات للنشر. التي كانت مقبولة بصورة عامة ومتداولة في تعليقات نقدية كثيرة، فإن نص المخطوطات التي استخدمها قد عَرَض كثيراً لمشكلات تتعلق بتاريخ الرواية. ولا تطابق الطريقة التي سلكها عند تحقيقه لكتاب ابن قتيبة (المعارف) أو كتاب القزويني (عجائب المخلوقات)[*] أو كتاب المشترك لياقوت الرومي تقريباً، الأسس التي أدخلها دي خويه في الدراسات العربية، أما النقد الذي لم يرحمه فقد تحمله بصبر عميق واستمر في خدمة العلم على نهجه وبطريقته البسيطة غير أنها مؤثرة تأثيرا بليغا.

٤٥- الدراسات العربية في روسيا

من ١٨٥٠: ١٨٨٠

/ لقد بدأ عهد جديد للدراسات العربية في روسيا بإنشاء كلية اللغات الشرقية [١٩٥] في جامعة القديس بطرسبرج سنة ١٨٥٥م[١]. وقد شهدت نشاط دانيال خوولسن (Daniel Chwolson) (في الأصل دافيد خوولسن ١٨١٩- ١٩١١م)[٢]، ممثل اللغة العبرية وآدابها، وكتابه الثري في مادته: الصابنة والصُبُوء (Die Ssabier und der Ssabismus) (في مجلدين سنة ١٨٥٦م) ما يزال إلى اليوم أيضا لا

(*) عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني أبي عبد الله زكريا بن محمد بن محمود، نشرهما فوستنفلد معاً لأنه يعتقد أنهما يؤلفان كتاباً واحداً في ذهن القزويني، جوتنجن ١٨٤٨- ١٨٤٩م.

(١) ورد مرسوم القيصر الروسي الذي بعث الحياة في الكلية، في مجلة: ZDMG عدد ١٠ من ص ٥١٨ إلى ٥٢٠ في ترجمة ألمانية وسرد فيها أيضاً في عدد ١٨ ص ٣٠٨ اعضاء الكلية

(٢) انظر م. برن (M. Brann) في الكتاب السنوي في التاريخ والأدب اليهوديين ٧ (١٤١١- ١٩٠٤) ص ١٥١ الهامش. والمعجم اليهودي أيضاً ١/ ٩ ١٤ ١٤١١

يمكن أن يحل محله كتاب آخر، انحدر من ليتوانيا (Litauen)، وتلقـى تعليمـاً تلمودياً، قبل أن يرحل إلى برسلاو (Breslau) سنة ١٨٤١م، حيث تكفل ابراهام جايجر (Abraham Geiger) بتعليمه، فتعلم اللاتينية واليونانية ودرس من سنة ١٨٤٤ إلى ١٨٤٨م في الجامعة على يد عالم اللاهوت الكاثوليكي فرانتس موفر (Franz Mover)(١) الذي اشتهر من خلال أبحاثه حول الفينيقيين، وقـد جمـع باجتهـاد كبيـر، مـن خـلال كتـاب دلالـة الحـائرين(*) (Führer der Unschlüssigen) لموسى بن ميمون الذي لفت انتباهه إلى الصابئة، كلَّ أخبـار الكُتّاب العرب التي توصل إليها عن صابئة حران، وفسّرها بفكر ثاقب وحصل بهذا العمل سنة ١٨٥٠م على الدكتوراة على يد فلايشر الذي صرح بأنه لـم تعـرض عليه رسالة علمية أفضل منها على الإطلاق، غير أن خوولسن كان يفتقـر إلـى الحسن النقدي التاريخي، ويتضح هذا بشكل أساسي حين كان قد استهدف الكشف عن بقايا الأدب البابلي القديم في الترجمات العربية (١٨٥٩) (Überreste der altbabylonischen Literatur in arabischen Übersetzungen) فـي كتاب الزراعة النبطية لابن وحشية، وقدم بمساعدته سنة ١٨٦٠م صورة تمـوز Tammuz للإنسان المتأله وفق نظرية أوهيميروس(**). وسرعان ما أثبت رينان (Renan) وا. ف. جودشميد (Gutschmid) (٢) بصورة مستقلة عنه أن كتابات

---

(١) انظر حول موفر (١٨٠٦- ١٨٥٦): .ADB 22, 417- 418

(*) سيرد الاسم بالكتابة الصوتية الصحيحة وليس الترجمة كما هي الحال هنا في الحديث عن سلمون مونك وتحقيقُه الرائع لهذا الكتاب إلى الفرنسية مع هوامش موضحة.

(**) Euhemerismus الأوهيميرية: نظرية أوهيميروس (حوالي ٣٠٠ ق. م. القائلة بـأن الآلهة الكلاسيكية ليست غير ملوك وأبطال وطنيين ألَّههم أقوامهم.

(2) Die nabatäische Landwirtschaft und ihre Geshichte, ZDMG 15, I – II0; War Ibn Wahšiya ein nabataischer Herodot? BVSGW, phil – hist. Kl. 1862, 87- 99.

أعاد جودشميد كلا المقالين في كتابه: Kleine Schriften، ٢/ ٥٦٩- ٧١٦، و٧١٧- ٧٥٣. لم تتوفر مقالة رينان، انظر ما سبق ٢/ ٧١١- ٧١٣.

ابن وحشية تضم تحريفات[1]، / وقد أكدّها فيما بعــد نولدكـــه (Noldeke) فـــي [١٩٦] مجلة: ZDMG عدد ٢٩ مـــن ص ٤٤٥: ٤٥٥. وفـــي ســـنة ١٨٠٩م نشـــر خوولسن القسم الخاص بشرق أوربا من مؤلـــف ابـــن روســـته (Ibn Rosteh) الجغرافي مع ترجمة وتعليق. ويعد من تلاميذه دافيد فون جونتسبورج (David von Günzburg) (١٨٥٧- ١٩١٠م) الذي نشر سنة ١٨٩٦م ديـــوان ابـــن قزمان كما هو فـــي الأصـــل (أي دون تحقيـــق)، وبـــول كوكوفكـــوف (Paul Kokovcov) (١٨٦١- ١٩٤٢) أيضاً التي انصبت أعماله على الأدب اليهودي العربي بصفة خاصة.

وقد مثّل العربية في الكلية في بادئ الأمر، المصري محمد عياد الطنطـــاوي ١٨٤٠- ١٨٦١م[2]، الـــذي نشـــر فـــي كتابـــه (Traité du langue arabe vulgaire)، (اسمه: أحسن النخب في معرفة لسان العرب، نشـــر فـــي ليبـــزج ١٨٤٨م)، مجموعة من المحادثات بالعربية الدارجة، أما الفارسية فقـــد دَرَّسَـــها ميزرا الكسندر كاظم بك[3]، من مدينة رِشت (١٨٠٣- ١٨٧٠م).

ويوجد بين مؤلفات الطنطاوي الكثيرة معجم مفهرس كامل لألفـــاظ القـــرآن الكريم (Concordance complète du Coran) (١٨٥٩م) رتب فيه الألفـــاظ ترتيباً ألفبائياً محضاً وليس وفق جذورها، وأثبت أيضاً في مجلة (J A 1843, II 414 ff.) عدم صحة سورة «النورين» الشيعية التي رويت في «دبستانِ مذاهب» وأخبر عنها جارسين دي تسي (Garcin de tassy) في مجلـــة (JA 1842 I 431 ff.)[4].

---

(١) انظر حول مكانته في التاريخ الأدبي: M. Plessner, ZSem 6, 27 ff.

(٢) Brockelmann, GAL SII 729. (مع مصادره).

(٣) انظر سيرته الذاتية في مجلـــة: ZDMG، عـــدد ٨/ ٣٧٥- ٣٧٨، ودوجـــا Dugat, Histoire der orientalistes I, 169- 185.

(٤) انظر كتاب نولدكه – شفاللي: Nöldeke-. Schwally, Geschichte der Qorāns 2 II 100 ff.

ويعد فلاديمير جيرجَسْ (Wladimir Girgass) الذي توفي صغيراً (١٨٣٥- ١٨٨٧م) من أقدم طلبة الكلية الشرقية الذي أنهى دراساته في باريس على يد رينو (Reinaud) وكوسي دي برسفال (Caussinde Perceval)، ثم قضى سنوات عدة في الشرق، وأهم إنجازاته نشره لكتاب الدِّيْنَوَرِي: الأخبار الطوال، بناءً على مخطوطتي ليدن ولينجراد، وقد ظهر سنة ١٨٨٨م بعد وفاته. ولا يضم إلا النص مع بدائل في أدنى كل صفحة. وقد وضع ا. ج. كراتشكو فسكي (I. J. Kračkovski) سنة ١٩١٢م مقدمة له وأوجه القراءة لمخطوط ليدن الثاني الذي عرف فيما بعد[١] وتصويبات وستة فهارس أيضاً.

٤٦- رحالة إلى شبه الجزيرة العربية

/ يعد الجهل بشبه جزيرة العرب وسكانها الناشئ عن انغلاقها واحداً من أكبر [١٩٧] المعوقات التي واجهتها الدراسات العربية والإسلامية أيضاً، وفي إطار هذه الظروف اكتسبت تقارير الرحلات عن شبه الجزيرة أهمية خاصة، وقد قدم الجغرافي كارل ريتر (Karl Ritter) في كتابه عن جغرافيا الأرض (المجلد ١٧ من سنة ١٨٤٦: ١٨٤٧م) أقدم مادة عنها، ومن بين الذين زاروا مكة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي برز الرحال المستكشف ريتشارد برتون (١٨٢١- ١٨٩٠م)[٢] وزار سنة ١٨٧٦م ومن ١٨٧٧ إلى ١٨٧٨م مَدْيَن[٣]. وتبلورت معرفته بالشرق الإسلامي بدءاً من الهند حتى غرب أفريقيا في

---

(١) ترجع إلى المجموعة التي اشتراها أمين المدني (انظر: EI1344 وكتاب بروكلمان GAL SII 815) ١٨٨٣ في مكتبة ليدن، ونشر سنوك هورجرونيه بالهولندية ١٨٨٣ انطباعاته حولها في مؤتمر المستشرقين السادس الدولي، الذي اشترك فيه آنذاك (أعيدت في: Verspreide Geschriften II 243 – 272).

(2) A. Personal Narrative of a Pilgrimage to El Medinah and Mecca 2 Bde., 1857 u. o.

وضع ن. م. بنزر (N. M. Penzer) سنة ١٩٢٣ قائمة إحصائية بمؤلفات برتون.

(1) The Land of Midian, 2 Bde., 1879.

(Gaurmani)[1] الذين كانوا قد زاروا حايل وتيماء قبله، غير أنه أخذ بنصـائح [١٩٩] المتخصصين مثل: شبرنجرورويرتسن سميث وو. رايـت / وف. لاسـينيو (F. Lasinio)[2] وبادجر (Badger)[3] وزخاو. وطبع في ذيـل المجلـد الأول آراء علماء عدة حول اكتشافات الحِجر. وأورد رينان (Renan) ترجمة للنقوش، وكان لملشوار دي فوجو (Meechoir de Vogüe)[4] موقف من التماثيل، وقد أفادته بوجه خاص مساعدة دي خويه (de Goeje) الذي عُنِيَ بأن تُدرج الألفاظ العربية في النص المنقولة سماعاً فحسب في فهرس ضخم ومعجـم (٢/ ٥٣٦- ٦٩٠) بكتابة صوتية صحيحة، وفي حالة الضرورة مع مقابلها الكلاسيكي، وسرعان مـا أقر المتخصصون بأهمية إنجاز دوتي الكبيرة، فحتى ناقد يصعب إرضـاؤه مثـل فلهاوزن (Wellhausen) قد صرح في مجلة (ZDMG 45, 179) بأنه نادراً ما قرأ كتاباً وتعلم منه كثيراً (مثلما هي الحال مع كتاب دوتي) وتنبأ بأنه لن يتقادم أبداً، أمـا ت. ا. لورنس (T. E. Lawrence) أيضاً فقد استحسنه استحساناً كبيراً.

ولا يمكن أن يقارن بدوتي في مشاركته الوجدانية للبدو مـن رحالـة شـبه جزيرة العرب المتأخرين إلا ا. موزل (A. Musil). وسيحافظ كتاب: رحلات فـي الصحراء (Travels in Arabia Deserta) على مر العصور ككتـاب رحـلات كلاسيكي على مكانة بارزة بين المصادر الجغرافية.

- غيرأن فيلبي (Philby) (وغيره) قد شككوا فـي الوثـوق بـه مـراراً، انظـر أيضـاً: Littmann, Anthropos 35, 1044.

(1) Carlo Guarmani, IL Neged Settentrional, ilinerario da Gerusalemne a Ancize nel Casim, Jerusalem 1866.

(٢) حول فوستو لاسينو (Fausto Lasino) (١٨٣١- ١٩١٣) انظر: GSAI 26, 317 ff.

(٣) جورج برسي بادجر (George Percy Badger) (١٨١٥- ١٨٨٨) كان رجل دين في خدمة شركة الهند الشرقية.

(٤) تشارلز جين ملشوار دي فوجـو (Charles Jean Melchior de Voguè) (١٨٢٩- ١٩١٦) له أفضال عظيمة على تاريخ الفن في الشام.

(Charles Montague Doughty)[1] (١٨٤٣- ١٩٢٦م) بين سنتي ١٨٧٦ و ١٨٧٨م. فكان أول من زار مدائن صالح (الحجر) ثم رافق البدو على أنه «حكيم» في تجوالهم، فرأى تيماء ورحل إلى حايل – ومن هناك قام بسياحة قصيرة إلى خيبر – وضد إرادته من حايل إلى بُريدة وعُنيزة في ريف القصيم، ومن هناك استطاع أن يرتحل أخيراً إلى الحجاز مع قافلة مكة، وفي نشاط وجرأة، وبوصفه جيولوجياً، وملاحظًا دقيقًا، وفوق كل هذا ذا ثقافة عامة موسوعية قدم دوتي (Doughty) في دقة شديدة مشاهداته في كتابه: رحلات في الصحراء العربية Travels in Arabia Deserta[2]. فقد ألقى الضوء على طبيعة الأرض وتكوينها الجيولوجي، وعلى صحاريها وحرّاتها البركانية، وعلى المناخ وعالم النبات والحيوان وعلى سكانها أيضاً. وتناول البدو وعلاقات أصولهم وطرق معيشتهم ونظراتهم تناولاً مفصلاً بشكل خاص، وقد اعتمد في ذلك على ملاحظاته الشخصية بوجه عام، ولم يأخذ أية ملاحظة عن تقارير والن (Wallin)[3] وبلجراف (Palgrave)[4] وجورماني

---

(1) D G. Hogarth, The Life of Chrles M. Doughty. Oxford 1829.
(لم يتوفر لي).

(٢) Cambridge 1888. طبعة ثانية ١٩٢٣، ظهرت طبعة موجزة سنة ١٩٠٨ تحت عنوان: Wanderings in Arabia. فضلاً عن ذلك يمكن أن يفهم مصطلح الصحراء العربية في العنوان على أنها وصف مجرد لا تاريخي، لأنه تحت مصطلح الصحراء العربية فهم الكتاب القدامى البراري العربية – الشامية – فيما بين النهرين الواقعة خارج شبه جزيرة العرب، انظر موزل (Musil): Arabia Deserta S. XIII Anm. I und S.497 ff.

(٣) جورج أوجست والن (١٨١١- ١٨٥٢) توغل في رحلتين سنة ١٨٤٥ و ١٨٤٨ إلى ما بعد حايل وقد جلب النماذج الأولى لشعر البدو العربي الجديد إلى أوربا ونشره في مجلة: ZDMG 5. I ff.; 6, 190 ff. Und 660 ff.

(٤) وليام جيفورد بلجراف (١٨٢٦- ١٨٨٨) نشر سنة ١٨٦٥ كتاب: A Narrative of a years journey through Centraland Easten Arabia (2 Bde.). =

(Gaurmani)[1] الذين كانوا قد زاروا حايل وتيماء قبله، غير أنه أخذ بنصائح [١٩٩]
المتخصصين مثل: شبرنجروروبرتسن سميث وو. رايت / وف. لاسينيو (F.
Lasinio)[2] وبادجر (Badger)[3] وزخاو. وطبع في ذيل المجلد الأول آراء
علماء عدة حول اكتشافات الحِجر. وأورد رينان (Renan) ترجمة للنقوش، وكان
لملشوار دي فوجو (Meechoir de Vogüe)[4] موقف من التماثيل، وقد أفادته
بوجه خاص مساعدة دي خويه (de Goeje) الذي عُنِيَ بأن تُدرج الألفاظ العربية
في النص المنقولة سماعاً فحسب في فهرس ضخم ومعجم (٢/ ٥٣٦- ٦٩٠)
بكتابة صوتية صحيحة، وفي حالة الضرورة مع مقابلها الكلاسيكي، وسرعان ما
أقر المتخصصون بأهمية إنجاز دوتي الكبيرة، فحتى ناقد يصعب إرضاؤه مثل
فلهاوزن (Wellhausen) قد صرح في مجلة (ZDMG 45, 179) بأنه نادراً ما قرأ
كتاباً وتعلم منه كثيراً (مثلما هي الحال مع كتاب دوتي) وتنبأ بأنه لن يتقادم أبداً، أما
ت. ا. لورنس (T. E. Lawrence) أيضاً فقد استحسنه استحساناً كبيراً.

ولا يمكن أن يقارن بدوتي في مشاركته الوجدانية للبدو من رحالة شبه
جزيرة العرب المتأخرين إلا ا. موزل (A. Musil). وسيحافظ كتاب: رحلات في
الصحراء (Travels in Arabia Deserta) على مر العصور ككتاب رحلات
كلاسيكي على مكانة بارزة بين المصادر الجغرافية.

- غيرأن فيلبي (Philby) (وغيره) قد شككوا في الوثوق به مراراً، انظر أيضاً: Littmann, Anthropos 35, 1044.

(1) Carlo Guarmani, IL Neged Settentrional, ilinerario da Gerusalemne a Ancize nel Casim, Jerusalem 1866.

(٢) حول فوستو لاسينو (Fausto Lasino) (١٨٣١- ١٩١٣) انظر: GSAI 26, 317 ff.

(٣) جورج برسي بادجر (George Percy Badger) (١٨١٥- ١٨٨٨) كان رجل دين في خدمة شركة الهند الشرقية.

(٤) تشارلز جين ملشوار دي فوجو (Charles Jean Melchior de Voguè) (١٨٢٩- ١٩١٦) له أفضال عظيمة على تاريخ الفن في الشام.

٤٧- الدراسات العربية في البلاد الاسكندنافية

من ١٨٥٠ : ١٩٠٠

في السويد عُني بالدراسات العربية في إطار فقه لغة الكتاب المقدس (sacra philologia) منذ القدم، وأفادت العلاقات السياسية والاقتصادية بالإمبراطورية العثمانية الدراسات التركية.

بيد أنه يمكن أن يعد يوهان تورنبرج (Johann Tornberg) (١٨٠٧-١٨٧٧م)[١] المعروف بين تلاميذ دي ساسي، وهو الذي درس منذ ١٨٤٧م اللغات الشرقية في لوند (Lund) أول متخصص في العربية، وأهم عمل له هو تحقيقه لكتاب ابن الأثير في التاريخ (الكامل) المستخدم كثيرا (١٨٥١- ١٨٧٦م في ٤ مجلدا وملحق).

ووهبت النوريج في الفترة ذاتها تقريباً متخصصاً في العربية هو كارل بول كاسبري (Karl Paul Caspari) من دسو (Dessau). (١٨١٤- ١٨٩٢م) / الذي تنصر سنة ١٨٣٨م، وعمل منذ سنة ١٨٤٧م محاضراً في كريستيانيا، [٢٠٠] وصار بعد عشر سنوات أستاذاً في علم اللاهوت، وكانت مجالات عمله الرئيسية تفسير العهد القديم، وبخاصة تاريخ الكنيسة، غير أنه بوصفه تلميذاً لفلايشر قد حصل تعليماً طيباً في الدراسات العربية، وتوسط كتابه في النحو العربي الذي نشر باللاتينية أولاً سنة ١٨٤٨م بين ما هو مدخل أساسي وما هو منهج شامل، ووازن باقتدار أيضاً بين نهجي دي ساسي وايفالد، وصادف هذا الكتاب نجاحاً غير عادي، فقد طبعت النسخة الألمانية أربع طبعات وترجم إلى الفرنسية بل إن الأهم من ذلك أن رايت (Wright) قد عني بترجمته منقحة ومزيدة عن الطبعة الثانية، وكان من تلاميذ فلايشر كذلك أوجُست فرديناند ميهرن (August

---

(١) انظر A. Moberg. MO 2, 1907/1908 S. 109- 121.

(Ferdinand Mehren) (١٨٢٢- ١٩٠٧م)(*) الذي عمل أستاذاً للغات السامية في جامعة كوبنهاجن، وكما يتضح من نشره المذكور فيما سبق لرسائل نصيف اليازجي حول طبعة دي ساسي لمقامات الحريري سنة ١٨٤٨م، فإنه قد اشتغل في بادئ الأمر بالنثر الفني والشعر، وقد تجاوز الفكرة الرومانتيكية عن شعر عام للإنسانية موغل في القدم، ورأى أن الشعر العربي لا يمكن تقييمه بناءً على مفاهيم جمالية سائرة في أوربا بل بناءً على معايير وضعها نقادٌ عرب.

وأورد في كتابه: «بلاغة العرب» Rhetorik der Araber سنة ١٨٥٣م عرضا موجزاً يُعتد به لعلم العبارة الصحيحة لغوياً البديعة جمالياً، وعلم أشكال الكلام وصور المعاني، وألحق به منتخباتٍ كثيرة من كتاب (تلخيص المفتاح) لخطيب دمشق وشرحه والمنظومة التعليمية في البلاغة (عقود الجمان) للسيوطي، وملحوظات إيضاحية وذيل أدبي مرتب ترتيباً تاريخياً أيضاً، وبخلاف هذا العمل الرئيسي له الذي ما يزال لا يحل محله آخر إلى اليوم برغم معرفة أصول أقدم منه، نشر ميهرن (Mehren) كتاب (نخبة الدهر) للدمشقي في نصه الأصل العربي سنة ١٨٦٦م وفي ترجمة فرنسية سنة ١٨٧٤، وتحول فيما بعد إلى دراسة الفلسفة الإسلامية(**)، وكان آخر أضخم أعماله هو نشره لبعض رسائل ابن سينا في التصوف وشرحها (٤ كراسات ١٨٨٩- ١٨٩٩م).

(*) من أشهر آثاره: فهرس المخطوطات الشرقية في المكتبة الملكية بالدانمراك. كوبنهاجن ١٨٥١م.

(**) نشر الأقسام الثلاثة الأخرى من الشفاء، ورسالة الطير، وعلاقة فلسفة ابن سينا بالإسلام، وعلاقة مسؤولية الإنسان بالقدر، ودراسات عن فلسفة ابن رشد في صلتها بفلسفتي ابن سينا والغزالي، ونظرات لاهوتية فلسفية لابن سينا (ميزيون ١٨٨٢- ١٨٩٦).

٤٨- الدراسات العربية في فرنسا

من ١٨٤٠: ١٨٧٠

/ يعد ارنست رينان (Ernest Renan) (١٨٢٣- ١٨٩٢م) أول من مثَّل [٢٠١] الاتجاه التاريخي النقدي بين المستشرقين الفرنسيين، فقد تخلى متـأثراً بكتابـات مدرسة توبنجن عن خطته ليصير رجل دين، وتحول إلى دراسة الشرق وتـاريخ الكنيسة، وطوّر في مقدمة بحثه الشهير: ابن رشد والرشدية (Averroès et L' Averroisme)(*) (١٨٥٢م) أسس النظرة التاريخية النقدية، فقد أدرك بتجاوزه طريقة البحث العقائدية من خلال منهج نقدي الملح الجوهري للقرن الذي عـاش فيه، وهكذا حلت الصيرورة(**) والحركـة والنسـبية محـل الثبـوت والسـكون والمطلق، ولم تكن الفلسفة والقانون والسياسة في حد ذاتها موضوع البحث بـل تطورها (أو نتائجها). فمهمة تاريخ الفلسفة أن يرسـم صـورة لتطـور العقـل الإنساني وتاريخ العقل الإنساني هو الحقيقة الكبرى التي يجب أن تُبْحَث، وتبعـه سنة ١٨٥٣م كتابـه المثيـر: «التـاريخ العـام والمنـاهج المقارنـة للغـات السـامية» Histoire gènerale et système comparè des langues sémitiques (الطبعة الثالثة ١٨٦٣م)، الذي لقى نجاحاً عظيماً بأسلوبه السـلس

(*) اعتمد على نصوص ثلاثة قد حققها مونك Munk ولكن حال عماه دون نشـرها. وهـي نصوص عن ابن الأبار والأنصاري والذهبي، والكتاب عن الرشدية اللاتينيـة وتاريخهـا والقرون من الثالث عشر حتى السادس عشر في أوربا وبخاصة في إيطاليـا، والمصـادر عن الرشدية اللاتينية كلها باللاتينية انظر أدلة د. بدوي في موسوعة عـن قلـة معرفـة رينان باللغة العربية ص ٣١١ وما بعدها.

(**) الصيرورة: التغير في حد ذاته من حيث إنه انتقال من حال إلى أخـرى ويقابـل الثبـوت والسكون، وعدها هيرقليطس صراعاً بين الأضداد ليحل بعضها محل بعض وعدها هيجـل سر التطور فهي التي تحل مشكلة التناقض بين الوجود واللا وجود.

المعجم الفلسفي/ مجمع اللغة العربية ص ١٠٨.

واستدلالاته الطريفة وإن كانت قائمة في الغالب علـى تعميمـات غيـر سـائغة لملحوظات منفردة[1]، فقد نسب للساميين استعدادا خاصاً للإيمـان بإلـه واحـد (Monotheismus)، وأغرته ككثير من معاصريه الأحوال في العالم الإسـلامي آنذاك بنتيجة خاطئة وهي أن الإسلام لا مستقبل له، وفي سنة ١٨٦٠م قاد بعثـه (de Phènicie) التي أرسلتها أكاديمية باريس، وفي سنة ١٨٦٧ كان وراء قرار الأكاديميـة لنشـر النقـوش السـامية فـي مجموعـة ضـخمة (Corpus Insriptionum Semiticarum) وإرسال جوزيف هاليفي (Joseph Halèvy) (١٨٢٧- ١٩١٧) إلى جنوب جزيرة العرب لجمع مواد جديدة. وكان رينان نفسه قد اتجه في ذلك الوقت إلى دراسة المسيحية ونشأتها، وصار سنة ١٨٦٢ أستاذاً للغة العبرية في كوليج دي فرانس وقد كلفه كتابه اللافت للنظر (حياة يسوع Vie de Jésus) (١٨٦٣م) وظيفته (التي شغلها س. مُونك (S. Munk) حتى أعادته الجمهورية سنة ١٨٧١م إليها مرة أخرى وعرضت عليه إمكانية العمل السياسي الثقافي على نطاق أوسع، / غير أنه لم يعد ثانية إلى الدراسات العربية كما كـان [٢٠٢] في شبابه، وفي مقابل ذلك لم يكن بين المتخصصين في العربية في فرنسا آنذاك عالم على شاكلة رينان، فقد اهتم كل مـن قـوطرمير (Quatremère) ورينـو (Reinaud) - كما ذكرنا فيما سبق - بتاريخ الشرق وجغرافيته في المقام الأول، وكانت اهتمامات فرنسا السياسية والاقتصادية بالشرق الإسلامي قد أدت إلـى أن ترجح كفة البحث العملي.

وكان ارمان بيير كوسي دي برسفال: (Pierre Caussin de Perceval)[2] (١٧٩٥- ١٨٧١م) في الشرق بوصفه أحد تلاميـذ مدرسـة («فتيـان اللغـة» Jeunes de Langue) من سنة ١٨١٤ إلى سـنة ١٨٢١م، وقـد درس فـي مدرسة اللغات الشرقية العربية الدارجة، قبل أن يتولى سنة ١٨٣٣م خلفاً لوالـده

(١) انظر: Nöldeke, Orientalische Skizzen S. 1- 20.

(2) Dehérain, Silvestre de Sacy 13- 24.

وظيفة أستاذ العربية الكلاسيكية في كوليج دي فـرانس أيضـاً، وأهـم أعمالـه الأساسية: مقال حول تاريخ العرب قبل الإسلام وخلال عصر محمد وحتى خضوع القبائـل للشـريعة الإسـلامية (Essai sur l' histoire des Arabes avant l' islamisme, pendant l' époque e Mahomet, et Jusque à la réduction de toutes les tribus sous la loi musulmane) فـي ثلاثـة مجلدات ١٨٤٧م) عرض فيه تاريخ الوثنية العربية بلا أدنى نقد تـاريخي أيضـاً استناداًإلى روايات وردت لدى ابن هشام (في السيرة) وكتاب الأغاني (لأبي الفرج الأصفهاني) عرضاً حرفياً إلى حد ما، ويرجع بقاء عرضه مدة طويلة إلى غـزارة مادته، وطُبع أيضاً سنة ١٩٠٢ طبعة لا تغير فيها.

وكان خليفته شارل دفرمري (Charles Defrémery) (١٨٢٢- ١٨٨٣م) تلميذ رينو، واشتغل أساساً مثل الأخير بتاريخ الإسلام والجغرافية الإسلامية، وقد عني مع تلميذ آخر لرينو وهو بنيامين رفايل سنجونتي (Benjamin Raphael Sanguinetti)[1] (١٨١١: ١٨٨٣م) بنشر كتاب رحلة ابن بطوطة مع ترجمـة غير أن تحقيق النص ليس كافياً تماماً من الناحية الفيلولوجيـة - (فـي أربعـة مجلدات ١٨٥٣- ١٨٥٩م)، الذي طبع مراتٍ عدة، وما يزال إلى اليوم أيضاً لـم تحل محله طبعة أخرى.

ويدور تلميذ آخر لرينو أيضاً هو ادريـان باربيـه دي مينـار[2] (Adrien Barbier de Meynard) (١٨٢٦- ١٩٠٨م) في الفلك ذاته، برغم أنه حصل على وظيفة الأستاذية في اللغة العربية في كوليج دي فرانس مـن ١٨٨٥م بعـد وفاة جويار (Guyard)، وبوصفه تلميذاً في مدرسة (Jeunes de langue) فقد تعرف الشرق في وقت مبكر، ورافق سنة ١٨٥٥م جـرافن جوبينـو (Grafen Gobineau) في رحلته إلى فارس ثم كان منذ ١٨٦٣م أستاذاً للغة التركية فـي

---

(١) انظر: Darmesteter, JA. S. 8, t. 4, 1884, 29- 31.

(٢) انظر: E. G. Browne, JRAS 1908, 1239- 1241.

مدرسة اللغات الشرقية الحية، ووضع من المواد المتعلقة بـإيران فـي / معجـم [٢٠٣] ياقوت الجغرافي معجمه: Dictionnaire gèo - graphique, historique et littéraire de la Perse et des contrées adjacentes (١٨٦١). ويعد أهم عمل من أعماله الغزيرة بالنسبة للدراسات العربية هو تحقيقـه لكتـاب (مـروج الذهب) للمسعودي المرفق به ترجمة فرنسية، الذي بـدأه ابـل بافـه ديكـورتي (Aber Pavet de Courteille) (١٨٢١- ١٨٨٩م) (ثلاثة أجزاء) ثم أكملـه مينار وحده حتى آخره. وعلى الرغم من أن الأساس المخطوطي ليس كافياً وبناء النص وترجمته أيضاً لم يحققا كثيراً مما يطمح إليه إلا أن هذا التحقيق لا يمكـن الاستغناء عنه بسبب فهرسه على وجه الخصوص، ولا بد أن البحث العملي أيسر بصفة خاصة على هؤلاء الرجال الذين عملوا في مستعمرات فرنسا فـي شـمال أفريقيا، وتوفر لهم منذ ١٨٥٦م مجلة طيبة هي مجلـة (Revue Africaine)، ويعد منهم على سبيل المثال تلميذ رينو وهو جاك – أجست شـربونو (Jaques Auguste Cherbonneau) (١٨١٣- ١٨٨٢م) الذي كان أستاذاً للعربية فـي قسطنطينية ثم مديراً للكلية العربية في الجزائر، وقد بحث إلـى جانـب العربيـة الدارجة في الجغرافيا أيضاً، أما ا. بِرّون (A. Perron) (ت. ١٨٧٦م) [١] فكـان متعدد الاهتمامات إلى حد بعيد، فحين كان مديراً لمدرسة الطب في القاهرة حـث محمد بن عمر التونسي[٢] على تدوين تجاربه التي عايشها هذا الأخير في رحلاته إلى دارفور والوادي، ثم قدم ترجمة فرنسية لكلا الكتابين والنص الأصلي العربي أيضاً من كتاب رحلة إلى دارفور (Voyage au Darfour). وقد كتب فرانسـوا جومار (François Jomard) (١٧٧٧- ١٨٦٢م) المعروف بمحاضراته الرائعة عن وصف مصر (Descrption de l' Egypte) وجهوده لزيـادة المعلومـات الجغرافية، للترجمتين مقدمةً مع ملحوظات قيمة، وحين كان مديراً للمدرسة العليا

---

(١) انظر: نعيه في مجلة: JA s. 7, t. 8, 1876, 28.

(٢) انظر: دائرة المعارف الإسلامية، ٤/ ٩٣٨- ٩٤١.

في الجزائر وعضو اللجنة العلمية وجه اهتمامه إلى الشريعة الإسلامية، فقدم لمختصر (الـ) خليل بن إسحق ترجمةً كاملة أكملت بمنتخبات من المصادر الشارحة تحت عنوان «مقالات في الشريعة الإسلامية» (Prècis de jurisprudence musulmane) (ظهرت ١٨٤٨- ١٨٥٤م) في المجلدات من ١٠- ١٦ من كتاب: «الاكتشاف العلمي في الجزائر، العلوم التاريخية» Exploration scientifique de l' Algérie Sciences historiques (ط. ثانية ١٨٧٧م).و تقرّب صورة نشاطه المتعدد الجوانب ترجماتُه لكتاب الناصري، بحث في أمراض الخيل (١٨٥٢- ١٨٦٠) وكتاب السيوطي (طب النبي) (١٨٦٠م) وكتابه: «المرأة العربية» (Femmes arabes) (١٨٥٨) وكتابه الذي خلفه: / «الإسلاميات» (L'islamisme) (١٨٧٧). [٢٠٤]

وقد لقي تاريخ علمي الفلك والرياضيات العربيين أيضاً عناية في فرنسا، فقد أكمل املي سديلو (Amèlie Sèdillot) (١٨٠٨- ١٨٧٦م)[1]، سكرتير مدرسة اللغات الشرقية منذ ١٨٣١م، أعمال والده جان - جاك سديلو (Jean – Jaques Sèdillot) (١٧٧٧- ١٨٣٢م) أحد تلاميذ دي ساسي، ونشر ترجمته لكتاب المراكشي (جامع المبادئ) تحت عنوان: «مقدمات في أدوات علم الفلك عند العرب» (Traitè des instruments astronomiques des Arabes) (١٨٣٤- ١٨٣٥م)، ونشر هو نفسه من سنة ١٨٤٧- ١٨٥٣م مقدمات أولغ بك في نصها الفارسي مع ترجمة وتعليق وكتب: (Matériaux pour servir à l' histoire comparèe des sciences mathématiques chez les Grecs et les Orientaux) «مواد من أجل التاريخ المقارن لعلم الرياضيات عند اليونانيين والشرقيين» (في مجلدين، ١٨٤٥- ١٨٤٩م).

أما فرانتس فوبكه (Franz Woepcke)[2] (١٨٢٦- ١٨٦٤م) من دساو

---

(1) DUGAT, Histoire des Orientalistes I, 121- 142.

(٢) نعاه ا. نردوتشي (E. Narducci) في مجلة: Bolletins di bibliografia e di

(Dessau) فقد برع في حقل علم الرياضيات العربي. فقد درس العربية على يـد جليده ما يستر (Gildemeister) بعد انتهاء دراساته في بون، وعاش فيما بعـد أغلب حياته في باريس، وقد نشر سنة ١٨٥١م كتاب الجبر لعمر الخيام – الـذي كان معروفاً في الغرب آنذاك بوصفه عـالم رياضـيات مهمًـا، ولـيس شـاعر الرباعيات بعد – في نصه العربي مع ترجمة وتعليـق، وتـرجم سـنة ١٨٥٢م رسالة: الكرجي[1] في الجبر بتلخيص الفخري.

وحين اكتشف أمير بالتـازار بوكـومبني (Balthasar Boncampagni) (١٨٢١- ١٨٩٤م) عدة كتابات ليوناردو بيسانو (Leonardo Pisano) الـذي أدخل الحساب بالأرقام العربية إلى أوربا من خلال كتابه كتاب ألف بـاء (Liber abaci)، وبدأ في نشرها منذ ١٨٥٧م، قدم فوبكه لها بحثاً نقدياً لمصادرها.

وكان جاك كلمن موليـه (Jacques Clèment - Mulleti)[2] (١٧٩٦-١٨٦٩م) عالم طبيعة، درس العربية لدى كوسى دي برسفال ورينـو، ومؤلفـه الرئيسي هو الترجمة الفرنسية لكتاب (الفلاحة) لابن العـوام (جـزءان ١٨٦٤-١٨٦٧م)، وتقوم على الطبعة الناقصة للغاية التي نشرها جوزيف انطونيو بوكري (Josef Antonio Bauqueri) (ت. ١٨١٨) تلميـذ كاسـيري (Casiri) مـع ترجمة أسبانية بها أخطاء أيضاً (جزءان، مدريد ١٨٠٢)، غير أنه أنجزها بخبرة فائقة بالموضوع، ويستحق كتابه: «مقالات حول علم المعارف العربي» (Essai sur la minéralogie arabe) (١٨٦٨م) طبعـة خاصـة للمجلـة الآسـيوية (Journal Asiatique) من بين أعماله الأخرى الصدارةَ.

---

storia delle scienze matematiche e fisiche 2 (1869) 119- 152. (مع قائمة مراجع).

(١) هذه هي صيغة الاسم الذي أكدها ليفي دلافيدا (Levi Della Vida) في مجلـة: RSO، عدد ١٤، ص ٢١٤، وليس الكرخي.

(2) DUGAT, Histoire des Orientalistes, 2, 31- 43.

وقد وجدت دراسة الأدب اليهودي العربي المهملة للغاية دون غيرها في سلمون مونك (Salomon Munk)[1] (١٨٠٥- ١٨٦٧) من مدينة جلوجاو (Glogau) خبيراً رائعاً، وقد درس العربية في بون على يد فرايتاج أولاً، ثم في باريس على يد دي ساسي وقوطرمير فيما بعد، وعثر على عمل في باريس بدار المخطوطات، وتعرف الشرق سنة ١٨٤٠م حين كان مرافقاً لرحلة ادولف كرميو (Adolphe Crémieux)، وصار سنة ١٨٦٥م. أستاذاً للعبرية في كوليج دي فرانس، غير أنه توفي سنة ١٨٦٧م. وقد عني بتحقيق ممتاز لكتاب ابن ميمون الرئيسي في علم اللاهوت، وهو (دلالة الحائرين) مع ترجمة له وهوامش إيضاحية (ثلاثة أجزاء ١٨٥٦- ١٨٦٦م). عرضت فيه للمرة الأولى قواعد الخط والكتابة الموحدة في رسم الحروف العربية والعبرية، وقد صوب مونك (Munk) النص بوجه عام وفق قواعد النحو المدرسي، فأغلب التعبيرات الدارجة التي راعاها المؤلف بينت مخطوطات ابن ميمون الأصلية (بخط يده) التي أفادت في مكتشفات الجنيزة (Geniza)[2].

وكتب مونك فضلاً عن ذلك عدداً من المقالات حول فلاسفة الدين اليهود في العصر الوسيط، ويضم كتابه:«أبحاث في الفلسفة اليهودية والعربية» Mélanges de phiosophie juive et arabe (١٨٥٩) أبحاثاً دقيقة عن ابن جبرول، ودراسات أخرى.

وكرّس الأب جان – يوسف ليندر برجيه (١٨١٠- ١٨٩٦) أستاذ العربية في كلية اللاهوت في باريس، حياته لبحث فرقة القرائين(*) من خلال نشره للشروح

(1) DUGAT, Histoire des orientalistes 2, 192- 202. Jeswish Encycl. 9, 101.

(٢) انظر: BANETH, Qiryat Sefer XI, 353.7

(*) كان أول ظهور لاسم «القراءون» في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي، وذلك في كتابات بنامين النهاوندي، أي بعد ما يزيد على مائة عام من أيام عنان. وقد أطلق عليهم=

العربية لأكبر مفسر للكتاب المقدس القرائي يافث بن عَلِيّ على المزاميـر سـنة ١٨٦١م ونشيد الأناشيد سنة ١٨٨٤م، ونشر بالتعاون مع بار (ابن) جولـدبرج (Bàr Goldberg) سنة ١٨٥٧م رسالة يهودا بن قريش القيمة لبدايات النحـو العبري الموجهة إلى الجماعات اليهودية في فاس، وعلى العكس من ذلـك فـإن أعمال برجيه (Bargè) حول تاريخ المغرب كاد يطويها النسـيان فـي الوقـت الحاضر.

٤٩- وليم رايت

/ سمت الدراسات البريطانية الحديثة بمؤسس مدرسة كمبردج، وليام رايـت [٢٠٦] (William Wright)[1] (١٨٣٠- ١٨٨٩م) الذي تعرفنا عليه من قبل مشاركاً في تحقيق دوزي (Dozy) لكتاب (نفح الطيب) للمَقَّري. فقد وُلِد فـي الهنـد لأبٍ اسكتلندي كان يعمل في شركة الهند الشرقية، ولم هولندية ودرس فـي سـانت اندروز (St. Andrews) فقه اللغة القديم، وسافر إلى هالـه، حيـث اسـتماله روديجر (Rödiger) للدراسات السامية، وهداه حبه للعربية للذهاب إلى ليدن لدى دوزي، وفي سنة ١٨٥٢م نشر رحلة ابن جُبير عن مخطوط ليدن الوحيد؛ وهـو إنجاز في نضج مثير للدهشة لامرئ في الثانية والعشرين تميز بمعرفة راسخة في اللغة والموضوع وحكمٍ نقدي صائب، وقد وافق ميله التام الشعرَ العربـي والأدب الرشيق[٢]. فعني في بادئ الأمر بطبع المجلدات الخمسة الأولى من كتاب المقري (١/ ١- ٤٦٢)، وعمل منذ ١٨٥٥م في الكلية الجامعة (University College)

= أيضًا «بني المقرا» أي هؤلاء الذين اعتمدوا على المقرا فقط باعتبارها المصدر الوحيـد للتشريع، وترجم الاسم أحياناً إلى بني الدعوة أو أصحاب الدعوة - ربما بتـأثير عربـي إسلامي - حيث كانوا يدعون إلى طريقهم وينادون بوجوب عدم التقييد بالتلمود.

(1) JRAS 1889, 708- 713; De Goeje, Je 8e s., t. 13, 522- 529; Nöldeke, Deutsche Rundschau 1889, 306- 309; Arberry, The Cambridge School of Arabic 25- 27.

(٢) انظر: رسالته في ٨/ ١١/ ١٨٥٢ إلى فلايشر التي طبعت في مجلة: ZDMG 7, 109 f.

في لندن، ومنذ ١٨٥٦م في كلية ترينتي (Trinity C.) في دبلن، واستطاع أن ينشر سنة ١٨٥٩م كتاب رسائل عربية: Opuscule Arabica، والجزء الأول من كتابه: «نحو اللغة العربية» Grammar of the Arabic Language، تبعه الجزء الثاني سنة ١٨٦٢م، ويقدم هذا الكتاب الذي يبدو من صفحة عنوانه غير الموفق كأنه ترجمة لكتاب كاسبري (Caspari) في النحو، معالجة مستقلة للموضوع تتميز بصياغة واضحة للقواعد وأمثلة مختارة بمهارة، وقد ظهرت ١٨٧٤- ١٨٧٥م طبعة ثانية و١٨٩٦- ١٨٩٨م بعد وفاة رايت طبعة ثالثة له عني بها و. روبرتسن سميث وم. ي. دي خويه، ما تزال إلى اليوم لم تُتجاوز، ولم يستدعَ رايت إلى أكسفورد برغم هذا الإنجاز حين صار كرسي الأستاذية في اللغة العربية شاغراً سنة ١٨٦٢م[1]. ومن ثم ظل من سنة ١٨٦١ إلى ١٨٧٠م يشغل مساعد أمين مكتبة في قسم المخطوطات في المتحف البريطاني، وقدم في فهرس من ثلاثة مجلدات للمخطوطات السريانية التي حصل المتحف عليها منذ ١٨٣٨م – يرجع الجزء الأكبر منها إلى الدير السرياني في وادي النطرون – / ظهرت من سنة ١٨٧٠: ١٨٧٢م، وصفاً يتميز بدقة كبيرة ومعرفة باللغة [٢٠٧] والموضوع، واشتغل كذلك بالمخطوطات الحبشية التي وقعت في أيدي بريطانية سنة ١٨٦٨ عند اقتحام قلعة مجدالاً (Magdala) التي احتمى بها الأحباش. وتوالى اشتغال مثمر بالتحقيق إلى جانب نشاطه الوظيفي ولا سيما منذ أن استدعى سنة ١٨٧٠م إلى كمبردج أستاذاً للعربية. فكان له بصر لا يخطئ في قراءة المخطوطات ونسخها، وكتب بيد مدربة على ذخائر مكتبة ليدن والمتحف البريطاني. وكان عالماً متفوقاً في علم أشكال الكتابة القديمة ونشر بتكليف من الجمعية البليوغرافية (Palaeographical Society) السلسلةَ الشرقية، ومن ثم

---

(١) انظر دي خويه في كتابه الذي سبق ذكره، وهو نفسه في خطابه في ذكرى مولر الذي ألقاه أمام (Académie des Inscriptions et belles lettres) سنة ١٩٠٢: Notice sur la vie et les travaux de Max. Muller, S. 14.

كانت أعماله نموذجاً للدقة والأمانة المنزّهة، ففي سنة ١٨٦٥م نشر عن مخطوطات لندن السريانية كتابه: (Contributions to the Apocryphal Literature of the New Testament «إسهامات في الأدب الأبوكريفي للعهد الجديد»)(*) ١٨٦٩م ومواعظ أفراط (Aphrate)، وسنة ١٨٧١م: «الأعمال الخفية للرسل» Apocryphal Acts of the Apostles مع ترجمة إنجليزية، وتلاها فيما بعد أخبار يوشع العمودي (Josua Stylistes) (١٨٨٢م) وترجمة سريانية مبكرة لكليلة ودمنة عن العربية(١)، وبعد وفاته ظهرت سنة ١٨٩٨، بعناية تلميذه ماكلين (Mc Lean) طبعته للترجمة السريانية لتاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيسراني (Eusebius).

وفي أخريات حياته فهرس المخطوطات السريانية في جامعة كمبردج، وقد بدأ ا. أ. بفان (A. A. Bevan) طبعه، وأكمله س. ا. كوك (St. A. Cook) سنة ١٩٠١ حتى نهايته(٢). وكتب رايت في الموسوعة البريطانية (EB) (المجلد ٢٢/ ٨٢٤- ٨٥٦) عرضاً ثري المضمون حول «الأدب السرياني»، ظهر سنة ١٨٩٤م على هيئة كتاب، لقد كان مستعداً للمعاونة إلى أقصى مدى بمعلومات عن مخطوطات لندن السريانية لكل مَنْ عُني بنسخ نسخٍ منها ومنتخبات ومقابلات وعاون في قراءة التصويب، فقد قرأ على سبيل المثال العرض الثالث من ملازم المعجم السرياني (Thesaurus Syriacus) الذي بدأ زميله في كمبردج، عالم اللاهوت روبرت بين سميث Robert Payne Smith (١٨١٩- ١٨٩٥م) طبعه

(*) apocrypha الأسفار الخفية: أربعة عشر سفرًا تلحق بالعهد القديم من الكتاب المقدس، ولكن البروتستانت لا يعترفون بصحتها. فهي كتابات مشكوك في صحتها أو في صحة نسبتها إلى من تعزي إليهم من المؤلفين.

(١) قدم أيضاً سنة ١٨٨٥ تلميذ رايت وهو جرانت نفيل كيث - فلكونر (Grand Neville Keith - Falconer) (١٨٥٦- ١٩٨٧) ترجمة إنجليزية لها.

(٢) A Catalogue of the Syrac Mss in the Library of the University of Cambridge, 2 Bände, 1901.

منذ سنة ١٨٦٨م. وساعد أيضـاً أدولـف نويبـاور (Adolf Neubauer)[1] / [٢٠٨] (١٨٣١: ١٩٠٧م) عند تصحيح طبعته لكتاب أبي الوليد بن جناح (الأصـول)[2]. وقد ذُكر فيما سلف إسهامات رايت في معجم دوزي «التكملة» (Supplément) وهي التي تتوزع بين الكتاب السابق ومعجم بين سميث (ومعجم بر علي أيضـاً) وتحقيق ديوان امرئ القيس (لدى سلان) وديوان قبيلـة هـذيل (لكوزيجـارتن) والمفصّل (لبروخ (Broch))، وتحقيقات رايت نفسه، ويعد أكثر إنجازات رايـت نضجاً في حقل الدراسات العربية هو تحقيقه الرائع لكتاب الكامل للمبرد.

فقد كان قد بدأ في ليدن الاشتغال بهذا المصدر المهم في الأدب وقـد ظهـر النص المشكل تشكيلاً صحيحًا إلى حد بعيد من سنة ١٨٦٤ - ١٨٧٤م على نفقة الجمعية الألمانية الشرقية في عشر كراسات شكلت مجلدًا ضخمًا. وألحقت به سنة ١٨٨٢م الفهارس ذات الفروع الثمانية (انظر من ص ٧٩٧ : ٩٩٨).

وأراد رايت كذلك أن يكتب مقدمة عن حياة المبـرد وأعمالـه ومخطوطـات الكتاب وحالتها المتغايرة، غير أنه لم يوفق في تحقيق هذا الهدف. وبالنسبة للذيل النقدي فقد قابل النص بمخطوطات متجزأة اشتهرت في وقت متأخر فـي مكتبـة جوتا (G) وليدن (H) والطبعة التي ظهرت في استانبول سنة ١٨٧٠م (F) أيضًا.

وعلى النقيض من ذلك ظلت المخطوطة القديمة في مكتبة الاسكوريال غيـر متاحة له. وقد جمع دي خويه (de Goeje) من هذه المقابلات ومن الجزء الأكبر من التصويبات المهمة للنص لفلايشر ونولدكه، وأضاف إليها ملحوظاته الخاصة، جمعها في ملحوظات نقدية (Critical Notes) ظهرت سـنة ١٨٩٢م ككراسـة

---

(١) انظر: Jewish Encyclopaedia 9, 234- 235.

(2) The Book of Hebrew Roots by Rabbi Yōnāh, Oxford 1875.
حول هذه الطبعـة انظـر: W. Bacher, ZDMG 38, 620- 629; 42 305 f.; 42, 307- 310, 57, 373- 375.

ثانية عشرة له وختم بها الكتاب الحالي.

واهتم رايت في الثمانين من القرن التاسع عشر كثيرًا بشعراء العصر الأموي العظام؛ الأخطل وجرير والفرزدق، فنسخ مخطوطات (دواوينهم) وحصل من إرث ريشار بوشه (Richard Boucher)[1] (١٨٤٣ – ١٨٨٦ م) على نسخته المنقولة على مخطوطة استانبول لديوان الفرزدق. غير أن مرضه بفقر الدم القاتل الذي أصيب به سنة ١٨٨٩م لم يمكنه من / إكماله حتى آخره. وقد استخدم بفان [٢٠٩] (Bevan) أعماله التمهيدية.

كان رايت معلما بارعًا، فقد قدم لمتطلبات التدريس الأكاديمي سنة ١٨٧٠م في الجزء الأول (الوحيد) من كتابه : (Arabic Reading Book)، مختارات شعرية ونثرية، خبت تأثيرها، لأن الجزء الثاني مع قائمة بالمفردات لا يمكن الاستغناء عنها لم يجد أي ناشر له. وسعى بالنسبة لدارس علم اللاهوت من خلال محاضراته عن علمي الأصوات والصرف للغات العبرية والسريانية والعربية التي ظهرت سنة ١٨٩٠م بعد وفاته تحت عنوان «محاضرات في النحو المقارن للغات السامية» (Lectures on the Comparative Grammar of Semitic Languages) إلى أن يثير إدراكًا بالمنهج المقارن في اللغة. وقد خدم نشره لكتاب (Jona) في صياغة كلدانية وسريانية وحبشية وعربية سنة ١٨٥٧م الغرض ذاته.

أما ادوارد هنري بالمر (Edward Henry Palmer)[2] (١٨٤٠ –

---

(١) انظر نعي (رثاء) درامشتتر (Darmesteter) في مجلة : JA 8e ser. T. I2, 4I عني بوشه بتحقيق ناقص لديوان الفرزدق. ١٨٧٠ – ١٨٧٥م مع ترجمة فرنسية متواضعة.

(٢) A. J. Arberry , the Cambrige School of Arabic S. 27. أعاد أربري نشر كتاب بالمر : التصوف الشرقي (Oriental Mysticism) سنة ١٩٣٨م ، ووصف حياته فالتر بسنت (Walter Besant) سنة ١٨٨٣ م.
له كتاب : رحلة في شبه جزيرة سيناء ، وتاريخ القدس. وفهرس المخطوطات الشرقية=

١٨٨٢م) فكان ذا طبيعة مخالفة لرايت تماما، فقد درس إلى جواره منذ ١٨٧١م عدة سنوات، غير أنه صار بعد ذلك صحفيًا. بيد أنه لم يصمد هناك أيضًا مدة طويلة. وحين تفجرت ثورة عرابي باشا سنة ١٨٨١م أرسل بالمر سنة ١٨٨٢م إلى مصر في بعثة مهمة سرية، ثم رحل من هناك بمعونة مالية إلى بدو شبه جزيرة سيناء الذين كان قد تعرف بهم فيما سبق في رحلتين من سنة ١٨٦٨ – ١٨٦٩م ومن سنة ١٨٦٩ – ١٨٧٠ م. وهناك لقي في أغسطس سنة ١٨٨٢م حتفه مقتولاً. كان بالمر الذي تعلم لغة الحديث العربية على يد رزق الله حسون[١][*]، وأجاد أيضًا الفارسية والهندوستانية إجادة تامة، كاتبًا (أديبًا) متعدد الاهتمامات.

وكان نشره لقصائد بهاء الدين زهير[٢] التي طبعت طبعة فاخرة مع ترجمة شعرية (مجلدان ١٨٧٦ – ١٨٧٧ م) ثمرة إقامته في القاهرة. وقد عني في سلسلة ماكس مولر (Max Muller) : كتب الشرق المقدسة (Sacred Books of the East). بترجمة إنجليزية للقرآن في المجلدين السادس والتاسع، اعتمد فيها في حقيقة الأمر على تفسير البيضاوي.

- في مكتبة جامعة كمبردج، وله ترجمة للقرآن ، وكتاب من هارون الرشيد وعاصمة بغداد. وله أيضًا قواعد اللغة العربية بالإنجليزية (ليدن ١٨٨١م) على نهج النحاة العرب القدامى.

(١) انظر عنه : .Brockelmann , GAl S II 757

(*) رجل سوري من حلب يدعى رزق الله حسن الحلبي.

(٢) قدم جويار أيضًا في : St. Guyard, Le divan de Beha ed – Din Zoheir (1883) تصويبات كبيرة.

٥٠- وليم روبرتسن سميث

/ خلف الاسكتلندي وليم روبرتسن سميث (William Robertson [٢١٠] Smith)[1] (١٨٤٦ - ١٨٩٤ م) كلاً من بالمر (كقارئ للعربية لدى اللورد المنور (enormAl)) منذ سنة ١٨٨١ م، ورايت (كأستاذ سير توماس أدمز في العربية) منذ سنة ١٨٨٩ م.

تحتم على سميث عالم اللاهوت في الأصل، وأستاذ العبرية في أحد المدارس الكنيسة العليا في ابردين (Aberdeen) أن يتخلى عن منصبه، لأنه أقر بنتائج النقد الشديد للكتاب المقدس الذي كان قد تعلمه في ألمانيا.

واكتسب معاشه من اشتراكه في نشر دائرة المعارف البريطانية - (يفهم من هذا النشاط أنه كان باعث فكرة دائرة المعارف الإسلامية سنة ١٨٨٢)[2] - حتى وجد وظيفة في كمبردج. ودارت بحوث من هو - ولِع بالنقد، واضح الفكر، خصيم كل ما هو تصوف وروحاني، غير أن الإيمان بالحقيقة الدينية متغلغل في أعماقه في الوقت نفسه - حول الإدراك النقدي التاريخي لدين العهد القديم الذي تأكدت له خاصية الوحي فيه على نحو لا يتزعزع. ويضاف إلى ذلك أنه أدرك من خلال عالم الاجتماع ج. لنن (J. F. Mc. Lennan) الدور الذي تلعبه أشكال مختلفة من بناء الجماعات في تاريخ تطور الإنسانية. ومن ثم كان أول من لاحظ آثار نظام الأمومة السحيق عند الساميين[3]. فأعاد سنة ١٨٨٥م في كتابه : علاقة القربى والزواج (Kinship and Marriage) من خلال مناهج علم

---

(١) انظر : St. A. Cook, Aberdeen University Studies I28 (I951) S. I0

(٢) انظر : A. Socin, ZDMG 5Im 677.

(٣) في مقالة لم تتح لي في مجلة فقه اللغة ، ٩ / ٧٥. وسّع موضوعه سنة ١٨٨٣م الانثولوجي الهولندي جيورج الكسندر فيلكن (George Alexander Wilken) (ت ١٩٢٠) في كتاب حول المرحلة الأمومية عند العرب القدامى ، ترجم إلى الألمانية ١٨٨٤م.

الاجتماع المقارن، واعتماد شديد على سلسلة تطور الزواج الإنساني التي عرضها ماك لنن (Mc. Lennan) في كتابه : دراسات في التاريخ القديم (Studies in Ancient History) سنة ١٨٧٦ م، بناءَ صورة المراحل التي مر بها وفق رأيه المجتمع العربي منذ بداياته الأكثر بدائية حتى علاقات القبائل والأسر الحالية. ولم تتم إعادة البناء هذه إلا قسرًا على أساس معايير مقارنة جديرة بالتساؤل لـنقص المصادر. ومع ذلك / فقد أثر الكتاب المكتوب ببراعة تأثيرًا مثيرًا من خلال جـدة [٢١١] طرح القضية. ولم يفت ت. نولدكه (Th Nöldeke.) الذي أبدى تحفظات شـديدة تجاه عرض الأدلة (التدليل)، في عرض مستفيض (في مجلة ZDMG 40 ,148 187 –) أن يبرز بصورة مناسبة الأفضال الباقية للاسكتلندي العالم وثاقب الفكـر في جلاء الأوضاع الاجتماعية في العصور الســامية القديمـــة. وأراد ســميث أن يخصص كتابًا ضخمًا لتطور الدين على أساس تاريخي نقدي. غير أنه لـم ينجـز منه إلا المجلد التوطئـــة حــول ديانـــة الســاميين : (The Religion of the Semites) (١٨٨٩ م، ط. ثانية ١٨٩٤، ط. ثالثـــة لكــوك (Cook .A .ST)، ١٩٣٧ م، ترجمه إلى الألمانية ر. شتوبه (R. Stube) ســنة ١٨٩٩ م). الــذي يظهر المزايا والعيوب ذاتها شأنه شأن أعمال سميث القديمة. والتناول الاجتماعي للدين هنا أيضًا جدير بالملاحظة، وبخاصة إثبات تأثير الجماعة البدائية المتفقــة في العقيدة المتحدة في التناول المقدس للقربان على تطور الأديان.

٥١ – ميشيل يان دي خويه

إذا كانت الدراسات العربية في هولندا قد نهضت علــى يــد دوزي (Dozy) نهضة عظيمة، فإنها قد عرفت نموًا حقيقيًا من جهة المنهج والمادة أيضًا على يد تلميذه ميشيل يــان دي خويــه Michael Jan de Goeje. (١٨٣٦ – ١٩٠٩ م)[1].

---

(1) SNOUCK HURGRONJE , M. J. de Goeje , Traduction francaise de

وقد طبق دي خويه منهج نقد النصوص المعتاد في الفيلولوجيا الكلاسيكية الذي تعلم تطبيقه على يد عالم اليونانية القدمة في ليدن كارل جابريل كوبت (Carl Gabrial Cobet) في دراسة نصوص عربية. وقدم في إطار المنهج التاريخي الذي عرفه به دوزي، في باكورة أعماله التي ظهرت سنة ١٨٦٠م بعنوان : نماذج من الكتابات الشرقية (Specimen e literis orientalibus) (رسالته للدكتوراه). الباب المتعلق بالمغرب من كتاب البلدان لليعقوبي، في نصه الأصلي مع ترجمة وتعليق. وأثبت خصوصيته في تناول المسائل القضايا التاريخية في : مذكرات في تاريخ الشرق وجغرافيته (Memoires d' histoire et de géographie orientales)؛ يعالج في المذكرة الأولى / أصل حركة [٢١٢] القرامطة وسيرها اتجاهها، وفي الثانية يثبت سنة ١٨٤٦م زيف النصوص حول غزو الشام التي نشرها نساو ليز (Nassau Lees). وأسهم في نشر القسم الخاص بالمغرب والأندلس الذي عني به دوزي من جغرافية الإدريسي وقد ظهر بعنوان : وصف أفريقيا والأندلس (Descriptions de L' Afrique et d' Le Espagne)، وترجمة توضيحية للفصل الخاص بشمال أفريقيا.

وبدأ في الوقت نفسه سلسلة طويلة في تحقيقاته النموذجية للنصوص : كتاب البلازدي (فتوح البلدان) في ثلاثة أجزاء (١٨٦١م)، والمجلدان من كتابه : متفرقات تاريخية عربية، ما تبقى من كتاب (العيون والحدائق في أخبار الحقائق لمؤلف مجهول (ق ٥ أو ٦ ؟) (Fragmenta historiorum arabicorum) (١٨٦٧ - ١٨٧١ م) شاركه في المجلد (الجزء) الأول منهما باول دي جونج (Paul de Jong) (ت ١٨٩٠م). ثم تبعها من ١٨٧٠ - ١٨٩٤م في ثمانية

أعيد طبعه، بدون قائمة المراجع التي وضعها Madeleine Chauvin, Leiden 1911
في: Verspriede Geschriften VI) ت. و. جونبول (Th. W. Juynboll)
وأعيد في الكتاب نفسه ص٣٠٩: ٣٢٧ كلمات جنائزية أيضًا ونعي آخر: ٣٧٢ (1927)
٣٢٩ - HANS Untersweg, M. J. de Goeje, Graz 1909, 38 s.

مجلـدات : مكتبـة الجغـرافيين العـرب (Bibliotheca geographorum Arabicorum)، للاصطخري وابن حوقل والمقدسي (طبع كتابه طبعة ثانية سنة ١٩٠٦م)، منتخب من كتاب البلدان للهمذاني (اعتمادًا على الأعمـال التمهيديـة لأوتولوت (Otto Loth)، وكتاب ابن خُرداذبه (المسالك والممالك) ومنتخبات من كتاب الخراج لقدامة بن جعفر، وكتاب ابن روسته (الأعلاق النفسـية)، وكتـاب البلدان لليعقوبي (في طبعة ثانية) وكتاب «التنبيه والإشراف» للمسعودي.

وكان قد ظهر سنة ١٨٧٥م بمناسبة احتفال جامعة ليدن بمرور ثلاثمائة عام على إنشائها ديوان مسلم بن الوليد. وتبعه سنة ١٩٠٤م عمل من أعمالـه فـي هَرمِه هو طبعة نموذجية في تناول رواية نص محيرة لكتاب «طبقات الشـعراء» لابن قتيبة. بيد أن العمل الرائع في فترة اشتغاله بالتحقيق هذه كان تحقيق كتـاب تاريخ الطبري في خمسة عشر مجلدًا، التي أنجزها دي خويه بالاشتراك مع فريق كبير من زملائه في التخصص من بلدان أوربـا المختلفـة مـن سـنة ١٨٧٩ : ١٩٠١م(*).

وقد تحدث دي خويه نفسه في المقدمة من ص ٢٢ : ٦٨ عن تـاريخ هـذا الكتاب الضخم : فقد كان كوزيجارتن (Kosegarten) قد نشر عن مخطوط برلين جزءًا مبتسرًا من الكتاب يضم السنوات من ٧١ حتى ١٥٩ هجرية. ثـم عرفـت مخطوطات أخرى؛ فقد اكتشف دي خويه نفسه سنة ١٨٦٢م أجزاء الكتـاب فـي صدر مخطوطين في مكتبه بودليانا، وأثبت أكد أ. د. مورتمـان الكبيـر (A. D. Mordtmann d. A.)[1] (١٨١١ - ١٨٧٩ م) ثماني مخطوطات في استانبول،

(*) مشروع تحقيق كتاب تاريخ الطبـري (ت ٣١٠هـ / ١٩٢٣م) بإشـراف دي خويَـه، واشتراك كل من: بارت وفرانكل وجويدي وجويار وهوتسما ودي يونج ومولر ونولدكـه وبروم وروزن وتوربكه. وصدر كل العمل في ١٣ مجلدًا أصليًا، ومجلدين ملحقـين مـن سنة ١٨٧٩ حتى سنة ١٩٠١م.

(١) انظر عنه: مقدمة ف - بابينجر (F. Babinger) لعمل ا. د. مورتمان : Anatolien

وأضيفت مخطوطات أخرى فيما بعد.

وقدم عالم العهد القديم من بازل ي. ي. شتالين (J. J Stähelin) لدى خويه مساعدته المالية لينشر كتاب الطبري ووافق الأخير. أضيف إليها فيما بعد مساعدات أخرى من جهات خاصة ومراكز عامة من هولندا وألمانيا وبلدان أخرى وقد أعانه ياكوب بارت (Jakob Barth) / في تاريخ ما قبل الإسلام الأسطوري [٢١٣] (١ / ١ – ٨١٢) ونولدكه (Nöldeke) في تاريخ الساسانيين (١ / ٨١٣ – ١٠٧٢)؛ كلاهما أنجز مهمته بسرعة إلى حد أنه أمكن أن يظهر المجلدان الأولان اللذان اشتركا فيهما من السلسلة الأولى ١٨٧٩ – ١٨٨٢ م. ووضع أوتو لوت (Otto Loth) في الأصل في مقدمة من يُعْنون بتاريخ النبي صلى الله عليه وسلم (وتاريخ الخلفاء الراشدين الأربعة في الأساس أيضًا)، غير أنه توفي سنة ١٨٨١م حين بدأ إلى حد ما في تركيب النص بناءً على مقابلاته.

فأنجز ب. دي يونج بدلاً منه تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم (من ص ١٠٧٣ – ٢٠١٥). وتبعه أخيرًا من سنة ١٨٩٠ – ١٨٩٨م تاريخ السنوات من ١٢ – ٤٠ هـ (من ص ٢٠١٦ – ٤٣٧٦) الذي أنجزه أويجن بروم (Eugen Prym)[1]. وكان قد بدأ العمل في الوقت نفسه مع السلسلة الأولى، في كلتا السلسلتين الأقصر – في الحقيقة – أيضًا، اللتين تخصان عصر الأمويين والعباسيين كذلك. وتقاسم في إعداد المجلدات الثلاثة من السلسلة الثانية (من ١٨٨١ – ١٨٨٩) كل من هـ. هاينريش توربكه (Hch. Thorbecke)[2] (٢ / ١ – ٢٩٥، أي من سنة ٤٠ : ٦٠ هـ)، وسيجموند فرنكل (Fraentel) (٢ / ٢٩٥ – ٥٨٠، أي من ٦١ : ٦٥ هـ)، وا. جويدي (I. Guidi) (٢/٥٨٠ –

---

(١) عن بروم (Prym) ١٨٤٣ – ١٩١٣م ، تلميذ جيلده مايستر في بون وخليفته، انظر: C. H. BECKER , Islamstudien 2 , 456-462.

(٢) حول هـ. توربكه (١٨٣٧ – ١٨٩٠) انظر: A. Socin. ZDMG 43. 707-709 , A. Merx . ADB 38 , II5-II7

١٣٤٠. أي من ٦٥: ٩٩هـ) و د. هـ مولر (٢ / ١٣٤٠ - ١٦٤٠، أي من ٩٩ - ١٢٠هـ) ونشر دي خويه (١٦٤١/٢ - ٢٠١٧، أي من ١٢٠: ١٣٠هـ) مكان ماكس جرونرت (Max Grünet)(١) الذي رُشح في الأصل لهذا الجزء.

وعلى النقيض مما سبق فإن دي خويه لم يعد من السلسلة الثالثة التي كانت قد احتفظ بها في الأساس لنفسه دون غيره، إلا السنوات من ٢١٨ - ٢٣١ هـ (٣ / ١١٦٤ - ١٣٦٧) ومن ٢٥٥ - ٣٠٢ هـ (٣ / ١ - ٤٥٩) م. ت. هوتسما (M. Th. Houtsma) ومن ١٥٩ - ٢١٨ هـ (٣ - ٤٥٩ - ١١٦٣) ستانيلاس جويار، ومن ٢٣٢ - ٢٥٥ هـ (٣ / ١٣٦٨ - ١٧٤٢) فيكتور روز (Viktor Rosen). وخُتم نص كتاب الطبري (٣ / ٢٢٩٥ - ٢٥٦١) بمنتخب من تراجم المحدثين عن الطبري : ذيل المُذَيَّل، أراد أن يعدها لوت على أساس نسخة فون كريمر (von Kremer) الفريدة(٢).

وبعد وفاة لوت كان ب. دي يونج (P. de Jong) محقق كتاب المشتبه (في أسماء الرجال) للذهبي (١٨٨١ م) في مقدمة من كلف بوجه خاص بأسماء / الرواة؛ وحين توفي سنة ١٨٩٠ م، تولى دي خويه تحقيق النص. وتكفل دي [٢١٤] خويه أيضًا في حقيقة الأمر بكلا الجزءين الأخيرين اللذين تبعا سنة ١٩٠١م المجلدات الثلاثة عشرة. وتضم « المقدمة » في المجلد الرابع عشر مقالة (رسالة) حول الطبري ومؤلفاته (ص ١ : ٢٢)، وترجمة الطبري - ملحقة بالنص - عن تاريخ دمشق لابن عساكر إلى جانب بضع قطع مشابهة (ص LXLX - IC) وقصة النشر التي سبق ذكرها أيضا مع «القواعد العامة المتبعة في نشر كتاب الطبري» (ص XIII - XIVII) وتعريف بالمخطوطات التي استخدمها كل

---

(١) حول ماكس جرونرت (١٨٤٩ - ١٩٢٩) . انظر. J. RYPKA , Archiv Orientálni, I , 247-250

(٢) وصفها أ لوت (O . Loth) في مجلة. ZDMG 32 . 581ff. وصلت المخطوطة فيما بعد الى المتحف البريطاني . انظر Rieu . Supplement Nr.6r8.

المشتركين في التحقيق (ص XIVIII - LXVI). ويعقب هذه المقدمة معجم شامل (ص CI - DLXXII) وقائمة الاستدراكات والتصويبات الطويلة التي غابت عن كثير من مستخدمي الطبعة (S. DLXXIII - DCCCIII)، أسهم فيها أيضًا بارت وفرنكل ولوت ونولدكه ومشتركون آخرون، و ف. هاين و ف. كريمر، وفان فلوتن، وعالم الدراسات الإيرانية يوسف ماركفارت[1] وآخرون كذلك. وقد وضع دي خويه اقتراحات فلهاوزن التصويبية أيضًا (Skizzen und Vorarbeiten 6 , I46 - I60) في الاعتبار، غير أنه رفض – بداهة – قسمًا كبيرًا منها. وأورد المجلد الخامس عشر في النهاية فهارس الكتاب وتكملته لعريب (ذيل الكتاب الذي ألفه عريب بن سعد القرطبي) وكان دي خويه قد نشرها سنة ١٨٩٧م[٢][*].

ووجد دي خويه الوقت كذلك إلى جانب ذلك المشروع الضخم لمؤازرة تلاميذه في تحقيقاتهم للنصوص. فقد أسهم إسهامًا كبيرًا في تحقيق كتاب (عجائب الهند) لبزرك بن شهريار الذي عني به ب. أ ز فان درليت (P. A. van der Lith) ١٨٨٣ – ١٨٨٦م؛ وهو مجموعة مهمة من جهة تاريخ الحضارة من حكايات البحارة عن المحيط الهندي والبلاد المطلة عليه. وأورد دي خويه كذلك قائمة مهمة بالمفردات بسبب لغة الكتاب الدارجة، بينما أسهم مارسيل دفيك (Harcel Devik) المعروف بوجه خاص بوصفه مؤلف : المعجم الاشتقاقي للكلمات

---

(١) ألحق هـ. هـ. شيدر (H. H. Schaeder) بطبعته للكتاب الذي خلفه ماركفارت (Marquart) (منذ ١٩٢٢م Marwart) وهو : Wehrot und Arang 1938 نعيًا لبارتهولد (Barthold) في ماركفارت، وقائمة مراجعه.

(٢) Arîb Tabari continuatus quen edidit , indicibus et glossario instruxit M. J. de. Goeje Lugd. Bat. I897 : تضم الطبعة السنوات من ٢٩١ – ٣٢٠ هـ.

(*) نشر أيضًا مختارات من كتب الجغرافيا العربية سنة ١٩٠٧م ليدن وله بحث مهم عن الطبري والمؤرخين العرب الأول، ظهر في دائرة المعارف البريطانية ١– ٥، ١٨٨٨م.

الفرنســية الشــرقية الأصــل (Dictionnaire etymologique des mots francais d' origine orientale (I876).) بترجمة فرنسية له. وسَعِد أيضًــا مارتن تيودر هوتسما (Martin Theodor Houtsma) بمشــاركة دي خويــه الفعالة حين نشر «الأضداد» / لابن الأنباري ١٨٨١م، والمؤلَّف التاريخي لابــن [٢١٥ـ] واضح اليعقوبي الذي وصل إلينا في حال رديئة جدًا(*).

وقد تنازل لتلميذه الأثير جرولف فان فلــوتن (Gerolf van Vloten) (ت. ١٩٠٣ م) عن مقابلاته بين المخطوطات مــن أجــل تحقيقــه لمفتــاح العلــوم للخوارزمي (١٨٩٥ م)، ونشر من تركة فان فلوتن ثلاثة رسائل قصيرة للجــاحظ (١٩٠٣ م). وأشرف على طبع تحقيق د. هــ. مولر (D. H. Müller) لكتــاب الهمذاني (١٨٨٤ – ١٨٩١ م). وقدم إسهامات قيمة للغاية لإقامــة أود الــنص. وعني بطبعة ثانية منقحة من تحقيق رحلة ابن جبير لوليــام رايــت فــي العــدد الخامس من سلسلة جِب التذكارية (Gibb Memorial Series V).

وقد أبدى اهتمامًا طيبًا حتى بأعمــال ب. دي كــونيجز (P. de Konings) الذي نشر من المصادر الطبية سنة ١٨٩٦م نصوصًا حول حصى الكُلَى والمثانــة للرازي[1]، وسنة ١٩٠٢م رسائل موجزة في التشريح[2]، مع ترجمة فرنسية لها.

وقد أظهر دي خويه دقة متناهية غالبًا عند نقد النص وتصويبه (أو تنقيحه). ودرَس لمستخدميها أوجه القراءة التي تقدمها المخطوطات دائمًا، التــي تعكــس خصائصها الكتابية (الرسم) في كل حالات الشك دون تنقيط مفسر. وقدم الجهــاز النقدي في أسفل صفحات النص، حيث لا تؤخذ البدائل المناســبة وفــق خبرتــه،

(*) كتاب تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (المعروف بابن واضــح)، جزءان: الأول في تاريخ ما قبل الإسلام، والثاني فيما بعده إلى ســنة ٢٥٢هــــ، ليــدن ١٨٨٣م.

(1) Traité sur Le calcul dans Les reins et dans La vessie par Razi, I896,

(2) Trois traites de anatomie arabes , I903.

الموجودة في ملحق، بعين الاعتبار إلا نادرًا. وألحق بتحقيقاته في العادة فهارس قرر تقسيمها قسمين بعد فترة من التردد؛ إحداها أُفرد لأسماء الأشخاص والأُسر، وثانيها لأسماء الشعوب والبلدان في كل جهاز فهرسة. وما تزال قوائم المفردات، التي أضافها إلى أغلب تحقيقاته للنصوص، تُحسب إلى اليوم من أهم الوسائل المعجمية المعنية. وإذا كان لم يولِ دائمًا العناية الضرورية بالنحو من جهة الشكل في تحقيقه لكتاب البلاذري، إلى حد أن قائمة الأخطاء والتصويبات الطباعية (من ص ١١١ – ١٢٨) قد تضخمت بشكل ملحوظ، فإن معرفته الممتازة باللغة قد مكنته فيما بعد أن يُعْنَي بطبعة جديدة من كتاب رايت النحو العربي (Arabic Grammar)، جعلته يتبوأ مكانته بوصفه أفضل عرض للغة الفصحى(*). وقد أثَّر دي خويه أيضًا بمضمون تحقيقاته التي عني بها تأثيرًا مباشرًا فيما يتعلق منهجه النموذجي في مسار البحث. ولا تقدم طبعة ليدن لكتاب لتاريخ الطبري / مادة ثرية [٢١٦] حقًا أكثر من العرض البراجماتي الموضوعي في كتاب الكامل لابن الأثير، ولكنه حافظ أيضًا من خلال طريقة استخدامه للمصادر على نظرة عميقة في كتابة تدوين التاريخ الإسلامي القديم واتجاهاته، وأعطى بذلك حافزًا لأبحاث نقدية أدبية وتاريخية شارك فيها في بادئ الأمر دي خويه وتلميذاه ج. فان فلوتن (G. van Vloten)[1] و هـ. د. فان جلدر (H. D. van Gelder)[1] وفيما بعد نولدكه

(*) كان وليم رايت قد ترجم إلى الإنجليزية كتاب «النحو العربي» تأليف كسباري (الذي صدر سنة ١٨٤٤م) وأجرى فيه عدة تصحيحات وإكمالات. وظهرت من هذه الترجمة الإنجليزية طبعتان، واستعد رايت لتحضير طبعة ثالثة، لكنه توفى (١٨٨٩م) قبل أن يصدرها، فتولاها روبرتسون سميث، لكنه توفى (١٨٩٤م) أيضًا قبل أن يصدرها، فجاء دي خويه وأكمل عملهما، وأصدر الطبعة الإنجليزية الثالثة لهذا النحو العربي، الواسع الانتشار... في السنوات ١٨٩٦ – ١٨٩٨م، وصحح كثيرًا من المواضع، وأضاف أمثلة جديدة حتى صار خير مرجع أوربي في النحو العربي.

(1) De Opromst der Abbasiden in Chorasan I890 : Recherches sur La domination arabe , Le chiitisme et les croyances messianiques sous le Khalifat des Omaijades. Amsted dam I888

وتلميـــذه رودلـــف برونـــو (Rudolf Brünnow)[٢] وكـــارل بروكلمـــان (C. Brockelmann)[٣].

بيد أن دراسات (أبحاث) فلهاوزن الرائدة بوجه خاص قد انطلقت من دراسة كتاب الطبري. فقبل أن يظهر نص الكتاب ترجم ت. نولدكه (Th. Nöldeke) في كتابه : تاريخ الفرس والعرب قبل عصر الساسانيين (Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden) (١٨٧٩ م) الجـــزء الـــذي قـــام بتحقيقه من كتاب الطبري (حوالي ثلاثين بالمائة من العمل بأكمله). وللأسف لـــم يجد لم يقتفِ أحد أثره، فبقي تاريخ الطبري إلى اليوم غير متاح (متداول) تقريبًـــا للمؤرخين غير العارفين بالدراسات العربية. ولم تتم أيضًـــا ترجمـــة الجغـــرافيين العرب إلى الألمانية التي عزم عليها دي خويه في (BGA I, VIII). وفي تلـــك الأثناء خرجت من مكتبات الشرق مخطوطات مهمة للجغرافيين إلى النور، إلى حد أنه صار من المهام الأكثر إلحاحًا داخل الدراسات العربية تجديد كتـــاب : مكتبـــة الجغرافيين العرب (Bibliotheca geographorum arabicorum)، تجديـــدًا مناسبًا للعصر كما فعل يوهـــانس هنـــدريك كرامـــرز (Johannes Hendrik Kramers)[٤] (١٨٩١ – ١٩٥١ م) بالنسبة لنص كتاب ابن حوقـــل (المســـالك

---

(1) Mohtar , de valsche profeet I888.

(2) Die Charidschiten unter den ersten Omayyaden I884 ونشر برونو سنة ١٨٩٥م كتاب (الموشي) للوشاء ، وسنة ١٨٨٨م المجلد الواحد والعشرين مـــن كتـــاب الأغـــاني، وتبعـــه ســـنة ١٨٩٥م كتابـــه : مختـــارات مـــن كتـــاب النثـــر العربـــي :
(Chrestomathie aus arabischen Prosaschriftstellern
(Portalinguarum orientalium XVI)
ونشر مع المؤرخ العجوز الفردفون دومستفسكي Alfred von Domaszewski
سنة ١٩٠٤ – ١٩٠٩م ، في ثلاثة أجزاء كتاب: Die Provincia Arabia.

(3) Das Verhältnis von Ibn al-Aṯīrs Kāmil zu Tabaris Tarīḫ Diss. Strassburg I890

(٤) انظر رثاءه لفرانتس بابينجر (FRANZ BABINGER ,) في مجلة : (ZDMG I02 , 10 - 13).

والممالك والمفاوز والمهالك...).

ويعد هذا التجديد في الوقت نفسه أكثر الطرق قيمة للإبقاء على ذكرى عـــالم العربية الكبير (دي خويه) حيةً.

٥٢ – تيودور نولدكه

/ بينما حصر دي خويه نفسه متعمدًا في الدراسات العربية، وعني في المقام [٢١٧] الأول بتحقيق النصوص، فإن معاصره وصـــديقه تيـــودور نولدكـــه (Theodor Nöldeke)[١] (١٨٣٦ – ١٩٣٠ م) لم يطلب الحقل الواسع للدراسات الســـامية فحسب (باستثناء الأكادية)، بل ضم الدراسات الإيرانية والتركية التي أهملت آنذاك إهمالاً شديدًا إلى دائرة بحوثه أيضًا. فقد وقف، وهو الذي نشـــأ متشـــككًا، مـــن الدراسات الآشورية التي ازدهرت بسرعة منذ منتصف القرن الماضي موقف ريبة عظيمة إلى حد أنه لم يستخدم نتائجها إلا نادرًا.

وقد أنجز نولدكه في ذكاء حاد ووضوح فهم وقوة ذاكرة وفطنة لماحة مكنته من ترسيخ أقدامه بسرعة في كل حقل، واستجلاء ما هو جوهري، وعرضه فـــي وضوح ودقة، أنجز في تلك الحقول الممتـــدة الواســـعة بوصـــفه باحثـــا لغويـــا وموضوعيًا ومحققًا ومترجمًا ونحويًا وناقدًا ذلك القدر من الأعمال القيمة إلى حد يمكن معه أن يعد أهم مستشرق ألماني في عصره.

وقد رُزِق في كل ذلك بهبة من الله – لا يماثله كثيرٌ في العلماء فيها – فـــي فهم إنساني سليم بنصيب وافر، وأدرك الفن الرفيع للأدرية[*]، فلـــم يكـــن ينفـــر

---

(١) انظـــر: Snouck Hurgronje , ZDMG 85 (I931) , S. 239-281 : E. Littmann NGWG , Geschäftliche Mitteilungen I930. وقائمة المراجع لـــــ أ. كون (E. Kuhn) في الكتاب التذكاري لنولدكه : Orientalische Studien I (I906 , XIII - Li

(*) عرف عنه أنه كان عقلانيًا، والشك في الآراء القائمة على تخمينات، فلم يثبت في =

بوصفه وضعيًا (positivist) في العصر النقدي التاريخي نفورًا شديدًا من الرومانسية والتصوف وكل إفراط في المشاعر لا يفسر في وضوح فحسب، بل كان ضد كل ما هو تأملي، وربما عارض ما يتعلق بعلم العقيدة أو الفلسفة أو تاريخ الأفكار أو نظرية علمية. ويضاف إلى ما سبق نفسه (روحه) السامية واستقامة شخصيته كما تتجلى في خطاب نعيه أستاذَه ايفالد[1].

وتنم رسالته التي منحت جائزة : حول نشوء السور القرآنية وتركيبها (De origine et compositione Surarum qoranicarum ipsiusque Qorani,) / وحصل بها نولدكه على الدكتوراه سنة ١٨٥٦م في جوتنجن عن [٢١٨] أستاذ في المستقبل. وكانت أكاديمية باريس للنقوش والآداب (Pariser Academie des inscriptions et belles-jet tres)). قد أعلنت دون أن يكون لديها أدنى علم بهذا العمل عن منح جائزة للتأليف في الموضوع ذاته[2]، وكان نولدكه قد جمع مادة جديدة في تلك الفترة من مكتبات فيينا وليدن وجوتا وبرلين، واستطاع أن يتوسع في رسالته بصورة كبيرة، وحصل بهذه الصياغة على الجائزة وفي حقيقة الأمر تقاسمها مع المتسابقين معه شبرنجر وأماري.

وأثر كتابه : تاريخ القرآن (Geschichte des Korans) (١٨٦٠ م) الذي أعاد صياغته مرة خرى باللغة الألمانية تأثيرًا يسجله التاريخ. وقد تُنُولت هنا بفكر ثاقب مسألة نشوء القرآن وجمعه وروايته، وأبدع من خلال بحث نقدي

= دراساته إلا ما وافق العقل. وقد التزم منهجًا صارمًا حذِرًا في الوصول إلى نتائج، وكان حريصًا على ألا يطرح شيئًا لا تؤيده النصوص بوضوح.

(١) طبع في كتاب : Briefe an Ewald ص ١٨٨ الذي نشره كل من ر. فيك R. Fick و ج. ف. زله (G. V. Selle) سنة ١٩٣٢ م. يقارن أيضًا في الكتاب نفسه ص ١٨٥ ملاحظة حول استقالته من مكتبة برلين، وكان دافع ذلك إجراء تعسفي من مدير المكتبة آنذاك برتس (Pertz).

(٢) انظر : هـ. ديرنبورج (H. Derenbourg) في كتابه : (Centenario della di M. Amari I (I910) , S. If.

لتأريخ السور أساسٌ راسخ لكل البحوث التاريخيـة للقـرآن(*). وعـاد نولدكـه إلى الاشتغال بالتراث العربي الذي يشمل إلـى جانـب القـرآن الشـعر القـديم بوجه خاص، مثل: قصائد عروة بن الورد (Die Gedichte des ʿUrwa b. al-Ward , 1863 :) و أبحـاث فـي معرفـة شـعر العـرب القـدامى (شـعراء الجاهليـة) (Beitrage zur Kenntnis der Poesie der alten Araber). وحـين اسـتدعى إلـى كيـل (Kiel) سـنة ١٨٦٤ م، حيـث كـان عليـه أن يلقي محاضـرات فـي العهـد القـديم مثـل سـلفه ديلمـان (Dillmann)(١). ودرس إلى جانب اللغات السـامية اللغـة السنسـكريتية(٢). وتحـول فـي تلـك الآونة إلى الدراسات اللغوية ولا سـيما حقـل اللغـة الآراميـة حيـث أفادتـه فـي ذلك محتويات مكتبة كيل وأساسها ما كان فـي حـوزة ادلـر (Adler)(٣)

(*) أظهر هذا الكتاب جميع خصائص نولدكه في البحث، وهو معرفة شاملة على أساس بحثي أمين في جميع التفاصيل، وحكم واضح دقيق يرد كل ما هو مشكوك فيه، ويرفض مـا لا يقبل الاحتمال. وكان يؤمن بحق الرأي الحر لكل إنسان، وكان ينـاقش الجميـع بتجـرد وموضوعية. وقد عالج فيه بأسلوب علمي دقيق موضوع تاريخ السور والآيـات. ولكـن ندت عنه أشياء تستوجب الرد عليها.

(١) انظر حول أوجست ديلمان (August Dillmann) (١٨٢٣ – ١٨٩٤م) المؤسس الجديد للدراسات الأثيوبية ، أ. ليتمـان (E. Littmann) فـي : (Schwäbische Lebens blider I (1940) , 105 - 114).

(2) Briefe an Ewald , hrsg. von R. Fick und G. v. Selbe 1932 , S. 187.

(٣) انظر خطاب نولدكه إلى كراتشكو فسكي في نعيه لنولدكه في مجلة : (Izv. AN SSSR 1931 , 385.) وانظر حول ياكوب جيورج كرستيان ادلر (Jakob Georg Christian Adler) (١٧٥٦ – ١٨٣٤م) ، ج بيكل (G. Brikell , ADB 1 (1875) 85f. وصف سنة ١٧٨٠م فـي كتابـه : (Descriptio codicum quorundem Cuficorum) بعض آيات قرآنية بخط كـوفي فـي مكتبـة كوبنهـاجن، وفـي كتابـه: (Museum Borgianum) سنة ١٧٨٢م عملات عربية. ونشر من سـنة ١٧٨٩ – ١٧٩٤م عـن تركة رايسكه، تحقيقه لكتاب أبي الفداء وترجمته. غير أنه خص نص الكتاب المقدس=

(*)إفادة جمة. وأثمرت هذه البحوث التي استأنفها بعد استدعائه إلى شترا سبورج سنة ١٨٧٢، / إلى جانب أعمال أخرى / كتابيه النحويين الخالدين، عن اللغة [٢١٩] المندعية سنة ١٨٧٥ وعن السريانية (سنة ١٨٨٠ م، ط. ثانية ١٨٩٨م)؛ تميز كلاهما بوصف دقيق وتصنيف منهجي للاستعمال اللغوي مع مراعاة دائمة لوجهة نظر تاريخ اللغة أيضًا (ووجهة النظر المقارنة أيضًا في حال اللغة المندعية). ولم يلق النحو أيضًا الذي دَرَسه في كلا الكتابين دراسةً مفصلة - وكان مهملاً تمامًا عند غيره - تقديرًا كافيًا. وكان إسهامه في تحقيق تاريخ الطبري، طبعة ليدن منذ ١٨٧٤م قد أعاده ثانية إلى الدراسات العربية، ولم يُعنَ في فصل عن الساسانيين بالنص فحسب، بل قدم له في كتابه : تاريخ الفرس والعرب في عصر الساسانيين (Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sasaniden) ترجمة ألمانية نموذجية ذات نفع كبير للدراسات الإيرانية أيضًا، متفردًا في ذلك بين المحققين المشتركين في ذلك المشروع. وإلى جانب ذلك فقد أسرته من جديد مشكلات (قضايا) لغوية. وبديهي أنه قد تخلى فيما بعد عن خطة وضعها في شبابه لكتابة مؤلفٍ في النحو العربي. غير أن دراسته : في نحو العربية الفصحى Zur Grammatik des klassischen Arabisch (1896) أرشدت إلى طريق رؤية تاريخية حقًا. وقد بَسَطَ آراءه حول لغة العرب القدامى في مقالين حول العربية الفصحى واللهجات العربية في كتاب : بحوث أو محاضرات في علم اللغات السامية (Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft) سنة

= باهتمامه الأساسي. فألف كتابه المحبب إلى نفسه (Bibelkritische Reise nach Rom 17833.)، ووضع في كتاب (Nonnulla Matthaei et Marci enunciata) سنة ١٧٨٤ الخصائص اللغوية لكلا الانجلين عن السريانية.

(*) كان في تركه ادلر (ت ١٨٣٤)، وهو المشرف الأعلى العام لمقاطعة شليزفيج هو لشتاين، عدد كبير من المؤلفات الخاصة بالأدب السرياني، وكانت هذه الكتب الدافع وراء اهتمام نولدكه بصورة أعمق وأدق باللغة الآرامية.

١٩٠٤م من ص ١ : ١٤، وحول القرآن والعربية في كتابه : بحوث أو محاضرات جديدة في علم اللغات السامية (New Beiträge zu den Semitischen Sprachen) سنة ١٩١٠م من ص ١ : ٥. وكلاهما مثالي في منهجهما الجدير بأن يُحتَذى[1]. أما ترجماته للمعلقات الخمسة[2] وشروحه لها فكانت ذات نفع كبير للغة الشعر القديم. وتجلت أستاذيته في التحليل في كتابه : منتخبات من الشعر العربي القديم Delectus veterum carminum arabicorum (Porta linguarum orientlium XIII, 1890) الذي ألفه لحاجات التدريس الأكاديمي؛ وهو منتخب ثري (مادته غزيرة) من الشعر العربي حتى نهاية عصر بني أمية، وقد وضع له أوجست مولر (August MÜller) معجمًا (قائمة بالمفردات). ويضم كتاباه محاضرات في اللغات السامية ومحاضرات جديدة فيها دراسات مهمة بالنسبة لتاريخ اللغة العربية أيضًا، / لأن نولدكه قد [٢٢٠] استند في المقارنة اللغوية كذلك إلى حقائق ثوابت. فقد أدرك (انظر مجلة : ZDMG 35 , 221) بنظرة حصيفة واعية وهن اعتقاد النحاة الجدد في انعدام الاستثناء في القوانين الصوتية، وتناول في مقاله : اللغات السامية (Die Semitischen Sprachen) (ظهر بالإنجليزية في دائرة المعارف البريطانية ط. تاسعة أولاً، ثم بالألمانية ١٨٨٧م ط. ثانية ١٨٩٩ م) قضية اللغة السامية الأم مع تحفظات ظاهرة ثم رفع في هرمه أيضًا (في : ZA , 30 , 163 FF) صوته المحذر من أفكار مجردة فارغة المحتوى عن نشأة اللغة وتعليلات عشوائية لأصل الكلمات وتاريخها. وتضم مراجعات نولدكه النقدية أيضًا ملحوظات متفرقة كثيرة ولاسيما حول بحث المفردات العربي؛ وهو فرع لنشاطه الذي يستوجب الذكر

---

(١) يعارض كلا المقالين الفكرة التي طرحها كارل فولرز (Karl Vollers) (١٨٥٧ - ١٩٠٩م) ، وهي أن القرآن قد كتب في الأصل بلهجة مكة.

(2) SWA 140. 7 ; 142. 5 I (1899-1901).

بوجه خاص لما يتسم به من مثالية؛ لأن كتابه المعني هنا(*) لا يتسم مضمونه وقيمته بالاقتضاب والدقة فحسب، بل عد في الغالب أيضًا منطلقًا لإيضاحِ أسهم بشكل جوهري وجديد في الموضوع الذي أُلِّفَ فيه الكتاب.

إن نولدكه قد عرف وراعى على نحو لا يناظره أحد فيه، الحدودَ التي خطها له حال الدراسات الاستشراقية آنذاك وطبيعة المادة التي توفرت له، ومقدرته مؤهلاته الشخصية أيضًا، وقد جعلت بصيرته النقية (الشفافة) دراساته من وجهة نظر منهجية نماذجَ ستجد معجمين آخرين بها أيضًا حين تصير المعارف والآراء المحصلة من خلال هذا المنهج تراثًا عامًا في معرفة الشرق.

٥٣- إجنازيو جويدي

يعني اجنازيو جويدي (Ignazio Guidi) [1] (١٨٤٤ - ١٩٣٥ م) بالنسبة لإيطاليا ما يعنيه نولدكه بالنسبة لألمانيا. فقد كان هذا مثل الآخر وضعيًا، ثاقب الفكر، وضد كل ما هو تأملي، ولا يثق في الافتراضات. وتخطت مجالات عملهما الدراسات السامية، غير أنه بينما اهتم نولدكه الذي نشأ على التقاليد الإنسانية للبروتستانتية الألمانية، بالعلاقات المتبادلة بين التراث القديم والشرق وعرج من خلالها على الدراسات الإيرانية، كانت دراسة الكنائس الشرقية وآثارها الأدبية التي ألفت بالقبطية أو السريانية أو العربية أو الأثيوبية، أكثر قربًا من جويدي الراسخ الضليع القدم في تاريخ آباء الكنيسة وكرسي البابوية الروماني.

/ فقد نشر بالتعاون مع جان - بابتست شابو (Jean - Baptiste Chabot) [٢٢١] وهنري هيفرنا (Henri Hyvernat) المولود سنة ١٨٥٨ م، وبرنار كرا دي فو

(*) يعني كتاب (معجم اللسان العربي الفصيح) رتبه وبوبه ونشره كرامر في جزءين، برلين ١٩٥٢، و١٩٥٤م.

(1) E. Littmann , ZDMG 89 , II9-139 , Levi Della Vida , al-Andalus 3 (I933) , 201-204 , Bibliographie in RSO 5. 477-489.

(Bernard Carra de Vaux) المولود سنة ١٨٦٧م منذ سنة ١٩٠٣م كتاب : مجموعة الكتاب المسيحيين الشرقيين (Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium). أما أهم إنجازاته فقد حققها في حقل الدراسات الأثيوبية التي وجدت عناية خاصة في إيطاليا بسبب مصالحها الاستعمارية. وترجع إلى تكليف رسمي أيضًا الترجمةُ التي قدمها جويدي سنة ١٩١٩م للجزء الأول الذي يتناول العبادات من مختصر الفقه المالكي (المختصر) للخليل[1]. وفي النصوص العربية حقق عن مخطوطات إيطاليا شرح جمال الدين بن هشام لقصيدة بانت سعاد سنة ١٨٧١م - أورد فلايشر تصويبات كثيرة له - وتكملة الزبيدي (الاستدراك) أيضًا لتعريف الأسماء في كتاب سيبويه، سنة ١٨٩٠م وأخيرًا كتاب الأفعال لابن القوطية سنة ١٨٩٤م. ونشر الجزء الذي يضم الأعوام من ٦٥ - ٩٩ هـ (٢ / ٥٨٠ - ١٣٤٠) من تاريخ الطبري طبعة ليدن. وكان جويدي من الناحية الشخصية مثل نولدكه حلو المعشر ومتواضعًا (قنوعًا)، وكان مثل رايت مستعدًا دائمًا لتقديم أية معلومات عن المخطوطات وإعداد نسخ أو منتخبات منها أو مقابلات لها تستغرق وقتًا طويلاً. وطبع سنة ١٨٨٧م فهرسه للشعراء المستشهد بهم في خزانة الأدب للبغدادي من أجل النفع العام[2]. وكذا يستوجب شكره بوجه خاص فهارسه المرتبة الفبائيًا (Tables alphabétiques) لكتاب الأغاني للأصفهاني (١٨٩٥ - ١٩٠٠ م) التي أعدها بمعاونة فريق من المساعدين (برونو، وجيرجس، وكلين، وفان جلدر، وفان فلوتن، وزيبولد (Brünnow, Girgass, Kleyn, van Gelder, van Volten, Seybold) ونجد فيها فهرسًا للشعراء (ص ١ : ٣٨) وفهرسًا لأسماء (ص ٣٩

---

(١) ترجم دافيد سانتيلانا (David Santillana) (١٨٥٥ - ١٩٢١م) الجزء الثاني ، انظر نعي ليفي دلا فيدا لهذا الرجل في مجلة : (RSO 12 , 453-461)

(2) Gli poeti citati nell' opera Hizānat al-adab in Atti dell' Accad. dei Lincei III , 273292.

: ١٩٤) وفهرسًا لأسماء الأماكن أسهم فيه القنصل الفرنسي أ. هِلوِي (E. Hélouis) (ص ٧٤٣ – ٧٦٩) وفهرسًا تاريخيًا بوصفه جزءًا أساسيًا (ص ١٩٥ : ٧٢٠)، سرد فيه كل الأسماء الواردة في الكتاب (باستثناء الرجال الثقاة المذكورين في الأسانيد)، ونوّه باختصار شديد إلى كل مشترك فيه[1]. / وعزم [٢٢٢] جويدي أيضًا على أن يشارك آخرين في جمع الملحوظات المبعثرة في التحقيقات وقوائم المفردات والرسائل حول المعجم العربي في قاموس واحد. ومما يؤسف له أسفًا شديدًا أن هذه الخطة المهمة لم تدخل حيز التنفيذ بسبب الحرب العالمية الأولى.

٥٤– فيكتور روزن

يرتبط الازدهار الذي وصلت إليه الدراسات العربية في روسيا منذ سنة ١٨٧٠م ارتباطًا وثيقًا باسم البارون فيكتور رومانو فيتش روزن (Viktor Romanovič Rosen) [2] (١٨٤٩ – ١٩٠٨ م). فقد التحق سنة ١٨٦٦م بكلية الدراسات الشرقية في سانت بطرسبورج (St. Petersburg)، وأكمل دراساته لدى فلايشر في ليبزج من سنة ١٨٧٠ – ١٨٧١ م. وهناك أقام صداقة عمره مع جولد تسيهر. وفي سنة ١٨٧٣م رحل إلى آلفارت (Ahlwardt) في جرايفسفالد. وقام بعدة رحلات، وعقد صلات طيبة بالمستشرقين الأعلام الأوائل مثل : ا. جويدي وشارل شِفر[3] و ا. ج براونه وآخرين. وأسهم روزن إسهامًا كبيرًا في

(١) يوجد حول هذا الفهرس ص ٧٢١ : ٧٤٢ ، و ص ٩ و ١٠ أيضًا استدراكات وتصويبات لا تستلفت النظر في يسر. وأورد باول شفارتس (Paul Schwarz) استدراكات أخرى في مجلة : (ZDMG , 55 , 45 - 54)

(٢) انظر نعي بارتولد Barthold له في : Zap. Vost. Otd. 18 (1909) 31 – 38.

(٣) قضى شارل شفر (Charles Schafer) (١٨٢٠ – ١٩٠٢م) عدة سنوات في الشرق، وصار سنة ١٨٥٧م أستاذًا للفارسية في مدرسة اللغات الشرقية الحية خلفًا لقوطومير (Quatremères) ومديرًا لها سنة ١٨٦٧ م. وجلب مجموعة منفردة من المخطوطات=

نجاح مؤتمر المستشرقين العالمي الثالث في سـانت بطرسـبورج. ودَرَّس منـذ ١٨٧٢م في كلية الدراسات الشرقية محاضرًا في بادئ الأمر ثم أستاذًا بعد ذلـك. وأنشأ سنة ١٨٨٦م أول مجلة روسية متخصصة تخدم الدراسات الشرقية بشـكل أساسي من خلال كتابات (Zapiski) قسم الاستشراق فـي الجمعيـة الروسـية للآثار، ونشر فيها أعمالاً قيمة كثيرة. ووضع للمخطوطات العربية والروسية في المعهد الذي أقيم منذ ١٨٢٣م في القسم الآسيوي في وزارة الخارجية، فهرسًا [١] لا يتميز بدقته الكبيرة فحسب، بل بتحليلاته الدقيقة المهمة لتاريخ المصادر أيضًا.

[٢٢٣] / وشرع كذلك في كتابه : تعليقـات مختصـرة (Notices sommaires I 1881) في وصف المخطوطات العربية في المتحف الأسيوي الذي أُسِّـس سـنة ١٨١٨م قرب أكاديمية العلوم. وتناول في مقالة ضـخمة[٢] المخطوطـات التـي جمعها ل. ف. مرسيجلي (L. F. Marsigli) المتوفي سـنة ١٧٣٠ م. بصـفة خاصة من مكتبات المساجد آنذاك في بودابست وبلجراد، والتي مكنت من معرفة طيبة بشؤون التعليم العالي في الإمبراطورية العثمانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين. واشترك روزن في الأجزاء المتعلقة بالسنوات من ٢٢٢ – ٢٥٥ هـ في طبعة تاريخ الطبري التي أخرجها دي خويه.

وكان معاصرًا لروزن فالد مار فون تيزيهاوزن (Waldemar von Tiese hausen) المتوفي سنة ١٩٠٢م [٣] الذي كان يعمل في خدمة الإدارة الروسـية.

= آلت إلى مكتبة باريس الوطنية بعد موته ، ووصفها بلوشه (Blochet) فـي فهـرس :
Catalogue de la collection de mss arabes persans et turcs formée par M. Gh. Schefer 1900).

(1) Collections scientifiques de l' Institut des Langues orientales du Ministère des Affaires Étrangeres I. 3. 1886

(2) Remarques sur les mss. orientaux de collection Marsigli à Bologne in den Atti della R. Accaed dei Lincei , serie 3. vol. 12 , 1885.

(١) نعى فيكتـور روزن فـي مجلـة : Bull. de l, Acad Sciences , 5e (s. vol. 16) .(1992), p. III-VII

كان خبيرًا ممتازًا في علمي المنمنمات والآثار الإسلامية. ومن بين أعماله يعد كتابه عن تاريخ بني عقيل سنة ١٨٥٩م جديرًا بالذكر، وفي سنة ١٨٧٣م وصف في عمله : منمنمات أو عملات الخلفاء الشرقيين (Monnaues des Khalifes orientaux). وشرع في جمع المعلومات المتصلة بالقبيلة الذهبية (المجلد الأول سنة ١٨٨٤ م). وعمل فيما بعد في قائمة ببليوجرافية نقدية للآثار الشرقية، نشرها سنة ١٩٠٦م بعد وفاته كل من ك. ا. انوسترا نسيف (K. A. Inostroncev) و ر. ج سميرنوف (R. J. Smirnov) من سنة ١٨٧٦ : ١٩٤١).

٥٥ – يوليوس فلهاوزن

إن تاريخ الطبري الذي ظهر من سنة ١٨٧٩م لم يوفر للبحث مادة ثرية في التاريخ الإسلامي القديم فحسب. بل مكن أيضًا من خلال الآثار الباقية الضخمة غير المحدودة لأقدم تدوين للتاريخ، من نظرة عميقة في الاتجاهات التي غلبت عليه. وكان دي خويه ونولدكه وغيرهما قد بدآ بدراسة نقدية للمصادر الجديدة، غير أن يوليوس فلهاوزن (Julius Wellhausen) (١٨٤٤ – ١٩١٨ م)[١] كان أول من عرض التاريخ الإسلامي منذ بدايته حتى سقوط الدولة العربية[*] من وجهة نظر جديدة من خلال ربط جدير بالإعجاب بين التحليل الأدبي للمصادر والنقد التاريخي، / وتجاوز بذلك المفاهيم التي استمرت حتى عصره، والتي ترجع [٢٢٤] أساسًا إلى ابن الأثير.

ووفق فلهاوزن في تحويل هذه الأبحاث؛ فقد كان قد بدأ عالم لاهوت، وأثر

(١) انظر : (H. H. Schaeder , Welt als Geschichte II 391-394.) ونعي ك. هـ. بيكر (C. H. Becker) في : (Islamstudien II , 474 FF).

(*) يقصد كتابه الشهير: الدولة العربية وسقوطها من ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية، نقله إلى العربية د. محمد عبدالهادي أبو ريدة، وراجعه د. طه حسين.

بنقده لأسفار موسى الخمسة (التوراة) تأثيرًا قلب كافة المعايير في بحث العهد القديم(*) قبل أن يشرع - وهو العارف بالعربية لكونه تلميذا ايفالد - في الاهتمام بالعرب بهدف التعرف على الفتى الذي ألبسه الكهنة والأنبياء غصن التوراة[1]. وقد قاده هذا إلى دراسة الإسلام الذي لولاه لما عرفنا أي شيء عن الوثنية العربية. غير أنه قد وجد البقايا القديمة في الشعر العربي الجاهلي الذي ليس له بالنسبة لفلهاوزن - كما هي الحال بالنسبة لنولدكه - إلا أهمية لغوية وتاريخية، وقارنه من خلال وجهة النظر هذه بالنقوش القديمة اللاتينية واليونانية[2]. وتبين بقايا الوثنية العربية أيضًا في كتابه الذي يحمل العنوان نفسه : (Reste arabischen Heidentums 1887) ط. ثانية ١٨٩٧ م، التي جمعها من مصادر إسلامية، في جلاء تطلعه إلى أن يظفر مرة أخرى بما يجمع بين اليهود والعرب في مسائل الدين والحضارة دون أن يتجاهل ما بينهم من فروق.

ودخل فلهاوزن حقل التاريخ السياسي للإسلام بكتابه : (محمد في المدينة، وهو كتاب المغازي للواقدي في ترجمة ألمانية مختصرة) (Muhammed in Medina, das ist Vakidī's Kitāb al-Maghazi in verkürzter deutscher Wiedergabe (Berlin 1882)) واستخدم بالإضافة إلى ذلك طبعة كريمر (Kremer) التي لا تضم إلا الثلث الأول منه، ومخطوطة المتحف البريطاني (or. 1617) بالنسبة لبقية الكتاب، وأضيف إليها مخطوطة ثانية من لندن المتحف البريطاني (Add - 20737)، ولكنها لا تضم إلا النصف الأول منه وبدت هذه المخطوطات لفلهاوزن غير كافية لتحقيق كامل للنص (وترجمة مستندة

(*) أهم كتبه في ذلك تاريخ إسرائيل، برلين ١٨٧٨م، ثم نقحه وعدل فيه وطبع سنة ١٨٨٣م، بعنوان «المدخل إلى تاريخ بني إسرائيل» وتأليف الأسفار الستة، والأسفار التاريخية في الكتاب المقدس، برلين ١٨٨٥، والتاريخ الإسرائيلي واليهودي، برلين ١٨٩٤م.

(1) Muhammed in Medina , S. 5.

(2) Wellhausen , Skizzen und Vorarbeiten I (1884) , S. 105.

إليه)، بل لترجمة مختصرة لمحتواه، حيث جعل كتاب : مقال حول تاريخ العـــرب (Essai sur le histoire des Arabes) لكوسي دي برســـيفال (Causin de Perceval) في ذهنه نموذجًا يحتذى به.

وأمّل دون جدوى أن يحظى كتابه بتقدير بين أوساط المتخصصين وأن يقصي كتاب شبرنجر الضخم عن محمد ﷺ. إلا أنه يستفاد بصورة كبيرة مما ورد بهذه الترجمة من معرفة تخصصية بدلاً من النص الأصلي الذي ما يزال لم يطبع حتـــى اليوم(*). وفي سنة ١٨٨٤م حقق فلهـــا وزن ضـــمن كتابـــه : (Skizzen und Vorabeiten) الكراسة الأولى من ص ١٠٣ – ١٧٥، والنص العربي من ص ١ – ١٢٩) / تكملةً لطبعة كوزيجارتن (Kosegarten) الجزء الأخير مـــن ديـــوان [٢٢٥] (قصائد) الهذليين عن مخطوطات ليدن (رقم ١٣٩ – ٢٨٠) وباريس (رقم ١٧٥ – ٢٨٠) مع ترجمة ألمانية للقصائد (رقم ١٣٩ – ٢٤١)(١).

وتلته في الكراسة الرابعة من كتابه تخطيطات وأعمال تمهيدية نفسه، ســـنة ١٨٨٩م، دراسات أساسية حول : «المدينة قبل الإســـلام »، و «تنظـــيم محمـــد لمجتمع المدينة (للجماعة الإسلامية) فـــي المدينـــة» ونـــص «رســـائل محمـــد والسفارات الوافدة عليه» الموجودة في كتاب الطبقات لابن سعد، وترجمة لهـــا. وبدأ إلى جانب ذلك منذ سنة ١٨٨٧م في الاشتغال بكتاب تاريخ الطبـــري طبعـــة هلدن الذي عرض نتائجه سنة ١٨٩٩م في مقدمات أقدم تاريخ الإسلام (تخطيطات وأعمال تمهيدية ٦، ص ١ – ١٦٠). وقابل فيها بين عرض سيف بن عمر بكـــل الموروث الباقي (أحاديث وروايات وسير متوارثة) لدى الطبري، وأثبت تحـــوره

(*) صدر بتحقيق د. مارسدن جونز في ٣ أجزاء سنة ١٩٦٥ طبعـــة: London, Oxford University، مع مقدمة طويلة (مع ط. عالم الكتب – بيروت).

(١) قدم فلها وزن فهرس البدائل من ص ١٦٩ – ١٧٥ و (بالعربية) ص ١٢٩ وفي مجلـــة : (ZDMG 39 , 104-106) قدم استدراكات وتصويبات للنص والترجمة وفـــي المجلـــة نفسها عدد ٣٩ ، من ص ٤١١ : ٤٨٠ أورد بعد ذلك الحواشي.

المنحاز وأوجد الأساس لتاريخ نقدي لعصر الفتح الإسلامي. وظهر سنة ١٩٠١م عمل يعتمد على أبي مخنف بوجه خاص، حول أحزاب المعارضة الدينية – السياسية في صدر الإسلام (Die religios - politischen Oppositions-parteien)[1][*] ومقالة حول معارك الأمويين ضد الروم (Die Kämpfe der Umayyaden gegen die Rhomäer)[2]، ويشكل كتابه : الدولة العربية وسقوطها (Das arabische Reich und sein Sturz (1902) الخاتمة المتوَّجة لهذه البحوث. ويتميز هذا الكتاب الفريد بربط لا يضارع بين تحليل أدبي للمصادر يعزف عن الانتقاء الشكلي للمصدر إلى تحديد قيمته، ونقد تاريخي قادر على تتبع الاتجاهات السياسية المؤثرة الفعالة للأشخاص الممثلين لها بحدس صادق.

وقد أحدث الكتاب أثرًا عميقًا ومستمرًا في جيل الشباب، فمنذ ظهوره قامت طرق بحث جديدة عولجت من خلالها مشكلات دينية واجتماعية واقتصادية في التاريخ الإسلامي القديم بتصويبات كثيرة للصورة التي رسمها فلهاوزن على نحو حتمي [٣]. / وما يزال كتاب فلهاوزن إلى اليوم بحجمه الضخم العرض الأكثر [٢٢٦] تأثيرًا الذي نمتلكه عن التاريخ السياسي للإسلام منذ ظهوره حتى زوال سقوط دولة بني أمية.

---

(1) AGWG NF V.

(*) ترجمه د. عبدالرحمن بدوي في سنة ١٩٥٨، وطبع في القاهرة ١٩٥٩م (في مكتبة النهضة المصرية)، وأعيد طبعه بعد ذلك مرارًا.

(2) NGAW 1901.

(٣) قارن على سبيل المثال : B. D. C. Bennett , Conversion and the Poll Tax in Early Islam (Harvard Historical Monogragraphs 22) Cambridge ., Mass. 1950

٥٦ – اجناتس جولدتسيهر

إذا كانت أعمال كل من نولدكه وفلهاوزن المتعلقة بالإسلام قد شـملت فـي المقام الأول القرآن الكريم وحياة محمد ﷺ والتاريخ السياسي للدولة العربية، فإن اجناتس جولدتسيهر (١٨٥٠ – ١٩٢١ م)[1] قد اختص بتطبيق منـاهج الرؤيـة التاريخية النقدية على الإسلام في جملته، وعده ظاهرة في تاريخ الحضارة حددت الأفكار الدينية أساسًا تطورها.

وقد ارتبط جولد تسيهر من خلال هذه الرؤية برؤية فون كريمر[2]، الذي فاقه

---

(١) وتعد مقالة « شباب جولد تسهير » ليوليوس نمت (Julius Németh) فـي مجلـة : Acta Orient , Hung. I (1950 -1951) S.7-25 مهمة بالنسبة لفترة شبابه ويوجد فيها أيضًا مصادر أخرى. يضاف إليها عرض م. بلسنر (M. Plessnet) لحيـاة جولـد تسهير ومؤلفه العلمي الملحق بترجمته إلى عبريتـه الحديثـة كتـاب جولـد تسـيهر : (Vorlesungen Über den Islam) ، القـدس ١٩٥١م ص ٢٨٩ : ٣٠٩ ، وجمـع تلميـذه برنـارد هيلـر (Bernard Heller) فـي كتابـه : (Bibliographie des ouveages de I. Goldziher , Paris 19) ، أعماله ، وأيضًا اسـتدراكات كراتشـكو فسكي في مجلد جولد تسيهر التذكاري ١، ١٩٤٨، ص٤٣٠.

(٢) قارن الموضع الذي كشف عنه بارتهولد (Barthold) في : (.Izvest. Russ. Akad Nauk 6 , 1922 , 156 ff) ، من خطاب جولد تسهير إلى ف. روزن : « فقـدتُ فـي كريمر الرجلَ الذي حفزتني أعماله في الأغلب لاستكمال البحث في كـل المؤلفـات حـول تخصصي فقد أدخل هواء نقيا إلى دراساتنا ، ولن يحاكم أحد لأخطاء ضئيلة متفرقة رجلاً أنعش من خلال إدراك كبير أفق دراستنا. بل إنه قد بدأت بكتبه فترة جديدة فـي دراسـة الإسلام ، وأدخل هنا أيضًا أعماله القديمة (عن وسط الشام ، مصر) ، وقد أدركـت فـي أعمالي غالبًا إلى أي مدى مهد لها كريمر تمهيدًا عظيمًا! فقد كشف عن الحياة الداخليـة للخلافة وكانت له قبل دوزي، الخالد، العظيم مزية مشاركة ذاتية في نقـاط (عناصـر) بحثـه. وكانت له حاسة لا تضارع بكل ما هو مهم وما هو أساسي ، وتعلمنا منه الاستسلام للمقـادير وعدم الاعتناء بوقوع صغائر وقوعًا حتميًا. ولا يمكن أن يسمو عالم إلى مكانـة عليـا بهـذه الصورة إلا رجل قادر على المشاركة في الاهتمامات الكبرى لنشاط الدولة الحقيقي.

جولد تسيهر في ذلك، ليس /٢٢٧/ في المعارف (المعلومات) والمناهج فحسب، [٢٢٧] بل في إدراكه الحدسي للقوى المحركة الدينية في الإسلام بوجه خاص. وكانت معرفته باليهودية الأرثوذكسية وموروثاتها، وأساسُها معايشة مباشرة، معينًا كبيرًا في ذلك. وإذا كانت مشكلات قضايا اليهودية في عصر التحرر (كانت) تشكل اهتمامًا متأججًا لجولد تسيهر الذي دخل المدرسة الثانوية في مسقط رأسه شتولفا يسنبورج في بلاد المجر (Székesfehérvàr) فإنه قد تلقى بالإضافة إلى ما سبق تعليمًا تلموديًا. وقد شارك في نضج مبكر وموهبة فذة وهو في سن الثانية عشرة في الجدل حول مسألة عملية في الطقوس الدينية، نشر فيها عملاً أرشد إلىاتجاه البحث لعالم مقبل – استنادًا إلى رأي نمت (Németh)[1] – عند الدراسة التاريخية للمسألة. وبعد انتقال أبيه إلى بست (Pest) صار جولد تسيهر الشاب وهو في سن المرحلة الثانوية أول تلميذ لهرمان فمبري (Hermann Vambéry) (١٨٣٢ – ١٩١٣ م) من بامبرج الذي استدعى إلى جامعة بوادبست سنة ١٨٦٥ م، والذي كان قد تنكر في آسيا الوسطى في زي درويش. تعلم على يديه الفارسية والتركية دون أن يظفر بحوافز شديدة، بل استزداد اهتمامه المحوري آنذاك أيضًا بموضوعات يهودية. غير أنه لحسن حظه حصل سنة ١٨٦٨م على منحة للدراسة في الخارج من وزير التعليم يوسف فون أوتفوس (Jasef von Eotvos) بناءًا على توصية فمبري (Vambéry)، وسافر في بادئ الأمر إلى برلين، ودرس لدى ا. روديجر (E. Rödiger) و ف. ديتريصي (Fr. Dieterici) وفتسشتاين (Wetzstein) فقه اللغات السامية. وتعرف على يد هرمان شتا ينتال (Hermann Steinthal) (١٨٢٣ – ١٨٩٤م) الذي كان يدرس علم اللغة العام، مناهجَ علم النفس الشعوب وما يسمى بعلم لغة

---

(١) المرجع السابق ص ٩. ولم يتوفر لي العمل الذي يحمل عنوانه : (Sihat Jishāq. : Abhandlung über Ursprug, Einleitung und Zeit des Gebetes. Pest. 1862 , 19 S.)

النقوش، واتصل أيضًا بشتا ينشنيدر، وبعد عام سافر إلى ليبزج إلــى فلايشرـــ وحصل على الدكتوراه على يديه سنة ١٨٧٠م برسالة دراســات حــول تنخــوم أورشلمي (شارح يهودي في العصور الوســطى) (Studien über Tanchûm Jerûschalmî)، التي ترجع بداياتها إلى فترة وجوده في برلين. وواصل ســنة ١٨٧١م رحلاته الدراسية بعدها إلى ليدن وفيينا، وســنة ١٨٧٢م حصــل علــى الأستاذية في بودابست، ومن سبتمبر ١٨٧٣م إلى إبريل ١٨٧٤م كانت الخاتمــة المتوجة لرحلاته الرحلة إلى الشام وفلسطين ومصر.

وقد تلقى على يد فلايشر تعليمًا نحويًا راسخًا، وتعلم فن تفسير النص الــذي أمد أعماله الرئيسية بأساسه الفيلولوجي الوطيد الأركــان. وبــديهي / ألا يقتــع [٢٢٨] بالتركيز المتحيز لفلايشر على الجانب الشكلي لفقه اللغة. فقد أسره تاريخ تطــور الفكر الإنساني كما عرض في أعمال فون كريمر، ووجد في كل نص يفسره دليلاً يتصل بتاريخ الثقافة. وقد كتب في بادئ الأمر متأثرًا بفلايشــر كتــاب : أبحــاث ومحاضرات في تاريخ علم اللغة عند العرب (Beitrage zur Geschichte der Sprachgelehrsamkeit bei den Arabern (SWA 1871-1873))، ودراسته عن وصف شخصية السيوطي (Swa 1871) غير أنه قد أبــرز فيهــا وبصورة جلية في دراسة : محاضرات حول تاريخ مصادر الشيعة (Swa 1874) (Beiträge zur Literatur_geschichte der Schi ʿa)، ميله نحــو تــاريخ الأفكار. وقد ختم جولد تسيهر الفترة الأولى من إنتاجه العلمــي بــذلك التــاريخ المجري لفقه اللغة عند العرب، ووصلت دراساته العبرية في الوقت ذاته بكتابه : الأسطورة عنــد العبــرانيين وتطورهــا التــاريخي (Der Mythos bei den Hebräern und seine geschichtliche Entwicklung) إلى نهاية لا رجعة فيها، وأراد أن يثبت في هذه الدراسات حول الميثولوجيا وعلــم العقيــدة خلافًــا لرينان (Renan) أن الهندوجرمانيين ليسوا وحدهم من كــان لهــم ميثولوجيــا (أساطير)، بل الساميين أيضًا، وقد استعان فــي ذلــك معتمــدًا علــى شــتاينتال

(Steinthal) بدراسة بالميثولوجيا المقارنة التي عني بها كل من ادلبرت كـون (Adalbert Kuhn)، وماكس مولر (Max Müller)، التي دلت مـن مقارنـة أساطير الشعوب الهندو جرمانية كلٌ على حده على تلك الأسـاطير للشـعب الأول (Urvolk)، ولوحظ تجسيد قوي الطبيعة في تكوينها الكلي. وعلى هذا النحو فسر جولد تسيهر شقاق الأخين قابيل وهابيل بتعاقب الليل والنهار، ووجد في إبـراهيم سماء الليل المظلمة، وفي سارة القمر أيضًا إلى آخره. وفَصَـلَ بـذلك الأجـزاء الأسطورية فصلاً تامًا حادًا عن الدين وما ورد عن نشأة الكون والأخلاق. ولكـن إذا كان قد تطلع (ص ٢٣) إلى درجة من درجات الوصول إلى أسمى مثال ديني؛ بالوحدانية النقية – وهو أمر يحمد له في دراسته – فإنه أصـيب بخيبـة أمـل قاسية، فقد كان المنهج الذي اتبعه آنذاك مثار جدل حاد، ولو أن جيمس فريـزر (James Frazer) قد ذللـه بصورة حاسمة، وحين ترجم الكتاب أيضًـا سـنة ١٨٧٧م إلى الإنجليزية لم يستقبل استقبالاً مناسبًا بوجه عام. بيد أنه قـد أثـار عاصفة من الاستياء داخل الطائفة اليهودية في بوادبست، سببت لجولـد تسـيهر حرجًا كبيرًا بالغًا حين تولى منصب سكرتير هذه الطائفة، لأنه لم يكن لديه أدنـى أمل، بعد أن توفي راعيه أوتفوس (Eōtvōs) سنة ١٨٧١ م، / في الحصول على [٢٢٩] وظيفة أستاذ في الجامعة. وبدأت المرحلة الثانية من نشاط جولد تسيهر البحثـي بهذه السنة العاصفة ١٨٧٦ م، وامتد حتى عام ١٩١٠ م، واتجه فيها إلى دراسة الإسلام بصورة متزايدة. غير أن عمله سكرتيرًا للطائفة اليهودية، الذي يحـتم أن يخصص له ست ساعات يوميًا على الأقل، كان عبئًا ثقيلاً لم يستطع أن يـتخلص منه إلا سنة ١٩٠٥م حين حصل على وظيفة ثابتة في الجامعة.

وعلى الرغم من سوء ظروفه الخارجية فقد أنجز في هـذه العقـود الثلاثـة روائعه العظيمة ابتداءً من دراسة عن الظاهريين (١٨٨٤ م) حتى « محاضـراته عن الإسلام ». وغالبًا ما كانت تتقدمها أعمال تمهيدية باللغة المجرية (١) فيضـم

(١) يؤكد نمت (Nemeth) ذلك ص٢٣ ، و٢٤، ويبين أن نقد جولد تسهير للحديث تجاوز=

كتابه (Az Islam) (١٨٨١ م) دراسات بعضها أساسي صورة منقحة في كتابه : دراسات إسلامية (Muhammedanische Studien). ومع ذلك لم تقدم الإشارات التي أوردها صديقه باخر (Bacher)[1] في مجلة (ZDMG. 36 , 720 724 -) أي تصور كافٍ عن محتوى الكتاب وأهميته. وهكذا فإن دراسته حول «الظاهرية مذهبهم وتاريخهم » (١٨٨٤ م) هي التي رسخت شهرته باحثًا في الإسلام. ولم يقدم جولد تسيهر هنا مدخلاً وضع أُسُسَ منهجيًا فحسب، بل رُتِّب ترتيبًا تاريخيًا، في دراسة لمناهج الفقه الإسلامي ألقى فيها ضوءًا شديدًا على جدل مدارس الفقه المحافظة حول الأسس، ويسر بذلك تفهمَ موقف داود الظاهري، ثم صور وضع مدرسته الخاص في تفسير القرآن والحديث، وتطبيقها لأقسام من الأحكام، وتناول تاريخ المدرسة حتى دَرَسَتْ، وأهم ممثل لها بوجه خاص أيضًا ابن حزم، الذي نقل أصول المدرسة إلى علم العقيدة وقدم جولد تسيهر ذيلاً له عددًا كبيرًا من النصوص بديلاً لمختارات مفقودة (آنذاك وإلى اليوم أيضًا) من مصادر الإسلام الفقهية. هذا الكتاب الذي أشير إليه في العنوان الفرعي بأنه : محاضرات في تاريخ الفقه الإسلامي (Muhammedanische Theologie)، / عُدَّ فاتحةَ سلسلة من البحوث (الدراسات) حول تاريخ تطور [٢٣٠] العقيدة الإسلامية، التي أعانت على فهم روح الإسلام، واستكملت هذه السلسلة في كتابه الخالد « دراسات إسلامية(*)» (مجلدان، ١٨٨٩ - ١٨٩٠ م). وتعد دراسته

= أبحاث سنوك هورجرنيه (Snouk Hurgronje).

(١) انظر حول فيلهلم باخر (Wilhelm Bacher) (١٨٥٠ - ١٩١٣) في الكتاب السنوي للتاريخ اليهودي وأدبه ١٩١٥م ، ص ١٧٧ وما بعدها. وقائمة المراجع التي وضعها لود فيج بلاو (Ludwig Blau) في عيد ميلاده الستين ١٩١١ م.

(*) ملحوظة : لم أر أية فائدة من النسبة التي يستخدمها المؤلف، وهو المعروف بهذا المنهج، وهي إطلاق لفظ محمدي على كل ما يتعلق بالإسلام، كما في عنوان كتاب: دراسات محمدية ، وكتاب ومحاضرات في تاريخ الفقه المحمدي، وغيرها والأولى رد النسبة إلى الإسلامي . حتى نفوت على غير المنصفين، ما استهدف من وراء هذه=

عن تطور الحديث (في المجلد الثاني من ص ١ - ٢٧٤) أكثر المقالات المجموعة هنا أهمية من جهة الإحاطة والمحتوى. فقد أثبت فيها جولد تسيهر ببراعة وذكاء الدور الذي قام به الحديث في المعارك بين الأمويين والعباسيين على الحكم، وفي الصراع بين الفرق والجماعات الدينية والسياسية بوصفه أداة من أدوات التنشئة والتثقيف، وموضوع الحماس الجماعي والدراسة، وبَيَّنَ بكمٍ وفير من الأمثلة من مصادر الحديث الاتجاهات المختلفة التي أسهمت في نشأة علم الحديث وتبويبه تشكيله وانتشاره من خلال نتيجة مفادها أنه يجب أن يعد القسم الأكبر الغالب من الحديث نتيجة للتطور الديني والاجتماعي للإسلام في القرنين الأولين. وقد أدرك باحثون ذوو فطنة أن الأحاديث يمكن أن تستخدم في تحفظ مصادر تاريخية لأقوال النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأفعاله. غير أن جولد تسيهر أول من أحل محل الشك العشوائي نقدًا مؤسسًا منهجيًا استمدت أسسه من الرؤية التاريخية النقدية. وبذلك نِيط البحث مهمةُ إعادة بحث التطور التاريخي - الديني للإسلام؛ وهي مهمة أورد جولد تسيهر نفسه حولها إسهامات مهمة في أعمال كثيرة، كما أن أعماله في حقلي فقه اللغة وتاريخ الأدب لا يمكن أن تتجاهل اهتماماته بتاريخ الفكر. فقد نشر « ديوان الحطيئة » لكي يوضح فيه مقاومة الوثنية للدين الجديد، وخصص قسمًا من المجلد الأول من كتابه : بحوث في فقه اللغة العربية (Abhandlungen zur arabischen Philologie) لموضوعات مشابهة. وتكمن قوة جولد تسيهر في الدراسة العملية المتخصصة. ففي كتابه القديم (الكلاسيكي): محاضرات حول الإسلام (Vorlesungen über den Islam (1910))[١]

= النسبة. عرض د. بدوي في كتابه ص ٢٠٠ وما بعدها لمضمون الكتاب بصورة مفصلة.

(١) ظهر مجلدًا في المكتبة الدينية ، الناشر ف. شتراتبرج (W. Streitberg) عني فرانتس بابيجر (Franz Babinger) ١٩٢٥م بطبعة ثانية منقحة (وموسعة من خلال الاستفادة من المصادر المتخصصة التي ظهرت منذ ١٩١٠م). وظهرت ١٩٥١م في القدس ترجمة إلى العبرية الحديثة لـ. م. بلسنر (M. Plessner) روعي فيها أيضًا في الهوامش=

[*]، أيضًا لم يقدم / أي عرض منهجي، بل تناول مهملا التاريخ السياسي أهم [٢٣١] جوانب التطور التاريخي الديني : محمد ﷺ، وتدرج الحكم والتطور العقدي، والزهد، والتصوف، والفرق، وأخيرًا التشكيلات المتأخرة. وينسب كتاب جولد تسيهر في هَرمِه بوجه خاص وهو : اتجاهات التفسير الإسلامي للقرآن. (Die Richtungen der islamischen Koranauslesungen (1920))[**]، إلى جانب تحقيقه وإعداده كتاب الغزالي (المستظهري) في الرد على فرق الباطنية (فضائح الباطنية) (Streitschrift des Ġazālī gegen Bāṭinijja - Sekte 1916)) إلى المرحلة الثالثة (من ١٩١١ - ١٩٢١ م). ويورد هنا أيضًا التفسير التاريخي الديني لنصوص عربية، وهذه المرة من مصادر التفسير، الأساس اللغوي لنظرة شاملة في تاريخ تفسير المسلمين للقرآن منذ بداياته حتى اتجاهات التجديد الإسلامي في العصر الحديث حيث اختلطت فيها ملحوظات وآراء كثيرة كان جولد تسيهر قد أعرب عنها في أعماله المبكرة الأولى. وبعد عام من ظهور هذا الكتاب الذي عده جولد تسيهر «وليد آلامه» أو مصدر تشاؤمه توفي إثر إصابته بالتهاب رئوي، وكان محل ثقة عظيمة لكثيرين ممن لم يفقدوا بوفاته عالمًا كبيرًا فحسب، بل إنسانًا نبيلاً وصديقًا متعاطفًا ومتفهمًا أيضًا. فقد أثر في مسار الدراسات الإسلامية تأثيرًا عظيمًا أكثر من أي معاصر له، وحَدَّدَ اتجاه البحث فيها وتطوره تحديدًا صارمًا.

= الإنجازات التي تحققت منذ سنة ١٩١٠ م.

(*) نقله آرن إلى الفرنسية بإشراف المؤلف، ونقله منها إلى العربية كل من د. محمد يوسف موسى، والأستاذ/ عبدالعزيز عبدالحق، بعنوان «العقيدة والشريعة في الاسلام».

(**) يمكن أن يترجم هذا الكتاب إلى «مذاهب التفسير الإسلامي»، وقد ذكر د. عبدالرحمن بدوي في موسوعة المستشرقين ص١٩٧ وما بعدها عرضًا مفصلاً لأهم كتبه في الدراسات الإسلامية.

٥٧ – كريستيان سنوك هورجرونيه

واصلت أعمال الهولنــدي كريســتيان ســنوك هورجرونيــه (Christion Snouck Hurgronje) (١٨٥٧ – ١٩٣٦ م)[١] أعمال جولد تسيهر الفذة فــي حقل الدراسات الإسلامية بصورة موفقة للغاية. وإذا كان جولد تسيهر / قد أوضح [٢٣٢] الصراعات المحتدمة بين الفرق في القرن الأول الهجري المتوارية خلف صــورة الإسلام التي بدت هادئة وثابتة، صورةَ الحديث، وقد خرج الإسلام السني من هذه المعارك ظافرًا، وهكذا فقد بين كريستيان سنوك هورجرونيه أن الفتاوى الفقهيــة الناضبة كانت واجهة دار وراءها صراع شديد بين المعيــار الفقهــي الشــرعي (المثالي) المراد إلهيًا والممارسة القضائية الناشئة عن العرف. وبدأ بذلك تفهمًــا دينيًا وفقهيًا وحضاريًا لكتب الفقه العربية التي لم يعن بها في هولنــدا وأنحــاء أخرى من الناحية العملية المحضة في تلك الفترة – في حقيقة الأمر – إلا لأسباب تتعلق بالسياسة الاستعمارية. وقد خاض كريستيان سنوك هورجرونيه نوعًا مــا من المعارك الأدبية مع الاتجاه الأقدم الذي يمثله بوجه خاص ل. ف. ك. فان دن بيرج (L. W. C. van den Berg) الذي رأى أن مسلمي جزر الهند الشرقية قد اتبعوا الحدود الشرعية لدينهم وإن وجدت بعض الاستثناءات، وأنه يجــب علــى إدارة الاحتلال أن تطبق هذه الشريعة. درس كريستيان سنوك هورجرونيه على يد

---

(١) Nachrufe von E. Littmann , ZDMG 90 , 445-458 : G. Levi Della) Vida , Oriente Moderno 1936 , 442 : J. Schacht , Der Islam 1937 , 292.) جمع أ. ي فنسينك أعمال هور جرونيه في ستة مجلدات (المجلد الرابع في مجلدين صــغيرين) ســنة ١٩٢٣م : (Verspreide Geshriften van C. Snouck Hurgronje) ويضم المجلد السادس فهرسًا مفصلاً يدخل فيه أيضًا كتاب مكــة وكتــاب عن (Atjèh) مملكة كانت تقع شمال سومطرة، للأسماء. والموضوعات (من ص ٤٨٣ : ٥٥٩) والمصطلحات العربية (مــن ٥٦٢ : ٥٣٧) والأندونيســية (مــن ٥٧٧ – ٥٨٣) والآيات القرآنية (م ٥٨٤ : ٥٨٦) أيضًا. وألحق به فضلاً عما سبق قائمة بالمراجع (من ٥٨٧ : ٥٩٧).

دي خويه، وحصل على الدكتوراه سنة ١٨٨٠م بعمل ممتاز عن العيد المكي (موسم الحج في مكة) (Het Mekkaansche Feest)، بحث فيه نشأة رحلة (شعيرة) الحج الإسلامية، وأوضح من خلال تاريخ زمني الآيات القرآنية حول «دين إبراهيم»(*). وسافر في نهاية دراساته إلى نولدكه في شترا سبورج، ودفعه تشجيع جولد تسيهر الذي كان يتبادل معه الرسائل، إلى الاستمرار في البحث في الفقه برغم نصيحة أستاذه له بالعدول عنه. وقد لعب هنا أيضًا اهتمامه بالإسلام في العصر الحاضر وسياسة هولندا الاستعمارية دورًا لا جدال فيه. فقد اشتغل سنة ١٨٨٢م في المعهد الذي يدرب المتقدمين للخدمة في المستعمرات. وفي سنة ١٨٨٤م سافر إلى شبه الجزيرة العربية، ومكث سنة ١٨٨٥م ستة أشهر في مكة، غير أنه وجب عليه أن يغادر المدينة المقدسة قبل موسم الحج (١). وقد قدم تجارب تلك الإقامة في كتابه مكة (Makka) (مجلدان وأطلس مصور ١٨٨٨ - ١٨٨٩ م) الذي كتبه بالألمانية، حيث قدّم تصويرًا حيًا للمدينة وشرفائها وسكانها (بما فيهم مسلمون من أرخبيل الهند الشرقية) وحياتها اليومية وعاداتها وتقاليدها وعلمائها ودراساتها. / وهو تصوير يعد وثيقة معاصرة ذات قيمة خالدة. وفي [٢٣٣] سنة ١٨٨٩م أرسل إلى يافا لدراسة الإسلام، وفي سنة ١٨٩١م دخل بصورة نهائية في خدمة المستعمرات، وبعث في بادئ الأمر إلى مملكة (Atjèh) الموجودة آنذاك في شمال سومطرة، التي لم تخضع خضوعًا تامًا برغم كل الجهود التي بذلها الهولنديون منذ ١٨٧٣ م. وقدم سنوك هورجرونيه بعد إقامة مدة عامين في كتابه (De Atjèhers) (مجلدان ١٨٩٣ - ١٨٩٤ م)(٢) لهذه

(*) من أسخف النتائج التي انتهى إليها في هذا المبحث هو القول بأن الحج الإسلامي هو بقية من بقايا الوثنية العربية (!).

(١) صور سنوك هورجرونيه نفسه (في كتابه : (Verspr. Geschr. III , 1-13)) الظروف الأكثر دقة التي أدت إلى إبعاده.

(٢) ظهرت ترجمة إنجليزية له سنة ١٩٠٦م تحت عنوان (The Achenese)

المنطقة وسكانها اللذين لم يُبْحَثا إلى وقته إلا قليلاً، عرضًا رائعًا لهيكلها الاجتماعي، والإدارة والقضاء والاقتصاد والأعياد والعادات والتقاليد والعلم (والمعرفة) والأدب والدين. وقد فرق سنوك هورجرونيه في هذا العرض بعناية بين القاعدة المثلى في الشريعة الإسلامية وبين التطبيق المتبع في حقيقة الأمر، ولم يكفل بذلك لقرائه نظرة عميقة في عالم شعب مسلم لم ينتبه إليه أحد من قبل تقريبًا فحسب، بل قدم لهم أيضًا مفتاح فهم تاريخي للفروق غير العادية التي يتسم بها عالم الإسلام المعاصر.

وقد طور بالإضافة إلى ذلك بوصفه مستشارًا في إدارة المستعمرات آراءه في السياسة الدينية المتبعة مع المسلمين، غير أن هذا الجزء عن أعماله ليست له في الوقت الحاضر إلا قيمة تاريخية. وتعرف سنوك هورجرونيه فيما بعد في رحلات عمل عمقَ شمال سومطرة، ووصف البلاد والناس في كتابه الرئيسي الأخير (Het Gajōland en zijne bewoners (1903)). وفي سنة ١٩٠٦م قبل دعوة شغل وظيفة أستاذ كرسي اللغة العربية في جامعة ليدن خلفًا لدي خويه، ففارق خدمة المستعمرات بعد عمل دام سبعة عشر عامًا. غير أنه قد استمر باعتباره مستشار الحكومة في التأثير في سياسة بلاده تجاه الإسلام تأثيرًا كبيرًا. وكان يؤخذ بكلامه في مكاتباته حول قضايا الإسلام ومشكلاته في العصر الحديث. ولا ينسى أيضًا أنه قد قام بدور مؤثر فعال في إنجاز مشروعي ليدن الضخمين، وهما دائرة المعارف الإسلامية، والمعجم المفهرس للحديث (الإسلامي).

٥٨ – ادوارد زخاو

/ كان ادوارد زخاو [١](١٨٤٥ – ١٩٣٠ م) من بين علماء العربية في [٢٣٤]

---

(١) جمع ف. جوتشلك (W. Gottschalk) قائمة مؤلفاته حتى سنة ١٩١٥م من ص ١ : ١٤ في الكتاب التذكاري لادوارد زخاو (Festschrift Eduard Sachau) الذي عني بنشره ج. فايل (G. Weil) ، وفي كلمة ب. ما يسنر (B. Meissner) في ذكرى زخاو.

الإمبراطورية الألمانية الممثل الرسمي للدراسات العربية لكونه أستاذًا نظاميًا في جامعة برلين ومديرًا لمعهد اللغات الشرقية الذي أسس سنة ١٨٨٧ م. فقد عرف في ذكاء ومهارة وعلاقات ودية واهتمامات كثيرة، ونظرة دقيقة أن يؤدي المهام العملية الموكلة إليه وأن يدعم البحث بأعماله الخاصة في الوقت نفسه. وكان قد بدأ في كيل سنة ١٨٦٤م دراساته لدى ديلمان وخليفته نولدكه. إلا أنه سرعان ما دب بينه وبين نولدكه خصام حاد، فرحل زخاو سنة ١٨٦٥م إلى فلايشر في ليبزج حيث حصل على الدكتوراه سنة ١٨٦٧ م.

وظهرت في العام نفسه طبعته لكتاب الجواليقي، وأساسها رسالته للدكتوراه، كتاب المعرب، الذي أظهر معارف محققها المتشعبة من جهة اللغة والموضوع [1] وصار سنة ١٨٦٩م أستاذًا غير نظامي في فيينا، ثم صار سنة ١٨٧٢م أستاذًا نظاميًا.

واستدعى سنة ١٨٧٦م إلى برلين. وقد تعرف الشرق لأول مرة من ١٨٧٩: ١٨٨٠م من خلال رحلة إلى الشام وبلاد الرافدين قام بها بتكليف من حكومة بروسيا؛ رحلة وصفها سنة ١٨٨٣م في كتاب يحمل العنوان نفسه. ونشر في فترة إقامته في فيينا متفرقات سريانية لثيودور فون موبسو ستيا (Theodor von Mopsuestia) سنة ١٨٦٩ م، وترجمات سريانية لأعمال في الأدب الدنيوي اليوناني، تحت عنوان (Inedita syriaca) سنة ١٨٧٠ م. ثم نشر سنة ١٨٨٠م بالاشتراك مع مؤرخ القانون كارل جيورج برونس (Karl Georg Bruns) كتاب « القانون السرياني الروماني » (Syrisch römische Rechtsbuch) من القرن الخامس الميلادي النص وترجمته، وتبعه من سنة

---

(١) أكمل ف. شبيتا (W. Spitta) في مجلة : ZDMG، عدد ٣٣ ، من ص ٢٠٨ : ٢٢٤ بناء على مخطوطة قاهرية ، جزءًا ناقصة في طبعة زخاو القائمة على مخطوطة وحيدة ويضاف كذلك إلى المخطوطات التي ذكرها برو كلمان في كتابه : (GAL sI 492) مخطوطة ميونخ (Glaser 123 (VII. Jh) المعيبة في أولها وآخرها.

١٩٠٧ : ١٩١٤م المجلدات الثلاثة لكتب القانون السريانية (Syrischen Rechtsbücher).

وكانت ثمرة رحلته الأولى إلى الشرق تكمن إلى جانب المواد اللغوية والنقوش، في مجموعة من المخطوطات السريانية التي / آلت إلى مكتبة برلين، [٢٣٥] وهي المخطوطات التي فهرسها سنة ١٨٩٩م مع حصيلتها الأقدم من مخطوطات سريانية أيضًا. ونشر سنة ١٩١١م البرديات والشقائق التي وجدت في جزيرة فيلة بين ١٩٠٦ و ١٩٠٨ م، بتكليف من متاحف برلين في طبعة أنيقة للغاية. وفي سنة ١٨٦٩م تولى ترجمة كتاب البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية (Chronologie der alten Völker)، إلى الإنجليزية لحساب مؤسسة الترجمة الشرقية (Oriental Translation Fund) في لندن. وقد عُنيَ في البداية بتحقيق النص العربي من سنة ١٨٧٦ : ١٨٧٨م وأعانه فوستنفلد في تصحيحه في حين استشار المختصين في الفلك والرياضيات في الأجزاء الفنية من الكتاب. وأعقبته الترجمة الإنجليزية سنة ١٨٧٩ م. واستجاب زخاو في تلك الفترة لطلب دي سلان (de Slane) لتولي تحقيق كتاب البيروني عن الهند (ما للهند من مقولة...) الذي كان قد كشف عنه في الأصل كل من فوبكه (Woe pcke) ودي سلان. واستطاع بعد خمسة عشر عامًا أن ينشر النص سنة ١٨٨٧م بناءً على مخطوط جيد كان في حوزة تشارلز شفر (Charles Schefer)، وأعقبته الترجمة الإنجليزية سنة ١٨٨٨ م. لقد عَرَّف زخاو بهذه المؤلفات المهمة الغرب بواحد من أكبر علماء العصور الوسطى، ولا ينال من فضله توفر مخطوطات أفضل وأتم اليوم في التاريخ، وأن تقدم الدراسات الهندية قد مكّن من فهم أفضل لكتاب البيروني عن الهند. وأورد زخاو سنة ١٨٩٧م في الكتب التعليمية لمعهد اللغات الشرقية التي عني بنشرها، عرضًا للفقه الإسلامي وفق المذهب الشافعي الذي كان سنوك هورجرونيه[1] قد نقده نقدًا عنيفًا. وعقب ذلك مباشرة أعد زخاو خطةً

(1) ZDMG 53 , 125-167 : 703-704 = Verspreide Geschriften II 367 bis 418.

لأعظم إنجازاته في حقل تحقيق النصوص العربية، أي تحقيق كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد الذي نشر نصه بالتعاون مع كل من ك. بروكلمان، وي. هوروفيتس، وي. ليبرت، وب. مايسنر، وا. ميتوفوخ، وف. شفاللي وك. ف. تسترستين (K. V. Zetterstéen) من سنة ١٩٠٤ حتى ١٩١٨ م. وبذلك صار ميسرًا بصورة عامة كتاب عُرِفَت قيمته كمصدر لحياة محمد ﷺ وأصحابه وأقدم مجموعة من تراجم المُحَدِّثين، من خلال أعمال شبر نجر وموير ونولدكه، / [٢٣٦] واستفاد منه فو ستنفلد في جداوله لأنساب القبائل والأسر العربية. وقد زود زخاو الجزء الثالث (I) الذي ظهر أولاً بمقدمة؛ دراسة قيمة حول رواية التاريخ قبل ابن سعد. وأعقب النص المشكل للجزء الثامن – حيث لم توضع فيه للأسف المقابلات في هامش الصفحة، بل أشير إليها في ملحق – الفهارس والملاحق والتصويبات الضرورية، ومعجم ومقدمة عامة أيضًا على غرار كتاب الطبري. غير أن زخاو لم يستطع نتيجة لسوء الأحوال آنذاك أن يطبع إلا الجزء التاسع (I) سنة ١٩٢٠م، وهو الفهرس الذي وضعه أحمد والي للأشخاص الواردين في مواد مستقلة في الكتاب. وأتبعه بعد ثماني سنوات بالجزء التاسع (٢)، وهو الفهارس التي أعدها بنفسه، للمواضع والشعوب وأقوال النبي ﷺ والقوافي والآيات القرآنية. وظل يعمل لإكمال هذا الكتاب حتى وفاته سنة ١٩٣٠ م. وظهر أخيرًا سنة ١٩٤٠م الجزء التاسع (٣)، وهو أيضًا فهرس للأشخاص المذكورين في الكتاب (باستثناء سلسلة العنعنة)، حيث وردت الأسماء المحورية للأسف بنفس الطريقة التي وردت بها في النص مما استلزم على الباحث أن يبحث بصورة مجهدة بين صيغ الأسماء المختلفة عن المواضع التي ذكر فيها اسم محدد. ويبقى أن نورد في خاتمة واجبة الذكر مهمة المستقبل؛ وهي أن يعقد بين هذه الطبعة الضخمة واسم زخاو صلة وثيقة إلى الأبد، بفهرس تام للأشخاص وملاحق وتصويبات أيضًا.

٥٩ – أوجست مولر

في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي كان يعمل إلى جانب نولدكه وفلها وزن وزخاو في المعاهد الألمانية العليا عدد كبير من علماء العربية الـذين حال موتهم المبكر دون أن يجنوا الثمار الكاملة لعملهم العلمي. ويقـع أوجسـت مولر (August Müller)[1] في مقدمتهم. فقد اكتسب بوصفه تلميـذًا لفلايشـر تعليمًا نحويًا راسخًا، غير أن فكره اليقظ دفعه إلى توظيف معارفه لخدمة دراساته التاريخية أيضًا، ولم يكر / إلى الشعر العربي الذي كان قد كـرس لـه رسـالته [٢٣٧] للدكتوراه عن معلقة امرئ القيس سنة ١٨٦٩ م، مرة أخر فيما بعد إلا حين قدم سنة ١٨٩٠م بمساعدة نولدكه معجمًا لكتاب الأخير : منتخبات من الشعر العربي القديم (Delectus Veterum Carminum Arabicorum). ثـم وجَّهـه ر. جوشه (R. Gosche) إلى كتاب عيون الأنباء في أخبار الأطباء لابن أبي أصيبعة الذي لم يُتَحقَّق بعد، وطبعة فلوجل للفهرست. فقد طبـع مـولر الجـزء الثـاني (تعليقات فلوجل والفهارس)، واختمرت في داخله خطة عرضت تراجم ومؤلفـات في تاريخ العلوم الطبيعية الدقيقة في الإسلام عرضًا نقديًا. فتـرجم فـي الكتـاب التذكاري د. ج. برنهاردي (G. Bernhardy) سنة ١٨٧٢ مع ملحوظات فصلاً عن « فلاسفة اليونان في المصادر العربية»، وأعد سـنة ١٨٧٥م فـي الكتـاب التذكاري لفلايشـر : أبحـاث شـرقية (Morgenländische Forschungen) القائمة العربية بمؤلفات أرسطو عن ابن القفطي. وقرر بسبب تكـاليف الطباعـة الزهيدة أن يعهد إلى مصطفى وهبى بطبع نص كتاب ابن أبي أصيبعة في القاهرة حيث أشرف شبيتا (Spitta) على الطباعة. ولكن هذا الأخير اضـطر أن يغـادر

---

(١) رثاء نولدكه في مجلة (ZDMG) ، عدد ٤٦ ، من ص ٧٧٥ : ٧٧٨ و ف. روزن فـي مقالات قسم الاستشراق للجمعية الروسية للآثـار (.Orient. Abt. der Russ. Arch Gesellschaft VII (1892) 329-334.)

مصر بعد ذلك بقليل، فاستكمل وهبى حينئذ طباعة النص بلا ضوابط إلى حد ما، فغيره كيفما شاء، وحذف التشكيل وترقيم الأسطر والأقواس الموضوعة للتفريق بين الإضافة والحذف. ومن أسوأ ما فعل أنه في فهرس الأشخاص والأماكن اللذين ظهر أنهما لا جدوى منهما قد حصر كل مادة في سطر واحد، فلم يذكر من الأسماء الشائعة الورود إلا حالات الاستشهاد الأولى باستمرار.. لذلك لا يختلف النص الذي عني بنشره امرؤ القيس بن الطحان(*) الذي ظهر سنة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢م في جزئين مع مقدمة عربية أعدها شبيتا، اختلافًا كبيرًا عن أية طبعة شرقية أخرى، إذا ما غض النظر عن الفهرس(**) . ولم يبق في مقدور مولر شيء آخر غير أن يورد استدراكًا في دار النشر الخاصة به (Königsberg) سنة ١٨٨٤ م، يضم تكملة (ذيلاً) للفهارس (مكملاً لترقيم صفحات الطبعة القاهرية من ص ١٢٣ : ١٤٥) وجزءًا أساسيًا هو وجوه القراءة (من ص ١ : ٦٠) «مقارنة بين أوجه النقد فيما يتعلق بالنصوص التي لم تروَ بنفس القدر» (من ص ٦١ : ٧٠) وأخيرًا تصويبات (من ص ٧١ : ٨٠). ويتقدم كل ما سبق مقدمة تتناول مصير الطبعة (ص ٥ وما بعدها)، والمخطوطات وبناء النص (ص ١٢ وما بعدها)، والمصادر السابقة / لكتاب ابن أبي أصيبعة (ص ٣٦ وما [٢٣٨] بعدها)، وتضم تجميعًا أخيرًا لتصويبات (من ص ٣٩ : ٤١ XLI) وفي النهاية وجوه قراءة مخطوطة استخدمت استخدامًا إضافيًا (من ص ٤٧ : ٥٠) أيضًا. وقد جعل كل هذا استخدام طبعة مولر التي لم تحل محلها أخرى إلى اليوم صعبًا للغاية. وقدم ا. مولر في تقارير جلسات أكاديمية ميونخ سنة ١٨٨٤م دراسة

(*) يعني بهذا الاسم نفسه، فقد تسمَّى به وهو ترجمة عربية لاسمه الألماني، إذ لم ينشر نص ابن أبي أصيبعة غيره.

(**) لما خان الناشر المصري الأمانة وعبث بالكتاب فأسقط الجهاز النقدي كله، وأفسد التحقيق. استشاط مولر غضبًا في المقدمة التي كتبها بالعربية لهذه النشرة، وحاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه بنشر الجهاز النقدي على حدة في ألمانيا.

ممتازة رائعة، حول نص كتاب ابن أبي أصيبعة «تاريخ الأطبــاء»، واســتعماله اللغــوي (Über Text und Sprachgebrauch von Ibn abī Uṣaibias Geschichte der Ärzte)(*). وأعقب عمل ابن أبي أصيبعة من سنة ١٨٨٥ : ١٨٨٧م كتاب مولر : الإسلام في الشرق والغرب : (Islam im Morgen und Abendland (= W. Oncken , Allgemeine Geschichte in Einzeldarstellungen II , 4)) في مجلدين ضخمين. ولــم تتحقــق بصــورة مرضية مهمة هذا الكتاب؛ وهو تقديم عرض التاريخ السياسي للإسلام لجمهــور البسطاء عرضًا مفهومًا بوجه عام على أسس علمية لتخلف البحث في هذا الحقل. فقد رفض نولدكه الذي كانت دار النشر قد توجهت إليه أولاً، هذا التكليف، فعُرِض على مولر(١) الذي قبله، غير أنه سرعان ما لاحظ أنه ليس تحت يديه من أعمــال تمهيدية إلا ما يكفي لربع المجال المعروض فيه. من بينها أعمال فايــل وفــون كريمر ودوزي بصفة خاصة، وملحوظات صديقه أ. لــوت (O. Loth) المدونــة حول حياة محمد ﷺ أيضًا. ويدين بالفضل في بعض المحفزات لعرض الإسلام في أعمال ل. فون رَنكه (L. von Ranke) أيضًا، غير أنه قد وجد نفســه مــدفوعًا لمعارضتها أيضًا. وقد حاول أن يسد الثغرات بفكره الخاص، حيث لم تتمكن النبرة الصبيانية أحيانًا من أن تخفي إحساس المؤلف بالتردد. وقد تعرض الكتاب لنقــد غير حاد بوجه عام. وظل حتى فترة متأخرة من هذا القــرن الكتــاب الأساســي لجمهور القراء الألمان عن تاريخ الإسلام. وفي ســنة ١٨٨٧م ظهــرت الطبعــة الخامسة من كتاب النحو العربي لكاسبري (Caspari) الذي كان مولر قد عنــي بطبعته الرابعة سنة ١٨٧٦ م، استنادًا إلى إعداد إنجليزي موفــق لــوليم رايــت وبمساندة كل من فلايشر ونولدكه ولوت. ووجد مولر أن ثمة عيبًا يتمثل في أنــه لم يفرق بدقة في هذا النحو بين علمي الكتابة والأصوات، / ويفتقــر إلــى أيــة [٢٣٩]

(*) اسم الكتاب هو: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء».

(١) انظر حول ذلك سنوك هور جرونيه في مجلة (ZDMG) عدد ٨٥ ، ص ٢٧٦.

معالجة لغوية، غير أن اشتغاله بذلك الكتاب عن الإسلام لم يدع له أي وقت لإعادة صياغة محورية له. ولم يقتصر نشاط مولر على حقل الدراسات العربية. فقد أقبل في سعادة وشغف على كل عمل تمليه عليه ظروفه؛ فكتب كتابًا مدرسيًا في النحو العبري سنة ١٨٧٨م وكتابًا في النحو التركي مفيدًا في زمانه لـ (Porta Linguarum orientalium). وتولى الجزء الخاص بالأمثال في طبيعة الكتاب المقدس المسماه (Regen bogenbibel) الذي عُنِيَ بنشره باول هاويت (Pual Haupt) (١٨٥٨ - ١٩٣٦ م). وخطط لكتاب أساسي في فقه اللغات السامية. وأخيرًا استحق فضلاً باقيًا بدوريته المكتبة الشرقية : (Orintalische Bibliographie) التي أصدرها (في برلين) بالاشتراك مع مستشرقين آخرين منذ ١٨٨٧م، وكانت تتحدث في سرعة وانتظام وأمانة عن الإصدارات الجديدة بإشرافه الحاذق الدقيق(*).

٦٠ – الدراسات العربية في ألمانيا

من ١٨٧٠ إلى ١٩٠٠م

يعد أوتولوت (otto loth) [1] (١٨٤٤ - ١٨٨١ م) أحد تلاميذ فلا يشر الأوائل، فقد نشر أعمالاً قليلة نسبيًا : رسالته عن ابن المعتز (١٨٦٦ م)، ودراسته عن ابن سعد، حصل بها سنة ١٨٦٩م على الأستاذية في ليبزج، وفهرست المخطوطات العربية في مكتبة المكتب الهندي أو مكتب ديوان الهند. (Catalogue of the Arabic Mss in the Library of the India Office) الذي وضعه في لندن من سنة ١٨٧٠م : ١٨٧٢ م.

(*) وجدير بالذكر هنا أيضًا قيامه بالتعاون مع يوهانس رود يجر بمهمة طبع نص كتاب الفهرست لابن النديم الذي حققه فلوجل وأعده للنشر، ولكن حالت وفاته دون إشرافه على طبعه، فقاما بهذه المهمة على خير وجه، وظهر الكتاب فيليبزج سنة ١٨٧١م و١٨٧٢م.

(١) انظر : August Müller, Ottoloth, Ein Gedenkblatt, o.j. (1881)

وبالنسبة لطبعة ليدن لتاريخ الطبري فقد قابل في خريف سنة ١٨٧٩م بين المخطوطات في استانبول، وتبين العبارات الحارة خصَّه بها دي خويه في ذكراه ١٨٨٥، [١] تلك الآمال الكبيرة التي شيعت مع لوت إلى القبر (ماتت بموته). وأهداه دي خويه تذكارًا له طبعة كتاب ابن الفقيه (BGA V) التي نشرها بمساعدة لوت الذي قام بنسخ النص. وكان مصير صديقه فيلهلم شبيتا[٢] (Wilhelm Spitta)، ابن شاعر «سفر المزامير والقيثارة» Psalter und Harfe، أكثر ماساوية. وبعد أن حصل على الدكتوراه لدى فلايشر في موضوع تاريخ أبي الحسن الأشعري (Zur Geschichte Abū l-Ḥasan al Aš'arīs) ١٨٧٥م، استدعى في صيف العام نفسه مديرًا لدار الكتب / الخديوية في [٢٤٠] القاهرة[٣]، حيث أنجز فهرسة المخطوطات العربية بها بوجه خاص [٤]. إلا أنه أقيل من منصبه سنة ١٨٨٢م في أثناء ثورة عرابي باشا، فعاد وكان يعاني من السل معاناة شديدة، إلى ألمانيا حيث توفي سنة ١٨٨٣ م. وكانت ثمرة إقامته في مصر كتابه : نحو لهجة مصر الدارجة العربية (Grammatik des arabischen Vulgärdialektes von Ägypten) (١٨٨٠ م)، وهو أول عرض علمي لهذه اللهجة. وجمع تكملةً له : القصص العربية الحديثة (Contes arabes modernes) (١٨٨٢) المتأثرة بنماذج أدبية تأثرًا لغويًا شديدًا. وقد تُجُووِز كلا العملين في الوقت الحاضر. وتكمن جوانب النقص فيهما في المعالجة القاصرة الناقصة للأصوات من جهة، والفصل غير الكافي بين لهجات محلية

---

(١) انظر : Tabari, Annales, (vol XVI) Introductio, p.xxxIXsq.

(٢) انظر : Ed. Meyer im Zentralblatt f. Bibliothekswesen 1884.

(٣) تولى قبله هذا المنصب من ١٨٧١: ١٨٧٤ عالم الدراسات القبطية لودفيج شتيرن (Ludwig Stern).

(٤) انظر حول ذلك ا. مولر في مجلة (ZDMG)، عدد ٣٩، ص ٦٧٤ - ٧٠٣، وخطاب فولرز عنه الوارد في المجلة نفسها عدد ٤٠، ص ٦٧٤ - ٧٠٣، وخطاب فولرز عنه الوارد في المجلة نفسها عدد ٤٠، ص ٧٦٥ : ٧٧٠.

ولهجات طبقية مختلفة من جهة أخرى، وأهم من ذلك موقفه الأساس الغلط منهجيًا من «اللهجة» ؛ فقد زعم أنها يمكن أن تُرْفَع إلى مستوى لغة الأدب وتحل محل العربية الفصحى.

وكان خليفة شبيتا في دار الكتب الخديوية في القاهرة كارل فولرز (Karl Vollers) (١٨٥٧ – ١٩٠٩م) من سنة ١٨٨٦م حتى استدعائه إلى (جامعة يينا (Jena) سنة ١٨٩٦م[1]. وتعود إليه طبعات دواوين ابن دُقماق وابن سعيد والمتلمس المتواضعة إلى حد ما. وصار أكثر شهرة من خلال نظريته القائلة بأن القرآن أُلِّف بلهجة مكة العامية ثم نُقِّحَ بعد ذلك وفق قواعد لغة الأدب ؛ وهو ادعاء أثبت نولدكه في الوقت نفسه عدم صحته.

وكان تلميذ فلايشر الذي اختار رسالة له في الحياه مثل أولئك السابقين، بحثَ اللغة العربية وتاريخها ابتداءً من الشعر الجاهلي القديم حتى اللهجات الحالية، هو هاينريش توربكه فقد كان عارفًا جيدًا بالشعر الجاهلي كما تبين طبعته غير المكتملة للمفضليات سنة ١٨٨٥ م، وقدم طبعة ممتازة لكتاب الحريري « درة الغواص في أوهام الخواص » ليبزج سنة ١٨٧١ م. واشتغل مشاركًا في تحقيق طبعة ليدن لتاريخ الطبري (المجلد الثاني ١، من ص ١٢٤١ : ٢٩٥) في السنوات من ٤٠ : ٦٠ هـ. / وانبثقت عن اهتمامه باللهجات الحالية المعاصرة [٢٤١] طبعته لكتاب ميخائيل صباغ(*): نحو لهجات الشام ومصر العربية Grammatik der arabischen Umgangssprachen Syriens und Ägyptens (١٨٦٦

(١) انظر : Ad. Merx ADB 38 S. 117. , A. Socin, ZDMG 43, 707 – 709.

(*) ميخائيل بن نقولا بن إبراهيم صباغ ألف « الرسالة التامة في كلام العامة، والمناهج في أحوال الكلام الدارج» ألفه سنة ١٨١٢م إجابة لدعوة صاحبه اليوس بقطر (عشرة أبواب) طبع في شترا سبورج – جوتنجن ١٨٨٦ م. وله : مسابقة البرق والغمام في سعاة الحمام والمقباس في أصول المقياس الخ.

م)[١]. وحين لقي حتفه بسكتة قلبية بعد فترة مرض قصيرة، كان قد خلف مدونات كثيرة : منسوخات من المخطوطات، ومجموعة ضخمة من الجـذاذات لمشـروع معجم عربي مستقبلي على وجه الخصوص، لم تفض للأسف إلى معالجة نهائية. وكان رأى فلايشر أن بحث النحو العربي لدى النحاة المتأخرين يجب أن يُبْعَـث، وشجع ذلك جوستاف يان (Gustav Jahn) (١٨٣٧ – ١٩١٧ م) الذي مكنه ا. روديجر (E. Rödiger) في برلين من دراسة كتاب المفصل للزمخشري، على أن ينشر شرح ابن يعيش للمفصل. وظهرت الطبعة التي ساعده فيها فلا يشر بقراءة التصويبات وفوستنفلد بمراجعتها، وآلفارت وف. روزن وتوربكه في شـواهدها الشعرية، من سنة ١٨٨٢ – ١٨٨٦م في مجلدين ضـخمين دون جهـاز نقـدي (وجوه القراءة والتعليقات والهوامش). ثم قدم يان (Jahn) من سـنة ١٨٩٤ – ١٩٠٠م ترجمة لكتاب سيبويه عن طبعة ديرنبورج (Derenbourg)، وشـرح السيرافي الذي أوقعه في جدل دام طويلاً مع بريتريوس (Praetorius)[٢].

وأساس معاركه الأدبية الأخرى تفضيله الترجمة السبعينية[*] علـى الـنص الماسوري، وإنكاره معارضته صحة برديات جزيرة فيلة ونقش ميشع، وادعاءات تمسك بها في عناد طيلة حياته. وعرض في آخر أعماله لمفهوم الإله عند اليهود القدامى وكتابتهم للتاريخ.

واستدعى البرت سوسـين (Albert Socin)[٣] (١٨٤٤ – ١٨٩٩ م) مـن بازل سنة ١٨٩٠م ليخلف فلا يشر على كرسي الأستاذية، وكان سوسين قد عمل

---

(1) MÜller und A. Socin, ZDMG 45, 465 – 492.
AUG. Fischer, ZDMG 49, 695 – 705.,

(٢) انظر حول بريتوريوس (١٨٤٧ – ١٩٢٧ م) : اينوليتمان (Littmann .E) في مجلـة (ZDMG) عدد ٨١، ص ١٥٩.

(*) الترجمة السبعينية Septuaginta: ألفها ٧٢ عالمًا، وهي أقدم وأهـم ترجمـة يونانيـة للعهد القديم في القرن الثالث قبل الميلاد.

(٣) انظر: E. Windisch, BVSGW 1899 – 253: E. Kautzsch, ZDPV 22, 1-17

منذ ١٨٧٣م في توبنجن. ولا تقارن أهميته بأهمية توربكه ولا بأهمية لوت. فقد حصل على الدكتوراه سنة ١٨٦٧م لدى جوشه (Gosche) عن تحقيقه لـــديوان علقمة الذي كشف آلفارت جوانب الضعف فيه في مقالته: ملحوظات حول صـــحة القصائد العربية الجاهلية (القديمة).

(Bemerkungen über die Echtheit der alten arabischen Gedichte)(١٨٧٢ م).

وزار من سنة ١٨٦٨م : ١٨٧٠م وسنة ١٨٧٣م القاهرة، ومصر، وفلسطين والشام، والعراق. وقد جلب معه من رحلته الأولى موادًا لغوية مهمة حول العربية الحديثة والآرامية الحديثة / والكردية وهو المواد التي نشرها وحده تارة اللهجات [٢٤٢] الآرامية الحديثة من أرميا حتى الموصـــل نصـــوص وترجمتهـــا ١٨٨٢م (Die neuarainäischen Dialekte von Urmia bis Mosul, Texte u. Übersetzung 1882)، ومع رفيق رحلته اويجن بروم (Eugen Prym) تارة أخرى لهجة طور عابدين الآرامية الحديثة جزءان، ١٨٨١، مجموعات وحكايات وأغان كردية بلهجة طور عابدين ومن بوهتان:

Der neuaramäische Dialekt des Ṭūr ʿAbdīn, 2 Bde., 1881; Kurdische Sammlungen, Erzählungen und Lieder in den Dialekten des Ṭūr ᶜAbdīn und von Bohtan, gesammelt, herausgegeben und übersetzt, 2 Bde., 1887 – 1890)

جمعت ونشرت وترجمت في جزئين من ١٨٨٧ – ١٨٩٠م.

بيد أن أهمها كانت نصوص في لهجة معلولة الآرامية الحديثة التي نشـــرها سنة ١٩١٥م برجشتراسر (Bergsträsser)(١). وكان ديوان مـــن قلـــب شـــبه

(١) قـــارن : A. Spitaler, Grammtik des neuaramäischen Dialekts von

الجزيرة العربية (Diwan aus Zentralarabien) أكبر المواد العربية حجمًا وأهمها محتوىً، وهو الذي نشره تلميذه هانز شتومه (Hans Stumme) عام ١٩٠٠ - ١٩٠١ م.

ولم تقتصر اهتمامات سوسين على اللهجات الحالية، فقد كتب سنة ١٨٨٥م لـ(Porta linguarm orientalium) كتابًا في النحو العربي لقي انتشارًا واسعًا في وقت وجيز، وقد أعاد ك. بروكلمان صياغته منذ ١٩٠٤ م، وما يزال إلى يومنا هذا أحب كتاب معين للتدريس للمبتدئين. وقد اهتم كثيرًا بجغرافيا فلسطين، فكشف مع إميل كاوتش (Emil Kautzsch) عدم صحة الآثار المؤابية، وكان واحدًا من مؤسسي الجمعية الألمانية - الفلسطينية التي عدته مجلتها أخلصَ المشاركين فيها.

وأخيرًا كان ياكوب بارت (Jakob Barth)[١] الذي كان يُدَرِّس منذ ١٨٧٤م في معهد الربانيين لليهودية الأرثوذكية في برلين الذي أنشئ حديثًا ثم اشتغل فيما بعد في الجامعة أيضًا، تلميذًا لكل من فلايشر ونولدكه. وكان يعرف العربية معرفة ممتازة، فنشر كتاب «فصيح ثعلب»، سنة ١٨٧٦م وهو أحد الكتب الأساسية في نقاء العربية (Purismus)، وطبعات رائعة من ديوان شاعر البدو «القطامي» وشارك في طبعة ليدن لتاريخ الطبري. ولم يعن بمواد النصوص إلا قليلاً، لأنه لم يركز إلا على الجانب النحوي فيها، ومال إلى تصويبات متعسفة وبخاصة في الشعر الجاهلي.

أما الحقل الثاني الذي عمل فيه بشغف فهو الدراسات السامية المقارنة، غير أنه لم يساير تطور علم اللغة العام ص ٢٤٣ وبخاصة في الدراسات الهندوجرمانية، وظن / أنه يمكن أن يفسر التطور اللغوي تاريخيًا من خلال إعادة [٢٤٣] بناء منطقية، وأدى ذلك إلى أن أعماله اللغوية وبخاصة كتابه «بناء الاسم في

Maʿlūla.

(١) انظر : C. H. Becker, Islamstudien II, 470 – 473.

اللغات السامية،الثري في مادته، لا يمكن أن تعد إلا مجرد تجميعات للمادة.

ونشر بارت سنة ١٨٨١م ضمن برنامج المعهد الشرح العربي لابن ميمون على مختصر المشنا (Makkoth)، وافتتح بذلك سلسلة طويلة من الطبعات المجزأة حيث جعل ذلك النص الجم الفائدة لمعجم العربية الوسطى من خلالها تدريجيًا سهل المنال[1]. أما سيجمون فرنكل (Siegmund Fraenkel) [2] (١٨٥٥ – ١٩٠٩م) فتلميذ آخر لنولدكه، لا يعد من مدرسة ليبزج، صار فيما بعد أستاذًا في برسلاو. وبعد أن أثبت موهبته في أبحاث اشتقاق الألفاظ حول الألفاظ في القرآن الكريم. في رسالته : «حول الألفاظ في القرآن الكريم» De vocabulis in Corano peregrinis (1880)، قدم دراسة سنة ١٨٨٦م حول : «الكلمات الآرامية الدخلية في العربية» Die Aramäischen Fremdwörter im Arabischen، ترتكز على معرفة عميقة بالمصادر العربية والآرامية أيضًا وبخاصة التراث الرباني، في حين لم تراع ما توصلت إليه (نتائج) الدراسات الآشورية والسبأية والنقوش والآثار السامية إطلاقًا أيضًا. واشتغل مشاركًا في طبعة ليدن لتاريخ الطبري في تاريخ السنوات من ٦١ : ٦٥ هجرية.

وقد لقيت العربية اهتمامًا ضئيلاً في الغالب بين مستشرقي ذلك العصر الآخرين. فقد نشر خليفة نولدكه في كيل جيورج هوفمان (Georg Hoffmann)[3] (١٨٤٥ – ١٩٣٣ م) في كتابه : ألفاظ سريانية – عربية

---

(١) سرد للعناوين (رسائل في الغالب) لـ هـ. ل. شتارك (H. L. Starck) في كتابه : Einleitung in Talmud und Midrasch S. 157f.

(٢) انظر : بريتوريوس (Praetorius) في تاريخ جامعة برسلاو ٢٤ / ٨٨ – ١٩٢

(٣) رثاء ا. كراتشكو فسكي I. Krackovskij, Bulletin de l' Acad des sciences de l' URSS, Sciences sociales 1933, 273 – 283. Th. Menzel, Forschungen u. Fortschritte 9, I02f. لا يختلط بتلميذ جزينوس، اندرياس جوتليب هوفمان (Andreas Gottlieb Hoffmann) أستاذ علم اللاهوت في جامعة يينا (١٧٩٦ – ١٨٦٧ م) الذي استخدمت كتبه (Grammaticae Syriacae libri

(Syrisch – arabischen Glossen I (1884)) النصف الأول من معجم برعلي، وقدم في شروح مستفيضة لكتابه: منتخبات من أعمال سريانية لشهداء فرس (Auszüge aus syrischen Akten persischer Märtyrer (I880)، وإسهامات (محاضرات) قيمة في الطبوغرافيا التاريخية بالنسبة للدراسات الإسلامية أيضًا. ونشر في كتاب ماكس فورستر (Max Forster) علم الفراسة اليوناني (Physio – gnomonici Graeci)، الصياغة العربية لكتاب بوليمو (Polemo) مع ترجمة لاتينية.

/ واشتغل بالمصادر المسيحية العربية بخلافهم علماء لاهوت في المقام [٢٤٤] الأول. فلم يهمل باول دي لاجارد[1] (١٨٢٧ – ١٨٩١ م) الذي شغل مكانة ايفالد في كلية الفلسفة في جوتنجن، وظيفة أستاذ الدراسات الشرقية، في جهوده حول رواية نص الكتاب المقدس، الصياغات العربية أيضًا، التي كان على علم تام بأهميتها الثانوية. بيد أنه كان يجهل، وهو الذي كان ما يزال متشبعًا بروح الرومانتيكية المتأخرة، ولم يكن عارفًا بمناهج النقد الفيلولوجي – التاريخي، كيف يحقق النص تحقيقًا نقديًا. فنشر سنة ١٨٦٤م عن نسخة فيينا الأناجيل الأربعة بالعربية (Die vier Evangelien arabisch,)، وعني في كتابه : مواد حول تاريخ الأسفار الخمسة ونقدها. (Materialien zur Geschichte und Kritik des Pentateuchs 1867) بطبع بنسخ مخطوطتي ليدن[2]. وأعاد في

---

tres) الغزيرة في مادتها والموثوق بها استخدامًا كبيرًا حتى ظهور كتاب نولدكه في النحو السرياني.

(١) تبرز كلمة خليفته ي. فلهاوزن (J. Wellhausen) في ذكراه من بين المصادر الضخمة عنه، في : NGWG, Geschäftl. Mitt. I894, 49. 57، انظر حول دي لاجارد مستشرقًا هـ. هـ. شيدر (H. H. Schaeder,) في :OLZ. I942, I – I3.

(٢) يوجد تحقيق نقدي في رسالتين لـ هـ. س. ويفيد سن و ج. ك. هوجه (H. S. Davidson und von J. C. Hughes ورد تا في دراسات ليبزج السامية، الجزء ٥/٣، سنة ١٩١٩ م، والجزء ٧ / ٣، سنة ١٩٢٠ م.

كتابه : المزامير والأمثال (Psalterium Job Proverbia I876) سبع ترجمات عربية باستثناء الترجمات التي طبعت من قبل. وقاده اهتمامه بالمقامات العبرية لليهودي الأسباني الحريزي (Harōzī) التي نشرها سنة ١٨٨١م إلى مؤلفات بدرو دي الكالا (Pedro de Aclala) فعني بطبعها كذلك طبعة أخرى سنة ١٨٨٤م [1]. وأخيرًا قدم سنة ١٨٨٩م عمله : نظرة عامة حول البناء النمطي للأسماء في الآرامية والعربية والعبرية. (Übersicht über die im Aramäischen und Hebräishen übliche Bildung der Nomina) الذي تَغْلِب عليه الفلسفة اللغوية للرومانسية، ويخلو من أي تأثير للرؤية الواقعية اللغوية التي سارت آنذاك في الدراسات الهندوجرمانية. وعلى الرغم من أن نشاط دي لاجارد قد أظهر أنه لا يجوز دراسة اللغات السامية بناء على أسس (وجهات نظر) لاهوتية أساسًا، فإنه قد عهدت وزارة الثقافة في فورتمبرج (Württemberg) سنة ١٨٩٠م إلى واحد من أكثر تابعيه تحمسًا له وهو ابرهارد نستله (Eberhard Nestle)[2] (١٨٥١ - ١٩١٣ م) الذي برز في معهد توبنجن بأن يشغل كرسي / الأستاذ الذي خلا بانتقال سوسين إلى ليبزج. [٢٤٥] وقد كان على نستله أن يدرس اللغات السامية في إطار فقه اللغة المقدس (sacra philologia) هناك[3]، وجُذِبَت العربية والإسلام إلى دائرة هذه المهمة أيضًا. غير أن شغله لهذه الوظيفة قد انتهى بعد خمسة فصول دراسية. وكلف بذلك تلميذ لسوسين وهو كريستيان فريدريش زيبولد (Christian Friedrich Seybold)[4] (١٨٥٩ - ١٩٢١ م) بأن يحل محله، وكان قد نشر سنة ١٨٨٦م كتابًا نحويًا لابن الأنباري (أسرار العربية)، وعمل أيضًا فيما بعد في هذا الحقل

---

(١) انظر أيضًا ما سبق ص٣٠.

(٢) انظر هولتسنجر (Holzinger) في : Wŭrttemberg: Nekrolog f. d. j. 1913, S. 50 bis 79.

(٣) انظر مقدمة كتابه : Marginalien und Materialien ،

(٤) انظر: .R. Hartmann, Der Islam 12, 206 – 202

بوجه خاص[1]. وصار نستله سنة ١٨٩٤م أستاذًا في المعهد الإنجيلي – اللاهوتي في ماولبرون (Maulbronn)، وسرعان ما نال شهرة عظيمة من خلال الطبعات التي نشرها ابتداء من ١٨٩٨ م، للعهد الجديد باليونانيــة، التــي ســرعان مــا انتشرت انتشارًا واسعًا.

٦١ – الفهارس (والمفهرسون)

كان نقص الفهرسة في منتصف القرن التاســع المــيلادي يلاحــظ بصــورة متزايدة ليس في الدراسات العربية فحسب، بل في حقل دراسة الشرق ككل أيضًا. وإذا كــان شــنورر (Schnurrer) قــد جمــع فــي كتابــه المكتبــة العربيــة (Bibliotheca Arabica) ما لا يربو على (٥٠٠) كتابًا (رقمًا) تقريبًا، هو كــل ما طبع من نصوص عربية في أوربا حتى سنة ١٨١٠ م، فإنه ارتفع بعــد ذلــك عدد النصوص والمصادر المتعلقة بها ارتفاعًا كبيرًا بفضل نشاط المطابع الشرقية الذي لا يكل قبل أي شيء. وقد قــام تيــودور تســنكر (Theodor Zenker)[2] المعروف بكتابه المفيد القيم بوجه خاص معجم (مؤلفات) الترك والعرب والفرس (Dictionnaire turc - arab – persan .(2 Bde 1860 – 1876,)، بمحاولة فهرسة كل المؤلفات العربية والفارسية والتركية المطبوعة أيضًــا فــي كتابــه :

---

(١) نشر سنة معجم الكنى (والألقاب والأسماء أو المرصع) لابن الأثير سنة ١٨٩٦م، والمعجم اللاتيني سنة ١٩٠٠م (das Latinum Glossarium)، وكتابًا عن قوانين الدووز سنة ١٩٠٢م وتاريخ ســول وشــمول (die Geschichte von Sūl und Šumūl) ســنة ١٩٠٢م وتاريخ البطاركة الاسكندري لسفروس بن المقفع سنة ١٩١٢ م.

(٢) عاش على نفقته في ليبزج ودرسون، وتوفي سنة ١٨٨٤م في تون (Thun) بالقرب من تسفيكاو (Zwickau)، نشر سنة ١٨٤٦م عن مخطوط عربــي مشــهور فــي بــاريس ١٨٨٢، لصياغة العربية لمقولات أرسطو، ونشر ترجمة ألمانية لكتــاب لــين: العــادات والملابس : (Manners and Customs)، بعنوان (Sitten und Gebräuche der heutigen Ägypter (3 Bde., der 1852).

(Bibliotheca orientalis I 1840) وترتيبه مرة أخرى ليس وفــق الترتيــب الألفبائي لأسماء المؤلفين/، بل وفق تخصصاتهم، في المجلد الأول مــن كتابــه : [٢٤٦]
Bibliotheca orientalis Manuel de bibliographie (1846)[1]. ولكن لما كانت عناوينها قد وصلت إليه بصورة غير مباشرة في الغالب، فقد افتقرت إلــى الدقة والثقة اللتين لا محيد عنهما في العمل الببلوجرافي. ولحقت بأعمال تســنكر فيما بعد مشروعات إسهامات فهرست الإصدارات الجديدة في العام التالي ؛ أولها كتاب : المكتبة الشرقية (Bibliotheca orientalis)، لكارل فريدريصي (Karl Friederici) الذي سجل ما طُبِعَ من سنة ١٨٧٥م حتــى ١٨٨٢م فــي ألمانيــا وفرنسا وكذلك إنجلترا ومستعمراتها في حقل اللغات والأديــان والآثــار والآداب والتاريخ وجغرافيا بلاد الشرق، ثم نشر عالم الدراسات الهنديــة ارنســت كــون (Ernst Kuhn)[2] (١٨٤٦ - ١٩٢٠م) للسنوات من ١٨٨٣ : ١٨٨٦م كتــاب مصادر فقه اللغة الشرقي أربعة أجــزاء مــع فهــارس (Literaturblatt für orientalische Philologie).

وأخيرًا كتاب : المكتبة الشرقية (orienaltische Bibliographie) الــذي تصدى له في البداية ا. مولر ثم ا. كون بعد وفاة مولر، ثــم لوســيان شــرمان (Lucian Schermann) منذ ١٨٩٣ م، إلا أنه توقف بسبب الحــرب العالميــة الأولى. وسرعان ما فشلت محاولة إعادة المشروع إلى مساره سنة ١٩٢٦م حيث ثبت أنه من غير الممكن جمع ذلك التراث المَعْنِي وإعداده. واختــار فــلا يشــر ومعاونوه طريقة إعداد تقرير سنوي مستعيضين بذلك عن إتمام عمل ببليوجرافي (دفعة واحدة)، حين ألزموا مجلس الجمعية الألمانيــة الشــرقية (DMG) فــي لوائحها بإعداد تقرير سنوي عن حال الدراسات الشرقية. غير أنه سرعان ما ثبت

---

(١) يضم الجزء الثاني الذي ظهر سنة ١٨٦١ م، ملحقًا للجزء الأول من ص١ - ١١٤.

(٢) سيرته (ترجمته) ومؤلفاته لهانز أورتل (Hans Oertal) في كتــاب كــون التــذكاري: Aufsätze zur Kultur – und Sprachgeschichte 1916, s. IX – XIV.

أن هذه الخطة لا يمكن تنفيذها: فلا يمكن لشخص واحد أن ينجز العمل بصـورة مرضية ولا أن يُوَزّع بين عدة أشخاص، وأدى ذلك إلى تقديم تقرير غير متجانس ناقص مضطرب(1). وأراد فيكتور شوفان (Victor Chauvin)(2) الـذي شـغل كرسي أستاذية الدراسات الشرقية سنة ١٨٧٢م في جامعة لـوتيش (Luttich) / أن يكمل عمل شنورر (Schnurrer)، ولكن في حقل فقه اللغة العربية فقط في [٢٤٧] كتابه : فهرس الأعمال العربية أو ما يتعلـق بـالعرب المنشـورة فـي أوربـا: ‹ Bibliographie des ouvrages arabes ou relatifs aux Arabes,) publiés dans L' Europe chrétienne de 1810 a 1885).وقـد اسـتبعد بشكل أساسي الأعمال التي طبعت في الشرق لأنها في معظمها لم تكن متاحة له، ولأنه كان يحرص على تشريح العمل (وبالرغم من ذلك تظهر كثيرًا فـي مؤلفـه العلامة الغربية(*) بمعنى «لم يُرَ»!). وقد بدأ الطبع عام ١٨٩٢م بعـد تمهيـدات استغرقت عشرين عامًا، تلحق بها مراجعة مـا يقـرب مـن سـبعة آلاف عـدد للمجالات. وقد تناول في الأجزاء التسعة الأولى في المقام الأول مؤلفات عربيـة من أدب التسلية الشعبي : أمثال (الجزء الأول) وكليلة ودمنة مع كافة نشـراتها (الجزء الثاني)، ومجموعات القصص الخرافية وحكايات الفرسان (الجزء الثالث) وألف ليلة وليلة (من الجزء الرابع إلـى السـابع)، وحكايـة (Syntipas) مـع نشراتها (الجزء الثامن) وأخيرًا مجموعات عدة من المأثورات (الجزء التاسـع). ولم يكتف فيما سبق بالمعلومات الفهرسية الجافة، بل أضاف كثيرًا إشارات مفيدة. فقد اشتملت الأجزاء (من ٥ : ٧) على سبيل المثال معلومة عن محتوى كل حكاية

---

(١) انظر العرض المفيد لهذه المسائل في مجلة : ZDMG عـدد ٣٨ (١٨٨٤ م) ص٢١ : ٣٥ وخطاب نولدكه، في المجلة نفسها عـدد ٥٨ (١٩٠٤ م) ص LX، ونبوءتـه بـأن «تعرض في مدة غير بعيدة مرة أخرى»، نُفذت بعد اثنتي عشرة سنة.

(٢) حول ف. شاوفن (١٨٤٤ - ١٩١٣ م) انظر جولد تسيهر في مجلـة (Der Islam 5 ، 158 f.).

من حكايات ألف ليلة وليلة مرتبة ترتيبًا ألفبائيًا، وإحالات إشارات مخطوطاتها ونسخها وترجماتها مع مقارنات وإشارات إلى الموتيفات الأدبية. وتكمن مقدرة شوفان (Chauvin) في معرفته بتاريخ الأدب المقارن والقصص والحكايات الخرافية، وروايات شعبية أخرى. أما الأجزاء الثلاثة الأخيرة من مؤلفه حول «القرآن والحديث» (الجزء العاشر) و«محمد» (الجزء الحادي عشر) والإسلام[1] (الثاني عشر، ظهرت كلها بعد سنة ١٩٢٢ م) فتبين أنه أبعد ما يكون عن الدراسات الإسلامية. بالإضافة إلى أنه لم يعمق مجموعاته حول الفقه والفلسفة والطب والعلوم الطبيعية مما أدى إلى بقاء فهرسه ناقصًا (غير مكتمل).

وقد حصر علماء آخرون أنفسهم في فهارسهم في نطاق أضيق، فقد ارتكز مؤلَّف يوهان جيورج فنريش (Johann Georg Wenrich)[2] (١٧٨٧ - ١٨٤٧ م) القيم المقتبس منه كثيرًا: «حول الصياغة اليونانية للكتاب المقدس وشروحه السريانية والعربية والأرمينية والفارسية» (De auctorum Graecorum versionibus et commentariis syriacis armeniacis persicisque commentatio (1942) - راجع فلايشر تصويبًا له - في الأساس على الفهرست (في تحقيق مختصر) وابن القفطي وابن أبي أصيبعة وحاجي خليفة الذين استطاع أن يستخدم مؤلفاتهم في مخطوطات فيينا. وبالنسبة لمعرفة الأطباء العرب الذين لهم مؤلفات في ترجمات / لاتينية ما يزال القسم [٢٤٨] الثالث من كتابه مدخل إلى معرفة الكتب الخاصة بالطب القديم (- Handbuch der Bücherkunde für die ältere Medizin) ١٨٢٨م ؛ طبعة موسعة ١٨٤١ م، طبعة (١٩٢٦ م)، مُستَخْدَمًا، وهو العمل الذي وضعه لودفج شرلانت (Ludwig Choulant) (١٧٩١ - ١٨٦١ م) الذي عمل أولاً أستاذًا في

(١) استخدم المؤلف مصطلح (Mohammendanismus) بمعنى « المحمدية » ونؤثر استخدام «الإسلام » تجنبًا لأية إشارات مغرضة.

(٢) انظر : Wurzbach Biogr. Lex. Bd. 55, S. 4 7.

أكاديمية الطب والجراحة في درسدن، ومنذ ١٨٤٢م مديرًا لها. ومن بين أعمال فوستنفلد أيضًا بعض أعمال مثل كتابه : تاريخ الأطباء العرب : (Geschichte der arabischen Ärzte)، وكتابه: المؤرخون العرب (Geschichtsschreiber der Araber) لا تزيد عن كونها موادًا مفهرسة.

وكان كتاب موريتس شتا ينشنيدر (Moritz Steinschneider) (١٨١٦ - ١٩٠٧ م)(١) الذي استغرق طيلة حياته غنيًا بوجه خاص بأعمال مفهرسة على المنوال ذاته. وكان مثل صديقه ليبولد تسونتس (Leopold Zunz) من أبرز العارفين باليهودية، وترجع خدمته الجلية الباقية إلى فهرسه النموذج للمخطوطات العبرية في اكسفورد وليدن وميونخ وهامبورج وبرلين، فقد تطلع في سعة أفق وعازفًا عن كل ما هو عقائدي إلى نظرة رؤية علمية محضة في تاريخ اليهودية حيث تقيد بوجه خاص بإسهام اليهود في حضارة جيرانهم. أما اهتمامه بالعربية(٢) فقد بدأ في فيينا سنة ١٨٣٨ م، وتابعه في ليبزج حيث حصل على كل «الحوافز لدراسة العلاقات بين العرب واليهود» وقد استفاد من عمله في مكتبة بودليانا (Bodleiana) (من ١٨٥٢ : ١٨٦٠ م)، وفي مكتبة برلين (منذ سنة ١٨٦٩ م) في نشاط جمعي جاد أتى ثماره في مقالات كثيرة وبضع أعمال ثرية. فقد عالج سنة ١٨٧١م العلاقات بين اليهودية والإسلام في كتابه : مصادر هجومية ودفاعية بالعربية بين المسلمين والمسيحيين واليهود (Polemische und apologetische Literatur in arabischer Sprache zwischen Christen ، Muslimen, und Juden) ثم حصل على جائزة المسابقة التي رصدتها أكاديمية باريس سنة ١٨٨٠م بعمله الذي ظهر سنة ١٨٩٣م تحت عنوان : الترجمات العبرية في العصر الوسيط واليهود المترجمون، بحث في

---

(١) Jewish Encyclopedia 11. 546f.، لم يتوفر لي الكتاب التذكاري الذي أهدي إليه في عيد ميلاده الثمانين مع قائمة أعماله.

(٢) انظر حول ذلك تقريره في مقدمة عمله في هرمه : (Die arabische Literatur der Juden, 1902, S.

تاريخ مصادر العصر الوسيط، من خلال مصادر مخطوطة في الغالب (Die hebräischen Übersetzungen des Mittelalters und die Juden als Dolmetscher. Ein Beitrag zur Literathrgeschichte des Mittelters, meist aus handschriftlichen Quellen) وحصل على جائزة مسابقة أخرى لأكاديمية باريس سنة ١٨٨٦م بدراساته : ص ٢٤٩ الترجمات العربية عن اليونانية (Die arabischen Übersetzungen aus dem Griechischen) /٢٤٩/ التي لم تنشر للأسف في كتاب، بل طبعت بين ١٨٨٩ – ١٨٩٦م متفرقة في مجلات مختلفة[1]. وما يزال ما جمعه من مواد لا يستغنى عنه إلى يومنا هذا أيضًا.

٦٢ – الدراسات العربية في فرنسا من عام ١٨٧٠ حتى عام ١٩١٤م

عُيِّن دِفرميري (Defrémery)، كما ذكرنا آنفًا، سنة ١٨٧٠م في كرسي أستاذية اللغة العربية في كوليج دي فرانس. وتلاه سنة ١٨٨٤م الشاب والموهوب ستانسلوس جويار (Stanislaus Guyard)[2] الذي ما لبث أن مات بعد بضع شهور من تعيينه. كان جويار الذي كان قد تعلم العربية والفارسية منذ ١٨٦٣م في مدرسة الدراسات العليا (École des Hautes Etudes) التي أسست حديثًا، فقيهًا لغويًا متمكنًا. وقد اشترك في طبعة ليدن للطبري، وقدم المجلد الأخير للترجمة الفرنسية لكتاب أبي الفداء، ووضع نظرية ثرية للعروض

---

(١) ظهرت المقدمة والفصل الأول (حول الفلاسفة) في الملحق ١٢. ٥ من الكراسة الأساسية في شئون المكتبة، والفصل الثاني (الرياضيات) في مجلة ZDMG عدد ٥٠، والفصل الثالث (الأطباء) في مجلة : Virchows Archiv f. pathol. Anatomie Bol. 24 وفهرس كل الفصول في مجلة : ZDMG عدد ٥٠.

(٢) انظر: P. Casanova, L'enseignement de l'arabe au Collège de France, Paris 1910, S. 64 – 66.

العربي ترتكز على أسس موسيقية، أثرت في البحث في هذا المجال تأثيرًا قويًا. وبعد وفاته المبكر شغل بربيه دي مينار (Barbier de Meyard) كرسي الأستاذية من سنة ١٨٨٤ حتى ١٩٠٨ م. وقد اضطلع يوسف ديرنبورج (Joseph Derenbourg) (١٨١١ – ١٨٩٥ م)[1] بتدريس الدراسات السامية سنة ١٨٧٧م في مدرسة (Ecole des Hautes Études). وهو ينحدر مثل س. مونك (S. Munk) من اليهود الألمان، ودرس لدى فرايتاج ووصل فيما بعد إلى باريس حيث أشرف على طبع الأعمال الشرقية بوجه خاص من سنة ١٨٥٢ : ١٨٧٧م كمصحح في مطبعة الدولة. وقد عني مع رينو (Reinaud) بالطبعة الثانية من تحقيق دي ساسي لمقامات الحريري من سنة ١٨٤٧ : ١٨٥١ م. وأعد كذلك كلا الإصدارين الأوليين من المجلد الأول للنقوش الحميرية سنة ١٨٨٩ و١٨٩٢م لكونه أحد المشاركين في مجموعة النقوش السامية: (Corpus Inscriptionum Semiticarum). غير أن اهتمامه كان منصبًا في المقام الأول على الأدب اليهودي – العربي. ونشر سنة ١٨٨٠م (بالتعاون مع ابنه هارتفج ديرنبورج (Hartwig Derenbourg) لأبي الوليد مروان بن جناح؛ / أشهر النحويين اليهود في العصر الوسيط، الأعمال الصغيرة، وسنة ١٨٨٦م [٢٥٠] كتابه في النحو (كتاب اللمع). وأعقبه من ١٨٨٧م حتى ١٨٨٩م شرح (موسى) ابن ميمون للنظام السادس في المثنا في نصها الأصل العربي. وخطط أخيرًا لنشرة كاملة لمؤلفات جعون سعديا، غير أنه لم ينشر إلا مجلدين منها. وأعقبه ابنه بثلاثة مجلدات أخرى ثم توارى المشروع الضخم. وتحول اهتمام يوسف ديرنبورج إلى الصياغة اليهودية لمرآة الأمير في كليلة ودمنة أيضًا، فنشر ترجمتين عبرتين للكتاب[2] سنة ١٨٨١م والترجمة

---

(١) انظر: W. Bacher, RÉJ 30 (19894). S.I-XII; 32, Iff und 33, 160; Babinger, Hessiche Biographien I (1912), S. 39 – 44.

(2) Deux versions hébraïques du livre de Kalîllah et Dimmah (= Bibl. De l'Ecole des Hautes Études 49).

اللاتينية[1] التي خرجت عن أولاهما سنة ١٨٨٧م أيضًا.

أما ابنه هارتفج[2] المذكور آنفًا (١٨٤٤ : ١٩٠٨ م) فقد درس لدى فلايشر وايفالد، وعمل بعد حصوله على الدكتوراه في مكتبة باريس ثم في معهد الربانيين، ثم حصل سنة ١٨٧٩م على كرسي الأستاذية في العربية الفصحى في مدرسة اللغات الشرقية الحية، وسنة ١٨٨٥م في مدرسة الدراسات العليا على كرسي الأستاذية في الدراسات الإسلامية المؤسس حديثًا. وقد كان متعدد الاهتمامات؛ فقد نشر ديوان النابغة مع ملحق سنة ١٨٦٩ م، وجزءًا من كتاب الجواليقي حول الأبنية الدارجة الملحونة (كتاب التكملة فيما يلحن به العامة) سنة ١٨٧٥ م، والكتاب لسيبويه من ١٨٨١ : ١٨٨٩ م، وكتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ سنة ١٨٨٦م الذي عثر عليه سنة ١٨٨٠م في مكتبة الاسكوريال، ومنتخب من قصائد أسامة أيضًا من ١٨٨٩ : ١٨٩٣ م، وكتاب الفخري لابن الطقطقي سنة ١٨٩٥م[*] وعاون والده في الأعمال السابقة الذكر، وأكمل بعد وفاته نشره للنقوش الحميرية. ووضع مع جان سبيرو (Jean Spiro)[3]/٢٥١/ كتاب : مختارات أساسية في العربية الكلاسيكية (Chrestomathie élémentaire de

---

(1) Johannis de Capua Directorium vitae humanae (= Bibl .de l' Écoles des Hautes Études 72).

(٢) انظر: Jüd. Lexikon II, 85

(*) فخر الدين محمد بن علي بن طبا طبا ابن الطقطقي (٦٦٠ / ٧٠٩ هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية طبع باعتناء آلفارت مع تعليقات ١٨٦٠ وباعتناء ديرنبورج في باريس ١٨٩٥ م، ص ٤٩٧ مع فهرس موضوعي وشخصي.

(٣) كان جان سبيرو (١٨٤٩ – ١٩١٤ م) أستاذًا في جامعة لوزانا (Lausanne). ولا يجب الخلط بينه وبين سقراط سبيرو (Socrates Spiro) الذي عمل في وزارة المالية المصرية، وكان لكتابيه : (Arabic English Vocabulary of the colloquial Arabic of Egypt English - Arabic Vocabulary of the modern and colloquial Arabic (1895) of Egypt (1897)) الفضل في جمع الثروة اللفظية العربية المصرية، وكان كلا الكتابين في بادي الأمر بأيدي الأجانب الكثيرين الذين عملوا في خدمة الخديوي.

.(l' arabe classique

بيد أنه كانت تنقصه الخبرة والدقة، كما أنه لـم يسـتطع أن يسـاير تقـدم الدراسات الإسلامية. وكان روبن دوفال (Robens Duval)[1] (١٨٣٩ - ١٩١١ م) تلميذًا لايفالد، وقد شغل دوفال كرسي الأستاذية في الآرامية فـي كـوليج دي فرانس منذ سنة ١٨٩٥م ويعزي إليه الفضل مع غيره في الطبعة المضبوطة وإن كانت غير مكتملة للمعجم السرياني العربي لبر بهلول.

وقد درس بحث هرمان زوتنبرج (Hermann Zotenberg) الذي عمل في المكتبة الوطنية، مخطوطات مكتبة باريس لألف ليلة وليلة، وعثر علـى الـنص العربي لحكاية علاء الدين والمصـباح السـحري ونشـره (فـي Notices et Extraits 28, 1)، وكتب أيضًا دراسة رائعة عن تاريخ روايـة الـنص، ودرس كذلك بشكل أساسي في مجلة (JA سنة ١٨٨٦ م) نص حكاية تتبع كليلة ودمنة. وخص كتاب بارلام ويوسـف (Barlaam, Joasaph) سـنة ١٨٨٨م بدراسـة مثمرة، ونشر سنة ١٩٠٠م عن كتاب الغُرَر للثعالبي كتـاب : (Histoire des rois de Parse) مع ترجمة فرنسية. وقـدم هنـري لافـوا (Henri Lavoix) (المتوفي سنة ١٩٨٢ م) للعملات الإسلامية في المكتبة الوطنية، فهرسًا ممتـازًا في ثلاثة أجزاء من سنة ١٨٨٧م : ١٨٩١م.

وكان تأسيس كلية للآداب (صارت فيمـا بعـد مدرسـة أخـرى) (École supérieure) في الجزائر سنة ١٨٧٩م أمرًا ذا أهمية عظيمة للدراسات العربية في فرنسا، وكذا أن تقيم المدارس في قسطنطينة ووهران كراسي أسـتاذية فـي العربية. كان رينه بسـيه (René Basset) (١٨٥٥ - ١٩٢٤ م)[2] منـذ سـنة

---

(١) رثاه : J. B. Chabot, JA 10e série, t. 17, 587.

(٢) موجز عن حياته وقائمة أعماله في : Mélanges René-Basset II.
463 – 503 (= Publ .de l ' Inst .Des Hautes Études Marocaines 11).

١٨٨٢م في بادي الأمر أستاذًا في هذه المدرسة في الجزائر، ثم عمل فيما بعد مديرًا لها. وقد صار وهو المتعدد الثقافة، والعارف بالأرض والناس من خلال رحلات ممتدة في شمال أفريقيا والمرجع في مجال لغات البربر، موجهًا لبحوث المستعمرات الفرنسية[١] الصادرة من الجزائر. وقد جدد هذا العمل البحثي – الذي سجلته إلى حد كبير المجلات التالية: المجلة الأفريقية (Revue Africaine) ومجلة المراسلات الأفريقية (Bulletin de correspondence Africaine) ومكتبة الآثار الأفريقية (Bibliotheque d ' archeologie Africaine) ووصف شمال أفريقيا (Description de l ' Afrique du Nord) ومجموع في المذكرات والنصوص (Recueil de memoires et de texts (1905 م) التي أصدرت بتوصية من مؤتمر المستشرقين الدولي السادس عشر في / الجزائر، [٢٥٢] والبعثة العلمية في تونس (Mission scientifique en Tunesie) وغيرها، في المقام الأول المعرفة القائمة على ما هو واقعي، غير أنه لم يُهْمَل أيضًا علما اللغة والأدب. وفي حقل علم اللهجات العربية أثر وليام مرسيه (William Marcais) من خلال عرضه للهجة تلمسان تأثيرًا منقطع النظير.

وقد بذل جهدًا مشكورًا كل من الفرد بل (Alffred Bel) (١٨٧٣ – ١٩٤٥م) وموريس ديلافوس (Maurice Delafosse) (توفي سنة ١٩٢٦ م). وأوكتاف هودا (Octave Haudas) (١٨٦٠ : ١٩١٧ م) بوجه خاص في تاريخ شمال أفريقيا من خلال نشر مصادر غير معروفة إلى الآن. وأورد هودا (Houdas) فضلاً عما سبق مع ف. مرتل (Martel .Fr) ترجمة مفسرة لكتاب ابن عاصم (تحفة الحكام) (١٨٨٦ – ١٨٩٣ م) ومع ف. مرسيه (M. Marcais) ترجمة مقبولة إلى حد ما لصحيح البخاري (أربعة مجلدات ١٩٠٣ –

---

(١) قارن:

(E. Doutté L' oeuvre de l' Ecole des letters d' Alger, ،Revue africaine 1905).

١٩١٤ م). وأعد هودا نصوص الكيمائيين العربية ور. دوفال (R. Duval) المذكور فيما سبق نصوص الكيميائيين السريانية وترجماها لمرسلين برتلو (Marclin Berthelot) وفق مخطوطات مكتبتي باريس وليدن ؛ فقد أنجز كلاهما بذلك تمهيدات مؤلف برتلو الرائع : الكيمياء في العصر الوسيط (La chimie au moyen - âge)، الذي يضم في مجلده الثالث المختصرات المذكورة في نصها الأصلي وترجمة لها.

واشترك أحيانًا أيضًا في العمل الفيلولوجي رجال لم يكونوا قائمين بالتدريس فقد قام ل. لكليرك (L. Leclerc)[١]، الذي كان طبيبًا عسكريًا في جيش أفريقيا، بعد إحالته إلى المعاش، في تحمس، بدراسات في تاريخ الطب، وقدم لمعجم الأدوية البسيطة لابن بيطار - الذي كان يوسف زونتهايمر (Joseph Sontheimer) وهو طبيب أركان حرب الجيش في فونتمبرج (١٨٤٠ - ١٨٤٢م) قد ترجمه إلى الألمانية ترجمةً بها بعض أخطاء - ترجمةً فرنسية أفضل إلى حد بعيد (١٨٧٧ - ١٨٨٣ م). وعلى النقيض من ذلك كان كتابه : تاريخ الطب العربي (Histoire de médicine arabe) (مجلدان ١٨٧٦ م) قد رتب بصورة رديئة ومليئة بالأخطاء.

ولقد كانت أعمال بعض الرجال الذين عملوا في خدمة المستعمرات الفرنسية على قدر من الأهمية. فقد اشتغل عمل كلمون هورات (Clément Huart) (١٨٥٤ - ١٩١٩ م)[٢] في المجالات المختلفة ؛ غير أن بحثه يتسم بالإطالة (بالإسهاب) على حساب العمق، / ويفتقر إلى الأساس الفيلولوجي الراسخ، كما يُبين [٢٥٣]

---

(١) رثاء باربيه دي مينار Barbier De Meynard JA 1894 6-8. S, 2.

لم يتوفر لي كتاب Biographie de Dr. Lucien Leclerc (1846 – 1893) von Paul Dorveaux im Bulletin de la Société française d' histoire de la médecine 13 (1914).

(٢) انظر : E. Senart, JA 210 (1927) p. 186 – 189.

تحقيقه كتاب (البدء والتاريخ). أما كتابه : الخط والزخرفة في الشرق الإسلامي Les calligraphes et les miniaturists de l ' Orient musulman) 1908) قد فتح للبحث حقلاً لا يكاد يُسلك إلى اليوم. وعمل جابريل فران (Gabriel Ferrand)[1] (١٨٦٤ – ١٩٣٥ م)، تلميذ ر. باسيه (Basset,R.)، في بادئ الأمر في مدغشقر، وعُنِيَ مع غيره بمسلمي الجزيرة[2]. غير أنه وجه اهتمامه، حين تعرف سيام (١٨٩٦ – ١٨٩٨ م) وفارس (١٩٨٩ – ١٩٠٠ م)، إلى الجغرافيا التاريخية للمحيط الهندي وشرق آسيا. فقدم إلحاقًا بأعمال رينو (Reinaud) في : العلاقات بين الرحلات والنصوص الجغرافية العربية والفارسية والتركية (Relations de veoyages et texts géographiques arabes perans et turcs relatifs a l' Extréme Orient du VIII^{e} au XVIII^{e} siècle) النصوصَ المتعلقة بالموضوع مترجمة، ومزودة بشرح مستفيض. ثم كتب أخيرًا مقدمة قيمة في علم الفلك الملاحي لدى المسلمين. وأعد طبعة طبق الأصل للكتيبات البحرية لابن ماجد وسليمان المهدي. وللأسف لم تنفذ خطته لترجمة هذه النصوص وشرحها. وبالرغم من أن الاهتمام الجاد الذي أولي في فرنسا في مستهل القرن الجديد ببلدان شمال أفريقيا، قد شجع بقوة دراسة الإسلام ودوره التاريخي أيضًا، فإنه – مع ذلك – قد مضى وقت طويل حتى أثمرت نتائج البحث التاريخي النقدي للإسلام في فرنسا، كما حدث في ألمانيا وفي غيرها منذ نصف قرن. فقد استند برنار كرا دي فو (Bernard Carrade Vaux) (المتوفي سنة ١٨٦٧م)، الذي أحدثت كتبه حول الغزالي سنة ١٩٠٢ م، وابن سينا سنة ١٩١٠م و (Penseurs de l ' Islam) (خمسة مجلدات ١٩٢١ – ١٩٢٦ م) تأثيرًا عظيمًا، في عرضه الشائع: Le Mahométisme le génie semitique et le génie aryen 1899, الإسلام، العبقرية السامية والعبقرية الآرية.

---

(١) انظر Snouck Hurgronje in Jaarbook der K. Ak. Van Wetenschappen 1934 – 1935; Gaudefroy – Demombynes JA 227, 141 – 143.

(٢) انظر مقالته حول مدغشقر في : E13, 68 - 80، حيث يسرد أعماله المتعلقة بالموضوع.

كما أظهر العنوان، أشار إلى فكرة مفادها أن الشيعة رد فعل آرى بمفهوم جوبنيو (Gobineau) ضد الإسلام السني. متجاهلاً بحوث فلهاوزن. ومن جانب آخر فإن البحث الفرنسي خلافًا لما سبق حقق تقدمًا واضحًا من الناحية المنهجية، لأنه بينما طُبِّق من جهة المنهج التاريخي النقدي بوجه خاص / على بحث أفكار [٢٥٤] الإسلام الدينية والسياسية وتاريخها، وجه الباحثون الفرنسيون نظرهم بقوة أكبر إلى الظواهر الإجتماعية والأسر والجموع والجماعات والفرق والجمعيات الدينية، وأشكال التآخي. وتطلعوا في ذلك إلى مادة غنية مهمة للبحث الإجتماعي المستقبلي للإسلام، وقد كمن مثل ذلك التطور في الحركة التاريخية. فإذا كان قد ساد الرأي القائل بأن كل ظاهرة تاريخية هي ظاهرة محتمة من ناحية التاريخ المعاصر، ولا حق لها في أن تكون مطلقة، فإنه يجب أن يتوجه نظر الباحث عند دراسة هذا الشرط إن آجلاً أو عاجلاً من الظاهرة إلى محيطها الخارجي والمجتمع الذي تنتمي إليه. وقد أضيف إلى ذلك أنه في فرنسا بلد "كونت" حصل علم الإجتماع على حق المواطنة منذ وقت مبكر جدًا. وهكذا فقد أسس في السوريون في سنة ١٩٠٢م كرسي لعلم الإجتماع الإسلامي. وقد أثبت أول شاغل له وهو ا. لو شاتليه Le Chatelier .A (١٨٥٥ – ١٩٢٩ م)، من خلال كتاباته وبخاصة كتاب الإسلام في قارة إفريقيا L ' Islam dans L ' afrique occidentale (1899 م)، أنه كان ذا معرفة جيدة وحاد الملاحظة، وبدهي أنه قد بين كذلك أنه لم يحظَ بدرس في فقه اللغة. وفي سنة ١٩٠٥م تولى زمام البعثة العلمية إلى المغرب، فأصدر – اتصالاً بذلك – مجلة العالم الإسلامي منذ سنة ١٩٠٧م ؛ أول مجلة علمية خصصت لدراسة الإسلام فقط، ظلت تصدر حتى سنة ١٩٢٦ م، وأتاحت للبحث قدرًا كبيرًا من المادة القيمة لدراسة العالم الإسلامي المعاصر. وتم تواصلها في مجلة الدراسات الإسلامية.

٦٣ – الدراسات العربية في النمسا من ١٨٧٠ حتى ١٩١٤م

كان يوسف فون كرابكيك[١] (١٨٤٥ حتى ١٩١٨ م) أهم ظاهرة بين مستشرقي فيينا في مستهل القرن الجديد. وعلى الرغم من أنه بدءًا من حصوله على الأستاذية قد اجتاز مراحل ترق سلك أكاديمي موفق (في ١٨٧٤م أستاذًا مساعدًا وفي ١٩٨٤م أستاذًا، ثم في ١٨٨٨م عضوًا في الأكاديمية ثم في ١٨٩٨م سكرتيرًا دائمًا لها، وكذلك منذ سنة ١٨٩٩م مديرًا لمكتبة القصر الملكي، فقد كان مع / ذلك مهتمًا بتاريخ الفن اهتمامًا شديدًا لكونه دبلوماسيًا لبقًا أكثر منه [٢٥٥] أستاذًا جامعيًا في حد ذاته، وقد تثقف ثقافة عالية، وهو مترقب دائمًا للاكتشافات الجديدة، يتحرك بعيدًا عن السبيل العسكري العريض، بولع نحو المجالات المناسبة المحببة للآثار الإسلامية وتاريخ الفن، وعلم المسكوكات «العملات» (فقد أسس بالتعاون مع تش. هوبر Ch. Huber سنة ١٨٦٩م مجلة النميات)، ودراسة النقوش (الكتابات)، وبحث أوراق البردي العربية خصوصًا، الذي أعد له مادة وفيرة من المجموعة التي كان قد حصل عليها سنة ١٨٨٤م الدوق راينر Rainer. وعرف كيف ينظم كل موضوع بشكل آسر ومثير دائمًا في سياق تاريخي كبير، إلا أنه أحيانًا ما يؤدي به خيال مطلق العنان إلى الوقوع في وجوه قراءة خاطئة وشروح مضللة (غير صحيحة). أما أول من درس العربية في جامعة فيينا بطريقة منهجية صارمة فهو ادوارد زخاو الذي مثل الدراسات السامية منذ ١٨٦٩م أستاذًا غير نظامي، ومنذ ١٩٨٧م أستاذًا عاملاً، ولكنه بدءًا من ١٨٧٦م وافق على استدعائه إلى برلين. وفي مدرسته تخرج دافيد هاينريش مولر[٢] (١٨٤٦ – ١٩١٢ م) الذي قام بوصفه خليفة لزخاو بنشاط مثمر للغاية.

---

(١) انظر : C. H. Becker, Islamstudien II ، 491 - 498.

(٢) انظر روزنمان (G. Rosenmann) في الكتاب السنوي للتاريخ والأدب اليهوديين ١٧=

وينحدر مولر من بوزاكس Buczacz في بلاد الغال (فرنسا). وتلقى تعليمًا يهوديًا تقليديًا، ثم توجه بتأثير من الجالية الغالية Haskala إلى برسلاو في المعهد اليهودي اللاهوتي الذي أُسِّسَ سنة ١٨٥٤م ومن هناك إلى جامعة فيينا، حيث اشتغل بالدراسات السامية بوجه خاص. وفي سنة ١٨٧٣م ذهب إلى فلايشر في ليبزج، ومن هناك إلى نولدكه في استراسبورج، وفي سنة ١٨٧٥م حصل على الدكتوراه في فيينا، وعلى الأستاذية سنة ١٨٧٦م ثم بدأ دراساته للمخطوطات في لندن وباريس واستانبول، ثم صار أستاذًا غير عامل سنة ١٨٨١ م، وأستاذًا عاملاً في اللغات السامية سنة ١٨٨٥ م.

وبدأ مولر نشاطه العلمي بإصدار دراسة معجمية، وهي كتاب الفَرق للأصمعي (١٨٧٥ م)، ثم كُلِّف بالاشتراك في طبعة ليدن لتاريخ الطبري، وعُنِيَ في استانبول بتحقيق النصوص، واشتغل بتاريخ الأعوام من ٩٩ - ١٢٠ هجرية (ظهر ١٨٨٥ - ١٨٨٩ م) واهتم في الوقت نفسه بوصف الهَمَداني لشبه الجزيرة العربية الذي كان شبر نجر قد أشار إلى أهميته مرارًا. وقد قدم النص سنة ١٨٨١م في طبعة تقوم على أربع مخطوطات متوسطة /، وأتبعها بالجهاز النقدي، [٢٥٦] الذي يضم أيضًا وجوه القراءة للمخطوطة غير المستخدمة في المتن، وكذلك كل التعليقات (الحواشي) التي تخدم شرح الموضوع، إلى جانب الفهارس الدقيقة سنة ١٨٩١ م. وقد حفزه درس الهمداني للاهتمام بجنوب الجزيرة العربية، فشجع الدراسات السبأية من خلال دراسة النقوش التي جمعها سيجفريد لانجر Siegfried Langer (١٨٥٧ - ١٨٨٢ م) في أثناء رحلة انتهت نهاية مأسوية (ZDMG 37, S. 319 - 421, 1883) من خلال آثار جنوب الجزيرة العربية في متحف البلاط الملكي الخاص بتاريخ الفن، ومن خلال «الآثار السبأية» الذي نشره بالتعاون مع ي. هـ. مورتمان (H. J. Mordtmann)[1] وبحوث متفرقة عدة.

= (١٩١٤ م) ص ١٤٥ - ١٤٧.

(١) حول ي. هـ. مورتمان (١٨٥٢ - ١٩٣٢ م) انظر ف. بابنجر F. Babinger في :=

وفي «آثار كتابية من بلاد الحبشة» (١٨٩٤ م) - Epigraphische Denkmälern aus Abessinien درس أقدم النقوش الملكية. وقد عرف وهو أستاذ مساعد أن يثير في ادوارد جلاسر Eduard Glaser [١] اهتمامًا بجنوب الجزيرة العربية، وعني بأن تقتني أكاديمية فيينا بعد وفاته الأسلاب الكثيرة لرحلاته الأربعة (١٨٨٢ - ١٨٩٤ م) من صور النقوش ونسخها مع يومياته. وقد تَرَأَّس مولر نفسه بعثة جنوب الجزيرة العربية التي أرسلتها أكاديمية فيينا سنة ١٨٨٨ - ١٨٨٩م إلى عدن وسوقطرة وساحل المهرة. وعلى الرغم من أن البعثة لم تتمكن أيضًا من التوغل إلى الداخل نتيجة أوجه خلاف بين مولر والنبيل[*] كارلو لاند بيرج هالبرجر المعين قائدًا للرحلات في تلك البلاد فإنها قد جلبت معها تسجيلات للنصوص من اللغات التي ما تزال حية إلى يومنا هذا في جنوب الجزيرة العربية وهي المهرية والسوقطرية والشحرية ومن اللغة الصومالية أيضًا. واشترك مولر أيضًا في معالجة هذه المادة في ثلاثة أجزاء في مؤلفه اللغة المهرية واللغة السرقطرية[٢]، ونشر سنة ١٩٠٩م النصوص المهرية والحضرمية التي جمعها تلميذه فيلهلم هاين Wilhelm Hein (١٨٦١ - ١٩٠٣ م) على ساحل المهرة، الذي مات مبكرًا[٣]. / وحين افتتح سنة ١٨٩٣م [٢٥٧] في فيينا المعهد التعليمي الإسرائيلي - اللاهوتي، على غرار معهد برسلاو ألقى

= Msos As. 35 (1932 م) S. 1 - 16

(١) قدم جلاسر (١٨٥٥ - ١٩٠٨ م) عرضًا عامًا مجملاً لحياته في عمله : Deutsche Rundschau für Geographie und Statistik 1889 (رؤية ألمانية عامة في علمي الجغرفيا والإحصاء).

(*) Graf: لقب شرف ألماني يناظر لقب الشرف الفرنسي «كونت».

(2) Südarabische Exepcdition (dr Wiener Akademi) Bd. 3, 6, 7. Wien 1902 – 1907.

(٣) Sudarabische Expedition Bd. 9. 1909م تضم المقدمة سيرة ذاتية لهاين، وقائمة بنشرياته في الغالب في علمي الشعوب (اثنوجرافيا) والأدب الشعبي.

مولر محاضرات في شرح الكتاب المقدس وفي فلسفة الدين. وفي محاضرة عن حزقيال(*) حاول أن يشرح أوجه التطابق الشكلي والفكري في بناء الفصل ١٤ من ١٢ – ٢٣ من خلال افتراض بناء المقاطع والترنيمة، فوجد الظواهر ذاتها مرة أخرى لدى أنبياء آخرين، وفي الكتابات المسمارية. واستنتج من ذلك أن الشعر السامي الأصل «يظهر بناء المقاطع والترنيمة سمات جوهرية، بل أراد كذلك أن يتعرف بقايا شعر سامي في ترانيم التراجيديا اليونانية. وقد طور هذه الفكرة في كتابه : الأنبياء في هيئتهم الأصلية Die Propheten in ihrer ursprünglichen Gestalt» (١٨٩٦ م، ويحتوي الجزء الثاني نصًا من ١٨ سورة إلى مواضع الأنبياء من العهد القديم). وقد أصيب بخيبة أمل مريرة لما لم تلق (أي الفكرة) أي استحسان، كما كان مولر سيء الحظ في معالجة المسائل الخاصة بتاريخ القانون التي فرضها على البحث قانون حمورابي الذي اكتشفته أعمال الحفريات (التنقيب) الفرنسية في سوسه Susa سنة ١٩٠٢ م. ففي كتابه « قوانين حمورابي وعلاقتها بالتشريع الموسوي وبالألواح الاثنتي عشرة» Die Gesetze Hammurabis und ihr verhältnis zur mosaischen Gesetzgebung, sowie zu zwölf Tafeln.

أيد الرأي القائل بأن القانون الأصل الذي لم تعتوره تكديرات بابلية انتقل من إبراهيم إلى كنعان، ثم صار فيما بعد في وصايا موسى العشر القانون الأساسي للبشرية. وقد كنت قوة مولر في فقه اللغة الذي كان قد تعلم مناهجه في مدرسة زخاو(١) وفلايشر ونولدكه. فقد عالج في محاضراته كل اللغات السامية وفسر نصوصًا أدبية ونقوشًا ووثائق. وجذبت سمعته مستمعين كثيرين، حتى من خارج البلاد، وتخرج في مدرسته كل علماء الساميات النمساويين فيما بعد. ومن بينهم

(*) Ezechil حزقيال ثالث أنبياء العهد القديم.

(١) أقر مولر في المجلد الثاني ص ١١ من كتابه اللغة المهرية واللغة السوقطرية (١٩٠٥ م) بكلمات حارة إلى أي مدى يدين بالفضل لأستاذه الأول.

بدأ خليفته رودولف جاير Rudoff Geyer [1] مسيرته العلمية مثل أستاذه بإصدار دراسة معجمية لكتاب الأصمعي «الوحوش»، ثم عمل بوجه خاص في مجال الشعر العربي / الذي حشد له مجموعات ثرية من المصادر المطبوعة [٢٥٨] والمخطوطة. وكان يجب أن تتعثر (تخفق) محاولة لإعادة بناء قصائد أوس بن حجر من استشهادات سنة ١٨٩٢م لوضع البحث وطبيعة الموضوع. وعلى النقيض من ذلك فقد استطاع تقديم ملاحق وإضافات جمة إلى طبعة آلفارت لديوان رؤبة والعجاج والزفيان (مجموع أشعار العرب) في : Altarabische Diiamben[*] (١٩٠٨م)، وبحوث في ديوان رؤبة. ومع ذلك يعد ديوان الأعشى الذي كان توربكه قد خطط لنشره، العمل الذي أفنى عمره فيه. وفي البداية نشر جاير قصيدتين للأعشى سنة ١٩٠٥م ثم نشرها سنة ١٩١٩م مع ترجمة وشرح، حيث أورد إلى جانب كل موضع جدير بالملاحظة على نحو ما، قدرًا كبيرًا من المواضع الموازية من الشعر العربي القديم بأكمله، وعالج فضلاً عن ذلك في ستة ملاحق استدراكات توضيحية للمجلد الأول تعبيرات وموتيفات (محفزات) عدة مميزة لشعر الخمر (الخمريات). وبذلك صار كلا المجلدين مرجعًا مفيدًا لعلم التراكيب النمطي (المميز) للشعر القديم بقدر ما ورد في القصيدتين المعالجتين[2]، ثم صدرت الطبعة الكاملة لشعر الأعشى سنة ١٩٢٨م التي تضم بالإضافة إلى الديوان الأبيات المروية من جانب آخر للشاعر الشهير الأعشى قيس بن ميمون، وكذلك ما تبقى من شعر عمه المُسَيَّب بن علس، والمتفرقات من باقي الشعراء

(١) انظر : H.H. Bräu, WZKM 36 (1929).

(*) Diiamben جمع Diiambus مصطلح يوناني الأصل مكون من Di (مضعف) iambus إيامب، وهو وزن شعري قديم، والإيامب يتكون من مقطع قصير يليه مقطع طويل.

(٢) للأسف لا يحتوي المجلد الثاني – خلاف ما ذكر على صفحة العنوان – على فهارس للمفردات ولا فهرس للمصطلحات.

الذين يحملون اسم الأعشى. أما التعليقات التي تطلبت مساحة أكبر من النص نفسه بسبب الأخذ بكل الاستشهادات وبدائلها التي لا وزن لها في الأغلب من جهة نقد النص، فيشار إليها في ملحق خاص (خلافًا لما في التحقيقات النموذجية لكل من ليال Lyall وبيفان Bevan). وقد حال الموت دون تمكن جاير من مقابلة بمخطوطة رامبور الذي لم يعرف بها إلا بعد الانتهاء من الطبع، وكذلك دون ترجمة للديوان تمناها غاية التمني. ومع ذلك تظل طبعته، وإن لم تكن غير كاملة شهادة مؤثرة على اجتهاده الذي لا يكل. وقد أثبت بعض تلامذة د. هـ. مولر (H .D. Müller) أيضًا بقيادة جاير جدارتهم العلمية في مجال الشعر العربي القديم : إذ حقق برنهارد جايجر (Bernhard Geiger) سنة ١٩٠٥م معلقة طرفة (مجلة WZKM 19 S. 323 - 370) ؛ واتجه فيما بعد إلى الدراسات الإيرانية. وقدم شلومون جندز (Salomon Gandz) سنة ١٩١٣م تحقيقًا مناسبًا لامرئ القيس. بيد أنه / يجب أن يذكر هنا بوجه خاص تاديوس كوالسكي [٢٥٩] Thadäus Kowalski (المتوفي سنة ١٩٤٨م) الذي درس فيما بعد في جامعة وارشو، فقد قدم سنة ١٩١٤م طبعة ممتازة من ديوان قيس بن الخطيم، مع ترجمة وشرح ومقدمة عرض فيها حياة الشاعر بناءً على خلفية العلاقات السياسية والإجتماعية في المدينة في القرن السادس تقريبًا، عرضًا نقديًا. وفيما بعد عمل كوالسكي في مجال الدراسات التركية خاصةً، ويبين تحقيقه لديوان كعب بن زهير الذي ظهر بعد وفاته مع مقدمة لفريتس كرنكوف (Fritz Krenkow) في مؤلفات الأكاديمية البولندية للعلوم(١) أنه لم ينسَ حب صباه. ونشر أوجست هفنر August Haffner (١٨٦٩ - ١٩١٤م) أستاذ اللغات السامية فيما بعد في جامعة انسبروك، كتاب «الخيل» للأصمعي (١٨٩٤م) ثم كتابه «الشاء» (١٨٩٦م) وثلاث دراسات أخرى عنه (أولاً في مجلة المشرق، وفيما بعد في

---

(١) Le Diwan de Ka ' b ibn Zuhair édition critique Krakow 1950. ديوان كعب بن زهير تحقيق نقدي.

كتاب هفنر وشيخو : عشر دراسات قديمة في فقه اللغة العربيـــة Dix anciens traités de philology arabe) وأعقبها سنة ١٩٠٥م في عمل متقن بصـــورة مماثلة «نصـــوص فـــي علـــم المعـــاجم العربيـــة» Texte zur arabischen Lexikographie، وأخيرًا سنة ١٩١٣م ثلاثة مصادر عربية في الأضداد Drei arabische Quellenwerke über die addad مع إسهامات لـــ ب. انطوان صالحاني. ونشر تلميـــذه هـــانز كُفلـــر Hans Kofler[1] (١٨٩٦ – ١٩٤٧ م) رسالة قطرب في المفردات وأضدادها[2] التي لم يُلْتَفت إليها. وقد نيكولاوس رودو كاناكس Nikolaus Rhodokanakis (١٨٧٦ – ١٩٤٥م) بادئ الأمر نشـــرة ممتازة من ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات مع ترجمة ومقدمة تضـــم بخـــلاف دراسة نقدية كمأساة الشاعر تحليلاً لقصائده ذات الأهمية التاريخية أيضًا. وعدت هذه النشرة من جهة تقنية التحقيق أيضًا نموذجًا، ولو أنها ارتكزت على نسخ عن مخطوطة استانبول، فلم يستطع الناشر أن يقدم أوجه القـــراءة إلا فـــي إضـــافات وتصويبات كثيرة من ص ٣٢٦ حتى ٣٤٠. وكانت مقالته المتعلقة بتاريخ الأدب حول الخنساء ومراثيها سنة ١٩٠٤م al - Ḫansā ' und ihre Trauerlieder مهمة من الناحية المنهجية، إذ انها تمثل المحاولة الأولى لتحليل نقدي للأســلوب في مجال الشعر العربي القديم. وفي العام ذاته سجل من فم عربي جنوبي كان قد حضر إلى فيينا مع هاين Hein نصوصًا / نثرية وشعرية باللهجة العربية الدارجة [٢٦٠] لظفار، نشرها سنة ١٩٠٨م مع ترجمة (بعثة عربية جنوبيـــة Südarabische Expedition Bd 8) ونشر المعجم والنحو (لهذه اللهجة) ســـنة ١٩١١م (فـــي المرجع السابق، المجلد ١٠). واتجه رودو كاناكس بوجه خاص إلـــى الاشـــتغال بتركة جلاسر Glasr حيث نَظَّم النقوش المتعلقة بعضـــها بـــبعض مـــن جهـــة الموضوع، وفّق إلى جانب التفسير الفيلولوجي المفصل، في مضـــاعفة معرفـــة

---

(١) انظر : H. Duda, WZKM 51, 152 - 155. (مع قائمة المراجع).

(2) Islamica 5 ، 241 – 284 .

حضارة جنوب الجزيرة العربية القديمة بصورة حاسمة أيضًا. وقدم ماكسيمليان بتنر Maximilian Bittner (المتوفي سنة ١٩١٨م) في البداية نشرة مناسبة من قصيدة للعجاج ١٨٩٦م، ثم اتجه بعد ذلك إلى التركية والفارسية، وعمل أخيرًا بنجاح غير عادي في مجال لغات المَهَرة (المهرية والسوقطرية والشحرية). وعلى نحو مماثل له تخصص فريدريش كريلتس Friedrich Kraelitz[١] في المقام الأول في الدراسات التركية وبخاصة دراسة الوثائق العثمانية. وتوجه تلميذ آخر لمولر إلى الشرق القديم، وهو بدريش هروزني Bedřich Hrozný[٢] (١٨٧٩ – ١٩٥٢ م) الذي حل مشكلة الحيثيين سنة ١٩١٥م ودَرَّسَ منذ ١٩١٩م في جامعة براغ.

٦٤ – الويس موزل

على الرغم من قيام الويس موزل Alois Musil[٣] (١٨٦٨ – ١٩٤٤ م) ببحوثه الطبوغرافية – التاريخية الرئعة المميزة في شمال الجزيرة العربية والشام وبلاد ما بين النهرين بدعم من أكاديمية فيينا وجهات مصالح رسمية أخرى في النمسا القديمة فإنه لا يعد من مدرسة فيينا. فقد عقد العزم في معهد أولموتذر Olmutzer للاهوت على أن يرى مدن تاريخ الكتاب المقدس بأم عينيه لكي يفهم من طبيعة البلاد ومن طبيعة تفكير سكانها الذي لم يتغير منذ أيام موسى – كما قال – الكتاب المقدس، ويدرك علة اختصاص الساميين بالوحي الإلهي. وبرغم فقره ودون وساطة / عمل على الوصول لهذا الهدف بجلد صارم. وحين حصل [٢٦١]

---

(١) انظر : Th. Seif, WZKM 39. 5-1.

(٢) انظر : J. Rypka, Archiv Orientálný Bol 11 (1939), S. 133 – 139 (قائمة المراجع أيضًا من ص ١٤٠ – ١٤٥) Bol 21 (1953), S. 8 – 19; Matouš, ebd. S.20- 24.

(٣) انظر : J. Rypka, Archiv Orientálný 10 (1938), S. 1-34 und A. Grohmann im Almanch der Wiener Akademie 1945, 232 – 251.

أخيرًا سنة ١٨٩٥م على إجازة للدراسة في مدرسة الدومينيكانيين للدراسات العملية للكتاب المقدس المنشأة حديثًا في القدس سرعان ما لاحظ أن الرحلات الاستطلاعية المعتادة لا تقدم له ما يبحث عنه، وبدون أن يخشى النزاع مع الدومينيكانيين ارتحل من تلقاء نفسه عبر الأردن إلى مؤاب وعيدوم (شرق البحر الميت)، ولكن ليس دون أن يجمع قبل ذلك كل المعلومات الطوبوغرافية من المراجع المتوفرة له، ثم ذهب مؤيدًا بتشجيع دفوراك Dvořák[1] من جمعية العلماء التشيكية، إلى اليسوعيين في بيروت، وقام سنة ١٨٩٧م بجولة استطلاعية جديدة، قادته من غزة إلى البتراء وتدمر، وسمع هناك عن القصور شرقي مأدبة التي كان قد بناها الجن لسليمان كما يظن سكانها الأصليون. واستطاع موزل سنة ١٨٩٨م أن يقوم برحلة جديدة بدعم من أكاديمية فيينا بناءً على طلب د. هـ. مولر (H. D ، Müller)، وأن يزور في أثناء ذلك بمساعدة أصدقائه البدو في سرعة خاطفة وحذر من هجوم معادٍ في كل لحظة، قُصَيْر عَمْرَة، القصر المزين باللوحات للخليفة الوليد الثاني. وكان ذلك اكتشافًا مفاجئًا إلى حد أن تقرير موزل قُوبِل بادي الأمر بالشك والرفض. وعينه رؤساؤه معلمًا للدين في مدرسة أولمتسر الإعدادية، ولم يحصل على الوسائل المعينة لرحلة بحثية جديدة إلا سنة ١٨٩٩م من وزارة التربية والتعليم (المعارف) النمساوية فاستعد لها في مكتبات لندن وكمبردج وجامعة برلين، حيث استمع إلى دليتش Delitzsch وزخاو Sachau وفينكلر Winckler وجونكل Gunkel. وفضلاً عن ذلك فقد حَصَّل المعارف الضرورية في رسم الخرائط. وهكذا زار وهو مستعد قُصَيْر عَمْرَة مرة أخرى سنة ١٩٠٠ م، واستطاع في هذه المرة في إطار ظروف أكثر ملاءمة أن يقيس البناء، وأن يصوره، وأن ينسخ كتاباته، وأن يصف نقوش

---

(١) كان رودولف دفوراك (١٨٦٠ - ١٩٢٠ م)، تلميذ كوشوت Košut، مؤسس الدراسات الشرقية التشيكية، انظر : Rypka, L' Orientalisme en Tschécoslovaquie .17

الحوائط. وقد أثار تقريره (SWA 144 Nr. 7) اهتمامًا قويًا، ولما اقتنعت أكاديمية فيينا آنذاك بأهمية الاكتشافات أرسلته سنة ١٩٠١م مرة أخرى إلى قُصَيْر عَمْرَة برفقة الرسام ا. ل. ميلش A. L. Mielich الذي قام بنسخ اللوحات. وتعني أكاديمية فيينا الآن بنتائج بحث الرحلة الأولى لموزل أيضًا، بعد أن كانت قد رفضت اقتراح / برونو Brünnow بنشر أبحاثه وأبحاث موزل [٢٦٢] معًا[1]. وهكذا أُرسِل موزل سنة ١٩٠٢م إلى البتراء العربية لجمع البيانات الأخيرة للوحة لهذه المنطقة ظهرت سنة ١٩٠٧ م. وفي سنة ١٩٠٤م استطاع أخيرًا أيضًا - بعد استقالة تيودور كون (Theodor Kohn) رئيس أساقفة أولموتس الذي كان يضمر له العداء - أن ينتقل إلى فيينا حيث أفادته كنوز مكتبة البلاد الغنية في نشرياته. وفي سنة ١٩٠٧م ظهر العمل الرائع قُصَيْر عَمْرَة Kus,ejr ᶜAmra الذي يضم جزء النصوص به تقرير موزل عن اكتشاف القصر ومقالته (حول طبوغرافيا منطقة عَمْرَة وتاريخها حتى نهاية الأمويين) وبعض إسهامات المتخصصين ذوي المشارب المختلفة. وفي بحث لاحق حاول كرابتشيك Karabaček أن يثبت من النقوش أن البناء (الذي كان موزل قد قضى في الحال بأنه قصر للأمويين) لم يشيد إلا سنة ٨٥٠ ميلاديًا تقريبًا. إلا أن نولدكه سرعان ما أثبت خطأ هذا التاريخ (في مجلة ZDMG 61 224 ff.) وفي السنة نفسها بدأ ظهور كتاب موزل البتراء العربية Arabia Petraea على نفقة أكاديمية فيينا مرة أخرى (أربعة أجزاء من ١٩٠٧ - ١٩٠٨ م)، حيث قدم فيه في صيغة تقرير طبوغرافي للرحلة بيانات دقيقة وموثقة عن البلدة وطرقها وأطلالها ومنازلها الحالية، وأضاف إلى ذلك، في تقرير اثنولوجي عن الرحلة عرضًا يرتكز على معرفة دقيقة لسكان البلاد وعاداتهم وتقاليدهم. وقد عرف منذ أمد بعيد أن سيناء الحالية يمكن ألا تتطابق مع سيناء المذكورة في الكتاب

---

(١) نشر برونو مع ف. دوماتسنكي V. Domaszewski سنة ١٩٠٤ - ١٩٠٩م الأقاليم العربية في ثلاثة مجلدات.

المقدس، وأن الآراء السائرة حاليًا عن موسى وبدايات الدين العبري لم تكن صحيحة، ولكنه عرف الآن أنه لا يستطيع أن يجد السلسلة الحقيقية والنقية لأي سامي في شعب البتراء العربية المختلط، وأمَّل أن يعثر عليه الآن بين بدو شمال الجزيرة العربية رعاة الجمال، ولذلك قرر في رحلته القادمة ١٩٠٨ – ١٩٠٩م أن يتصل بإحدى القبائل الأصيلة وهي قبيلة الرولة (من عنيزة)، ورافقها سنة كاملة في تنقلاتها. وجُوزِيَ عن هذه الإقامة بغنيمة علمية ثرية ثمرةً لأسلوب الحياة العسير الذي لا يمكن تصوره تقريبًا، فاستطاع أن يضع خريطة موثوق بها لمنطقة الصحراء العربية، وجلب معه عددًا كبيرًا من الأغاني / والقصائد، وكسب [٢٦٣] – وكان ذلك هو الشيء الرئيسي – نظرة عميقة في حياة بدوي أصيل ونمط تفكيره كما لم يعرفها من قبل أي رحالة إلى الجزيرة العربية، ثم قام برحلته الثانية سنة ١٩١٠م إلى شمال الحجاز، من معن إلى العُلا، وفي الرحلة الثالثة تَعَرَّف التدمريين ووسط بلاد ما بين النهرين. أما رحلته الأخيرة (١٩١٤ – ١٩١٥ م) من تدمر حتى النفوذ عبر البراري، ثم في اتجاه مصب نهر الفرات إلى ما بين النهرين، ثم أخيرًا الرجوع غربًا إلى تدمر، فأُكْمِلَت صورة مناطق البراري في شمال الجزيرة العربية والشام وما بين الرافدين دائريًا. وفي سنة ١٩١٧م أرسل مرة أخرى إلى الشرق لرعاية مصالح المواطنين النمساويين فيه.

وبعد الحرب العالمية الأولى استدعى موزل الذي كان قد شغل في كلية اللاهوت في فيينا منذ ١٩٠٩م كرسي الأستاذية لعلوم الكتاب المقدس المساعدة والعربية، بإيعاز من دفوراك، إلى براغ لتدريس العلوم الشرقية المساعدة والعربية الحديثة. وتركز اهتمامه في نشر تقاريره عن الرحلات التي قام بها من عام ١٩٠٨م حتى ١٩١٥م. وقد ظهرت، نظرًا لأن الطبع لم يكن ممكنًا في براغ بسبب ظروف الغناء في سنوات ما بعد الحرب، بدعم أمريكي بلغة إنجليزية في ستة مجلدات ضخمة من سنة ١٩٢٦ حتى ١٩٢٨ م. وتقدم الخمسة الأولى وهي بعنوان شمال الحجاز، والصحراء العربية، والفرات الأوسط، وتدمر وشمال نجد،

تقريرًا طبوغرافيًا للرحلة ليس مقيدًا بتعاقب زمني للرحلات المتفرقـة، بـل فـي ترتيب جغرافي، ولا تضم مثل المجلدات السابقة حول البتراء العربية مجـرد كـم وفير من أسماء الأماكن، بل إسهامات قيمة في الجغرافيا التاريخية، حيث كشـف موزل مرة أخرى عن إطلاع شامل على المراجع الشـرقية والغربيـة المتعلقـة بالموضوع بدءًا من الكتابات المسمارية والكتاب المقدس حتى الوقـت الحاضـر. ويتسم كثير من هذه الإسهامات بالاتساع إلى حد أنها أحيلت إلى اللاحـق، مثـل المقالات حول جغرفيا العهد القديم وموقـع تبسـاكوس Thapsacus وأسـواق الصحراء العربية، ومسير جوليانوس أبوستاتا سنة ٣٦٣ بعد الميلاد إلخ. وحول قنوات ما بين النهرين، وطريق الحج الذي يبدأ من الكوفة، وقصـور الأمـويين والرُصافة. ويستمر العرض في الصعود غالبًا حتى الوقت الحاضر. ولمـا كـان موزل قد تعرف شخصيًا على الرجال القادة في قلب الجزيرة العربية فـإن عملـه يتمتع بقيمة / المصدر المؤرخ لعصره. وقد عرض في ملحقين كبيـرين تـاريخ [٢٦٤] أسرتي ابن رشيد (آل رشيد) وابن سعود (آل سعود) عرضًا تفصيليًا. ويلحق بهذه المجلدات الخمسة التي خصصت للطبوغرافيا المجلد السـادس الموضّـح غايـة التوضيح حياة البدو في كل العصور: عادات بدو الروّلة وتقاليدهم. وهـو يضـم مادة لغوية ثرية وبخاصة في هيئة الأغاني والقصائد السابقة الذكر التـي يظـل بحثها الدقيق مهمة من المهام المستقبلية(١). كان موزل مقتنعًا بـأن ديـن بـدو الصحراء العربية الرحل الذين يؤمنون بالله الواحـد الـذي لا تدركـه الأبصـار والموجود في كل الوجود، بل لا يعرفون كهنة ولا معبدًا، ولا قرابين ولا طقوسًـا يجب أن يتطابق (أي دينهم) مع جوهر الوحدانية في العصر الأبوي، فـي حـين

---

(١) يجب أن يراعي هنا الملحوظات النقدية التي صنعها جين كـانتينو Gean Cantineau حول تسجيلات موزل الصوتية في : دراسات حول بعض كلام البدو العرب فـي الشـرق Études sur quelques parlers de nomades arabes d' Orient Annales .I3 (de L'institut des Études orientales d'Alger II, 1936

يُضاف في أديان الشعوب المستقرة إلى الإيمان بالله، تقديس الأماكن المقدسة بطقوس راسخة وشخص مقدس يعد وسيطًا بين المؤمن وشفيعه. لقد حاول موزل دون الإفادة من نتائج البحث التاريخي النقدي للإسلام أن يفهم حركة التطور في تاريخ الدين الإسلامي بمقارنته بالديانتين الأخريين، ورأى في ظواهر الرجوع من ابن حنبل إلى الوهابية محاولات لإعادة إنشاء ما هو أصلي. وقد عُدَّت أساس هذه النظرات آخر الأمر رؤى قائمة على أسس دينية حول أصل تصور الإله على نحو ما ذهب إليه باحثون كاثوليك بوجه خاص. بيد أنه لما لم يُقَر لهم بأي تأثير مباشر على تقارير رحلاته فإنه قد ظلت قيمتها العلمية لم تمس كليةً من أي تساؤل مبدئي. وبهذه التقارير عن رحلاته يكون موزل قد اختتم كتاب عمره، حيث وضع فيها طبوغرافيا مناطق البراري في شمال الجزيرة العربية والشام وبلاد ما بين النهرين على أساس جديد، وقدم أول أخبار موثوق بها عن المناطق البعيدة، فقد حدث في تلك المناطق جزء كبير من التاريخ الشرقي وبخاصة / التاريخ [٢٦٥] الإسلامي. فمن يعني بهذا التاريخ فسوف يجد في موزل الذي عرف الأرض والناس معرفة دقيقة مرشدًا فريدًا.

٦٥ – الدراسات العربية في أسبانيا من سنة ١٨٧٠ حتى ١٩١٤م

تمت الدراسات العربية في أسبانيا على نحو مخالف لما في البلدان الأوربية الأخرى نتيجة الاهتمام بماضي هذه البلاد والمشاركة في الخلاف المحتدم حول طبيعة الحكم الإسلامي الذي دام ثمانية قرون وقيمته، الذي تشهد له الآثار المعمارية والنقوش والعملات والوثائق المحفوظة والناطقة مثل الأثر القوي للمادة العربية الدخيلة في الثروة اللغوية الإسبانية والأسماء الجغرافية لشبه الجزيرة. إلا أنه نادرًا ما يختلط الاتقان الفيلولوجي باهتمام بتاريخ البلاد والجغرافيا المحلية، حتى إن دوف باسكوال دي جاينجوس Don Pascual de Gayangos (١٨٠٩

- ١٨٩٧ م)، الذي كان قد درس لدى دي ساسي في باريس ثم أسـهم بوصـفه أستاذًا للدرسات العربية في جامعة مدريد كثيرًا في إحياء الدراسات العربية، لـم يخصص لها إلا جزءًا من وقته - فقد حقق على سبيل المثـال أيضًـا نصوصًـا أسـبانية كثيـرة فـي مكتبـة المـؤلفين الأسـبان Biblioteca de autores españoles، وفهرس المخطوطات الإسبانية في المتحف البريطاني (في أربعـة مجلدات من ١٨٧٥ - ١٨٩٣ م) - وأما ترجمته لجزء من كتاب المقري : تاريخ الممالك الإسـلامية فـي أسـبانية (The History of the Mohammedan Dynasties in Spain) (في مجلدين من ١٨٤٠ - ١٨٩٧ م) ففيهـا قصـور فيلولوجيًا. وكذلك فرانشسكو خافير سـيمونت Francesco Javier Simonet (١٨٢٩ - ١٨٩٧ م) الذي عرفناه مساعدًا لدوزي الذي كان منذ ١٨٦٢م أستاذًا للعربية في جامعة غرناطة استخدم معرفته بهذه اللغة في الأساس أداةً مسـاعدةً لبحوثه التاريخية، حيث يبالغ انطلاقًا من معارضته للتمجيد الرومانسـي لعـرب الأندلس، في أهمية العناصر المسيحية الإسبانية في حضـارة عـرب الأنـدلس بطريقة غير لائقة. وقد جمع بنشاط جم من المصادر العربية والمسـيحية مـادة كتابه : تاريخ المسـتعربين فـي إسـبانيا Historia de los Mozárabes de España (ظهر من ١٨٩٧ - ١٩٠٣م، مجلدًا ثالثًا لإصدارات الأكاديمية الملكية للتاريخ). وأثبت سيمونت محصلات الحصار المعجمي لدراساته في معجمه المفيد : « معجم الكلمات الايبرية واللاتينية المستعملة لدى المسـتعمرين» Glosario de voces ibéricas y latinas usadas entre los Mozarabes 1988، وهكذا فقد ظل / الهولندي ر. دوزي محتفظًا بتطبيق المنهج التاريخي - النقـدي [٢٦٦] في دراسة الحقبة الإسلامية في التاريخ الإسباني، وتقديم أساس راسخ لها مـن خلال طبعات موثقة لنصوصها. وفي أسبانيا نفسها أسـس فرانشسـكو كـوديرا زيدين Francesco[1] Coderay Zaidīn (١٨٣٦ - ١٩١٧) الدراسة النقديـة

---

(١) انظر كارل نللينو C. Nallino RSO 7, 908–906 (1918)، جمع ادوارد سافيدرا=

للحقبة التاريخية العربية. وقد كان في سن الرابعة والعشرين حينما حفزته أمنية إلى بحث تاريخ مسقط رأسه أراجون، وتعلم العربية بمساعدة كتاب اربنيوس في النحو، فدرس من سنة ١٨٦١ حتى ١٨٦٢م لدى جاينَجوس في مدريد، ثم عمل في جامعتي غرناطة وسراقسطة، وخلف سنة ١٨٧٤م أستاذه بتولي كرسي الأستاذية في اللغة العربية في مدريد، وقد أقر بضرورة نشر النصوص، فقد عُنِيَ من قبل سنة ١٨٦٨م بالتعاون مع ا. سافيدرا بالطبعة التي أعدها دي جاينجوس لكتاب «تاريخ فتح الأندلس» لابن القوطية، كما جعل من سنة ١٨٨٢ – ١٨٩٥م المكتبة العربية – الإسبانية Bibliotheca Arabico - Hispana في عشرة مجلدات(*) وإن كانت بغير جهاز نقدي ومع بعض الأخطاء، المصادرَ الغنية والمهمة في تاريخ علماء مسلمي الأندلس جعلها متاحة. غير أن اهتمامه الأساسي فقد تركز في التاريخ، وكمنت قوته في المعالجة العلمية لمشكلات متفرقة في تاريخ بلاده، حيث سخر بطريقة منظمة الرواية غير الأدبية للآثار والنقوش والوثائق والعملات أيضًا. ولذا ألف أيضًا أول مدخل منظم منهجيًا لعلم النُّميات الأسبانية العربية في : مبحث في علم النُّميات العربية – الإسبانية Tratado de Numismatica arabigo - española (١٨٧٩م). أما مقالاته المختارة في التاريخ الإسباني – العربي فقد ظهرت تحت عنوان : دراسات في التاريخ العربي – الإسباني Estudios de historia arabe - española في

= Ed. Saavedra قائمة المراجع ١٩٠٤م في حياة كوديرا Homenaje á D. Codera; Zaragossa 1904 P XXXVIII – XXIX.

(*) تضم: ١، ٢ – ابن بشكوال: الصلة في جزءين، مدريد ١٨٨٢ – ١٨٨٣.

٣- الضبي (أبو جعفر أحمد بن يحيى): بغير المتلمس في تاريخ رجال الأندلس، مدريد ١٨٨٥.

٤- ابن الأبَّار: معجم تلاميذ أبي علي الصدفي، مدريد ١٨٨٦م.

٥، ٦- ابن الأبَّار: تكملة الصلة، في جزءين، مدريد ١٨٨٧ – ١٨٨٩م.

٧- ابن الفَرَضي: تاريخ علماء الأندلس، مدريد ١٨٩١م.

مجموعات الدراسات العربية التي أسسها تلميذه خوليـان ريبـرا سـنة ١٨٩٧م (المجلد ٧ - ٩ سراقسطة ١٩٠٣ - ١٩١٧ م). ومع تلميـذ كـوديرا وخليفتـه خوليان ريبرا تراجو Julián Ribera y Tarago[1] اكتسبت الدراسات العربيـة في إسبانيا شهرة عالمية. فلم يكن متخصصًا ولا عالمًا في برج عاجي، بل إنه قد شارك في / كل قضايا الحياة العامة بنشاط بالغ، وأيد بوصـفه محـررًا لمجلـة [٢٦٧] أراجون Revista de Aragón وفيمـا بعـد Cultura Española حضـارة (ثقافة) إسبانيا، بشجاعة إصلاح شؤون التعليم والتقدم السياسـي والاجتمـاعي. ولكونه مؤرخًا وجد مغزى الحقبة الإسبانية العربية في المهمة الحضـارية التـي كانت قد أدتها أسبانيا المسيحية وسيطة بين الشرق وأوروبا. وقد وجـد الـرأي القائل بأن شعر التروبادور يرجع إلى نماذج عربية في عصر الرومانسية، صدى كبيرًا، بيد أنه قد أهمله علماء الدراسات العربية والرومانسية وبخاصة منـذ أن رفض دوزي هذا الرأي. ولكن قد جدده ريبرا سنة ١٩١٢م فـي حديثـه حـول الشاعر ابن قزمان El Cancionero de Abencuzmán بتوسيع شديد. ولـم يكتف من خلال تحليل نقدي لديوان ابن قزمان التي أتاحتها سنة ١٨٩٦م نشـرة طبق الأصل لجرونتسبرج Grüzberg بإثبات أوجه التطابق الشكلي بين الزجـل وموشحات أقدم تروبا دور بروفنسالي Gürtelgedichten، بـل اسـتدل مـن الخاصية اللغوية للزجل على شعر شعبي باللغة الرومانسية الشعبية التي ازدهرت على أقصى تقدير في مطلع القرن العاشر الميلادي. ومن ثم فقد بنى على أساس هذه الشروط فكرته بأن هذا الشعر الغنائي الأندلسي الذي ينتمي إليه ديوان ابـن قزمان يقدم المفتاح لفهم التقنية الخاصة للمقطعات والقافية في أنظمـة الشـعر الغنائي المختلفة في العصر الوسيط. وقدم ريبرا بهذه النظرية التي تمس القضايا

---

(1) L. Bouvat, JA 227, (1935), 143 - 145; (652) E. Garcia Gomez im Andalus 2 (1934), V-VIII وظهرت دراسـاته Disertaciones y opúsulas، (غير متاحة لي) سنة ١٩٢٨م في مجلدين.

الأساسية لتاريخ الفكر الغربي دفعةً قوية للبحث، ما تزال مؤثرة إلى يومنا هـذا. ولم يكن بحثه الثاني الذي ألقاه سنة ١٩١٥م وهو : **Huellas que aparecen en los primitivos historiadores musulmanes de la peninsula de une poesia épica romanceada** «الآثار التي تظهر لدى المؤرخين المسلمين الأوائل لإسبانيا والدالة على وجود شعر ملحمي باللغة الرومانسية» أقل تأثيرًا مما سبق، فقد حاول فيها أن يثبت فنًا ملحميًا إسبانيًا قديمًا من أخبـار عربيـة، وأن يدحض بذلك افتراض تأثيرًا أغاني (أناشيد) الفعال الفرنسية على أغـاني الفعـال الإسبانية.

ولم تقتصر اهتمامات ريبرا على تاريخ الأدب فحسب، بل افتـتح مجموعـة الدراسات العربية بكتاب حول منشأ أصول القضاء العدالة العليـا فـي أراجـون **Origenes del Justicia de Aragón** (١٨٩٧ م) وشـارك فـي مجموعـة النصوص الأعجمية لبابلو خيلي خيل **Pablo Gily Gil**. وحقـق سـنة ١٩١٤م بالعربية مع ترجمة إسبانية كتاب الخُشَني / عن قضاة قرطبة [*]. وأوقف نفسـه [٢٦٨] لعناية أقوى باللغة العربية في أسبانيا، وعبر عن إنشراحه سنة ١٩٣٢م لمعاصرة تأسيس مدرستين للدراسات العربية في مدريد وغرناطة، ومجلة الأندلس [١]. ومن أبرز تلاميذ ريبرا خليفته ميجيـل أسـين بلاثيـوس **Miguel Asin Palacios** (١٨٧١ – ١٩٤٤ م). وخلافًا لأستاذه المتعدد الجوانب تخصص في دراسة تاريخ الأفكار الدينية في الإسلام خاصةً. وبالإضافة إلى الغزالي الذي عُنِيَ به في كتـاب سنة ١٩٠١م ومقالات عدة، أسره بخاصة المفكرون المسلمون في إسبانيا. فقـد أعاد في بحثه ابن مَسرة ومدرسته **Abenmasarra y su escuela** بناء النظـام الفلسفي لأقدم تصوف في إسبانيا من أخبار متأخرة[٢]. وقد خَصَّ أهم متصوف في

(*) كتب عليه بالعربية : وقف على طبعة خُليان ريبرة طرغوه البلنسي.

(١) انظر: **al – Andalus I (1933), 1-5.**

(٢) انظر أيضًا مقالته عن ابن مَسرة في ملحق دائرة المعارف الإسلامية.

إسبانيا الإسلامية وهو ابن عربي، بعدة مقالات في مجلة الأكاديمية الملكية للتاريخ ١٩٢٥ - ١٩٢٨ م. بيد أنه قد عالج معالجة مفصلة عن ابن حزم القرطبي وتاريخه النقدي للأفكار الدينية Abenhazm de Còrdoba y su Historia critica de los ideas religiosas (في خمسة مجلدات من سنة ١٩٢٧ - ١٩٣٢ م). ومن خلال اشتغاله بابن عربي الذي فسر مثل صوفيين آخرين قصة (*) معراج محمد، وتنقله عبر النار والجنة رمزًا لارتقاء الروح البشرية إلى المعرفة الإلهية نَجَم أشهر كتاب لآسين : الأخرويات الإسلامية في الكوميديا الإلهية La escatología muslmana en la Divina Comedia (١٩١٩ م). فقد كان يظن من قبل أن دانتي قد استخدم مصادر شرقية. أما الآن فقد قدم آسين بلاثيوس من الكتابات الإسلامية لابن عربي ومراجع الحديث الإسلامية قدرًا كبيرًا من النظائر لشعر دانتي، واستخلص من ذلك أن الشاعر الإيطالي يعد تابعًا هذه القصص (الأساطير) الإسلامية الخاصة بالمعراج إلى السماء، التي يمكن أن يكون قد نقل محتواها رجل الدولة ذو المكانة الخاصة الفلورنسي بينتي لاتيني Binnetti Latini الذي كان سنة ١٢٦٠م في كاتالونيا. ولكن نظرية آسين في هذه الصياغة الحادة لم تلق اعترافًا عامًا، وإن كان كتابه الغني بالمادة والأفكار قد أشار إلى مشكلات تاريخ العصر الوسيط وآدابه التي كانت وضعية القرن التاسع عشر قد أهملتها بسبب الإفتقار إلى المصادر(**).

(*) في الأصل Legenda أي أسطورة وهو استعمال لا يليق بذلك الحدث من منظور إسلامي ولذا استخدمت لفظ قصة.

(**) أما دراساته الكبرى عن ابن عربي فهي :

- الصوفي المرسي ابن عربي، - معلومات عن حياة مستمرة من رسالة القدس، - الخصائص العامة لمذهبه، - مذهبه في التوحيد وفي الكون وتوجها بكتاب : ابن عربي حياته ومذهبه (ترجمة د. بدوي القاهرة ١٩٦٥م) أما الشخصية الثانية التي اهتم بها فهي شخصية أبي حامد الغزالي، فنشر بعض دراسات عنه ولكن توج أعماله عنه بكتاب ضخم عنوانه : (روحانية الغزالي أو مذهب الغزالي في التصوف). وهو في هذه الدراسات =

/ وإلى جانب البحث في دانتي تلقت دراسة العلاقات المتبادلة بين الإسلام [٢٦٩] والمسيحية في العصر الوسيط مثيرات مثمرة[١].

٦٦ – مارتن هارتمان

لقد تضخمت الوسائل المعينة التي توفرت للباحثين في تاريخ الشعوب الإسلامية وحضارتها بمرور القرن التاسع عشر نتيجة لتدفق يفيض بقوة باستمرار في كم المادة والمراجع التي تعالجها إلى حد أنه لا يمكن أن يتناول باحث واحد هذا المجال تناولاً جانبيًا، يتضمن عقد تدريسه كل اللغات السامية أو على الأقل أحدثها. وفي فرنسا اعتدت إدارة التدريس بتقسيم العمل الذي صار ضروريًا لتقدم العلوم، بأن أسست سنة ١٨٨٥م كرسيًا لتدريس العلوم الإسلامية في كلية الدراسات الإنسانية، تبعه منصب الأستاذية لعلم الاجتماع الإسلامية في كوليج دي فرانس، وفي ألمانيا بذل مارتين هارتمان Martin Hartmann[٢] (١٨٥١ – ١٩١٨م) الذي درس العربية منذ ١٨٨٧م في معهد الدراسات الشرقية ببرلين، ما في وسعه للاعتراف بالدارسات الإسلامية تخصصًا عمليًا مستقلاً، وقدم للبحث من خلال دراساته الخاصة محفزات قوية. وقد أرجع الفضل في أساس

= بوجه عام يميل إلى الغلو الشديد في تلمس الأشباه والنظائر مع افتقاره إلى الأسانيد المكتوبة أو الشفوية الدالة على التأثر والتأثير.

وقد جمع مقالاته المتعلقة بتأثير الإسلام في أوروبا والمسيحية في كتاب بعنوان : تأثيرات الإسلام (١٩٤١ م) وقدم لها بمقدمة موجزة عن منهجه وأهدافه في دراسة المشابهات والتأثيرات. د. عبد الرحمن بدوي موسوعة المستشرقين صـ ١٢٤ وما بعدها.

(١) انظر أخيرًا نريكو كيرولي Enrico Ceralli , Il libro della Scale e la questione delle fonti arabo – spagnole della Divina Comedia (studi e Testi 150) 1949.

(٢) نعي ج. كمفماير في : (١٩١٨) G. Kampffmeyer , WI6 (1918) 67 – 71.
(قائمة مؤلفات جمعها (بصورة ممتازة) ج. يشكه: G. Jaschke , WI 22 (1941) S. 115 - 121)

متين إلى مدرسة فلايشر، ثم اكتسب معرفة حميمة بالأرض وسكانها من خلال عمله مترجمًا مستشارًا في القنصلية الألمانية في بيروت من سنة ١٨٧٦ – ١٨٨٧م.

في ذلك الوقت صدر كتابه (دليل اللغة العربية) Arabischer Sprach - führer الذي يقدم في جزئه الشامي اللغة التي كانت تتحدث سنة ١٨٨٠م في سوق بيروت بينما يرتكز الجزء المصري المقابل لاعتبارات عملية على كتاب شبيتا في النحو (الدارجة المصرية). وفي رحلات متأخرة زار فيما زار تركستان – الصينية، وتركيا ومصر. واهتم اهتمامًا شديدًا بكل ما يتعلق بتاريخ العالم الإسلامي وحضارته من بداياتها حتى الوقت الحاضر، /٢٧٠/ ولذا كان أول من دوّن أغان شعبية عربية من الشام، ونشر بناء على ذلك سنة ١٨٩٧م (في مجلة Z D M G 51 , 177 – 214) مقالة أساسية[1].

وفي مناسبة أخرى جمع أغاني الصحراء الليبية (١٨٩٧ م) Lieder der Libyschen Wüste، وارتحل لذلك إلى مصر لكي يختبر تسجيلاته على الطبيعة ويستكملها. وقد واجه دون تأثر بآراء مدرسية، ولا أي خجل من أحكام تقويمية متناقلة، حقائق لم تلحظ إلى وقته، وتفحص مشكلات بنظرة ثاقبة، وجمع باجتهاد شديد كل ما بدا له معينًا على حلها. وهكذا لم تعطه النظرة العارضة لاستخدام الأوزان العربية في الشعر العبري في العصور الوسطى – المعروف لدائرة صغيرة من المتخصصين فقط – الدافع لعرض : فن الشعر العبري وفقًا لمختصر[2] ايما نويل فرانسيه (١٨٩٤ م) فحسب، Die hebräische Verskunst nach dem

---

(1) J. Lecere , Littérature dialectale et renaissance arabe moderne, (Extrait du Bulletin d' études orientales de l ' institute Francais de Damas T. II et III) , P. I V (اللهجات الأدبية ونهضة عربية حديثة).

(٢) كان هذا المختصر قد نشره سنة ١٨٩٢م هاينريش برودي (HEINRICH Brody) – حول برودي (المتوفي سنة ١٨٦٨ م) انظر : (مع قائمة مؤلفات) Soncino – Blätter II 1929 - 1930

Traktat des Immanuel Francis، بل قاده أيضًا إلى نظرات حول الـوزن والإيقـاع Metrum und Rhythmus (١٨٩٦ م)، ونشـأة أوزان الشـعر العربية[١]، وكذلك إلى بحوث رائعة للزجل الشعبي (قصيدة المقطوعات العربيـة، الأجـزء الأول : الموشـح Das arabische Strophengedicht I : Das Muwaššaḥ, 1897) وإذا تكشف في هذه الأعمال عن اللغة والأدب شغفٌ بمـا هو شعبي فإن هذا التعاطف مع الشعب قد تجلى بصورة أقـوى فـي إسـهامات هارتمان في بحث الوقائع. وعلى النقيض من الفتور السائد آنذاك بدرجة كبيـرة، الذي وُصِف معه الإسلام الحديث في أوربا بأنه رجعي، وكل استمرار في التطـور بأنه قاصر، فقد أدرك التحولات الكبيرة التي انتشرت آنذاك في العالم الإسـلامي، وبدأ في جمع وثائق هذه العملية المهمة. وتمخض عن ذلك على سـبيل المثـال أعماله حول الصحافة العربية[٢]. ولم يقتصر في ذلك على المشرق العربي، بـل اتسعت دائرة بحوثه المنطقة الإسلامية بأكملها من الصين حتى شـمال أفريقيـا. وقام متطلعًا دائمًا لأن ينهل من المصادر بدراسات لغوية واسعة، شـملت اللغـة الكردية، ولهجات شرقي تركيا بل حتى اللغة الصينية / وبمثل هذا التسلح بصورة [٢٧١] موفقة، وكذلك بالثقة التامة في التراث العلمي شرع في نشاط تجميعي وكاشـف مكنه من بحث مواد علمية جديدة، على سبيل المثال حول الإسلام في الصـين[٣]، وحول الأدب الطاجاكستاني والتراث باللغة الكردية، بل وحول موضوعات عولجت كثيرًا مثل تركيا الحديثة والقومية العربية. ولم ينحصر اهتمامه في ذلك بأية حال

---

(١) انظر حول ذلك ج. فايل G. Weil in EI I , 485

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية E I مادة : جريدة.

(٣) انظر مقالته في دائرة المعارف الإسلامية – جـ ١ من ص ٨١٥ – ٨٩٠ و في موسوعة الدين والأخلاق، المجلد الثامن ١٩١٥، ص ٨٨٨ – ٩٨٥ – وقد ظهر بعـد ذلـك سـنة ١٩٢١م كتابه حول تاريخ الإسلام في الصين (= مصادر وبحوث علـم الأرض والثقافـة ١٠).

في الوقت الحاضر، بل رجع إلى الماضي ليبحث فيه عن مفتاح لفهم التطور التاريخي. وهكذا فقد أضاف إلى كتابه عن القضية العربية Die arabische Frage محاولةً حول آثار اليمن ليطل وجهة نظره في الأحوال المدنية والاجتماعية في جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام. ولعدم الرضى بالجمع والعرض المجردان للمادة العلمية - حيث يكمن في ذلك إلى حد بعيد بالنسبة لمن يستعملها في الوقت الحاضر القيمة العظمى لبعض أعمال هارتمان - تطلع إلى تنظيم مفيد لكم المادة ووجده - وقد فاق في ذلك أيضًا أغلب زملائه إلى حد بعيد - في علم الإجتماع[1]. وقد كان عارفًا من مؤلفات شبرنجر Sprenger وفون كريمر Von Kremer بالأهمية التي للدولة والمجتمع بالنسبة لتاريخ تطور الإسلام، ثم عرف من أحد أعمال رجل القانون من ميونخ ا. جاير A. Geyer[2] مفهوم الجماعة، وفهم بدءًا من الآن التاريخ على أنه تجلٍ للجماعات أو الأفراد بوصفهم تابعين للجماعات. وطور بطريق الاستدلال نظامًا للجماعات انطلاقًا من الغرائز البشرية، كما تتضح في الأسرة والقبيلة والجماعة اللغوية وفي تكسُّب الجماعات (لإشباع حاجة اقتصادية) وتصوراتهم (ومن الأفراد رؤية مماثلة للعالم). وعرف الدولة بأنها أرقى شكل للجماعة الإنسانية تجد فيه / المصالح [٢٧٢] المتصارعة للجماعات والأفراد توازنها النهائي. وجَرَّب هذا النظام في المصادر الإسلامية، وسعى إلى تحسينه بمساعدة المجموعات التاريخية المستشهد بها هناك. وقاده هذا إلى التعمق في دراسة أقدم مصادر الحديث والفقه[3] فاطلع على

---

(١) صور هارتمان مسار التطور لديه في مقدمة عمله: الإسلام والدعوة والسياسة سنة ١٩١٢م.

(٢) مدخل فلسفي في علوم القانون، في الطبعة الأولى من الموسوعة العملية لعلوم القانون لـ ف. ف. هو لتسندورف F. v. Holtzendroff

(٣) وفي ذلك يقع الفهرس المفيد كعمل إضافي : محدثو الطبقة الأولى في مسند أحمد بن حنبل (MSOS As 9 , 1 – 29 ١٩٠٦ م.

الموطأ ومسند أحمد وصحيح البخاري وطبقات ابن سعد، وأدرك القيمة الأساسية لرسالة الشافعي ولكتاب الخراج لأبي يوسف، ولكن كان طموحه موجهًا إلى فهم الإسلام ككل، وإلى أن يعي أن حاضره نتيجة حتمية لماضيه. وهكذا ظهرت كتبه المحددة لوسط أوسع من القراء : الإسلام (تاريخ وعقيدة وفقه (١٩٠٩م) Der Islam Geschichte , Glaube , Recht)، والمحاضرات الخمس حول الإسلام (١٩١٢م)، وكذلك مقالات كثيرة في المجلات. لقد كان على وعي بأن نظامه يحتوي على عناصر ذاتية، ويعجز عن فعل ما يكفي تجاه كم كبير محير من الحقائق التاريخية، ولكن الاكتفاء بحقائق منفردة تتعارض مع طبيعته الأعمق، فحاول أن يرسم صورة كلية حيث لا يقع في أحكام تقويمية عاطفية. ومن أجل تشجيع دراسة الإسلام المعاصر خصوصًا أسس سنة ١٩١٢م مع آخرين[1] : الجمعية الألمانية للعلوم الإسلامية، وكان حتى وفاته من أنشط أعضاء مجلتها: «عالم الإسلام» Welt des Islams التي أشرف على تحريرها جيورج كمفماير Georg Kampffmeyer[2] (١٨٦٤ - ١٩٣٦ م). لم تلق أفضال هارتمان أي اعتراف رسمي في ألمانيا فقد كان علم الإجتماع الذي مارس بمناهجه البحث في الإسلام محل شك لدى الأوساط المتخصصة، وحاربه أغلب ممثلي التاريخ في الجامعات. ويضاف إلى ذلك أن إدارات المعاهد العليا رأت في تأسيس كراسٍ خاصة للتدريس خاصة بالعلوم الإسلامية أمرًا غير ضروري. ونتيجة لذلك لم تفتح أي جامعة / أبوابها لهارتمان لكي تكفل لموهبة من مواهبة العظيمة أماكن [٢٧٣]

---

(١) ويعد فيما بعد من أعضائها المؤسسين أخو زوجته - ارنست هادر وكذلك فريدريش جيسه، وفريتس كيرن. وقد ألف هادر (Harder) (١٨٥٤ - ١٩٢٧ م) كتاب : نحو المحادثة العربي Arabische Koversationsgrammatik الكثير الاستخدام (١٨٩٨، الطبعة ٤ سنة ١٩٣١) ومعجمًا مختصرًا (ألماني - عربي) (١٩٠٢ م) وغير ذلك. وانظر حول فريدريش جيسه (١٨٧٠ - ١٩٤٤ م) ويشكه Jàsche في مجلة (Z D M G 99 , S. 7 - 10) وحول فريتس كيرن انظر ما يلي.

(٢) نعى لبريتش E. Pritsch في مجلة (WI 18 (1936) (مع قائمة مؤلفاته).

تأثير مناسبة. واستطاع بعد عدة معارك أن يلقى في معهد برلين منذ سنة ١٩١٠م محاضرات في العلوم الإسلامية. ولكن لم ينشأ في المعهد كرسي تدريس خاص. وعلى العكس من ذلك فقد قدرت إنجازاته حق تقديرها في خارج ألمانيا. ففي فرنسا حيث عرفت قيمة علم الاجتماع. كان من المعروف أنه أحد الأساتذة في العلوم الإسلامية[١].

٦٧ – دافيد صمويل مرجُليوث

في اوكسفورد شهدت الدراسات العربية التي لم تجد تحت التأثير القوي للكنيسة الانجيلية العليا خلال القرن التاسع عشر أية عناية تذكر، ازدهارًا جديدًا منذ تعيين المفكر والبليغ والمثقف والمتعدد الاهتمامات دافيد صمويل مرجُليوث[٢] David Samuel Margoliouth (١٨٥٨ – ١٩٤٠ م) أستاذًا شرفيًا للغة العربية سنة ١٨٨٩م ولكونه درس فقه اللغة القديم إلى جانب لغات شرقية فقد وجه ذلك دراساته المبكرة توجهًا خاصًا، فحقق سنة ١٨٨٧م في كتابه : مختارات شرقية من كتاب فن الشعر لأرسطو Analecta Orientalia ad Poeticam Aristotelām الترجمة العربية مع مواد أخرى متعلقة بالموضوع باللغة العربية والسريانية. وبذل مجهودًا في جعل أوجه القراء للصياغة العربية مفيدة في تنقيح النص الأصلي اليوناني هنا ومرة أخرى سنة ١٩١١ في : «فن الشعر» لأرسطو مترجم من اليونانية إلى الإنجليزية ومن العربية إلى اللاتينية. The Poitics of Aristotle Translated from Greek into English and from Arabic

---

(١) لوسيان بوفا، انظر ص ٥٣ في (١٩١٠) RMM 12، حول بوفا A L. Bouvat.، أحد أقرب مساعدي ا. لوشاتليه A. Le Chatelier انظر : – J. Deny, J. A 242, 267 .269

(٢) جلبرت موراي Gilbert Murray DNB, 1931 – 1940 (Oxford 1950). S. 597 – 599.

into Latin)[1]. وخلاف ذلك أيضًا عاد أحيانًا إلى الصياغات العربية لأرسطو، ونشر في مجلة JRAS سنة ١٨٩٢م كتاب التفاحة المنسوب إلى أرسطو Liber de pomo بالفارسية والإنجليزية.

/ ونال بوصفه دارسًا للعربية استحقاقات خاصة على تحقيقاته (نشراته [٢٧٤] للنصوص). ففي علم ١٨٩٨م أعد طبعة ممتازة للرسائل الغنية بالرموز والمتكاملة في الشكل لأبي العلاء المعري (في : Anecdota Oxoniensia , Semitic Semitic Series vol. X) مع ترجمة إنجليزية وتعليقات موضحة وملاحق تفصيلية. وتبع ذلك في سنة ١٩٠٣م ديوان سبط ابن التعاويذي، وفي سنة ١٩٠٧م بدأ إصدار كتاب ياقوت «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»، الذي أتم منه سبعة مجلدات حتى سنة ١٩٢٦م (GMS VI 1 - 7) [2]وقد كلف هذا العمل مرجليوث كثيرًا من الجهد والإحباط. فلم يكن تحت يديه مخطوطات إلا للثلث الأول (المجلد ١ – ٣) والثالث (المجلد ٥ و ٦) من العمل. وظل مخطوط الربع الثاني الموجود بحوزة أحد الشآميين غير متاح له برغم كل ما بذل من جهود. ولذا اضطر للاكتفاء بالنسبة للربع الثاني (المجلد الرابع) والربع الرابع (المجلد السابع)

---

(١) ارتبط بهذه الأعمال في أوساط فقه اللغة الكلاسيكي نقاش حام. وفي سنة ١٨٩٧م طلبت أكاديمية فيينا لجنة خاصة لنشر الترجمات العربية لأرسطو، وبتكليف منها أعد تلميذ عالم الدراسات اليونانية القديمة تيودور جوميرز : ياروسلاوس تكاتش (١٨٧١ - ١٩٢٧) : الترجمة العربية لكتاب الشعر لأرسطو وأساس نقد النصي اليوناني (مجلدان ١٩٢٨ - ١٩٣٢) Die arabische Übersetzung der Poetik des Aristoteles und die Grundlage der Kritik des griechischen Textes، وقرأ معه التصويبات من المجلد الثاني الذي ظهر بعد ذلك عالم الدراسات العربية تيودور زَيْف Theodor Seif (١٨٩٤ - ١٩٣٩). وكشف برجشتراسرعن النقص الشديد في هذا العمل في مجلة : ٦٢ - ٤٨ Der Islam 20, وم. بلسنر M. Plessner في مجلة OLZ 1931, 1 – 14, 1936, 295 – 298.

(٢) المجلد الثاني يحمل خطأ الإضافة (جزء ١)، انظر المقدمة حول المجلد الرابع ص ١٣.

بمستلات متأخرة، تقدم ثلث النص الأصلي على أقصى تقدير. وبالإضافة إلى ذلك ارتكز النص في غالب المواضع (باستثناء المجلد الخامس) تقريبًا على مخطوط وحيد. وقد بذل مرجليوث مجهودًا في تنقية النص من الأخطاء بمساعدة المواضع المتناظرة الكثيرة، ومع ذلك فلم يتمكن بهذه الوسائل غير الكافية من الوصول إلى نشرة نقدية حقًا، وبخاصة أن الطبع وإجراء التصويبات أجريا في مصر. وكان لدى مرجليوث في الأصل القصد إلى أن يقدم في المجلد الأخير مراجعة نقدية وفهارس مفصلة أيضًا، ولكنه اكتفى فيما بعد بفهارس للمجلدين الرابع والسابع.

وفي سنة ١٩١٢م كتب مرجليوث المدخل لنقل أصل مخطوط لندن لكتاب الأنساب للسمعاني على نفقة لجنة جب التذكارية[1]، بينما / أشرف ا. ج. اليس [٢٧٥] A. G. Ellis [2] على العمل الفني، مما يَسَّر بوجه عام معجمًا لا يستغني عنه لمعرفة الأسماء العربية، على الرغم من أنه قد ظل للأسف اعتماد هذه الطبعة على المخطوط السيء للغاية الموجود في لندن[3]. وبعد ذلك بقليل تعاون

---

(١) كان إلياس جون ويلكنسون جب Elias John Wirkinson Gibb (١٨٥٧ - ١٩٠١ م) الذي أنشلت هذه الهيئة المانحة في ذكراه عالمًا اسكتلنديًا متخصصًا، عمله الأساسي تاريخ الشعر العثماني (History of Ottoman Poetry (5 Bde. , 1908 – 1909). انظر حوله ا. ج. براون E. G. Browne في مجلة JRAS 1902 , 482 – 488 و ا. هـ الكسندر E. H. Alexander في محاضر جلسات الجمعية الشرقية، لجامعة جلاسجو جـ ٦ (١٩٣٤)، ٢٤ - ٢٩.

(٢) حول اليس انظر نعيه في مجلة JRAS , 1942 , 153. فقد ألف فهرس الكتب العربية في المتحف البريطاني (مجلدان ١٨٩٤ و ١٩٠١)، وكتب كذلك مع ا. س. فولتن A. S. Fulton ذيلاً سنة ١٩٢٦م. وقدم مع ادوارد (نعيه في مجلة (JRAS 1946 , 96 في قائمة وصفية للمخطوطات العربية الخ (١٩١٢)) ملحقًا لفهرس ريو Rieu لسنة ١٨٩٤م.

(٣) يشير هـ. ريتر في مجلة الإسلام Der Islam 17 , 25 F. في مقابل ذلك إلى مخطوط استانبول الرائع، كوبريللي ١٠١٠.

مرجُليوث مع هنري فريدريك امدروز Henry Fredrick Amedroz (١٨٥٤ - ١٩١٧ م) في تواريخ عربية للقرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي في سبعة مجلدات تَوَّجَت خاتمتها بمجلد عن أفول الخلافة العباسية (اكسفورد ١٩٢٠ - ١٩٢١ م) (تمثل هذه المجلدات الجزئين الخامس والسادس من تجارب الأمم لمسكويه). فقد نشر امدروز قبل ذلك أجزاء من كتاب الوزراء وتاريخهم لهلال الصابئ سنة ١٩٠٤م[١]، وكذلك تاريخ دمشق لابن القلانسي[٢]، ثم توجه إلى تاريخ ابن مسكويه الذي بدأ بنشر نسخة طبق الأصل آنذاك بناءً على صور مخطوط آيا صوفيا التي عني بها كيتاني Caetani في سلسلة جب التذكارية. وقام امدروز بناءً على الجزئين الخامس والسادس المصورتين اللذين كان حصل عليهما منذ صيف سنة ١٩١٢م[٣] بوصفه عضوًا في مجلس إدارة المؤسسة المانحة، قام بإعداد النص بمساعدة نشطة من مرجُليوث للنسخة التي طبعت سنة ١٩١٣ - ١٩١٤م في القاهرة في مجلدين لا يخلوان تمامًا من الأخطاء. وفي المجلد الثالث طبع ذيل أبي شجاع الرُودرواري. وفي الختام / أعاد القطعة التي [٢٧٦] حققها من قبل لتاريخ هلال الصابئ، ليتم بذلك العرض حتى سنة ٣٩٣ هجريًا. وبعد أن توفي امدروز سنة ١٩١٧م تابع مرجُليوث العمل وحده، وقدم لنصوص المجلدات الثلاثة ترجمة إنجليزية في ثلاث مجلدات، وختم العمل بأكمله بمقدمة

---

(١) انظر : نعي مرجليوث في مجلة Jras 1917 , 632 F. فقد كان محاميًا إنجليزيًا ذا أصل بروتستانتي فرنسي ودرس في أوقات فراغه العربية.

(٢) Historical Remains , First Part of his kitab al – Wuzara and Fragment of his History 389 – 391 A.. بقايا تاريخية، الجزء الأول من كتاب الوزراء وقطعة من تاريخه لسنة ٣٨٩ - ٣٩١ هجريًا، تشريع تعليقات ومعجم، ليدن ١٩٠٤ م.

(٣) لما تأخر كيتاني في الفهرس والملخصات لم ينشر المجلد الخامس إلا في صيف ١٩١٣ م، ولم يظهر المجلد السادس إلا سنة ١٩١٧م بدون أية إضافات انظر المقدمة لجاي لوسترانج Guy Le Strange للمجلد السادس.

وفهرس مفصل معتمدًا على نموذج الطبعة الفرنسي لكتاب المسعودي (مروج الذهب). أما خطته لعرض النظم (المرافق) السياسية والإجتماعية بناءً على هذه النصوص في مجلد خاص فقد تخلى عنها مراعاة لكتاب آدم متز Adam Mez نهضة الإسلام Renaissance des Islams(*) الذي نهل من المصادر ذاتها إلى حد ما، غير أنه عُنِي بالاشتراك مع صلاح الدين خدا بخش(١) بترجمة هذا الكتاب إلى الإنجليزية. وقادت دراسة حضارة القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي مرجُليوث إلى «نشوار المحاضرة» للقاضي التنوخي. فظهر النص(٢) وترجمته في عامي ١٩٢١ – ١٩٢٢م من الجزء الأول من كتاب المحاضرة لهذا القاضي العراقي (سلسلة ذخائر الترجمة الشرقية رقم ٢٧ و ٢٨)، ونشر نص الجزء

(*) توفى متز في الثامنة والأربعين من عمره، وأشرف على ظهور الكتاب ركندورف، وتُرجم إلى عدة لغات، منها ترجمة إلى العربية، بعنوان «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري» في جزءين، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ط.٢ ١٩٤٨م قام بها د. محمد عبدالهادي أبو ريدة. راجع نقد د. بدوي في موسوعته المستشرقون لهذه الترجمة، ووصف الكتاب وفكرته الرئيسية.. الخ ص٥٤٤.

(١) ترجمة صلاح الدين خدا بخش (المتوفي سنة ١٩٣١ م) بالإضافة إلى ذلك كتاب فايل تاريخ الشعوب الإسلامية Geschichte der islamischen Völker، كما ترجم بشكل جزئي أعمال ا. ف. كريمر A. V. Kremer تاريخ الحضارة (Kulturgeschichte) والأفكار السائدة (die Herrschenden Ideen). وأسهم من خلال أعماله بشكل جوهري في تقريب نتائج البحث المعاصر في الإسلام إلى مواطنيه المسلمين الهنود. وشارك بنصيب فعال في الترجمة الإنجليزية لكتاب فلهاوزن الدولة العربية Arabisches Reich التي عنيت بها السيدة مارجريت جرهام وير. وهو ابن محمد خدا بخش (المتوفي في ١٩٠٨ م) الذي دعا سنة ١٨٩٣م إلى إحياء المكتبة الشرقية العامة في بانكيبور، التي صارت مشهورة متجاوزة الهند إلى حد بعيد من خلال جمعه للمخطوطات القيمة وفهرسه الممتاز للمخطوطات العربية والفارسية.

(٢) كما حدث في كتاب ياقوت ترك مرجُليوث هنا أيضًا مواضع متفرقة لأسباب التأدب، وسعى في مقدمة ترجمته إلى تبرير هذا السلوك غير العلمي.

الثاني والثامن في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (١٠ وما بعدها)، في حين ظهرت الترجمة الإنجليزية في الثقافة الإسلامية. وبدأ في المكان نفسه أيضًا طبع ترجمة كتاب ابن الجوزي المفيد للغاية في تاريخ الحضـــارة (تلبـيس إبلــيس). ويمكن أن يستخلص سمو تقديره لقيمة الترجمات الموثوق بها من أنه نشر سنة ١٨٩٤م فـــي كتابــه مختــارات مــن تفســير البيضــاوي Chrestomathia Baidawiana من شرح السورة الثالثة (آل عمران) ترجمة إنجليزيـــة أرفقهـــا بملحوظات موضحة ثرية، لأنه / وعد مستمعيه – مرتبطًا في ذلك بفلايشر – من [٢٧٧] خلال اهتمامه بالبيضاوي بمدخل إلى أهم فروع العلوم الإسلامية والآداب الإنسانية العربية. وكانت تلك خطوة مهمة في مقابل الأوضاع في ألمانيا حيث طال ترقـــب المبتدئ بمثل تلك الوسائل المساعدة دون جدوى في الغالب. لقد تجاوز الاهتمـــام الذي عامل به مرجُليوث الأدب العربي الدراسات العربية القديمة إلى حد بعيد، فقد أدرك في وقت مبكر أهمية جرجي زيدان، فترجم من تاريخه للحضارة الإســـلامية الجزء الرابع الذي بعنوان «الأمويون والعباسيون» إلى الإنجليزيـــة (GMS IV 1907) واهتم بعربية اليهود، فحقق تفسير دانيل للقرائي يافث بن علي ١٨٨٩ م، حيث أبقى متعمدًا على ظواهر اللغة الدارجة في المخطوطة، وحين نشرتا الأختان العالمتان اجنس سميث لـــويس Agens Smith Lewis (١٨٤٣ – ١٩٢٦ م)، والسيدة مارجريت دنلوب جبســـون[1] Margret Dunlop Gibson (١٨٤٣ – ١٩٢٠ م) إحدى وأربعين صفحة من مخطوطات مسيحية عربية مؤرخة بصورة طبق الأصل (في : Studia Sinaitica XII 1907) كتب مرجليوث حـــول ذلـــك مقدمة حول الكتابة في العصور القديمة. وحين انتقل مع مجموعـــة مخطوطـــات إيرل كروفورد عدد من البرديات إلى حوزة مكتبة جون ريلاند نهض مرجُليـــوث

---

(١) بذلت كلتاهما جهدًا من خلال ذخائر المخطوطات اللافتة للأنظار التي قاما بهـــا فـــي ديـــر سانت كاترين في سيناء، وكذلك في مصر من سنة ١٨٩٢ – ١٩٠٦ م، انظــر : ف. ك. بُركيت F. C. Burkitt , DNB 1922 bis 1930 (1937) , S. 509 f.

بالعمل الشاق وهو وصفها في فهرس ضخم للبرديات العربية (١٩٣٣ م). وعاون ألفونس مينجانا[١] Alphonse Mingana الذي يعمل منذ سنة ١٩١٥م في مكتبة جون ريلاند (حوالي ١٨٨١ - ١٩٣٧ م) في نشر كتاب الدين والدولة لعلي بن ربان الطبري، ورد فيما بعد /٢٧٨/ في عمله : حول كتاب الدين والدولة On the Book of Religion and Empire (في منشورات المجمع البريطاني المجلد ١٦) على الاعتراضات التي وجهها بيترز Peeters وبوجه س. ج. Bouyges ضد صحة الكتاب. لقد وصل مرجليوث بمعارف لغوية وموضوعية واسعة وموهبة فهم سريعة خيالاً خصبًا دفعه أحيانًا إلى نظريات شديدة الجرأة. واتسعت اهتماماته أيضًا للعربية الجنوبية والحبشة والعبرية والآرامية والسريانية، فقد أشرف على طبع الأجزاء الأخيرة من المعجم السرياني الذي جمعه والد زوجته روبرت بيان سميث Robert Payne Smith[٢]، ووقف إلى جانب زوجته جسي بيان مرجليوث Jesse Payne [٣] (توفيت ١٩٣٣ م) في دراساتها السريانية. وقد حاول أحيانًا تقديم عروض موجزة أيضًا. فقد كتب حول محمد وظهور الإسلام Muhammed and the Rise of Islam (١٩٠٥ م،

---

(١) كان ابن أحد قساوسة الكنيسة الكلدانية (المتحدة مع روما) تعلم (من ١٨٩٣ - ١٩٠٢ م) ودَرَّس (من ١٩٠٢ - ١٩١٠ م) في المعهد السرياني - الكلداني للدعاية في الموصل. وقع في خلاف مع اليسوعيين نتيجة للآراء التي عبر عنها في طبعته لنرسيس (١٩٠٧ م) وفي كتابه مصادر سريانية (١٩٠٧ - ١٩٠٨)، وترك الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وحضر إلى انجلترا بواسطة البعثة البروتستانتية للتبشير، ووجد في البداية في كلية وود بروك Woodbrooke في سيلي أوك بالقرب من برمنجهام عملاً، وفيما بعد في مكتبة جون ريلاند، انظر : ج.م فوسته J. M. Vosté O. P. , Orientalia Christiana Periodica 7(1941, 514 – 518) G. Graf , OLZ 1941 , 466 , 470 und ونعيه لجراف 385 , 1942.

(٢) انظر ما سبق ص ٢٠٧.

(٣) نعى ا. مينجانا في مجلة - : A , Mingana , JRAS 1934 , 217 – 219.

الطبعة الثالثة سنة ١٩٢٣ م)، حيث استخدم في المقارنة الطائفة المرمونية[١]، وعن : تطور مبكر للإسلام Early Development of Mohammedanism (١٩١٤)[*].

٨ – الدراسات العربية في كمبردج من سنة ١٨٩٠ حتى ١٩١٤م

شغل تشارلز ريو Charles Rieu (١٨٢٠ – ١٩٠٢ م) الذي سبق ذكره كرسي الأستاذية للدراسات العربية في كمبردج سنة ١٨٩٤م بعد وفاة و. روبرتسون W. Robertson. وكان يعمل في البداية إلى جانبه مساعد أستاذ أنتوني اشلي بيفان Anthony Ashley Bevan [٢]. وكان بيفان تلميذًا لنولدكه ورايت، وعارفًا ممتازًا بالعربية. وعُنِيَ منتفعًا بمصورات المخطوطات التي خلفها رايت Wright، ولكن مرتكزًا في الأساس على المخطوط الذي حصل عليه المتحف البريطاني فيما بعد، بإعداد طبعة ضخمة في ثلاثة مجلدات لنقائض جرير والفرزدق، امتازت كذلك بمعالجة مثلى لتكوين النص وجهاز نقدي وكذلك بمعجم نموذجي. / وقد دعمه في المجلد الأول دي خويه وفيما بعد نولدكه وفلهاوزن، في [٢٧٩] حين قدم له أوجست فيشر أحيانًا مساعدته الخبيرة بالمعجم. وعلى العكس من ذلك فقد ساند بيفان صديقه تشارلز ليال في طبعته للمفضليات، وقدم له الفهارس التي تضم معجمًا أيضًا (GMNS III , 1924)، ووضع فهرسًا للقوافي لأمالي

---

(١) فعل الشيء نفسه بشكل منظم سنة ١٩١٢م ادوارد ماير Eduard Meyer. في نشأة المرمونية وتاريخها مع إضافات حول بدايات الإسلام والمسيحية Ursprung und Geschichte der Mormonen , mit Exkursen über die Anfänge des Islam und des Christums.

(*) كانت تسري في هذه الدراسات روح غير علمية ومتعصبة، مما جعلها تثير السخط عليه ليس فقط عند المسلمين، بل وعند كثير من المستشرقين.

(٢) نعى من ر. ا. نيكسون R. A. Nicholson في مجلة : JRAS 1934 , 217 - 221

القالي، ونشره بالتعاون مع فريتز كرنكوف Fritz Krenkow فهارس الاستشهادات الشعرية في كتاب الأمالي (١٩١٣ م) Indices to the poetical citations in the Kitāb al – ʾAm ālī. أما خطته لإصدار تكملة للمعاجم العربية لم تجد للأسف طريقها للتنفيذ. عمل السير تشارلز جيمس ليال [1] السابق ذكره (١٨٤٥ – ١٩٢٠ م) الذي لا ينتمي لمدرسة كمبردج إلا بشكل غير مباشر وأدار من ١٨٩٨ – ١٩١٠م قسمًا في المكتب الهندي في لندن، واهتم في أوقات فراغه بالشعر العربي القديم، فحقق سنة ١٨٨٥م ترجمات للشعر العربي القديم وبخاصة شعر ما قبل الإسلام (الجاهلي) Translations of Ancient Arabian chiefly Pre – Islamic Poetry، وسعى فيما بعد إلى أن يقرب لأبناء وطنه جمال هذا الشعر من خلال ترجمات[2]. وكان مثله الأعلى نولدكه الذي زاره كثيرًا في رحلات إجازته. وفي الهند حقق شرح التبريزي على المعلقات العشر (المكتبة الهندية ١٨٩١ – ١٨٩٤ م).

وبعد عودته إلى إنجلترا نشر النص الأصلي مع ترجمة إنجليزية بادئ الأمر دواوين عَبيد بن الأبرص، وعامر بن الطفيل (GMS XXI) سنة ١٩١٣م وفيما بعد قصائد عمرو بن قميئة سنة ١٩١٩ م. وفي أثناء ذلك نضج عمله الرائع أيضًا، وهو طبعة المفضليات إلى حد النضوج التام. كان قد أراد في الأصل أن يستكمل طبعة توربكه Thorbecke (اعتمادًا على نقد المرزوقي وفق مخطوط برلين غير المكتمل)، ولكنه أدرك ضرورة نشر القصائد الست والعشرين بعد المائة (بما فيها الـ ٤٣ رقمًا لطبعة توربكه) وفق نقد الأنباري وشرحه. أما

---

(١) نعى من ر. ا. نيكسون في منشورات المجمع العلمي البريطاني ٩.

(٢) مقاله : الجوانب التصويرية في الشعر العربي القديم The pictorial aspects of ancient Arabian poetry JRAS 1912 , 133 , 152، وظهرت في الكتاب التذكاري لبراونه (دراسات شرقية ٢٨٥ – ٢٩٢) ترجمته لمعلقة الأعشى في وزن الأصل.

النص الذي طبع في بيروت منذ سنة ١٩١٠م في مجلد واحد، حيث أنجز لـويس شيخو / التصويبات، وقارن ا. صالحاني مخطوطات المكتبة الموجودة هناك، فلـم [٢٨٠] يكن في الإمكان نتيجة للحرب العالمية الأولى أن ينشـر إلا سـنة ١٩٢١م بعـد بضعة أشهر من وفاة ليال. وفي أثناء ذلك كان قـد ظهـر سـنة ١٩١٨م فـي اكسفورد المجلد الثاني مع ترجمة. وقرأ بيفان من كـلا المجلـدين التصـويبات. وتلقى ليال من نولدكه أيضًا كثيرًا من العون كالذي تلقاه لدى طبعة عبيد وعامر، وإلى جانب ذلك آزره في بعض الأحيان دي خويه و ا. فيشر و ر. جـاير وي – ي. هيس الخبير بأسماء النباتات والحيوانات. وهكذا كانت هذه الطبعة الممتـازة أيضًا التي قدم لها بيفان، كما ذكر، سنة ١٩٢١م الفهارس، مثالاً رائعًـا لتعـاون علمي نموذجي.

واهتم فريتس كرنكوف (فريتز كرنكو)[١] (١٨٧٢ – ١٩٥٣ م) السابق ذكره، الأستاذ المساعد، بالشعر العربي القديم، بحَثٍ من تشارلز ليال. وقد صار معروفًا لعالم العلم سنة ١٩٠٣م من خلال الاعتراف المتحمس الذي أسبغه عليه آلفـارت في (مجموع الشعر العربـي القـديم جــ ٣ ص ١٩ – ٢٠ Sammlungen altarabischer Dichter) لإرساله الفوري لمجموعة ضخمة من الاستشهادات والمقطوعات لرؤبة. وبعد الحرب العالمية الأولى سافر إلى الهند، حيث عمل فـي البداية في حيدر أباد ثم في عليكَره. وبعد أن دَرَّس في بون مـن ١٩٣١ حتـى ١٩٣٤م أستاذًا بالمكافأة، عاد إلى إنجلترا وختم حياته في كمبردج. لقد كان مثـل فو ستنفلد ناشرًا لا يكل، وجعل نصوصًا عربية كثيرة من أنـواع أدبيـة شـديدة التباين متاحة بطبعها. من بين تلك المؤلفات الكثيرة معجم جمهـرة اللغـة لابـن دريد، وكتاب المناظر لابن الهيثم، وكتاب الدرر الكامنة في أعيان المئـة الثامنـة لابن حجر العسقلاني، ومعجم الشعراء للمرزباني، وكتاب المعاني لابن قتيبـة(*).

---

(١) نعى من أوتو شبيس (O. Spies) في مجلة : Der Islam 31 , 228 – 236.

(*) نشر أيضًا: قصيدة كعب بن زهير في مدح النبي وشرحها للإمام التبريزي ZDMG. 65,

وأثر كرنكوف تأثيرًا عظيمًا من خلال استعداده للتعاون، إذ وضع مجموعاته ومعارفه تحت تصرف مساعديه من الباحثين. وصار ادوارد جرانفيل براون[(١)] Edward Granville Browne (١٨٦٢ - ١٩٢٦ م) سنة ١٩٠٢م خلفًا لريو. وتخصص في البداية في مهنة الطب - ويتجلى اهتمامه بذلك في محاضراته عن الطب العربي Arabian Medicine (١٩٢١) - وكان قد درس إلى جانب الطب الدراسات الشرقية لدى رايت، / ثم قضى عامًا (١٨٨٧ - ١٨٨٨ م) في [٢٨١] إيران (وُصِفَ في : عام بين الإيرانيين A year amongst the Persians)، وصار محاضرًا للغة الفارسية في كمبردج، وخصص أيضًا لاسم السير توماس أدامز، أستاذ العربية عمله الرئيسي فقه اللغة الفارسية، الذي سعى من خلال نشرات لنصوص كثيرة إلى إرساء أساس فيلولوجي راسخ. أما عمله الرئيسي فهو المجلدات الأربعة المكونة من مقالات في التاريخ الفكري والأدبي : التاريخ الأدبي لفارس[(*)] Literary History of Persia (من سنة ١٩٠٢ إلى ١٩٢٤ م). لم يكن إذن عالمًا ذا اهتمام بالقديم فحسب، بل درس أيضًا التاريخ الإيراني المعاصر، حيث تبنى قضية الأقليات المضطهدة متأثرًا بإحساس قوي بالعدل[(**)].

---

279 - 241، وديوان مُزاحم العقيلي مع ترجمة انجليزية ليدن ١٩٢٠م، وشعر طفيل بن عوف الغنوي، ومعه ديوان الطِّرمَّاح بن حكم بن نَفْر الطائي مع ترجمة انجليزية، سلسلة جب التذكارية، لندن ١٩٢٧م، وتحقيقات علمية أخرى كثيرة.

(١) انظر ر. ا. نيكلسون : فهرس وصفي للمخطوطات الشرقية الخاصة ببراون الأخير A descriptive Catalogue of the oriental Mss belonging to the late E. G. Browne ١٩٣٢ م، ص ٦ - ١٢ مع قائمة مؤلفات ص ١٢ - ١٥.

(*) أصدر عام ١٩٠٢م المجلد الأول، ويحتوي على مقدمة لتاريخ الأدب الفارسي، تتناول العصر الأول منه حتى سنة ١٠٠٠م، وأصدر الجزء الثاني في ١٩٠٦م، ويشتمل على تاريخ الأدب الفارسي في ثلاثة قرون: من الفردوسي حتى سعدي، وأصدر الجزء الثالث في ١٩٢٠م، ويشتمل على تاريخ الأدب الفارسي تحت حكم التتار، وأصدر الجزء الرابع والأخير في ١٩٢٢م، ويتناول تاريخ الأدب الفارسي في العصر الحديث.

(**) تجلي تعاطفه مع الأقليات المقهورة في دراساته عن البابية والبهائية.

واستمال براون رينولد آلين نيكلسون[1] Reynold Alleyne Nicholson (١٨٦٨ – ١٩٤٥ م) لدراسة الآداب الشرقية. وقد تمتع بفهم دقيق لمضمون الأفكار والقيم الجمالية للأدب الرفيع، وقد تحول بعد أن حصل على معارف أساسية لدى بيفان وروبرتسون سميث ونولدكه، وتأهل لتطبيق مناهج فيلولوجية دقيقة، إلى بحث الصوفية، حيث تنقل بالثقة ذاتها في المجالين الفارسي والعربي. وفي سنة ١٨٩٨م نشر مختارات من قصائد ديوانِ شمسِ تبريز لجلال الدين الرومي. النص الأصلي الفارسي مع ترجمة إنجليزية وتعليقات. وفي سنة ١٩١١م أعقبه بديوان ابن عربي «ترجمان الأشواق» (ذخائر الترجمة الشرقية رقم ٢٢ من السلسلة). وحتى يزيح الستار عن بدايات الصوفية وتطورها من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي حتى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي جعل المصادر المهمة متاحة في طبعة نقدية أو ترجمة موثوق بها : من سنة ١٩٠٥م إلى ١٩٠٧م تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار (نصوص فارسية تاريخية ٣، ٥) النص الفارسي، وفي سنة ١٩١١م «كشف المحجوب» للهجويري (GMS XVII) بالإنجليزية وفي سنة ١٩١٤م كتاب «اللمع» لأبي نصر الطوسي (GMS XVII) في أصله العربي. غير أنه وإن كان طرحه للقضية في بحثه يحدده مذهب التاريخية النقدية فقد تجنب بالفطرة مخاطر العقلانية الواقعية التي ترى أن الصوفية، على أساس أوجه تطابق حقيقية أو مفترضة، يمكن أن تكون مستمدة من الأفلاطونية المحدثة أو الرهبنة المسيحية أو التصوف الهندي، / وبذلك يمكن تفسيرها. ودون إهمال مسائل العلاقات المتعلقة بتاريخ الأفكار [٢٨٢] والتقاليد الأدبية استهدف قبل كل شيء جعل النص المفسر مفهومًا في خصوصيته الفردية. وقد بلغ فن التفسير هذا ذروته في دراسات في الشعر الإسلامي Studies in Islamic Poetry ودراسات في التصوف الإسلامي Studies in

---

(١) نعى من ا. ا. فيظي A. A. Fyzee في مجلة : JRAS Bombay Branch N S. 22 (1946) 63 – 66

Islamic Mysticism (١٩٢١ م). وينبغي أن تقرب تلك الدراسات شعر البلاط الفارسي كما ورد في كتاب دولت شاه : لباب الألباب، وتأملات أبي العلاء المعري كما وردت في لزومياته[1] لأصدقاء (لمحبي) الأدب والدين الشرقيين. ولكنها خلافًا لذلك عالجت الصوفي الفارسي أبا سعيد بن أبي الخيـــر والمتصـــوفين الفقيهـــين الجيلاني وابن عربي وكذلك قصائد ابن الفارض. وأعقب ذلك من سنة (١٩٢٥ – ١٩٤٣ م) بمؤلفه في كِبَره، الطبعة الضخمة لديوان جلال الدين الرومي «مثنوي معنوي» مع ترجمة وتعليقات (في ثمانية مجلدات GMNS IV). وخـــرَج إلـــى جانب هذه النشرات والترجمات والتفسيرات عددٌ كبير من المقالات والبحوث التي عولجت فيها مشكلات مفردة. وتتحرك أعماله : علم التصوف الإسلامي (١٩١٤ م) Mystics of Islam The Idea of Personality in Sufism (1923) ومحاضرات حول : فكرة الشخصية في الصوفية في دائرة أوسع. وقدم في كتابه «تاريخ العرب الأدبـــي» A literary History of the arabs (١٩٠٧ م، ط. ثانية ١٩٣٠ م) في مدخل عام إلى النصوص العربية، من خلال استعمال حـــاذق لأعمال فون كريمر وجولد تسيهر ونولدكه وفلهاوزن وغيرهم، نظرةً عامة حول الأدب العربي والتأثيرات التي كانت حاسمة في التطور الخاص بتـــاريخ الأفكـــار. ويحاول هنا أيضًا أن يقرب للقارئ من خلال محاكاة شعرية جمالَ الشعر العربي. وجدد أخيرًا لحاجات التدريس الأكاديمية، بمساندة بيفان من ١٩٠٧ إلى ١٩١١م النحو الأساسي العربي المستند إلى نحـــو رايـــت لـــــ ف. ثورنتـــون دو بريـــه Thornton du Pré والمختارات الملحقة به. وتسهم أعمال نيكلســـون بشـــكل حاسم في التغلب على العقلانية السائدة في مجال الدراسات الإســـلامية بوصـــفها إرث عصر التنوير والتاريخية النقدية، وشق الطريق للرأي القائـــل بـــأن الـــدين

---

(١) أضاف نيكلسون ص ٢٠٨ – ٢٨٩ كمختارات شعرية اختيارات من اللزوميات في نـــص سلِمَ من الناحية النقدية، ونقل التصحيحات إلى دراسات في التصوف الإسلامي ١٠ – ١٢ التي أبلغه بها نولدكه وبيفان حول ذلك.

الإسلامي والتصوف / والفلسفة لا يجوز أن يقاس بالإدراك الإنساني الصحيح في [٢٨٣] القرن التاسع عشر في أوربا، بل من الضروري وجود منهج يأخذ بوسائل علم النفس الحديث لوصف كم وفير من الخبرات وحالات الوعي الداخلية الممكنة في المحيط الإسلامي وصفًا مناسبًا. وكان نيكلسون من أوائل من أقر في أوربا بأهمية محمد إقبال الذي كان قد ظهر كتابه تطور الميتا فزيقا (ما وراء الطبيعة) في فارس **Development of Meta_physics in Persia** سنة ١٩٠٩ م، وترجم كتابه مثنوي أسرار خودي سنة ١٩٢٠ م. وبهذه الرؤى العميقة سبق عصره، وبرغم ذلك فقد مر وقت طويل حتى لقي اعترافا؛ لقد كان محاضرًا للغة الفارسية لسنوات طويلة ولم يستدع إلا بعد وفاة براون خلفًا له. أما اليوم فقد صار من المعروف أنه أحد مؤسسي الدراسات الإسلامية المعاصرة.

واستحق جاي لو سترانج **Guy Le Strange** (١٨٥٤ - ١٩٣٣)[(١)] الذي ينتمي إلى دائرة أصدقاء ا. ج. براون السابق الذكر أيضًا لبحوثه في الجغرافيا التاريخية للدولة العباسية، الذي كان قد حَمَّسَه مول **Mohl** في سنوات شبابه في باريس للغة الفارسية. وقد درس العربية لدى جايارد **Guyard**. وقد أرشده سير هنري رولينسون **Sir Henry Rawlinson** إلى الأهمية التي يتمتع بها وصف ابن سرابيون لقنوات بغداد لإعادة بناء طوبوغرافيا بغداد في العصور الوسطى، وبخاصة حين يُربَط بأخبار الجغرافيين العرب الآخرين. فترجم لو سترانج - اقتفاءً بهذا التحفيز - من مصادر عربية وفارسية مادة ثرية، وحقق، بعد أن كان قد ترجم سنة ١٨٩٠م عن جغرافيين عرب مقتطفات في : فلسطين تحت حكم المسلمين **Palestine under the Muslims**، وصف ابن سرابيون لبلاد ما بين النهرين وبغداد (في مجلة JRAS 1895)، ونشر، بمشورة صديقيه بيفان وبراون، ودعم بمعلومات من دي خويه، كتابه الأساسي المزود بخرائط وخطط : «بغداد في أثناء الخلافة العباسية» **Baghdad during the Abbasid**

---

(١) نعى من ر. ا. نيكلسون في مجلة JRAS 1934. P. 430 - 432

Caliphate (١٩٠٠ م، ط. ثانية، ١٩٢٥ م). وأعقبه سنة ١٩٠٥م بعرضه الذي لم يكن أقل منه قيمة للجغرافيا التاريخية للولايات الشرقية من الدولة العباسية بعنوان : «ولايات الخلافة الشرقية» The Lands of the Eastern Caliphate. أما تحقيقاته لأعمال جغرافيين فرس فقد أتم كل من براون (GMS XXIII , 12) ونيكلسون (GMNS I) طبعها، إذ إنه قد كان منذ سنة ١٩١٢م شبه كفيف.

٦٩ –ا. د. روس وت. و. ارنولد[1]

/ لم تجد الدراسات العربية في لندن خلافًا لأكسفورد وكمبردج إلا عناية [٢٨٤] ضئيلة، ولم تبلغ هذه المحاولات غايتها بإنشاء معهد كبير للاستشراق في عاصمة الإمبراطورية البريطانية إلا سنة ١٩١٧م مع افتتاح مدرسة الدراسات الشرقية (والأفريقية منذ سنة ١٩٤٩ م). وصار مدير المعهد وأستاذ اللغة الفارسية فيه اللبق والرحالة السير ادوارد دنيسون روس (Sir) Eduard Denison Ross[2] (١٨٧١ – ١٩٤٠ م). وكان قد قام بدراسات متعددة لدى رينان وشيفر ونولدكه، وحصل على الدكتوراة في شتراسبورج لدى نولدكه. وكان من ١٨٩٦ – ١٩٠١م أستاذًا للغة الفارسية في الكلية الجامعية في لندن، ثم من ١٩٠١ – ١٩١١م في الهند مديرًا لمدرسة كلكتا، وبعد ذلك عمل ثانية في المتحف البريطاني في لندن. وقد كان ذا اهتمامات متعددة. ويصف عمل من أقدم أعماله، وهو فهرس مجموعتين من المخطوطات الفارسية والعربية المحفوظة في مكتبة المكتب (الديوان) الهندي، فيما يصف، المخطوطاتِ التي جمعها وليم جونز (أتمه ونشره ا. ج. براون سنة ١٩٠٢ م). وفي الهند حَثَّ على أن تُوصَف كنوز المخطوطات

---

(١) ارنولد : موسوعة المستشرقين ص ٩ وما بعدها.

(٢) نعي من ج. ا. تشابمان J. A. Chapman – DNB 1931 – 1940 (1949) S. 750 – 751.

القيمة في المكتبة التي أسسها في بانكيبور خدا بخش في فهرس مطبوع. واكتشف من بين مخطوطات مدرسة كلكتا كتاب «ظَفَر الواله» لحاجي دبير بخط المؤلف، فنشره مع مقدمة قيمة، وفهارس تفصيلية بعنوان : تاريخ عربي لجوجرت An Arabic History of Gugrat من ١٩١٠ - ١٩٢٨م في ثلاثة مجلدات. ويستحق هذا العمل المضني الذي جعل روس من خلاله نصًا مهمًا من الناحيتين الموضوعية واللغوية متاحًا من الثناء أكثر من عدم الاكتراث به كلية تقريبًا عند ظهوره. ومثل روس قضى أيضًا ممثل العربية في مدرسة الدراسات الشرقية (منذ سنة ١٩٢٠ م) (سير) توماس ووكر ارنولد (SIR) Thomas Walker Arnold[1] (١٨٦٤ - ١٩٣٠ م)، سنوات طويلة في الهند. في بداية الأمر من سنة ١٨٨٨ - ١٨٩٨م أستاذًا للفلسفة في الكلية الانجلو - شرقية التي أسسها سيد أحمد خان سنة ١٨٧٥م[*]، ثم من ١٨٩٨ - ١٩٠٤م في الكلية الحكومية في لاهور. وفي عليگَره حيث تَعَرَّف في حركة عليكَره التحديث الإسلامي الهندي مع تحمسه للمؤسسات السياسية والاجتماعية / في الغرب، [٢٨٥] وعقلانيته وإيمانه المتعقل من خلال رؤية مباشرة، ومع إقامته علاقة ودية بأهم ممثل علمي لها، وهو شبلي النعماني[٢] تكوَّن كتابُه الرائع «الدعوة الإسلامية» The Preaching of Islam (١٨٩٦ م، ط. ثانية ١٩١٣ م) الذي تناول فيه بالتحليل العميق انتشار العقيدة الإسلامية والأسباب المؤثرة في ذلك. وقد أعطى المعتزلي الجديد أحمد خان وأتباعه ارنولد الحافز لأن يهتم بالمعتزلة القديمة

---

(١) نعى من ا. ستاين A. Stein في منشورات المجمع العلمي البريطاني ١٦.

(*) أسس سيد أحد خان كلية عليگَرة الإسلامية في المقاطعات المتحدة بشمالي الهند بهدف إصلاح الاسلام عن طريق الجمع بين الثقافة الإسلامية والفكر العلمي المنهجي في أوربا. وشارك أرنولد في هذه التجربة التوفيقية بين الإسلام والفكر الأوروبي الحديث بحماسة شديدة، وراح يكون تلاميذ من الإنجليز والهنود مشبعين بهذا الاتجاه. موسوعة المستشرقين ص٩.

(٢) انظر ا. صديقي في دائرة المعارف الإسلامية : A. Sidiqi EI IV 388 f.

ويحقق السير المتعلقة بذلك من كتاب : المنية والأمل للزيدي ابن المرتضى، النص الأصلي العربي[1]. وعمل بعد عودته إلى إنجلترا في المكتب الهندي من ١٩٠٤ – ١٩٢٠ م، وكتب أحيانًا حول موضوعات إسلامية مثل اشتراكه في الموسوعة التي نشرها جيمس هستنج James Hasting : موسوعة الدين والأخلاق Encyclopedia of Religion and Ethics وعالج أيضًا سنة ١٩٢٤م في كتابه الخلافة The Calephate القضية التي كانت موضوع الساعة آنذاك من زاوية تاريخية وتشريعية، كما أنه قد اتجه بقوة في ذلك الوقت إلى دراسة تاريخ الفن الإسلامي الذي أثراه بسلسلة من الأعمال.

د. ب. ماكدونالد

وجدت الدراسات العربية والعلوم الإسلامية في أمريكا أول ممثل مهم لها في صديق د. ا. نيكلسون وزميله في الدراسة، الاسكتلندي دنكان بلاك ماكدونالد[2] (Duncan Black Macdonald) (١٨٦٣ – ١٨٩١ م). فقد درس أولاً في جلاسجو ثم من ١٨٩٠ – ١٨٩١م في برلين، وبخاصة لدى زخاو Sachau، ثم دَرَّس منذ ١٨٩٢م في معهد اللاهوت في هارتفورد (Connecticut) اللغات السامية ؛ وذلك إلى جانب العبرية (تفسير العهد القديم) العربية على وجه

---

(١) المعتزلة : مستلة من كتاب الملل والنحل : The Mu ' tazila being an abstract from the Kitab al – milal wan – nihal I (un.) Leipzig 1902. اشترك مع الشاعر والناقد لورنس بنيون في وضع مجلد عنوانه : الرسامون في بلاط المُغُل الكبار سنة ١٩٢١ م. وتوج كتاباته عن التصوير عند المسلمين بدراسة عميقة بعنوان : التصوير في الإسلام (سنة ١٩٢٨م) Painting in Islam عُنِيَ فيه ببحث القواعد الفنية للرسم عند الرساميين المسلمين، ولخص آراءه ضمن كتاب عام بعنوان «الكتاب الإسلامي» The Islamic Book شارك فيه المستشرق النمساوي ادولف جروهمان.

(٢) ماكنزي في : W. D. Mackenzie in the Mackdonald Presentation Volume , 1933 , 3 – 9 وتوجد هناك أيضًا من ص ٤٧٣ – ٤٨٧ قائمة مراجع.

الخصوص مع اعتناء خاص بالعمل التبشيري المسيحي في المشرق العربي واشترك لذلك بشكل أساسي في تأسيس مدرسة تبشير خاصة (مدرسة كيندي للتبشير) في هارتفورد ١٩١١ م. ورأس فيها لسنوات طوال القسم الإسلامي. وكتب لطلاب التبشير / كتمهيد كتابه: جوانب الإسلام Aspects of Islam [٢٨٦] (١٩١١ م)، وتقديم المسيحية للمسلمين The Presentation of Christianity to Muslims (١٩١٦م). وعمل أيضًا مشاركًا في التحرير في المجلة التي أسسها صمويل زويمر Samuel Zwemer [(١)] (١٨٦٧ – ١٩٥٢م): العالم الإسلامي The Muslim world. ولم يكن في ذلك متعصبًا (متحيزًا) ولا غير متسامح بل إنه يعد تناقضًا في حياة المبشر أن يلزم التعاطف مع الشعب الذي كدح في ظله ومع نمط حياته، حتى وإن سعى إلى تغييره. وحتى يسد الطلب الكبير على عرض للإسلام مفهوم بوجه عام وموثوق به علميًا كتب ماكدونالد، معتمدًا بوجه خاص على دراسات أساسية في المصادر العربية لسلسلة كريج Craig Series للمداخل في الساميات كتابه تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام Development of Muslim Theology Jurisprudence and Constitutional Theory (١٩٠٣ م). وفي عمل مناقض لهذا العرض لعلم الكلام المنظم عالج، بعد أن كان قد زار من ١٩٠٧ – ١٩٠٨م مصر وفلسطين والشام، التجارب الدينية للمسلمين في كتابه : الموقف الديني والحياة الدينية في الإسلام The Religious Attitude and Life in Islam (١٩٠٩ م، ط. ثانية ١٩١٢ م). وإذا كان قد صور في الكتاب السابق، متأثرًا بجولد تسيهر، تطور أفكار دينية تصويرًا عقليًا، فقد طبق آنذاك مناهج علم نفس الأديان الذي طوره كل من وليم جيمس و ف. و. هـ. ما يرز وغيرهما

---

(١) نعى من ا. ا. كلفر لي E. E. Claverly , M W 42 , 157 – 159، وسيرة زويمر التي كتبها كريستي ويلسون Christy Wilson رسول إلى الإسلامApostle to Islam ليست معروفة لي إلا من مجلة : MW 43 , 216

على الإسلام واستخدم في توضيح ذلك ظواهر غيبية. وشجع من خلال ذلك على فهم الغزالي وابن خلدون أساسًا، الذي نشر من مقدمته مختارات في سلسلة الدراسات السلمية، الجزء الرابع، ١٩٠٥ م. ووضع جزءًا كبيرًا من نتائج بحوثه في المقالات في المجلات والمشاركات العلمية في مؤلفات جامعة، مثل دائرة المعارف الإسلامية، وأشرف مشاركًا في تحرير مجلة ايزيس التي أسسها جورج سارتون George Sarton سنة ١٩١٣ م، على تاريخ العلوم الطبيعية في الإسلام، وهو مجال كان قد اهتدى إليه من خلال اشتغاله بالمذهب الذري المعتزلي(*) الذي أقر في بادئ الأمر بأهميته. وثمة مجال خاص يقع بمنأى عن دراسات ماكدونالد السابقة كان تاريخ الرواية لألف ليلة وليلة التي عالج مشكلاتها في سلسلة من المقالات[١].

٧١ – الدراسات العربية في سويسرا من سنة ١٨٧٠ حتى ١٩١٤ م

/ ارتبطت الدراسات العربية في سويسرا أيضًا كما هي الحال في أماكن أخرى [٢٨٧] ارتباطًا وثيقًا لمدة طويلة باللاهوت. فقد درس هاينريش شتاينر Heinrich Steiner (١٨٤١ – ١٨٨٩ م) من زيورخ إلى جانب اللاهوت اللغات الشرقية أيضًا في البداية لدى هيتسش Hitzig[٢]، ثم لدى فلايشر وأثر من خلال دراسته المعتزلة أو المفكرون الأحرار في الإسلام Die Mu ' taziliten oder die

---

(*) المصطلح المقصود هو Atomistik، وربما قصد به هنا اهتمام المعتزلة بالفرد.

(١) مختصرة في دائرة المعارف الإسلامية . E I , Erg.- Bd. 18 – 22، وله في ميدان العهد القديم كتابان مهمان هما : العبقرية الأدبية العبرية (١٩٣٣ م) والعبقرية الفلسفية العبرية (١٩٣٦ م).

(٢) حول عالم العهد القديم فرديناند هيتسش (١٨٠٧ – ١٨٧٥ م)، تلميذ ايفالد، انظر : ADB 12 , 107 – 109.

Freidenker im Islam (١٨٦٥م) تأثيرًا بعيد المدى في بحث تـــاريخ الفكـــر الإسلامي. وصار سنة ١٨٧٠م أستاذاً للعهد القديم واللغات السامية فـــي جامعـــة وطنه خلفاً لابرهارد شرادر Eberhard Scharder[1]. ولم يعـــد فـــي أعمالـــه المتأخرة إلى الدراسات العربية. وكان من تلاميذ عالم اللاهوت ياكوب هاوســـهير Jakob Hausheer (١٨٦٥- ١٩٤٣م) من زيورخ الذي حصل على الدكتوراة سنة ١٨٨٩م لدى توربكه Thorbecke في هاله، ونشر ســـنة ١٩٠٥م معلقـــة زهير بشرح النحاس.

ولم يتأسس أيضاً بعض كراسي أستاذية للغات الشرقية في سويسرا إلا فـــي نهاية القرن التاسع عشر. ففي بازل كان يعمل آدم متز Adam Mez (١٨٦٩- ١٩١٧) الذي أصله من فرايبورج إن برايسجاو (جنوبي ألمانيا)[2]. وقـــد كـــان عارفاً معرفةً جيدة بالشعر العربي والأدب الجميل في عصور ما بعد الكلاســـيكية وكان يتمتع بفهم للمشكلات الأدبية. وحقق سنة ١٩٠٢م بعنوان: أبـــو القاســـم، صـــورة بغداديـــة للأوضـــاع الاجتماعيـــة Abul Kasim, ein Bagdader Sittenbild حكاية أبي القاسم لأبي المُطَهَّر الأزدي المهمة من ناحيتي التـــاريخ الثقافي واللغوي، وزوّدها بمقدمة قيمة في تاريخ الأدب، وتعليقات ومعجم[3]. ولم يظهر عمله الرئيسي: نهضة الإسلام Die Renaissance des Islams (١٩٢٢) إلا بعد وفاته، فأشرف على طبعه هـــ. ركندورف H. Reckenderf، ويعد هـــذا

---

(١) ا. شرادر (١٨٣٦- ١٩٠٨م) مؤسس الدراسات الآشوية في ألمانيا، لـــم يحصـــل علـــى كرسي أستاذية خاص بهذا التخصيص في كلية الفلســـفة (الآداب) فـــي بـــرلين إلا ســـنة ١٨٧٥م.

(٢) الزعم بأنه من سلاسة نبيل قديم من بازل زعم خاطئ.

(٣) قدم دي خويه في نقده GGA 1902, 723- 736 للنص الباقي فـــي مخطوطـــة رديئـــة وحيدة، تصحيحات كثيرة.

الكتاب الذي ترجم إلى لغات عدة(*)، عرضاً، معتمداً على اطلاع واسع، ومزوداً بشواهد ثرية من المصادر / للحضارة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي [٢٨٨] ولا يرد في ذلك العرض إلى جانب الأحوال العامة والإدارة والشؤون المالية، الحضارةُ العقلية فحسب، بل عالم عامة الناس أيضاً؛ معيشهم وأعيادهم، وإدارة المدن والاقتصاد والتجارة والموصلات. ويعد متز إحياء تراث حضارة ما قبل الإسلام، وبخاصة تراث الحضارة اليونانية - الهلينستية، (أي اليونانية المتأخرة والبيزنطية)، سمة رئيسية للتطور الحضاري في تلك الفترة الزمنية التي عرضها. ومع ذلك لا تقوم هذه النظرية في الكتاب نفسه بأي دور يذكر، غير أنها كانت مسؤولة عن أن متز قد أيَّد، وإن كان في تردد، عنوان: نهضة الإسلام.

وجاء عقب متز سنة ١٩١٧م فريدريش شولتهس(١) Friedrich Schulthess(١) (١٨٦٨- ١٩٢٢م) الذي كان يمثل قبل ذلك في كونجسبرج (من ١٩١٠- ١٩١٤م)، وشتراسبورج (من ١٩١٤- ١٩١٧م) الدراسات السامية، أصله من زيورخ، وقد دَرَس في بادئ الأمر اللاهوت، وفيما بعد الدراسات الشرقية لدى نولدكه، وحصل على الأستاذية في جوتنجن سنة ١٨٩٤م، وعُنِيَ سنة ١٨٩٧م بنشر ديوان حاتم الطائي، الذي قدم كل من بارت J. Barth (في مجلة .ZDMG 52, 34- 74) وجاير K. Geyer (في مجلة -WZKM 12,308 317) تصحيحات وإضافات له، وقد جمع كذلك سنة ١٩١١م مقطوعات شعرية تَشِيعُ منسوبة إلى أمية بن أبي الصلت، وقد أخطأ هوارت Haurt بعدها

(*) سبق أن أشرت إلى أنه ترجمه إلى العربية د. محمد عبد الهادي أبو ريدة بعنوان: «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، في جزئين، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(١) أرفق نعي بمحاضرته التي ظهرت بعد وفاته: وسائل القوة في الإسلام Die Machtmittel des Islams (١٩٢٢م).

صحيحة، وادعي بأنها أصل للقرآن(*). ويتركز أهم إنجازات شولتهس في مجال الدراسات الآرامية.

ومثّل في زيورخ تخصص الدراسات العربية جان جاك هِس Jean - Jacques Hess (١٨٦٦- ١٩٤٩م). فقد درَس في شتراسبورج، وقضى سنوات عدة في الشرق، واكتسب من اختلاطه ببدو قلب الجزيرة العربية معرفة فريدة بلغتهم ونمطهم في التفكير وطريقة معيشتهم. وقد أورد بعضاً من ذلك في كتابه: حكايات وأغانٍ وتقاليد وعادات لبدو قلب شبه الجزيرة العربية Von den Beduinen des Inneren Arabiens, Erzählungen, Lieder, Sitten und Gebräuche (١٩٣٨م).

ومازال بعضها الآخر، مثل مجموعات وفيرة لمعجم للهجات بدو وسط شبه الجزيرة العربية، لم ينشر. ومن بين مقالاته الكثيرة تبرز كتاباته حول علم بناء الكلمة سواء من خلال نتائجها المفاجئة غالباً أو الالتحام المثالي بين البحث اللغوي والبحث الموضوعي. وقد وضع معارفه الواسعة تحت تصرف الآخرين أيضاً دون حسد.

/ في شخص هاينريش سوتر Heinrich Suter [1] (١٨٤٨-١٩٢٢) [٢٨٩] حازت سويسرا عارفاً ممتازاً في علم الرياضيات وعلم الفلك العربيين. فقد درس

(*) في صياغة هذه الجملة دليل راجح على إنصاف المؤلف، يمكن أن يضاف إلى أدلة كثيرة أخرى في مواضع عدة.

(١) قُدّمت سيرة ذاتية موجزة مع فهرس منشوراته في كتابه: إسهامات في تاريخ الرياضيات لدى اليونانين والعرب Beiträge zur Geschichte der Mathematik bei Griechen und Arabern (أشرف على تحريره يوسف فرانك، Josef Frank الكراسة الرابعة من محاضرات في تاريخ العلوم الطبيعية والطب، ارلانجن ١٩٢٢م). نعاه ي. روسكه Ruska في مجلة إيزيس ٥، ٤٠٩- ٤١٧ (مع قائمة مؤلفاته) ومجلة الإسلام ١٣، ١٠٢- ١٠٣.

الرياضيات، وعمل منذ سنة ١٨٦٦م مدرساً للرياضيات في مدرسة ثانوية في زيورخ، وبدأ هنا تعرف العربية لدى شتاينر وهاوسهير. وترجم سنة ١٨٩٢م فهرس علماء الرياضة في فهرست ابن النديم[1] Das Mathematik - erverzeichnis im Fihrist، وفي سنة ١٩٠٠م أعقبه بعمله الرئيسي: الرياضيون والفلكيون العرب ومؤلفاتهم[2] Die Mathematiker und Astronomen der Araber und ihre Werke، وقد حشد، مقتيداً في ذلك من الناحية الظاهرية نموذج فوستنفلد Wüstenfeld Geschichtsschreiber der Araber، في هذا الكتاب بعناية كل ما وصل إليه من أخبار حول ٥٢٨ عالماً مسلماً في الغالب خلال الفترة من حوالي ٧٥٠ إلى حوالي ١٦٠٠م، حيث قدم لكل عالم سيرة ذاتية موجزة، وسَرَد مؤلفاته (ومخطوطاته إذا اقتضى الأمر)، وفي الخاتمة أضاف نظرة عامة مختصرة حول تاريخ الرياضيات في الإسلام. واهتم بعد ذلك بالطبعة التي أعدها عالم الرياضيات الدنمراكي اكسل بيورنبو Axel Bjornbo (المتوفى سنة ١٩١١م) بمساندة ر. بستورن R. Besthorn في اللغة العربية للترجمة التي أنجزها اتلهارد فون بات، للجداول الفلكية لمحمد بن موسى الخوارزمي بتهذيب مسلمة بن أحمد المجريطي Die Astronomischen Tafeln des Muḥammed b. Mūsā al Khwārizmī in der Bearbeitung des Maslama b. Aḥmed al. Mağrītī.

وراجع النص اللاتيني الذي أنشأه بيورنبو، وأضاف شرحاً موضوعياً مفصلاً، وكذلك معجماً للمصطلحات العربية (جمعه بستورن)، وفهرساً للأعلام والموضوعات[3]. وبخلاف هذه المؤلفات الضخمة كتب سوتر خمسين مقالاً أيضاً

---

(١) مقالات في تاريخ الرياضيات ٦.

(٢) مقالات في تاريخ العلوم الرياضية ١٠، ملحق حول ذلك السابق ١٤، ١٥٧- ١٨٥. وقدم هـ. ب. ي. رينود H. P. J. Renaud استدراكات أخرى، في مجلة ايزيس ١٨، ١٦٦- ١٨٣.

(3) D. Kgl. Danske Vidensk. Selsk- Skrifter. 7. R., Hist. Og Fil. Afd. III I.

في المكتبة الرياضية وفي مجلات أخرى، عالج فيها مشكلات مفردة في تاريخ الرياضيات في العصر الوسيط بعناية معهودة فيه.

ماكس فان برشِم

/ بينما عمل الرجال الذين سبق ذكرهم في جامعات فإن ماكس فان برشِم[1] [٢٩٠] Max van Berchem (١٨٦٣– ١٩٢١م)، مؤسس علم النقوش العربية مارس نشاطه بوصفه عالماً مستقلاً. ويرجع نسبه إلى عائلة من جنيف ذات أصل فلمندي (بلجيكا الآن)، وحظى بتربية جادة، ومارس في ليبزج وشتراسبورج وبرلين دراسات متنوعة، امتدت إلى تاريخ الفن أيضاً.ووفق نموذج مجموعات النقوش الضخمة في برلين (اختصارها CIG, CIL) وفي أكاديمية باريس (اختصارها CIS)، وضع خطة لجمع كل النقوش العربية جمعاً منظماً في (CIA)[*]،ونسخها نسخاً أميناً مُحكماً، وتفسيرها تفسيراً فيلولوجياً دقيقاً، وبموهبة ذات نظرة ثاقبة إلى التميز الفني للأثر، وقدرةٍ على استخلاص نتائج من بنائه الهندسي حول العلاقات الدينية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي عَدَّ أنه من غير المجدي فصل دراسة النقش فصلاً حاداً عن دراسة الأثر الذي يحمله. ومن ثم فقد اختار لعلمه عنواناً متواضعاً: مواد لمجموعة النقوش العربية Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum، وإن كان الاتساع الكبير سرعان ما اضطره إلى أن يقتصر أساساً على النقوش المكتوبة، وأن يتخلى عن استطرادات تتعلق بتاريخ الفن واستطرادات معمارية. وقد سعى للسبب ذاته إلى تعاون آخرين

---

(١) نعى من ا. هيرتسفلد E. Herzfeld في مجلة الإسلام .Der Islam 12, 206- 213، وبواسيه A. Boissier في مجلة الآثار Revue archéologique 5e sèrie, t. 17, 1923, p. 140- 154. (مع قائمة مؤلفاته).

(*) تفسير هذه المختصرات: CIG GIL (أكاديمية النقوش اليونانية واللاتينية)، و(GIS) أكاديمية النقوش والآداب الجميلة و(CIA) أكاديمية الفنون العالمية.

معه. وبعد أن أتم بمفرده المجلدات التي تشمل النقوش في القاهرة والقدس ساعده في الملزمة الأولى من المجلد الثالث (آسيا الصغرى) خليل أدهم. أما نصوص المجلد الثاني (شمال الشام) فقد أعدها كل من موريتس سوبرنهايم وارنست هيرتسفلد، ونشر جاستون فيت مجلداً آخر عن مصر.

وقد عالج فان برشِم بخلاف ما سبق أيضاً في أعماله بولعٍ مشكلات تتعلق بالنقوش والآثار في التاريخ الإسلامي. ففي كتاب ليمان هاوبت[1]: مواد في التاريخ الأقدم لأرمينيا وبلاد ما بين النهرين: Materlialien zur âlteren Geschichte Armeniens und Mesopotamiens (١٩٠٧)، أعدّ جزء «نقوش عربية من أرمينا وديار بكر». وفي سنة ١٩٠٩م حقق النقوش العربية التي جمعها ماكس فون اوبنهايم Max von Oppenheim (١٨٦٠-١٩٤٦)[2] / من الشام وبلاد ما بين النهرين وآسيا الصغرى. وفي بحث عنوانه [٢٩١] (أميدا) مواد لنقوش ديار بكر وتاريخ المسلمين فيها (١٩١٠)، Amida Matériaux pour l' epigraphie et l'histoire musulmanes de Diyār Bekr – عَرَضَ تاريخ المدينة بمساعدة النقوش. وقد تعاون معه في هذا العمل جوزيف سترزيجوفسكي الذي أكدَّ خلافاً لتقدير روما المبالغ فيه المألوف آنذاك، أهمية الشرق في تطور الفن الأوربي، ورأى في منطقة أميدا – اديسا – نيسيبس (Amida – Edessa – Nisibis) حلقة فن هيلينستي – شرقي، اختلطت فيها عناصر قديمة وساسانية، وقد تعرضت مقالات (إسهامات) في تاريخ الفن في العصر الوسيط في شمال بلاد ما بين النهرين وهيلا وأوربا»، التي أسهم بها سترزيجوفسكي في كتاب «أميدا» السابق الذكر، في واقع الأمر لنقد حاد من

(١) حول ك. ليمان – هاوبت (١٨٦١- ١٩٣٨م) انظر ا. ف. فايدنر: E. F. Weidner Archiv für Orientforschung 12, 310.

(٢) نعى من ف. كاسكل في مجلة W. Caskel, ZDMG 101, 3- 8. (مع قائمة مؤلفاته).

ارنست هيرتسفلد[١] (١٨٧٩- ١٩٤٨)[٢]. وقد أوردت جرترود لوتيـان بـل[٣] Gertrude Lawthian Bell (١٨٦٨- ١٩٢٦م) أيضاً، التي اهتمت ببحـوث سترزيجو فسكي اهتماماً شديداً، إضافةً (ملحقاً) إلى مؤلَّف (أميدا) التي وصـفت فيها كنائس وأديرة طور عابدين التي درستها.

وكان فان برشم وثيق الصلة بهرتسفلد مـن خـلال اهتمامـات مشـتركة، فهرتسفلد الذي تخرج مهندساً معمارياً قد درس إلى جانب ذلك دراسـات لغويـة متنوعة، ومن خلال أعمال التنقيب الألمانية في آشور من ١٩٠٣- ١٩٠٥م كان قد ألمَّ بتقنية الحفريات إلماماً أساسـياً، ورافـق مـن سـنة ١٩٠٧- ١٩٠٨م فريدريش سارِه[٤]Friedrich Sarre (١٨٦٥- ١٩٤٥م) في رحلة أثرية إلـى منطقة دجلة والفرات Archäologische Reise ins Euphrat – und Tigris Gebiet –، التي أدت إلى حفريات قصر الخلافة في سامراء من سـنة ١٩١١- ١٩١٤م، وأسفرت عن نتائج مدهشة. وأسند إلى برشم دراسة النقوش العربيـة، وظهرت سنة ١٩١١م في المجلد الأول من الكتاب. وحدث الشيء نفسه حين نُظِّم بتعاون نشط من سارِه Sarre سنة ١٩١٠م في ميونخ معرضٌ كبير/ لروائع الفن [٢٩٢] الإسلامي. ووُصف بعد سنتين في عمل قيم في ثلاثة مجلدات، نشـره ف. سـاره وف. ر. مارتن. ثم تناول فان بِرشِم النقوش الإسـلامية فـي برغـامون Die muslimischen Inschriften von Pergamon (ABA 1912) ، وفي سنة

---

(١) عرفت قائمة أعمال ميلن G. C. Milne فقط من (ايتنجهـاوزن): R. Ettinghausen, Islamic Art und Archaeology (in Near Easten Cultur and Society ed. By T. C. Young 1951. ص ٣٢، هامش ٢٦.

(2) OLZ 1911, 402- 413.

(٣) نعى من فرانز بابنجر في مجلة: Franz Babinger, Der Islam 16, 126- 129.

(٤) انظر نعي من ا. كونل في مجلة: E. KÜhnel, Der Islam 29, 291 - 295 وكـذلك: Friedrich Sarre, Schriften zum 22. Juni 1935. جمعها ي. هاينريش شميث J. Heinr. Schmidt 1935 (= Forschungen zur islamischen Kunst, hrsg. von Friedrich Sarre V I).

١٩١٨ «نقوش قباب القبور» ضمن كتاب: «عمائر خُراسانية» لارنست ديتس Ernst Diez. وفي السنوات الأخيرة من حياته تركز عمله مرة أخرى في المواد التي استطاع أن ينجز فيها الجزء المخصص لمدينة القدس، وبعد وفاته تطلبَ إتمام المشروع الضخم تعاون علماء من بلدان عدة، ولما لم يحدث ذلك ظل مؤلف عمره ناقصاً. ولكن إذا ما حان الوقت في يوم ما لوضع مجموع لمادة النقوش العربية فإن فان برشم سيصير القدوة والأنموذج.

٧٣- هـ. لامنس ومدرسة بيروت

في بداية هذا القرن (يقصد العشرين) مرت الدراسات الإسلامية بفترة ارتياب متطرف ونقد مبالغ فيه، على نحو ما شهدته علوم تاريخية أخرى بوصفها ظاهرة ناتجة عن حركة التاريخية النقدية. وقبل كل شيء قدمت المشكلات المرتبطة بشخصية محمد ﷺ وظهور الإسلام والفترة المبكرة من تاريخه مجالاً واسعاً لبناء أفكار تأملية، ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه كان البلجيكي هنري لامنس[*] Henri Lammens (ربما ١٨٦٢- ١٩٣٧)[1]، الذي كان يعمل من ١٨٢٢- ١٩٠٨م، ثم مرة أخرى منذ ١٩٢٠م في جامعة القديس يوسف في بيروت التي أُسِّست سنة ١٨٨١م. القديس يوسف في بيروت التي أُسِّست سنة ١٨٨١م. وقد حاول هو أيضاً مدفوعاً بنقد جولد تسيهر للأحاديث الصحيحة أن يقدم الدليل على أن الروايات التاريخية للإسلام تدين بوجودها أساساً لميول الجماعات والأحزاب المتنازعة بعضها مع بعض. وقدم نقداً حاسماً في ألمعية غير

(*) أرى أنه من الضروري أن يعرف القارئ ابتداءً نهج هذا الرجل، ولا أجد أفضل من الصورة التي قدمها د. بدوي له إذ قال: مستشرق بلجيكي، وراهب يسوعي شديد التعصب ضد الإسلام، يفتقر افتقاراً تاماً إلى النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفهمها، ويعد نموذجاً سيئاً جداً للباحثين في الإسلام من بين المستشرقين. موسوعة المستشرقين ص ٥٠٣.

(١) نعى في: MUB 21, 335- 355. (مع قائمة مؤلفاته).

عادية للروايات عن معاوية الأول في محاضراته في التاريخ التي ألقاها في بيروت من سنة ١٩٠٤- ١٩٠٦م. ونزع الهالة الدينية عن أصحاب الرسول ﷺ في مؤلفه Le Triumvirat d' Abou Bakr, Omar et Abou ʿObaida (الحكومة الثلاثية من أبي بكر وعمر وأبي عبيدة)، حيث سعى إلى تتبع الأهداف السلطوية السياسية لسياستهم /، ثم تركزت أبحاثه بعد ذلك على خلافة يزيد [٢٩٣] الأول[1]. وبعد ذلك اتجه إلى السيرة النبوية، فإذا كان ارنست رينان E. Renan قد زعم أن الإسلام قد نشأ «في الضوء الساطع للتاريخ»، فإن لامنس قد وضع في بحثه: القرآن والسنة؛ كيف ألفت حياة محمد ,Coran et Tradition Commet fut composée la vie de Mahomet (أبحاث في علوم الدين ١٩١٠، رقم ١) فرضية أن السيرة النبوية هي رواية تاريخية نسجها القرآن، وأن القرآن، بغض النظر عن بعض أوجه التذكر الغامضة لأحداث في فترة المدينة، هو المصدر الوحيد الموثوق فيه لعرض حياة الرسول، ورفض لامنس بوصفه قسيساً كاثوليكياً دعوى الرسول بالنبوة رفضاً تاماً، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، ورفض أيضاً سؤال هل كان محمد أميناً (صادقاً)؟ (أبحاث في علوم الدين ١٩١١ م، رقم ١ و٢). ثم انتقد، في أثناء عمله أستاذاً للأدب العربي في المعهد البابوي للكتاب المقدس في روما الذي أنشئ سنة ١٩٠٩م، في بحثه: فاطمة وبنات محمد (تعليقات نقدية لدراسة السيرة، روما ١٩١٢) Fàtima et les filles de Mahomet الأحاديث الخاصة بأسرة النبي محمد ﷺ نقداً شديداً. هنا أيضاً افترض في أغلب الروايات اتجاهاً مماثلاً،ولم يعتد تقريباً إلا بالأخبار غير المحمودة عن النبي وآل بيته. وهكذا كانت الصورة التي عُرِضَت هنا متحيزة (مغرضة) حتماً، ولم تُجْدِ نفعاً غزارة المادة، ولا رشاقة العرض تجاه أوجه

---

(١) جمع لامنس سنة ١٩٣٠ عشر مقالات ذات مضمون متقارب في مجلد جامع في كتابه: دراسات حول عصر الأمويين: Études sur le siéle des Omayyades

الضعف في سوق الأدلة[1](*). وفي بحث «مهد الإسلام» (١٩١٤) Le bercau de l' Islam اهتم لامنس بالبيئة التي أحاطت بظهور الإسلام وانتشاره، وفي بحث: جمهورية مكة التجارية نحو سنة ٦٠٠ ميلادياً (١٩١٠م) La république marchande de la Meque vers l' an 600 de notre ère صور بشكل مؤثر الأهمية الاقتصادية لمدينة مولد الرسول، التي تناولها مرة أخرى سنة ١٩٢٤م في بحث: مكة عشية الهجرة La Mecque à la veille de l' hégire، وفي سنة ١٩٢٢م قدم وصفاً للطائف وسكانها (في: MFO B 8.4)، وفي سنة ١٩٢٨م جمع أخيراً دراسات عدة في عرض: غربي شبه الجزيرة العربية قبل الهجرة L'Arabie occidentale avant l hégire.

وضمت الإرسالية التبشيرية اليسوعية في الشام إلى جانب هنري لامنس مجموعة من الأساتذة الأكفاء الذين ألموا / بالدراسات العربية، كلٌ بطريقته [٢٩٤] الخاصة، ومن أقدمهم كان فيليب كوش Philippe Cuche (ربما ١٨١٨-١٨٩٥م) الذي عمل منذ ١٨٤٦م في الشام، وحصّل معرفة أساسية بلغة البلاد، وأعد تلبية للحاجات العملية في المدرسة والبيت معجماً عربياً - فرنسياً

---

(١) عارض نولدكه منهج لامنس في: الأحاديث حول حياة محمد Die Tradition Über das Leben Muhammeds في مجلة Der Islam ٥، ص ١٦٠ وما بعدها)، قارن أيضاً ك. هـ. بيكر C. H. Becker, Islam Studien I, 520- 527 II, 477.

(*) يقول د. بدوي حول دراساته المتعلقة بالنبي وفاطمة وتأريخ السيرة، تحامل لامنس على السيرة النبوية تحاملاً شديداً، زاعماً أن القرآن وحده هو المصدر الذي يعتمد عليه في بيان سيرة النبي، وأن كتب الأحاديث كلها موضوعة من أجل تحقيق غايات معينة هي تمجيد حياة النبي. فلم يُقِم لكتب الحديث وكتب السيرة أي وزن، وهو في هذا لا يسوق أي دليل نقلي أو عقلي، ولا يرجع إلى مصادر أخرى عن السيرة، بل هو يلقي الكلام جزافاً، ويعتمد على تحكمات ذهنية استقرت حسب معانٍ ذهنية سابقة. ولم يكن لديه اطلاع باحث مثل جولد تسيهر يحاول أن يستمد دعواه من مصادر أخرى تلمودية أو هيلينية ... إلخ. وإنما راح يتخبط دون أدنى سند أو برهان عقلي، موسوعة المستشرقين ص ٥٠٤.

(١٨٦٢م)، قدم فيه لغة المجتمع الراقي في الشام، ولم يقتصر في ذلك على الثروة اللغوية القديمة بقدر ما كانت ما تزال متداولة آنذاك بين مثقفي الشام، بل أدرج فيه أيضاً تلك الكلمات في اللهجات الدارجة التي وجدت طريقاً لها في لغة المحادثة، ويعد الكتاب بوصفه محاولة لعرض معجمي للغة العربية الفصحى المعاصرة في الإقليم الشامي – إذ قدم كوش عكس ذلك في عمله مفردات فرنسية – عربية – تقدماً ملحوظاً.

وعلى النقيض من كوش العملي النشط ونمط حياته المرح كان جان بابتيست بلوت (ربما ١٨٢٢-١٩٠٤م) [1] المكَمّل لأعماله المعجمية، يتمتع بطبيعة العلماء الهادئة المائلة إلى التأمل، وكان قد انضم سنة ١٨٤٢م إلى جمعية الآباء اليسوعيين، وعمل منذ سنة ١٨٤٤م في الجزائر، وألم في قسطنطينة باللغة العربية إلى حد أنه استطاع أن ينشر بعد عودته إلى فرنسا كتاب أسس النحو العربي .Éléments de grammaire arabe (Vals 1819) ، وفي سنة ١٨٥٧م أن يصدر المعجم الفرنسي العربي Vocabulaire français – arabe لباتر هوري Pater Heury. ثم عمل في الشام بدءاً من سنة ١٨٦٦م، في البداية لمدة سنتين في غزير، ثم من ١٨٦٨م حتى وفاته في بيروت. وقد أدار من سنة ١٨٧٢- ١٨٩٧م باستثناء سنة ١٨٨٠م إذ قام كوش مقامه – المطبعةَ الكاثوليكية، وفي سنة ١٨٧٠م أسس مجلة البشير؛ وهي أول مجلة كاثوليكية باللغة العربية، ونشر مع أ. روده (تاريخ ميلاده ووفاته غير معروف) مختارات كاملة الضبط بالشكل (Nuḫab al – mulaḥ) الذي انتشر منه حتى وفاته في عشرين طبعة ما مجمله ٣٨٠٠٠ نسخة. ومع ذلك فإن خدماته الجلى تقع في المجال المعجمي. ففي سنة ١٨٨٣م ظهر «المفردات العربية الفرنسية لاستعمال

---

(١) نعى من لويس شيخو: المشرق جـ ٧، ص ١١٤٤- ١١٥١.

الطلاب» ألفه راهب في إرسالية الآداب اليسوعيين(١).

Vocabulaire arabe – français à l' Usage des étudiants par un père missionaire de la c[ie] de Jèsus. وقد كان في البداية بمثابة وسيلة مساعدة / في قراءة المؤلفات والمختارات التي تنشرها المطبعة الكاثوليكية، [٢٩٥] وبخاصة «نُخب المُلح»، «ومجاني الأدب» الواجب ذكره، ولذلك فإنه يضم جزءاً ضخماً من الثروة اللغوية القديمة، إلى جانب تعبيرات مستعملة في اللهجات الشامية العربية أيضاً، يرجع قسم أكبر منها إلى معجم كوش لسنة ١٨٦٢م، ومعجم «محيط المحيط» للبستاني الذي ظهر سنة ١٨٧٠م(٢). وأعد بلوت أيضاً ضمن غيره معجماً فرنسياً – عربياً (١٨٩٠م أعاد تنقيحه كاملاً رفائيل نخلة، ربما توفي ١٩٥٢م)، كما «أعد دروس عملية في اللغة العربية»: Cours pratique de langue arabe (١٨٩٦م، الطبعة الخامسة سنة ١٩٢٢م).

وقد دفع النجاح الكبير الذي حققه معجم بلوت إدارة مطبعة بيروت إلى فكرة معجم مقابل عربي – إنجليزي، ووجدت في باتر جوزيف – جابريل هافا (بالعربية حفًا بنطق تركي: (١٨٥١– ١٩١٦) مُعِدًّا مناسباً. كان هافا من أصل شامي، ويحمل الجنسية التركية، وقضى أربع سنوات من تعليمه في مؤسسات تعليمية إنجليزية لليسوعيين. ويعد معجمه: معجم عربي إنجليزي (١٨٩٩م، الطبعة الثانية ١٩١٥م) في الأساس ترجمةً لعمل بلوت، ووجد مثل ذلك الأخير انتشاراً واسعاً، وقد طبع في بيروت أيضًا: «أقرب الموارد إلى أفصح العربية والشوارد»

---

(١) يوصف كوش أحياناً بأنه مؤلف الطبعة الأولى لسنة ١٨٨٣م (التي تختلف عن الطبعة الثانية لسنة ١٨٨٨م بالاستدراكات فقط) – ولكن التنبيه في الطبعة الأولى الذي أضيف أيضاً إلى كل الطبعات التالية، يحمل في الطبعة الثالثة لسنة ١٨٩٣م توقيع بلوت مع التاريخ ١٨٨٣م، ويتعلق بوضوح في جملة سقطت في كلتا الطبعتين المبكرتين بمعجم كوش لسنة ١٨٦٢م بوصفه مصدراً للتعبيرات العربية الدارجة.

(٢) حول بطرس البستاني (١٨١٩– ١٨٨٣م) انظر كارل بروكلمان في تاريخ الأدب العربي GAL II, 495.

لسعيد الخوري الشرتوني (١٨٤٩- ١٩١٢)[١] من سنة ١٨٨٩ حتـى ١٨٩٣م (مجلدان وملحق). وهو أوسع قليلاً من «محيط المحيط» واستُقِيَ في الأساس من المعجمات العربية.

وقدم دونا فرنيه Donat Vernier (تاريخ ميلاده ووفاته غيـر معـروف) عرضاً مفصلاً للغة العربية وفق نظام النحاة العرب في كتابه: النحو العربي مؤلف وفق المصـادر الأساسـية Grammaire arabe Composée les sources primitives (جزءان ١٨٩١- ١٨٩٢م)، إلا أن هذا العمل لم يسـتطع نتيجـة لبعض أوجه النقص فيه[٢]، أن يتفوق على كتاب: نحو اللغة العربيـة الفصـحى Grammar of the Classical Arabic Language / الذي جمعه مـورتيمر [٢٩٦] سلوبرهوول Mortimer Sloper Howell (١٨٤١- ١٩٢٥م) مـن مؤلفـات النحاة العرب، ونشره من سنة ١٨٨٠- ١٩١١م.

ولقد تميز نشاط لويس شيخو (ربما ١٨٥٩- ١٩٢٧) [٣] الذي يرجع أصـله إلى ماردين بالتنوع. فقد وضع في «مجـاني الأدب» (الـنص فـي ٦ مجلـدات، والشرح في ٣ مجلدات، ومجلد للفهارس من ١٨٨٥- ١٨٨٨م)، مختارات مـن الأدب العربي من شعر ما قبل الإسلام (الجاهلي) حتى القرن التاسـع الهجـري/ الخامس عشر ميلادياً، التي ما لبثت أن تمتعت نتيجة لثراء محتواها، بشعبية غير عادية، ووجدت انتشاراً شديد الاتساع، وقَدَّم في عمله «لُمَع من الخطوط العربية (معرض الخطـوط Spécimens d' évritures مـدخلاً مريحـاً إلـى قـراءة المخطوطات، أما كتابه «علم الأدب» (جزءان سنة ١٩٢٨م) فهو كتـاب تعليمـي

---

(١) انظر بروكلمان: الكتاب السابق .GAL S II, 769

(٢) رد فرنيه على نقاده في مجلة: .JA g 's., t. 8, 173 ff وفي مجلة اللاهوت الكـاثوليكي ٢١، ٥٧٦.

(٣) نعى من هـ. لامنس، المشرق ٢٦، ٢٠٤- ٢١٢، ومن م. فيجالي في: JA 212, 348-352.

شامل في علوم الأسلوب والشعر والبلاغة، وأسس المجلة العربية «المشرق» سنة ١٨٩٨م. ولم يكن محررها الذي لا يكل فحسب، بل أنشط مشارك فيها أيضاً، ووصف المخطوطات العربية في مكتبة جامعة القديس يوسف. وكان من أوائل من قدموا نظرة عامة في الأدب العربي الحديث، وقد أولى الأدب المسيحي – العربي اهتماماً خاصاً، وبعد أعمال تمهيدية شاقة قدَّم عنه سنة ١٩٢٤م نظرة إجمالية في كتاب: مخطوطات الكتبة العرب النصرانية قبل الإسلام Les Manuscrits des au teurs chrétiens depuis l' Islam. وكان مائلاً إلى المبالغة في تقدير تأثير المسيحية في شبه الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام. واحتج للعقيدة المسيحية بلا تردد بعدد كبير من الوثنيين الأخيار في كتابه: «شعراء النصرانية قبل الإسلام» Les poètes arabes chrètiens avant l' Islam.

أما الأهم من هذه المجموعات فهو النشرات التي جعل فيها شيخو نصوصاً غير معروفة إلى الآن متاحةً، مثل: شعر الخنساء، وأبي العتاهية، والسموأل، وبقايا أخرى للشعر العربي، وكتاب الألفاظ لابن السكيت بتهذيب التبريزي، وكتاب «الكُتَّاب» لابن درستويه، وطبقات الأمم لابن صاعد وكتب أخرى كثيرة، وحقق سنة ١٩١٠م حماسة البحتري حسب نسخة ليدن الوحيدة التي كان ظهر منها قبل ذلك بقليل نشرة طبق الأصل كأول ما نشرته هيئة وقف دي خويه. وقد اكتشف في أحد أديرة لبنان مخطوطة قديمة نسبياً لترجمة ابن المقفع لكليلة ودمنة وعُني بإصدار نسخة منها دون أدنى تغيير في النص لأسباب أدبية[1]، وحقق / مع أ. [٢٩٧] هفنر A. Haffner: «عشر دراسات قديمة في فقه اللغة العربية» Dix anciens traités de philologie arabe ، وكتب مع ا. دوران A. Durand «أسس النحو العربي» Elementa grammaticae arabicae، وعلى الرغم من هذا الإنتاج الضخم، فقد وجد دائماً وقتاً كافياً لوضع معارفه الواسعة وخبراته عن

---

(١) مع النصوص المحددة للمدرسة يجب للمستخدم أن يضع في حسبانه أموراً تربوية، ويسري ذلك على سبيل المثال على طبعة شيخو لفقه اللغة Synonymik للثعالبي.

طيب خاطر تحت تصرف الآخرين سواء أكانوا من إخـوان طائفتـه أو زائـرين أجانب.

واكتسـب الدمشـقي انطـوان صـالحاني Antoine Ṣalhānī (١٨٤٧-١٩٤١م) أيضاً شهرة كبيرة بوصفه ناشراً للنصوص العربية، فبعد أن حقق سنة ١٨٩٠م كتاب: «تاريخ مختصر الدول» لبرهبريوس (ابن العبري)[1]، توجه إلـى دراسة الأخطل، فنشر ديوانه سنة ١٨٩١م وفق مخطوط لينجـراد، وفـي سـنة ١٩٠٥م عُنيَ بطبعة طبق الأصل لمخطوط. وظهرت طبعة طبق الأصل لأوجينـو جريفيني Eugenio Griffini سنة ١٩٠٧م عن مخطوط يمني لديوان الأخطـل مستكملاً هذين العملين. وشكلت الخاتمة طبعة صالحاني لشعر النقائض بين جرير والأخطل (١٩٢٢م).

٧٤- ليون كيتاني

في إيطاليا، حيث اشتد تخصص الجيل الذي أعقب اجنازيو جويدي Ignazio Guidi مسايرة للعصر إلى حد أنه في نهايـة القـرن (التاسـع عشـر) تـألّف الاستشراق (الدراسات الشرقية) من عدد كبير من الفروع العلميـة الخاصـة[2]. وجد تاريخ الإسلام في بداية هذا القرن (يقصد العشرين) فـي ليـون كيتـاني[3] Leone Caetani (فيما بعد أمير تيانو، ومنـذ سـنة ١٩١٧م دوق سـرمونيتا

---

(١) شُوّهت هذه الطبعة بتدخل الرقابة العثمانية انظر: NALLINO, Rendiconti della R. Accąd dei Lincei, S. 6, Vol. 7, 1931, 308 Anm. 3.

(٢) يتضمن المجلد الخامس من RSO (١٩١٨- ١٩٢٧م) قائمة الدراسـات الشـرقية فـي إيطاليا من ١٨٦١ إلى ١٩١١م.

(٣) نعى من نللينو، في: NALLINO, Oriente Moderno 16, 48 – 52; فـي: M. Guidi و م. جويدي 52 -48 ,16 وسـنوك هوجرونيـه M.Guidi, Rendiconti della R. Acc. dei Lincei VI, XII, 99 – 104; Snouck Hurgronje, Jaar der K. Akademie van Wetenschappen 1935 – 1936.

١٨٦٩- ١٩٣٥م) باحثاً فذاً. فقد وضع في وقت مبكر، متأثراً بالنموذج الذي قدمه موارتوري Muratori في حوليات إيطاليا Annali dell' Italia بمنهجها النقدي للمصادر، خطةً لحوليات الإسلام Annali dell' Islam التي ينبغي أن تتضمن المواد الموجودة في المصادر المطبوعة والمخطوطة حول تاريخ الشعوب الإسلامية حتى فتح مصر على يد / سليم الأول سنة ١٥١٧م في ترجمة إيطالية. [٢٩٨] وبدأ كيتاني، مستعداً لذلك بدراسات لدى اجنازيو جويدي ورحلات متكررة في بلدان الشرق المختلفة، بجمع المادة ومعالجتها، وفرَّق في ذلك بوصفه وضعياً وعقلانياً بشدة بين المواد الموضوعة أمام الباحث، والتحليل الذي يوضحها حتى يعدها لمستخدمها، وأخيراً التركيب الذي يؤلف بينها في عرض جامع. ولذا سرعان ما تبين أن المجلدات التسع المعدة بقصد هذا العمل لا تكفي لاستيعاب كم المادة الغزير الذي جمعه كيتاني ومساعدوه(*)، وبخاصة أنه قد بحث في مقدمة مستفيضة واستدراكات كثيرة مسائل متفرقة مهمة بنقد شديد، وليس نادراً في حدة مفرطة، وقد عالج هذه المشكلات مرة أخرى في كتاب: دراسات في التاريخ الشرقي Studi die storia orientale (المجلد الأول ١٩١١م والثالث ١٩١٤م). وقد سعى مثلاً إلى إرجاع تجوال الشعوب العربية إلى الجفاف (تصحر/ جدب) inaridimento الناتج عن التغير المناخي، وقد رُفضَت هذه الفرضية بوجه عام بعد نقاش محتدم. وفي عرضه لتأثير محمدٍ أيضاً في الجزء الثالث من

(*) استعان بثلاثة من المستشرقين: م. جويدي، وج ليفي دلافيا، وج. جبرييلي، كما ترجموا له بعض المصادر العربية التي لحتاج إليها في تأليفه. وقد انحصرت مهمة هؤلاء الثلاثة في ترجمة هذه النصوص وحدها، وليس لهم في تحرير الكتاب أي دور، بل إنه هو وحده الذي قام بنقد المصادر التاريخية وتصور الأحداث وتحقيق الوثائق وتحرير الكتاب من أوله إلى آخره. ولقد تناولت تلك المجلدات مدة أربعين سنة هجرية فقط، أي منذ هجرة النبي حتى نهاية خلافة علي بن أبي طالب (٦٦١م). وقد رتبها بحسب السنوات على طريقة الكتب العربية الكبرى في التاريخ كتاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير وغيرهما، راجع التفصيلات في موسوعة المستشرقين، د. بدوي صـ ٤٩٣، ٤٩٤.

كتاب دراسات في التاريخ الشرقي أولى كيتاني العوامل الاقتصـادية والسياسـية اهتماماً خاصاً(*).

وقد ظهر من حوليات الإسلام مع مرور السنين أحد عشر جزءاً ضخماً (الأول والثاني ١، ٢، والثالث إلى العاشر من سنة ١٩٠٥- ١٩٢٧م)، تشـتمل علـى عصر محمد والخلفاء الراشدين الأربعة، وإلى جانب ذلك ظهر لكيتاني منذ سـنة ١٩١٢م «التاريخ الإسلامي» Chronographie islamica الـذي ينبغـي أن يسجل باختصار الأحداث الأهم حتى سنة ٩٩٢ هـــ/ ١٥١٧م دون نقـول مـن المصادر، ولكن مع إشارات وافية إليها. وحين بلغ العرض مع الكراسة الخامسة سنة ١٩٢٢م سقوط الدولة العربية سنة ١٣٢ هـ استكمل كيتاني المشروع فـي عمل ثالث (كراسة واحدة): تاريخ عام لحوض البحر المتوسط والشرق الإسلامي

(*) يذكر د. بدوي في تقويمه لنهج كيتاني عبارات دقيقة للغاية أراها تستوجب التنويه إليهـا هنا، يقول: ينزع كيتاني في كتابته للسيرة النبوية، وتاريخ الخلفاء الراشدين الأربعة نزعة نقدية مفرطة، تتسم بالشك المبالغ فيه أحياناً في قبول وثائق التاريخ الإسلامي، وباعتبار العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأحوال الجغرافية مع إهمال الجانب الـديني تماماً؛ وعلى هذا الأساس فسر رسالة النبي محمد والفتوح الإسلامية السريعة العظيمة في دولتي الفرس والروم، ولم يحسب أي حساب لتأثير الإيمان بالدين الجديـد فـي نفـوس العرب الفاتحين ولا في تفسير نفوذه أولاً في الجزيرة العربية نفسها. كما أنه أخذ بنظرية هوجر فنكلر Winckler القائلة بأنه حدث تصحر وجدب تدريجي في الجزيرة العربية في العصر التاريخي، وأن ذلك الجدب هو السبب العميق في نظره – في قيـام النبـي محمـد برسالته، وفي قوة انتشار الإسلام في الدول المجاورة ...

والروح النقدية التي سادت نظرة كيتاني إلى السيرة النبوية وأولية الإسلام لم تصدر عـن تحامل على الإسلام كما هي الحال عند كثير من المستشرقين، بل عن نزعة وضعية فـي معالجة أحداث التاريخ على النحو الذي صار شائعاً عند المؤرخين ذوي النزعـة العلميـة الوضعية في النصف الثاني من القرن التاسع عشـر وبدايـة هـذا القـرن، موسـوعة المستشرقين صـ ٤٩٦.

من سنة ٦٢٢ إلى ١٥١٧ ميلادية، (أي من بداية التقويم الإسلامي حتى سقوط مصر تحت سلطان الأتراك العثمانيين).

Cronografia generale del bacino mediterranes e dell' oriente musulmano dal 612- 1517.

غير أنه لم يصدر منه إلا كراسة واحدة، تشمل السنوات من ١٣٣-١٤٤هـ.

وبدأ كيتاني بالاشتراك مع جوزيه جابريللي[١] معجم الأعلام العربية Onomasticon Arabicum، وظهر من هذا العمل / مجلدان سنة ١٩١٥م [٢٩٩] يتضمنان أساساً بخلاف فهرس المصادر، ومقدمة مفصلة، الذين يحملون اسم عبد الله (حرف ^{c}A).

وقد أدرك كيتاني الذي قَصَدَ خططاً أخرى كثيرة، وأدى أيضاً دوراً في حياة روما الاجتماعية والسياسية، في وقت مبكر أن إتمام كتاب حوليات الإسلام والمشروعات المرتبطة به ربما لا تكفيه حياة إنسان، ومن ثم فقد أنشأ سنة ١٩٢٤م في أكاديمية (لنشاي) مؤسسة مانحة[*] أوصى لها بكتبه ومخطوطاته ومصوراته، وكل ما جمعه لمؤلفاته، فأوجد بذلك في روما أماكن فريدة لتشجيع الدراسات الإسلامية المحببة جداً إلى قلبه.

٧٥- كارلو الفونسوَ نَللينو

على النقيض من المؤرخ كان كارلو الفونسوَ نَللينو[٢] Carlo Alfonso

---

(١) كان منذ سنة ١٩٠٣ أمين مكتبة أكاديمية دي لينشي dei Lincei وألف ضمن ما ألف بيليوجرافيا مفيدة بأعلام المسلمين Manuale di Bibliographia musulmana I 1916. انظر: نعي روسي E. Rossi له في: Oriente Moderno 22, 256 f.

(*) سميت مؤسسة كيتاني للدراسات الإسلامية.

(٢) نعى من م. جويدي في: M. Guidi, RSO 18. (مع قائمة مؤلفاته). وج. ليفي ديلافيد=

Nallino (١٨٧٢- ١٩٣٨م) فقيهاً لغوياً. وقد حَدَت الرغبةُ في وصف بلدان أجنبية بالصبي الفَطِن والناضج مبكراً لتعلم اللغة العربية تعلماً ذاتياً، كما كان محباً للجغرافيا طيلة حياته. ولذا درس في تورين Turin (تورينو) إلى جانب الاستشراق[1] الدراسات الجغرافية أيضا لدى جويد وكورا Guido Cora الذي قبل سنة ١٨٩٠م نشر عمل لتلميذه الموهوب عن «قياس الجغرافيين العرب لخطوط الزوال».

Il valore metrico del grado di meridiano secondo i geografi arabi في مجلته: الكون .Cosmos XI (1892- 1893).

وقد أثبت إلى جانب ذلك من خلال اختيارٍ هادف للنصوص والشروح الموجزة ومعجمه المفيد في كتابه: «مختارات من القرآن العربي» Chrestomathia Qorani Arabico ١٨٩٣م، أنه على دراية بنتائج البحث التاريخي - النقدي للقرآن أيضاً، وبعد أن أجتاز سنة ١٨٩٣م امتحان تخرجه، مكنته منحة دراسية من وزارة التربية والتعليم من الذهاب إلى القاهرة لمدة ستة أشهر، حيث تأقلم بدرجة كبيرة مع اللغة العربية إلى حد أنه أجادها أخيراً كتابةً ونطقاً، كما يتجلى بحثه للهجة أيضاً بحثاً جذرياً في الكتيب المتميز من الناحيتين العملية والنظرية على حد سواء: / L' arabo parlato nell' Egitto «العربية المنطوقة في مصر»، (١٩٠٠م، ط. ثانية ١٩١٣م). وبعد عودته من مصر نصحه مدير مرصد ميلانو الملكي (جيوفاني اسكيابارللي[2] Giovanni Schiaparelli)، وأخوه [٣٠٠]

= G. Levi Della Vida, OM 18, 459- 482. (مع القائمة ذاتها). وا. ليتمان في مجلة: E. Littmann, ZDMG 92, 633- 652.

(١) كان أستاذه ممثل فقه اللغة الهندوآري ايتالو. بيتسي Italo Pizzi (١٨٤٩- ١٩٢٠م) الذي أهداه كتابه مختارات قرآنية Chrestomathia Qorani، انظر النعي في مجلة: RRO 9, 232- 234. والموسوعة الإيطالية ٢٧، ٤٦٦.

(٢) نعي في: G SAI 23, 349 f.

المستشرق البارع تشلستينو اسكيابارللي Celestino Schiaparelli بنشر كتاب البتاني الفلكي الضخم «زيج البتّاني»، الذي أثّر في تطور علم الفلك والمثلثات الكروية في أوربا تأثيراً عميقاً. وقدم نَللينو الذي عمل منذ سنة ١٨٩٤م محاضراً (أستاذاً من ١٨٩٩- ١٩٠١م) للغة العربية في معهد الاستشراق في نابولي، سنة ١٨٩٩م النص وفق مخطوط الاسكوريال، وفي سنة ١٩٠٢م استُدعي للعمل في جامعة باليرمو، فأتبع سنة ١٩٠٣م التحقيق بالترجمة اللاتينية للجزء النظري مع شروح موضوعية مفصلة، وقد شكلت ترجمة الجداول والمعجم القيم والفهارس الخاتمةَ سنة ١٩٠٧م وكان هذا الإنجاز المهم موضوعياً ولغوياً على السواء أساس شهرة نللينو العالمية. وقد دعته جامعة القاهرة في ١٩٠٩/ ١٩١٠م لإلقاء محاضرات في تاريخ الفلك عند العرب باللغة العربية، وقد طبعت بعد ذلك بعنوان: علم الفلك (تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، وطُبع في روما سنة ١٩١١م). وفي سنة ١٩١٢م كلفته الحكومة بتأسيس مكتب للترجمة في طرابلس؛ وفي سنة ١٩١٣م عهدت إليه إعادة تنظيم معهد الشرق في نابولي. واستدعى سنة ١٩١٥م إلى روما لشغل كرسي الأستاذية المُنْشأ حديثاً لتاريخ الإسلام ونظمه، فشغله حتى وفاته. وحين أُسّس معهد - «الشرق سنة» ١٩٢١م، صار مديراً له، وأصدر بهذا الخصوص المجلة الشهرية"الشرق الحديث" Oriente Moderno التي سرعان ما اكتسبت شهرة كبيرة نتيجة لتقديمها تقارير مفصلة وموثوق بها حول بلدان الشرق الإسلامي. وبرغم هذه الأعباء الثقيلة جراء التزاماته الوظيفية الشديدة التباين - إذ كان منذ سنة ١٩٣٢م عضواً في الأكاديمية الإيطالية، وحرر مقالات لجنة علوم الأخلاق Classe di scienze morali، وكان أيضاً رئيس تحرير متخصص في المقالات الشرقية في دائرة المعارف الإيطالية - فقد وجد الوقت لنشاط أدبي واسع، وليس من النادر أن يعطيه مصطلح عربي ما الحافزَ لدراسة عميقة، تكشف، انطلاقاً من استعمال الكلمة، عن سياقات تاريخية فكرية كبرى، أو أنه ربط بالتفسير الدقيق (مثلما في

تانية ابن الفارض) إيضاحات أساسية حول / المؤلف وعمله، وقد نتج عن خلافه [٣٠١] حول أعمال رجل القانون كاروسي Carusi سلسلة كاملة من الإسهامات المهمة في تاريخ القانون الشرقي. وقد تحمل العبء الرئيسي في تحرير كتاب تشـنتاريو أماري Centenario Amari الذي ظهر سنة ١٩١٠م، فقد عُني أيضاً بطبعة جديدة لكتاب أماري: «تاريخ المسلمين في صقلية(*) Storia dei Musulmani di Sicilia.

ومن بين المستشرقي الإيطاليين الآخرين برز أوجنيو جريفيني(١)(*) Eugenio Griffini (١٨٧٨- ١٩٢٥م) الذي مات مبكراً، وهو عالم ذو

(*) جعل نللينو منه أثرا خالداً من آثار البحوث التاريخية العميقة الدقيقة من خلال تعليقات طويلة أضاف فيها خلاصة نتائج البحث في السنوات التي تلت آخر طبعة للكتاب حتى هذه الطبعة الجديدة، وهذه طريقته دائماً فقد استحدث في كتابه تاريخه للأدب العربي منهجاً جديداً لدراسته، وكذلك في كتابه «تاريخ القرآن» حيث جمع فيه أشهر السور القرآنية ورتبها ترتيباً تاريخياً على حسب النتائج التي انتهى إليه نلدكه عن تاريخ القرآن، وأضاف إليها تعليقات ومعجماً بأهم ما فيها من ألفاظ قارنها بمقابلاتها في اللغات السامية الأخرى، ويقول د. بدوي عنه «ومكانة نللينو من بين المستشرقين جميعاً مكانة ممتازة لا يساويه فيها غير جولد تسيهر ونلدكه، وهو يمتاز عن جولد تسيهر بدقته العلمية وسعة اطلاعه على مختلف المسائل الإسلامية والعربية وتعدد مناحي نشاطه؛ كما يمتاز بمنهجه التحليلي الاستقرائي الذي يحول بينه وبين الالتجاء إلى افتراض الفروض الواسعة الجرئية، التي إن دلت على نفوذ البصيرة وعمق الوجدان، فإن فيها الكثير من الخطر. ويمتاز أيضاً ببحوثه التحليلية الدقيقة، فهو لا يلجأ إلى البحوث التركيبية الشاملة إلا إذا حمل عليها قسراً، ولهذا فإن نتائج أبحاثه نتائج حاسمة في معظم الأحيان، إن لم يكن فيها كلها، وهو في استقامته في الحكم لا يكاد يجاريه أي مستشرق آخر على وجه الإطلاق. (موسوعة المستشرقي ص ٥٨٧).

(١) نعى من ليفي دللا فيدا Levi Della Vida, RSO 10, 776- 736.

(*) سبق أن أشرنا إلى أنه نشر ديوان الأخطل عن مخطوط قديم ظفر به في اليمن (بيروت ١٩٠٧)، وأعمال أخرى بين تحقيق ووصف وفهرسة للمخطوطات، وبحوث وتعليقات.

اهتمامات متنوعة،نشر ضمن ما نشر «مجموع الفقه» عن زيد بن علي [وهو أول اكتشاف لأول تدوين للفقه الإسلامي، بمقدمة تاريخية وشرح وتعليق، ميلانو ١٩١٩].

٧٦- ف. ف. بَرتولد

لقد عُدَّ تلاميذ فيكتور روزن أهم المستشرقين الروس، وبرز من بينهم فازيلي فلاديميروفتش برتولد Vasilij Vladimirovič Barthold (١٨٦٩- ١٩٣٠م) الذي استحق كبير أفضال على بحوثه حول آسيا الصغرى خاصة[1]. فقد أحدثت رسالته للدكتوراه حول تركستان في عصر الغزو المغولي التي تميزت بإحاطة واسعة بالمصادر ومنهج ثابت وحكم صائب أثراً عظيماً. وظهرت سنة ١٩٢٨م طبعة ثانية، راجعها وأكملها برتولد، بترجمة قام بها هـ. ا. ر. جب H. AR. Gibb (GMNS V). وفي بحوثه اعتنى أيضاً بالجغرافيين والمؤرخين العرب وأوضح بمساعدتهم بضع مشكلات في الجغرافيا التاريخية لآسيا الوسطى. وإلى جانب ذلك فقد استخدم باستمرار في عناية مصادر غير أدبية وبخاصة العملات. وفي سنة ١٨٩٩ ترجم كتاب ستانلي لين بول Stanley Lane – Poole: «الأسر الإسلامية الحاكمية» The Mohammadan Dynasties (لندن ١٨٩٤م) إلى اللغة الروسية مع تصويبات وإضافات كثيرة إلى حد أن تهذيبه يمكن أن يستحق قيمة مستقلة، وأن يزعم الريادة حتى ظهور كتاب ادوارد فون زامبور: الأنساب والتأريخ لتاريخ الإسلام Manuel de généalogie et de Chronologie pour L' histoire de l' Islam (1927).

وقد أقر برتولد، الذي أصدر منذ وفاة روزن (١٩٠٨م) المجلة التذكارية (Zapiski) للقسم الشرق في جمعية الآثار الروسية بالأهمية الكبيرة / للدراسات [٣٠٢]

---

(١) نعي من م. دوستويفسكي M. Dostojevskij: Wi 12, 89- 136. وفاسمير R. Vasmer: مجلة النميات: ٤٠، ٣٤٦- ٣٥٠.

الإسلامية، ومن ثم تولى سنة ١٩١٢م إصدار المجلة المنشأة حديثاً Mir Islama التي اختفت للأسف في عامها الثاني. ويضم الجزء الأول فيما يضم مقالة برتولد عن الخليفة والسلطان، التي أثرت مدة طويلة في البحوث حول قانون الدولة الإسلامي[١]. وعالج في العام نفسه (في مجلة: Christianskij Vostok VI, 203- 234) السؤال الذي بُحث كثيراً عن علاقات كارل الأكبر (شارلمان) بهارون الرشيد، ووقف مستنداً إلى أسباب جيدة ضد الفرض القائل بأن هذين الأميرين قد تبادلا الرُسُل (السفارات). وقدم فيما بعد أيضاً بعض عروض سهلة الفهم في كتبه[٢] عن الإسلام (١٩١٩م)، وحضارته (١٩١٨م)، وعالمه (١٩٢٢م).

لقد تمتع برتولد، الذي أمضى بعد الانتهاء من دراسة فصلين دراسيين لدى أ. مولر A. Müller في هاله، ولدى ت. نولدكه Th. Nöldeke في ستراسبورج وأقام علاقات طيبة بالباحثين الأجانب، بسمعة عالمية كبيرة منذ حصوله على الدكتوراه، فقد كان مشاركاً في دائرة المعارف الإسلامية، ونشر فيها عدداً كبيراً من المقالات، وبخاصة حول جغرافيا آسيا الوسطى وتاريخها والشعوب التركية، وقدم في أخبار معهد برلين من ١٨٩٨ إلى ١٩٠٣م تقارير عن ظواهر روسية جديدة في مجالات البحث الخاصة بآسيا الوسطى وآسيا الأقصى. وقد تُرجم عدد من أعماله إلى الألمانية. وفي سنة ١٩٢٥م دعته الحكومة التركية أستاذاً زائراً لإلقاء محاضرات في جامعة استانبول فقدم في اثنتي عشرة محاضرة حول تاريخ أتراك آسيا الوسطى، ظهرت في بادئ الأمر بالتركية، وفيما بعد بالألمانية أيضاً، نظرةً إجمالية ثرية حول المحصلة العلمية لعمله طيلة حياته.

---

(١) قدم ك. هـ. بيكر طبعة ألمانية موجزة في مجلة: Der Islam VI 350- 412.

(٢) انظر معلومات عن المضمون لدى ف. إبرمان W. Ebermann في مجلة: Islamica III 229, 237 und IV 135 ff.

٧٧- إجناتي كراتشكوفسكي

كان أهم مستشرق برز من مدرسة روزن Rosen هو إجناتي يوليا نوفيتش كراتشكوفسكي[١] Ignatij Julianovic Krackovskij (١٨٨٣- ١٩٥١) - / وكان قد بدأ في المدرسة، بمساعدة كتاب دي ساسي في النحو، تعلم اللغة [٣٠٣] العربية. وفي الجامعة درس لدى روزن العربية، ولدى برتولد التاريخ الإسلامي، واستمع إلى جانب ذلك إلى عالم الدراسات التركية ب. م.ميلورانسكي P.M. Melioranskij (١٨٦٨- ١٩٠٦م) وعالم الدراسات الإيرانية ف. أز تسكوفسكي V. A. Žukovskij (المتوفى ١٩١٨م) وعالم الدراسات العبرية كوكوفكوف Kokovcov وغيرهم، وأدخله روزن عالم الشعر العربي، فقدَّم في رسالته للماجستير تحقيقاً لديوان أبي الفرج الوأواء، وهو شاعر من حلقة سيف الدولة الحمداني، مع ترجمة روسية ومقدمة أدبية تاريخية مفصلة[٢]، تابع فيها منهج مؤرخ الأدب أ. ن. فسلوفسكي A. N. Vesselovskij ، وألحق بهذا العمل المثمر في فهم فن الشعر العباسي، فيما بعد دراسات حول فن الشعر العربي والبلاغة ونقد الأسلوب، تُوِّجَت بتحقيق كتاب «البديع» لابن المعتز (GMNS X 1933) الذي يعد نموذجاً يحتذى، وقد عرض كراتشكوفسكي في مقدمته مسار بحوثه الخاصة في هذا المجال. ومن بين الشعراء العباسيين كانت أعمال المفكر البصير «أبو العلاء المعري» بوجه خاص قد جذبت كراتشكوفسكي باستمرار جذباً قوياً.

وقد تعرف كراتشكوفسكي الشرقَ من خلال مشاهدة ذاتية في رحلة سنة ١٩٠٨- ١٩٠٩م قام بها إلى الشام ومصر، هنا ألمَّ باللغة العربية المتحدثة

---

(١) انظر هـ. هـ. جيسكه H. H. Giesecke, ZDMG 105, 6 – 17 والمراجع المقدمة هناك.

(٢) انظر مادة كراتشكوفسكي الوأواء في دائرة المعارف: EI, Erg. – Bd. 277.

وقضى شتاءين في كلية القديس يوسف الكاثوليكية في بيروت، حيث أقام علاقات حميمة مع كل من لويس شيخو، وانطوان صالحاني وأعضاء آخرين في الإرسالية اليسوعية، بل إنه قد احتك على وجه الخصوص ببعض الكتاب العرب، مثل أمين الرَّيحاني، وجرجي زيدان[1]، ومحمد كرد علي، وأحمد تيمور باشا وغيرهم، وأدرك الأهمية العلمية للأدب العربي الحديث، وأسهم من ذلك الوقت، بمقالات كثيرة وترجمات عدة في بحثه. وتناول في أحد أعماله الأولى الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث، وتُرْجِم مع مقدمة وإضافات كثيرة لكراتشكوفسكي سنة ١٩٣٠م إلى اللغة الألمانية وقد كتب لمختارات ك. ف أود فاسيليفا K. V. Ode Vasiljeva التي تضم مختارات من الأدب العربي الحديث من سنة ١٨٨٠- ١٩٢٥م، ومعجماً عربياً - روسياً، / وظهرت من ١٩٢٨- ١٩٢٩م في نشريات [٢٠٤] معهد لينجراد للاستشراق، كتب مقدمة ترجمت أيضاً إلى اللغة الألمانية، وقدم فيما بعد نظرة إجمالية رائعة حول الأدب العربي الحديث وأجناسه مع قائمة مراجع ثرية في دائرة المعارف الإسلامية (Egr. – Bd.27- 35). وعمل أخيراً مع ت. ك. بارانوف[*] Ch. K. Baranov في معجمٍ للغة الأدب العربي الحديث.

وقد بحث كراتشكوفسكي في رحلته إلى الشرق بحماس في مكتبات بيروت والقاهرة والاسكندرية مخطوطات عربية، وفي سنة ١٩١٤م قام من أجل دراسات في المخطوطات برحلة إلى هاله وليبزج وليدن. ونَظَّم بعد وفاة عالم الدراسات الإيرانية كارل سلمان Karl Salemann (١٨٣٠- ١٩١٦م) المخطوطات

---

(١) يرجع المقال حول زيدان في دائرة المعارف الإسلامية: EI IV 1294 إلى كراتشكوفسكي.

(*) اشتهر بالعمل المعجمي، إذ صنف القاموس العربي الروسي معتمداً على النصوص الحديثة من سنة ١٨٨٠- ١٩٤٠م، وقد مضى في تصنيفه ٢٠ سنة، ولم يصدر في الغرب من طرازه سوى المعجم العربي الألماني لهانز فير، وله أيضاً القاموس الروسي العربي للمصطلحات السياسية والاقتصادية والفلسفية، وكتاب في تعليم العربية، ومقدمة لكتاب تمارين عربية وغير ذلك.

الشرقية التي حصل عليها المتحف الآسيوي حديثاً. وصار فيما بعد مديراً للقسم الإسلامي، وكان قد أدخل منذ زمن بعيد الأدب المسيحي - العربي أيضاً إلى مجال دراساته، ولذا وصف على سبيل المثال سنة ١٩٢٤م المخطوطات العربية في مجموعة بطريرك إنطاكية جريجور الرابع. وتَعَهَّد بتركة أستاذه فيكتور روزن فأكمل كما ذُكِر من قبل. تحقيق جرجَس لكتاب الدِّينَوَري «حياة الحيوان الكبرى»، حيث استكمل سنة ١٩١٢م الفهارس التي أعدها روزن، وجَمَع جهاز البدائل وكتب المقدمة.

وقد كمنت قوة كراتشكوفسكي في الدراسة العلمية، وتتجلى موهبته الفريدة في الكشف عن مضمون المخطوط ومعرفة ما هو مميز وما هو عام في الحال المفردة، في إسهاماته الكثيرة أيضاً في تاريخ العلماء الذي اختُتِم في عروض مختصرة حول تاريخ الدراسات العربية في روسيا.

وفي سنة ١٩٤٥م نشر كراتشكوفسكي ذكرياته مع الكتب والناس، وحقق بذلك نجاحاً منقطع النظير (ط. ثانية ١٩٤٨م، والترجمة الألمانية ١٩٤٩م، والترجمة البولندية ١٩٥٢م، والإنجليزية ١٩٥٣م، والفرنسية ١٩٥٤م). وفيها جعل القارئ يشترك في عمل المستشرق، وعرف بطريقته المتواضعة كيف يُقَرِّب غير الخبير أيضاً من جوهر الدراسات العربية، ويوضح له أهميتها بالنسبة لتاريخ الحضارة، ويبين له أن مهام هذا التخصص لا يمكن أن تؤدي إلا بتعاون دارسي العربية من كل البلدان.

/ ونشر تلميذ آخر لـ ف. روزن، وهو الكسندر ادواردوفيش شميت [٣٠٥] Alexander Eduardovič Schmidt (١٨٧١-١٩٣٩م) سنة ١٩١٤م رسالة عبد الوهاب الشعراني مع ترجمة روسية، ومقدمة مسهبة عن حياة المؤلف وعمله ومذهبه.

وفي السنة نفسها حقق د. ك. بتروف D. K. Petrov طوق الحمامة لابن

حزم وفق مخطوط ليدن الوحيد، ولقد وُجّه بتروف الذي شغل كرسي الأستاذية في الدراسات الرومانية في جامعة بطرسبورج، من خلال دراساته الأندلسية إلى دائرة أكبر للقضية، تشمل علاقة الشعر العربي في إسبانية الإسلامية بشعر البلاط في العصر الوسيط المسيحي، وكان قد تعلم العربية في السنوات التي سبقت ذلك لدى فيكتور روزن (وقد درس كراتشكوفسكي كذلك للسبب نفسه الإسبانية لدى بتروف). وقد أثّر نشره لأشهر كتاب عربي في الحب تأثيراً محفزاً في البحث. فقد ترجمه أ. ر. نيكل A. R. Nykl إلى الإنجليزية سنة ١٩٣١م وترجمه م. أ. ساليه M. A. Salje سنة ١٩٣٣م إلى الروسية، وماكس فايسفايلر Max Weisweiler سنة ١٩٤١م إلى الألمانية.

وعمل عالم الدراسات البيزنطية الكسندر الكسندروفيتش فاسيلييف Alexander Alexandrvič Vasiljev (المولود سنة ١٨٦٧م) في منطقة حدودية أخرى في كتابه حول«بيزنطية والعرب» (١٩٠٠)، حيث اتخذ عند اختيار المصادر العربية كتاب ف. ف. تيزنهاوزن W. V. Tiesenhausen حول الثُّلَّة الذهبية نموذجاً له. وعني هنري جريجواز Hernri Grégoire ومريوس كنراد Maruis Canrad بإعداد تهذيب جديد له في مجموعة بروكسل (الجزء الثاني) سنة ١٩٣٥م وما يليها).

٧٨- الدراسات العربية في البلدان الشمالية (الاسكندنافية) من سنة ١٨٩٠ إلى ١٩١٤م

حين استدعى سنة ١٨٩٧م فرانتس بول[1] Frants Buhl (١٨٥٠-١٩٣٢م) خلفاً لميهرن Mehren على كرسي الدراسات السامية في جامعة

(١) نعي من يوهانس بدرسن John. Pedersen في تقارير مجلس الأكاديمية الدنمراكية للعلوم ١٩٣٣م، حيث أشير إلى قائمة مؤلفات بول في الدراسات اللاهوتية: Tidsskrift 1930 und 1933.

كوبنهاجن، كان قد خلَّف وراءه مسيرة مشرفة بوصفه عالماً للعهد القديم في كليات اللاهوت بكوبنهاجن (من ١٨٧٨- ١٨٩٠م) وليبزج (من ١٨٩٠- ١٨٩٧م خلفاً لفرانتس دليتسش Franz Delitzsch)، وبرز بكتب مثل: «النص وقانون العهد القديم» Text und Kanon des Alten Testaments، وتهذيب جديد لمعجم جزنيوس (ط، ١٤ ١٨٩٥م). وكان قد دَرَس العربية / لدى ميهرن [٣٠٦] Mehren، وفلايشر Fleischer، وقدّم في رسالته للدكتوراة دراسات في النحو العربي وتاريخ اللغة Sporlige og historiske Bidrag til den arabische Grammatik معتمداً على ابن الحاجب. ثم اتجه فيما بعد إلى تاريخ فجر الإسلام، فقدَّم في كتابه: حياة محمد Muhammads liv (١٩٠٣م) بحصافة وتدبر وموهبة نقدية وتشكك تجاه كل الآراء المتطرفة (كما تتجلى في كتابات لامنس ومرجليوث وجريم وكيتاني) وإعادة تهذيب ألمانية له: Das Leben Muhammads (١٩٣٠)[١] سيرة ذاتية للنبي يتميز باستخدام دقيق للمراجع، ومعرفة جيدة بالمصادر ونقد حذر. وفي الواقع يجب أن تخفق محاولته القائمة على افتراضات خاطئة لاشتقاق الإسلام من الناحيتين التاريخية - الجينية من الأديان الأقدم السماوية (الموحى بها)[٢]، غير أن وفرة المادة المؤكدة من الناحية النقدية والعرض الواضح للوقائع الخارجية أكسبا عمله قيمة عالمية ما تزال إلى يومنا هذا.

ومن تلاميذ ميهرن، يوهانس أوستروب أيضاً Johannes Ostrup (١٨٦٧- ١٩٣٨م)، الذي بذل في دراساته: «دراسات حول ألف ليلة وليلة»[*] ١٨٩١م (ترجمها او. ريشر O. Rescher سنة ١٩٢٥م) جهداً في تحليل مصادر

---

(١) عُنِيَ بالترجمة هـ. هـ. شيدر H. H. Schaeder.

(٢) ومن أفضل ما يعلم عن رأيه مقالتاه عن «محمد»، و«القرآن» في دائرة المعارف الإسلامية.

(*) هذه رسالته للدكتوراه، وقد ردها فيها إلى أصولها، فلم ينازعه فيها منازع حتى اليوم.

هذا العمل، وقدم في كتابه: «حكايات من دمشــق» Contes de Damas ســنة ١٨٩٧م، إلى جانب النص والترجمة دراسة نحوية مختصرة للهجة أيضاً.

أما المجال الذي للعلماء الدنمراكيين أفضال كبيرة فيه فكان تاريخ الرياضيات والفلك؛ فقد حقــق أو. ر. بســتهورن O. R. Besthorn (١٨٤٧- ١٩١٢م)، الذي حصل على الدكتوراة سنة ١٨٨٩م لدى ميرن بتحقيقه مراسلات ابن زيدون إلى ابن جَهْوَر، منذ سنة ١٨٩٣م الترجمة العربية للكتب الستة الأولــى لكتــاب إقليدس (أصول الهندسة)[1] [بمعاونة هايبرج J. L. Heiberg]. وألحــق بهــا ترجمة لاتينية، أعانه فيها معاونة شديدة عالم الدراسات اليونانيــة فــي جامعــة كوبنهاجن يوهان لودفج هايبرج (١٨٥٤- ١٩٢٨م) أحد العــارفين الممتــازين / بالرياضيات القديمة. هذا إلى جانب ما أضافه هايبرج من ملحوظــات لإيضــاح [٣٠٧] الموضوع[2]. وعلى الرغم من وجود كراس للغات السامية من لوند وأوبسالا، فلم تلق الدراسات العربية العناية الأشد إلا في النصف الثاني من القرن الماضي على يد هرمان ألمكفيست Hermann Almkvist (المتوفى سنة ١٩٠٤م)، وعــالم غير عامل كارلو لاندبرج Carlo Landberg (صار فيما بعد أحد نبلاء لاندبرج – هالبرجر من ١٨٤٨- ١٩٢٤م) وقضى ألمكفيست، الذي كان قــد درس لــدى فلايشر أيضاً، سنتين في الشام ومصر والنوبة والسودان، وأولى اهتماماً خاصــاً

---

(١) Codex Leidensis 399, I. Euclides Elementa .. arabice et latine ediderunt R. O. Besthorn et J. L. Heiberg. I III. I, Hauniae 1893 bis 1910. وظهر المجلد الختامي III, 2 سنة ١٩٣٢م بعناية ج. يونجه G. Junge، وي. ريدر J. Raeder وف. طومسون W. Thomson. ويضم بعض إضافات مــن مــاكس كراوسه Max Krause (١٩٠٩- ١٩٤٤)، انظر نعي من أ. ديتــريش A. Dietrich مجلة: Der Islam 29, 104 ff.

(٢) حول تعاون بستهورن في الترجمة اللاتينية للجداول الفلكية للخوارزمي التي نشرها سوتر Suter، انظر ما سبق ص ٢٨٩ من الأصل.

في ذلك باللهجات الدارجة، وتتميز إسهاماته في علم معاجم العامية (الدارجة)[1]: Kleine Beiträge zur Lexikographie des Vulgärarabischen، الـذي وصفه في تواضع بأنه مقدمة لذيل مستقبلي على معجم دوزي «تكملـة المعـاجم العربية»، بثقة كبيرة، وعلى نحو ما يتحد هنا بحث اللفظ واللغة يعد نموذجياً من الناحية المنهجية. وقد اهتم لاندبرج Landberg أيضاً باللهجات العربيـة فـي المقام الأول، غير أنه يفتقر إلى المران الأساسي والتربية المنهجية، ولم تسـتطع إقامته الطويلة في الشرق بشكل غير عادي من تعويض هذا النقص. لقد خطط في البداية بإيعاز من شبيتا Spitta لمجموعة من خمسة أجزاء من معاجم الأمثـال العربية الدارجة، إلا أنه لم ينجز إلا الجزء الأول (الأمثال والأقوال الشـائعة فـي ولاية الشام، قضـاء صـيدا) Proverbes et dictions de la province de Syrie, section de Sayda (1883) نال به في ليبزج سـنة ١٨٨٣م درجـة الدكتوراة غيابياً، ثم حقق بعد ذلك في كتاب «طُرَف عربية Primeurs arabes» ديوان أبي محجن ١٨٨٦م وديوان زهير ١٨٨٩م، ونشر له في الوقـت نفسـه تحت عنوان «نقد عربي Critica Arabica I» عدد مـن المراجعـات للكتـب، تسببت له في تقريع غليظ من المستشـرق سـنوك هوروجرونيـه[2] Snouck Hurgronje وأتبع ذلك في سنة ١٨٨٨م مجلد نص «الفتح القُسّي فـي الفـتح القُدْسي» لعماد الدين الأصفهاني، ثم اتجه إلى دراسة لهجـات جنـوب الجزيـرة العربية، ونشر سنة ١٩٠١م الجزء الأول من كتاب «دراسات في لهجات جنـوب الجزيرة العربيـة» Études sur les dialects de l' Arabie méridionale

---

(١) ظهر الجزء الأول في: Actes du 8e Congrès international des orientalistes II. I (1893) 259- 469. ، والجزء الثاني نشره تسترستين Zetterstéen فـي: Mo 19 (1925), S. I- 186.

(٢) نقد دراسات د/ ك. لاندبرج (١٨٨٧) = /.Verspr. Geschriften V, 121- 144 انظر حول ذلك أ. ليتمان .E. Littmann, ZDMG, 90, 454 ويشكل استكمال كتـاب: نقـد عربي الأجزاء .Arabica II – V

قصائد / وحكايات بلهجة حضرموت مع ترجمة وشرح ومعجم للمفـردات، أمـا [٣٠٨] المجلد الثاني فقد أورد في ثلاثة أجزاء من ١٩٠٥- ١٩١٣م نصوصـاً بلهجـة دَثِينَة مع ترجمة وشرح، وفي الوقت نفسه طوَّر لاندبرج في مقال قُدِّم في مؤتمر المستشرقين في الجزائرسنة ١٩٠٥م، آراءه حول: «اللغة العربية ولهجاتها» La Langue arabe et ses dialects ثم عاد مرة أخرى إلى دراسة لهجات البـدو في بادية الشام العربية التي كانت قد شغلته سنة ١٨٨٣م، ونشر سـنة ١٩١٩م في الجزء الأول (الوحيد) «لغة بدو عَنِيزة» langue des Bédouins ᶜAnazeh بعض النصوص، التي يصعب بداهةً أن يُستفاد منها لغوياً(١)، إذ إن الرجل الـذي اعتمد عليه (الراوي اللغوي) لم يكن بدوياً، بل كان فلاحاً مسيحياً مـن حـوران. وقد كرّس لاندبرج السنوات الأخيرة من حياته للعمل في «معجم لهجـة دثينـة» Glossaire datinios الذي ظهر منه سنة ١٩٢٠ و١٩٢٣م الجـزءان الأولان، ونشر تسترستين Zetterstéen سنة ١٩٢٤م الجزء الأخير من تركه لانـدبرج، بعد أن كان قد نشر سنة ١٩٤٠م على النحو ذاته «معجم لغة بدو عَنيزة». هـذه المؤلفات أكثر غزارة من المعاجم العادية، فهي تضم اقتراحات اشتقاقية كثيـرة، بداهة وفق منهج «الاشتقاق الأكبر» Grosse Etymologie للغـويين العـرب، على ما قد طبقه أحمد فارس الشدياق الذي أعجب به لاندبرج أيما إعجـاب فـي كتابه: سر الليالي. واستخدم لاندبرج كذلك فرضية جـذور المحاكـاة الصـوتية (محاكاة أصوات الطبيعة) استخداماً واسعاً، واعتقد هو ومواطنه السويدي هـرمن مولر Hermann Möller في قرابة موغلة في القدم للأصل اللغوي بين اللغات السامية واللغات الهندو أوربية، غير أنه إلى جانب ذلك الثقـل، تضـم المعـاجم استطراد كثير حول المفردات والموضوعات وشواهد من الأدب القديم وملحوظات

---

(١) انظر ج. كانتينو J. Cantineau, Études sur quelques dialectes de l' Orient I (دراسات حول بعض لهجات الشرق) حوليات معهد الدراسـات الشـرقية، الجزائـر I ١٩٣٦) ص ٣.

نحوية، بل تضم بوجه خاص كماً وفيراً من المادة المعجمية ليس مــن اللهجــات المتناولة فيها فحسب، بل من لهجات أخرى أيضاً. إن فضل لاندبرج الباقي أنه قد وقف على هذا الكم الوفير من المفردات والتعبير التي تتجلى فيها الحيوية الشديدة المستمرة بإنصاته إلى أناس غير متأثرين باللغة الكلاسيكية وبنائها.

وضمت جامعة أوبسالا عالماً بارزاً في الدراسات السامية، ألا وهــو كــارل فيلهلم تسترستين Karl Vilhelm Zetterstéen (١٨٦٦- ١٩٥٣م)، السالف الذكر. / فقد حصل على الدكتوراة سنة ١٨٨٥ بتحقيقه القصيدة التعليمية النحوية [٣٠٩] (الدرة الألفية) لابن عبد المعطي(*)، وشارك في تحقيق (الطبعات الكبــرى) لابــن سعد الذي ترأسه أستاذه زاخاو E. Sachau، وقدَّم إسهامات مهمة فــي تــاريخ سلاطين المماليك فيما بين عام ٦٩٠ و٧٤١ هجرياً وفــق مخطوطــات عربيــة:

Beiträge zur Geschichte der Mamlukensultane in den Jahren 690- 741 d. H.

وشرع في سن متأخرة في تحقيق كتاب نَشْوَان بن سعيد الحميري «شــمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم»(**) لقد كان متعدد الاهتمامات؛ فقــد حقــق كتاب «دراسات نوبية سنة ١٩١١م (Nubische Studien) من تركة ألمكفيست، ووصف في المجلة التي أسسها: عالم الشرق Le Monde Oriental (جزء ٢٢ و٢٨) المخطوطات العربية والفارسية والتركية في مكتبة الجامعة في أوبســالا، وأسهم في دائرة المعارف الإسلامية بكتابة مــواد كثيــرة، حيــث كتــب فيهــا بموضوعية وحصافة حول الخلفاء والولاة وشخصيات أخرى في التاريخ مهمــة

(*) المقصود هنا رسالة يحي بن عبد المعطي الزواوي في الدرة الألفية فــي علــم العربيــة (ليبزج ١٨٩٥)، وقد حقق ألفية ابن معطٍ أيضاً عن مخطوطات برلين والاسكوريال وليدن (ليبزج ١٩٠٠) أي بعد خمس سنوات من التحقيق الأول.

(**) نشر الجزءين الأول والثاني من القسم الأول (ليدن ١٩٥١- ١٩٥٣م)، وكلــف ديــدرنج بإتمامه.

(قيادية) من الناحية السياسية(*).

ويعد اكسل موبرج Axel Moberg (المولود سنة ١٨٧٢م) من تلامذة تسترستين، وقد نشر بالعربية سيرة السلطان المملوكي الملك الأشرف، ولكنه اتجه فيما بعد إلى الدراسات السريانية.

وفي كريستيانيا (أوسلو) دَرَّس فون الكسندر زايبل Von Alexander Seippel (١٨٥١- ١٩٣٨)، وقد نظم مجموعة Rerum Normannicarum fontes arabici من سنة ١٨٩٦ إلى ١٩٢٨م.

٧٩- أوجست فيشر ومدرسة ليبزج

اعتلى أوجست فيشر[1] August Fischer (١٨٦٥- ١٩٤٩م) الذي استُدعي سنة ١٨٩٩م إلى ليبزج خلفاً لسوسين Socin، كرسيَّ أستاذية فلايشر Fleischer، وهو عالم كان تلميذاً لتوربكه (الذي لم يَحُلْ دون خلافته فلايشرَ سوى وفاته المبكر)، ونشأ في ظل أفضل تقاليد مدرسة ليبزج، واتخذ من فلايشر قدوته العلمية، وبوصفه وضعياً وتحليلياً مثل فلايشر عَدَّ مثلَهُ فقه اللغة العربية الأساسَ الذي لا غنى عنه لكل اشتغال علمي بنصوص عربية(**). وقد مكنًه

(*) وقد نشر أيضاً أجزاء من تاريخ السلاطين المماليك لمؤلف مجهول من سنة ١٢٩١- ١٣٤١م، وتهذيب اللغة للأزهري، وحقق طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للملك الأشرف ابن رسول الغساني. وذيله بفهارس مفصلة، وترجمة أجزاء من القرآن إلى السويدية، هذا بالإضافة إلى عدد كبير من البحوث والترجمات وفهارس المخطوطات.

(١) نعى من فوك في مجلة: ZDMG 100, 1- 18. (مع قائمة مؤلفاته) ومن شاده A. Schaadeo في مجلة: Der Islam, Bd 30/ 31, S. 97- 101. ، انظر أيضاً: م. M. Plessner, Generalregister zuden Schriften A. Fischers. بلستنر Islamica II (1927), 621- 627.

(**) كان يرى – كما كان يرى أستاذه فلايشر – أن دراسة النحو هي لب الفيلولوجيا العربية. ومن هنا شَغلت المسائل النحوية مكاناً واسعاً جداً في أبحاثه ومقالاته.

إحساس يقيني بالإمكانات النحوية للتعبير اللغوي، وإلمامه بالثروة اللغوية العربية واستعمالها بدءاً من أقدم الآثار اللغوية حتى اللهجات الدارجة في الوقت الحاضر، ومعرفته الوطيدة / بالنحاة العرب، مكنته من أن يعيد الحياةَ لما يخفى خلف [٣١٠] الحروف الميتة في نص عربي – مرة أخرى من خلال فن في التفسير لايباريه فيه أحد. وهكذا نَما فيه نتيجة هيبة أمام النص وعيٍ بمسئوليته، جعله يقسو في متطلباته على نفسه ذاتها، ونتيجة لذلك كانت كل أعماله بالغة الدقة، ولا تكشف دراسته حول قيمة الترجمات الموجودة للقرآن والسورة الثالثة (آل عمران)(*)
Wert der vorhanden Koranübersetzungen und Sure III (BVSA W89, 2)

مثالاً لسورة مفردة فحسب، القصورَ الفيلولوجي للصياغات الشائعة، بل تعالج بطريقة نموذجية منهجياً أيضاً القضايا الأساسية في تفسير القرآن، والجلاء ونقيضه المميزين اللذين يخيمان على أوجه الوحي القرآنية، ووسائله اللفظية والأسلوبية والقراءات القرآنية، وأهمية البيئة الوثنية – العربية في فهم محمد ﷺ(**) وغير ذلك. وفي دراسته عن «قرآن أبي العلاء

(*) فسّر لغة هذه السورة بتفصيل وتدقيق، متحفظاً مع ذلك في استعمال القراءات الخاصة بهذه السورة. أما عن العربية الفصحى والإعراب، فقد كان من رأي فيشر أن العربية الفصحى لم تنشأ من لهجة قريش، وإنما هي تقوم على أساس لغة الشعر الجاهلي، وهذه اللغة بدورها لم تكن لغة العرب القدماء بوجه عام، بل لا بد أن تكون قد قامت على لهجة واحدة من لهجاتهم، وفيما يتصل بالإعراب يرى فيشر، مثلما رأى لاندبرج أن سكان مكة والمدينة وأجزاء من المناطق المحيطة بهما كانوا قد تخلوا عن الإعراب في زمان النبي وقبله. ومن رأي فيشر أن ثم أربعة أصناف متميزة للغة العربية هي:

١- لغة الشعر الجاهلي. ٢- لغة القرآن.

٣- لغة النثر الواردة في السير والمغازي. ٤- لغة الحديث النبوي.

(**) كان فيشر يكره الاتجاه الذي ساد عند المستشرقين الباحثين في القرآن وهو إبراز تأثير الاتصال مع اليهود والنصارى، لأنه كان يرى أن النبي قد نشأ في الوثنية العربية، ولهذا فلا بد أن يتأثر في المقام الأول بعاداتها وأعرافها وبلغة شعرائها وأشكالها التي لعبت=

المعري»(*) أدخل فيشر القارئ في التساؤلات الأخيرة عن المغزى والاعتبار في شعر فريد من نوعه. وبالنسبة لحاجات التدريس الأكاديمي جَدَّد كتاب ر. برونو R. Brünnow. مختارات عربية من كتاب النثر Arabische Chrestomathie aus Prosaschiftstellern ، مقدماً بذلك للمبتدئين كتاب مطالعة، أثبت توفيقه بسبب الاختيار الماهر للنصوص، ومعجمه الممتاز بوجه خاص.

لقد استشعر باستمرار الافتقار إلى معجم عربي مستقىً من المصادر منذ نهاية القرن الماضي (يقصد التاسع عشر)، وبدا أن فيشر، بحسب استعداده وطبعه، هو الرجل المناسب لسد هذه الثغرة(**). وكانت مأساة حياته أن اضطر لإلقاء القلم من يده بعد أن كان قد انتهى من المادة الأولى من معجمه(١). إلا أنه

= دوراً كبيراً في الحياة الروحية للعرب الوثنيين (قرآن أبي العلاء المعري ص ٩، ليبزج ١٩٤٢م)، ومن ثم ربط فيشر بين لغة وأسلوب الكهان في الجاهلية العربية وبين لغة القرآن. وأولى أهمية كبيرة للشعر الجاهلي من أجل تفسير القرآن. (موسوعة المستشرقين ص ٤٠٥).

(*) يقصد بذلك تحليله اللغوي الدقيق لمواضع مختارة من كتاب «الفصول والغايات» لأبي العلاء المعري، الذي قيل إن المعري كتبه معارضةً للقرآن ... وانتهى في هذا البحث إلى أن الزعم بأن أبا العلاء أراد بهذا الكتاب أن يعارض القرآن هو زعم باطل.

(**) بدأ أوجست فيشر العمل في هذا المعجم (الذي يختص باللغة العربية القديمة، لغة الشعر منذ البداية حتى نهاية العصر الأموي، ولغة القرآن ولغة الحديث، ولغة أقدم المؤرخين، والمواد المعجمية التي خلفها المستعربون الأقدمون وبخاصة فلايشر وتوربكه، ومعاجم ودراسات دوزي وآلفارت وجولدتسيهر) سنة ١٩١٣ بوضع جذاذات مستخرجة من المجاميع والدواوين الشعرية، ومن كتب الحديث (البخاري) وأجزاء من تاريخ الطبري. وقد بلغ عدد الجذاذات حتى ١٩١٨م حوالي أثنى عشر ألف جذاذة (راجع مقالة فيشر في مجلة ZDMG, Bd. 72, 1918, S. 299 – 202 ومقالة فوك عن أوجست فيشر (١٨٦٥ – ١٩٤٩) في مجلة: ZDMG, Bd. 100, 1950, S. 1-18.

(١) حول مجموعات فيشر للمعجم العربي في القاهرة، انظر في. كريمر J. Kraemer في=

قد انتهى سنة ١٩٤٥م من ملحق لمشروع المعجم، وهـو فهـارس الشـواهد Schwāhid – Inidces التي كان فيشر قد جمعها مع تلميـذه وخلفـه اريـش بروينليش[١] Erich Bräunlich (١٨٩٢ – ١٩٤٥م)[*].

ويعد ضمن من يعد من تلاميذ فيشر آرتـور شـاده[٢] Arthur Schaade (١٨٨٣ – ١٩٥٢م) / واريش جريف[٣] Erich Graefe (١٨٨٦ – ١٩١٤م)، [٣١١] وجوتهلف برجشتراسـر[٤] Gotthelf Bergsträsser (١٨٨٦ – ١٩٣٣م). إن برجشتراسر الذي قام بدراسات متنوعة، واهتم بالدراسات الهندوجرمانية وفقـه اللغة الكلاسيكي أيضًا إلى جانب الدراسات السامية، قد طبّـق منـاهج الوضـعية التاريخية اللغوية، والتاريخية النقدية في البداية على اللغة العربيـة، ثـم علـى العبرية والآرامية، وما لبث أن وسع من نطاق بحوثه إلى تاريخ الفكـر أيضًـا، بحيث لم تكن عودته إلى مجالات البحث القديمة نادرة.

وهكذا دار جزء من أعماله حول القرآن: فكانت رسـالته للـدكتوراه حـول: أوجه النفي في القرآن Die Negationen im Koran (١٩١١)، توسعت فـي

= مجلة ZDMG 105, 81 - 105.

(١) نعي من هـ. ي. كيسلنج H. J. Kissling في مجلة: ZDMG, 100, 37 – 41.

(*) Erich Bräunlich. Berlin und Leipzig. Schawâhid – Indices. Indices der Reimwörter und der Dichter der in den Arabischen Schwâhid – Kommentaren und in verwandten Weken erläuterten Belegvrse zusammengestellt und heausgegeben von A. Fischer.

حرص على تحليل لغة الشعر بوجه خاص، لأنه وجد في الشعر أرسخ الشـواهد لمعرفـة العربية. ومن هنا اهتم بجمع كل الشواهد الشعرية الواردة فـي كبـت النحـو وشـروح الشواهد. وصنف فهرست الشواهد؛ وهو ثبت شامل بالشواهد (بحسـب القـوافي) التـي وردت والشعراء الذين وردوا في شروح الشواهد وما شابهها من مصنفات.

(٢) نعي من ا. ديتريش A. Dietrich في مجلة Der Islam 31, 69 - 75.

(٣) نعي من ك. هـ. بيكر C. H. Becker في مجلة Der Islam 6, 88 - 90.

(٤) نعي من هـ. جوتشلك H. Gottschalk في مجلة: Der Islam 24, S. 185 – 191

مجلة: LSSV 4, 1914) بدايةً مبشرة في نحو تاريخي للغة القرآن. أما تـاريخ نص القرآن الذي بدأه بعد وفاة سلفه شفاللي Schwally فـي التنقـيح الجديـد للأجزاء الثلاثة من كتاب نولدكه تاريخ القـرآن(*) Geschichte des Korans (الذي أتمه تلميذه أوتو برتزل Otto Pretzl سنة ١٩٣٨م)، فكان باعثاً لبحـوث مثمرة ولتحقيق مستلة من كتاب القراءات لابن خالويه(**) (ظهرت بعد وفاته في مجموعة النشـريات الإسـلامية (باسـتانبول) Bibiotheca Islamica VII, 1934.) ومعجم تراجم قُراء القرآن (طبقات القراء) لابن الجَزَري (أتمه برتـزل، في مجموعة النشريات الإسلامية أيضاً، المجلد الثامن فـي ثلاثـة أجـزاء مـن ١٩٣٣- ١٩٣٥م). ففتح للبحث بذلك مجال عمل لم يكن مطروقاً من قبل تقريباً، وإن قام مراراً على أساس مخطوطات غير كافية(١). وقـدم برسـالته للأسـتاذية حول: «الترجمات العربية لمؤلفات «أبو قراط وجالينوس» المنشورة إلـى الآن» Die bisher veröffentlichten arabischen Hippokrates – und Galenübersetzungen (١٩١٢م، وسُعت تحت عنوان: حُنين بـن إسـحاق ومدرسته، ١٩١٣م) بحوثاً مهمة من ناحيتي التاريخ اللغوي والأدبـي، أعقبتهـا فيما بعد سلسلة أعمال أخرى وطبعتان من رسائل حنين(***). وقد جعلتـه رحلـة

(*) لم يصدر نولدكه من كتاب (تاريخ القرآن) إلا الجـزئين الأول والثـاني (ليبـزج جــ١، ١٩٠١، وجـ٢، ١٩٢٩) اللذين قام تلميذه شفاللي بتهذيبهما. ثـم أصـدر برجشتراسـر الكراسة الأولى فقط سنة ١٩٢٦م، وتوفى قبل أن يصدر الكراسة الثانية، فتـولى تلميـذه برتزل إصدارها، وشكلا معًا الجزء الثالث الذي طبع في ليبزج سنة ١٩٣٨م. رجعت إلـى الأجزاء الثالثة في طبعة Georg Olms.

(**) يقصد «القراءات الشاذة في القرآن» لابن خالويه، وقد نشر أيضاً: «القراءات الشاذة فـي كتاب المحتسب لابن جني، ميونيخ ١٩٣٣م.

(١) تحتفظ مجموعة تشستر – بتي مخطوطة ممتازة من كتاب"البديع"لابـن خالويـه، انظـر اربري Arberry في مجلد جولد تسيهر التذكاري، I / ١٨٣- ١٩٣.

(***) ربما قصد المؤلف ما أصدره بعنوان: رسالة حنين بن إسحاق في الترجمات السريانية=

إلى الشرق(*) سنة ١٩١٤م خبيراً بلهجات الشام، وأدت إلى نشر نصوص نثرية بلهجة دمشق (١٩٢٤م)، وكذلك إلى كتاب: «الأطلس اللغوي للشام وفلسطين» Sprachatlas von Syrien und Palästina (ZDPV 38, 1915, S. 169-222)، الذي يستحق الثناء لكونه أول محاولة لتطبيق مناهج علم الجغرافيا اللهجية الحديث على مجال لغوي عربي، / وقد جمع كذلك نصوصاً آرامية حديثة [٣١٢] بلهجة مَعْلُولة، ونشرها مع مجموعات بريم Prym وسوسين Socin سنة ١٩١٥م، وقَدَّم لها معجماً سنة ١٩٢١م (AKM 13, 2.3; 15, 4). وكان قد أخذ على عاتقه سنة ١٩١٣م تجديد كتاب جزنيوس، وهو كتاب تقليدي في نحو اللغة العبرية بروح التاريخ اللغوي، غير أنه لم يستطع أن ينجز سوى جزءين من التهذيب الجديد (الطبعة ٢٩، ١٩١٨ و١٩٢٩م) مشتملين على علم الكتابة وعلم الأصوات، والفعل أيضاً. ويشكل كتابه الأصيل «مدخل إلى اللغات السامية» Einführung in die semitischen Sprachen (١٩٢٨م) خاتمة هذه الأعمال المتعلقة بالتاريخ اللغوي. وأخيراً وجه برجشتراسر انتباهه إلى تاريخ الفقه الإسلامي أيضاً، وأثر فيه تأثيراً مثيراً غير عادي من خلال مقالته المليئة بالأفكار حول: «بدايات الفكر الفقهي وخصائصه في الإسلام»(**) Anfänge und Charakter der juristischen Denkens im Islam (مجلة الإسلام، العدد

= والعربية لكتب جالينوس، ومواد جديدة عن رسالة حُنين في مجموع مؤلفات جالينوس.

(*) عمل أيضاً عامين دراسيين من ١٩٢٩ إلى ١٩٣١م في الجامعة المصرية، وانتهز فرصة وجوده في القاهرة، فسجل مختلف القراءات القرآنية لعدد من مشاهير المقرئين في مصر آنذاك، ونشر فيما بعد دراسة فريدة عن ذلك.

(**) يقرر في هذه الدراسة أن علينا أن ننظر إلى الفتاوى في الفقه الإسلامي على أنها أصيلة في الإسلام، وعلينا أن نفهم الفقه الإسلامي أساساً على أنه نابع من الأوضاع التاريخية المحلية الخاصة بالبلاد الإسلامية، ومن روح الدين الإسلامي. وتبعاً لذلك يدعو إلى عدم المبالغة في دعوى القانون المقارن والبحث عن المؤثرات الأجنبية في الفقه الإسلامي. (موسوعة المستشرقين ص ٨٧)

١٤، ص ٧٦- ٨١)، وحول منهجية البحث في الفقه(*) (مجلة إسلاميكا ٤، ٢٨٣- ٢٩٤). أما كتابه: الملامح الأساسية للفقه الإسلامي وفقه المذهب الحنفي Grundzüge des islamischen Rechts فقد هذبه ونشره تلميذه يوسف شاخت J. Schacht بعد وفاة أستاذه في (LSOS 35, 1935). وفي سن السابعة والأربعين انتهت حياة عالم نهاية غير متوقعة إثر سقوطه وهو يمارس رياضة تسلق الجبال، وهي حياة كانت ما تزال تحمل في داخلها ما يبشر بمعارف جمة.

وقد عمل في ليبزج إلى جانب فيشر باول شفارتس Paul Schwarz (١٨٦٧- ١٩٣٨م)، تلميذ سوسين. وكان عارفاً بالشعر العربي معرفة جيدة، وحقق ضمن ما حقق ديوان عمر بن أبي ربيعة سنة ١٩٠٩م، وقدم بحثاً مثمراً عن لغة الشاعر وأسلوبه وأوزانه الشعرية(**). وعمل إلى جانب ذلك، بتحفيز من فيلهلم زيجلين Wilhelm Sieglin في مجال الجغرافيا التاريخية، فقدم في ثماني مجلدات: «إيران في العصر الوسيط لدى الجغرافيين العرب» Iran im Mittelalter nach den arabischen Geographen (١٨٩٦- ١٩٢٣م) جمعاً مرتباً بنظام للأخبار المتعلقة بالموضوع.

وتخرج في مدرسة سوسين أيضاً هانز شتومه Hans Stumme (١٨٦٤- ١٩٣٦م)، الذي نشر، كما ذُكِر، كتاب أستاذه: ديوان من قلب شبه الجزيرة العربية. أما بحوثه الخاصة فقد تركزت بوجه خاص في لهجات المغرب الدارجة،

(*) يدعو فيها إلى أخذ موضوع واحد من موضوعات كتب الفقه، وتتبع ما كتب فيه من كتب وأدلى من أقوال طوال تاريخ الإسلام في المذاهب والمدارس الفقهية المختلفة. وفي هذا السبيل ينبغي اتخاذ كل فصل من فصول كتب الفقه بمثابة وحدة نأخذ في تحليلها وتفسيرها مع الأخذ بعين الاعتبار دائماً ما كتبه المؤلفون السابقون، وما أتى به كل مؤلف، لبيّن دوافعه ونظراته. السابق ص ٨٧.

(**) وقد نشر أيضاً ديوان معن بن أوس المزني بمقدمة ألمانية (ليبزج ١٩٠٣م).

وكان فضلاً عن ذلك عارفاً بلغات البربر(*).

٨٠- هـ. ركندورف

في الوقت الذي اهتم فيه ممثلو مدرسة ليبزج في بحوثهم المتعلقة بالتاريخ اللغوي بقضايا النص في الغالب / حمل أحد تلامذة نولدكه وهو هرمان (في [٣١٣] الأصل شالمون) ركندورف(١) Hermann Reckendorf (١٨٦٣- ١٩٢٣م)، على عاتقه تقديم عرض شامل للنحو العربي، وفي بادئ الأمر عرض «العلاقات النحوية في اللغة العربية» Die syntaktischen Verhältnisse des Arabischen (١٨٩٥- ١٨٩٨م)، وحاول في ذلك، متأثراً بكتاب هرمان باول Herman Paul الرائع: «أسس تاريخ اللغة» Prinzipien der Sprachgeschichte، أن يشرح الظواهر اللغوية وفق مبادئ النحاة الجدد، حيث كانت وجهات النظر التاريخية والنفسية هي المعيار، وليس العلاقات المفهومية – المنطقية – كما فعل فلايشر). وقد عبر عن رأيه بوجه عام «حول البحث النحوي» في خطابه الافتتاحي سنة ١٨٩٩م، وفي سنة ١٩٢١م نشر كتاب «النحو العربي» Arabische Syntax، عالج فيه الموضوع نفسه بالترتيب ذاته تقريباً، ولكن كان أكثر وصفية، ودون ملحق فرعي موضح(**). ويحتوي الكتابان على مادة وفيرة من الشواهد التي جمعها ركندورف من الشعر والنثر الكلاسيكي

(*) من أعماله: لغة البربر واللهجات المغربية (ليبزج ١٨٩٣م) وكتاب أساطير ومنظومات من تونس (١٨٩٤م)، وقواعد اللهجة العربية المستعملة في تونس (ليبزج ١٨٩٦م)، وأساطير البربر (١٩٠٠م)، ولغة البربر (في المجلة الشرقية الألمانية ١٩٠٧).

(١) نعى من أ. ليتمان: E. Littmann, Z. Sem. 2, 287 f. وكان والده هرمان ركندورف تلميذ فلايشر، وترجم القرآن إلى اللغة العربية سنة ١٨٥٧م.

(**) ما زالا مرجعاً للنحو العربي وتاريخه لأن ركندورف صنفهما على الأسلوب العلمي الحديث، مستبعداً مذاهب قدماء النحاة وأمثالهم وشواهدهم مستنداً إلى كتب اللغة في أمثاله وشواهده.

في نشاط جمعي لسنوات طويلة.وأشار فيه إلى أن باحثي المستقبل يجب علـيهم التمييز بين خواص لغة الشعر، وأضرب الأسلوب والأقاليم والفترات اللغوية تميزاً أكثر حدة، ولكن طالما يفتقر إلى نحو تاريخي فسوف تحافظ مؤلفات ريكنـدورف مدة طويلة على مكانها بشرف.

٨١- مدرسة برلين

قد كان لمدرسة برلين في الدراسات العربية أهمية خاصة إلى جانب مدرسـة ليبزج، لأن زاخاو قد أنجز مع تلاميذه ومعاونيه الطبعة الضخمة للطبقات الكبرى لابن سعد. ومن بين هؤلاء كَـرّس يوسـف هـوروفيتس[1] Josef Horovitz (١٨٧٤- ١٩٣١م) جزءاً كبيراً من نتاج حياته للبحث في فجر الإسـلام، وقـد عالجت رسالته للدكتوراة سنة ١٨٩٨م كتاب المغازي للواقدي، ونشر من كتـاب ابن سعد الجزءين اللذين يتعلقان بغزوات محمد ﷺ، ومجاهدي بدر من المدينة، وبحث بتكليف من ل. كيتاني L. Caetani في مكتبـات القـاهرة، / ودمشـق، [٣١٤] واستانبول عن مخطوطات عربية ذات مضمون تـاريخي (MSOS AS 10, I – 68). ويعد تحقيقه لهاشميات الكميت أيضاً وليدة اهتمامات تاريخية(*). وقد جعلت إقامته في الهند أستاذاً في الكلية الشـرقية الانجلـو إسـلامية (كليـة عليكَـرة الإسلامية) من سنة ١٩٠٧- ١٩١٤م، ونشاطه عالماً في الحكومة الهندية فـي النقوش الإسلامية، منه عارفًا ممتازًا بالإسلام في الهند، ثم تركـز عملـه فـي السنوات التي قضاها في جامعة فرانكفورت (من ١٩١٥ – ١٩٣١م) بوجه خاص

---

(١) قارن يوسف هوروفيتس، القدس، مطبعة الجامعة ١٩٣٢م (يتضمن نعياً مكتوباً بالعبريـة من س. د. ف. جويتاين S. D. F. Goitein، وقائمة مؤلفاته من ف. ي. فيشل W. J. Fischel)، وكذلك ج. فايل G. Weil.

(*) كان عضواً في مجلس إدارة الجامعة العبرية في القدس منذ إنشائها سنة ١٩٢٥م، وهـو الذي أنشأ فيها قسم الدراسات الشرقية، وصار مديراً له، وهو الذي اقترح قيام هذا القسم بجمع كل الشعر العربي القديم (الجاهلي وأوائل صدر الإسلام).

مرة أخرى على فترة فجر الإسلام، وبوجه أخص في بحوث قرآنية Koranische Untersuchungen، حيث تمسك بشدة بالمبدأ الأساسي مع ما تسمى مسائل التبعية باستخدام نظائر ترجع إلى فترة ما قبل نزول القرآن فقط(*).

وبرز من مدرسته هاينريش شباير(1) Heinrich Speyer (١٨٩٧ - ١٩٣٥م) الذي جمع في كتاب جاد وغني بمادته العلمية حول: «قصص الكتاب المقدس في القرآن» Die biblischen Erzählungen im Koran (طبع في مدينة جريفنهينشن Gräfenhainchen بدون تاريخ في ٥٠٩ صفحات) يتعلق بتلك المواضع التي ترد فيها شخصيات العهد القديم من المصادر اليهودية والمسيحية أو بخاصة السريانية، نظائر كثيرة. وقد راعى هوروفيتس في بحوثه القرآنية في اهتمام الاستعمال اللغوي لشعر ما قبل الاسلام، ووضع خطة معجم للشعر العربي القديم حيث عهد إلى المعهد الشرقي في الجامعة العبرية التي افتتحت سنة ١٩٢٥ عمل جذاذات لكل الدواوين المطبوعة (حتى نهاية العصر الأموي). وبناءً على اقتراحه بدأ المعهد ذاته في نشر كتاب «أنساب الأشراف» للبلاذري (نشر المجلد الرابع، القسم الثاني ماكس شليزنجر Max Schleosinger سنة ١٩٣٨م والمجلد الخامس بتحقيق جويتاين O. F. Goitein سنة ١٩٣٦م).

أما أفضال أويجن ميتفوخ(2) Eugen Mittwoch (١٨٧٦- ١٩٣٢م)، الذي

(*) منهجه فيها التحليل التفصيلي للغة القرآن، لكنها تحليلات ثبت ما فيها عن مغالاة وافتعال، مما جعل نتائج بحثه مشكوكًا فيها منذ البداية ومرفضة كلها فيما بعد. واستعان في عمله هذا بمعاني الألفاظ القرآنية كما تستنبط من الشعر الجاهلي.

(١) انظر تقرير المعهد اليهودي – اللاهوتي (مؤسسة فرانكل) لسنة ١٩٣٤م، ص١٠، ولسنة ١٩٣٥م، ص٧.

(٢) نعى من ا. ليتمان E. Littman, ZDMG 99, 143 – 146.

وجمع قائمة مؤلفاته حتى ١٩٣٦م ف. جوتشلك W. Gottschalk, MGWJ 81 (1937), S. 243 – 250.

أصدر من كتاب الواقدي أيضاً جزءاً من سيرة النبي، فتمكن في مجال فقه اللغة الحبشي والدراسات السبئية بوجه خاص كما ظهر اهتمامه باللغة العربية الجنوبية أيضاً في كتابه «من اليمن Aus dem Jemen» (١٩٢٦م) الذي نشره فيه التقرير العربي عن الرحلة الأخيرة للرحالة الباحث هرمان بورشارت Hermann Burchardt(١٨٥٧- ١٩٠٩م) مع نماذج من لهجة صنعاء. ونشر ميتفوخ ويوليوس ليبرت الذي سيذكر بعد قليل بالتعاون مع / طبيب العيون يوليوس [٣١٥] هيرشبرج Juluis Hirschberg (١٨٤٣) «أطباء العيون العرب» Die arabischen Augenärzte (في جزءين ١٩٠٤- ١٩٠٥م) بترجمة ألمانية، وقد ساعد الاثنان هيرشبرج في أعمال أخرى أيضاً، مثل الكتب التعليمية في طب أمراض العيون (١٩٠٥م)، وقدم ميتفوخ مساعدة فيلولوجية لفريدريش ساره Friedrich Sarre أيضاً في أعماله حول تاريخ الفن الإسلامي.

كان زاخاو قد وجَّه يوليوس ليبرت[1] Julius Lippert(١٨٦٦- ١٩١١م) المذكور آنفاً إلى المؤلفات في الترجمة من اليونانية إلى العربية، ونشر بناءً على أعمال تمهيدية لأوجُست مولر مستلة من كتاب ابن القفطي «تاريخ الحكماء» (١٩٠٣م). وأعد المجلد الرابع من كتاب ابن سعد. وقد حَفَزه نشاطه في معهد برلين للاشتغال باللغات الإسلامية في شمال أفريقيا، التي كان قد تعلمها في أثناء رحلة إلى طرابلس وتونس.

ولا يعد فريدريش شفاللي Friedrich Schwally (١٨٦٣- ١٩١٩م) الذي حقق نصف المجلد الأخير من طبقات ابن سعد سنة ١٩١٢م، من مدرسة برلين بل كان أحد تلاميذ نولدكه. وقد عُني سنة ١٩٠٢م بطبعة معقولة من كتاب «المحاسن والمساوئ» للبيهقي وفهارس[2] أما أشهر عمل له فهو إعادة تهذيب

---

(١) نعى من أ. زاخاو .Sachau, MSOS Afr. 14, S. VII – IX

(٢) قدم له بعد ذلك سنة ١٩٢٥م ا. ريشر O. Rescher فهرساً وإشارات إلى المواضع.

كتاب نولدكه تـاريخ القـرآن Geschichte des Qorans، إذ أنجـز جـزءين (١٩٠٩-١٩١٩م)، في حين عُنِي كل من برجشتراسـر وبرتـزل[١](*) بـالجزء الأخير خلال الفترة من ١٩٢٦م إلى ١٩٣٨م.

ومن الذين اشتركوا في تحقيق طبقات ابن سعد عالم الآشـوريات، برونـو مايسنر Bruno Meissner (١٨٦٨- ١٩٤٧م)، وكـان قـد أبـدى اهتمامـه بالدراسات العربية منذ وقت مبكر، إذ نشر الأمثال والأحاجي والأسفار والقصـص التي كان قد دَوّنها في أثناء إجراء الحفريات في باب (مجلة: ASOS AS. Bd. IV bis VII und B Ass VI - 148)، وقدم بذلك الأخبار الأولـى المسـتفيدة حول لهجة في جنوب العراق[٢].

ويمثل العربية الحديثة في معهد بـرلين منـذ ١٩٠٧م جيـورج كمبفمـاير Georg Kampffmeyer (١٨٦٤- ١٩٣٦م)، أحد تلاميذ سوسين. وقد تركزت أعماله الأقدم / بوجه خاص في علم اللهجات العربيـة، ومـن بينهـا العربيـة [٣١٦] المغربية، وأسهم كثيراً فيما بعد في التعريف بالأدب العربي الحديث في ألمانيا.

---

(١) انظر نعي من أ. شبيتالر A. Spitaler لـ أوتو برتزل (١٩٤١م) في مجلة: ZDMG 96, 161-170. (مع قائمة مؤلفاته).

(*) قام برتزل بتحقيق كتابين رئيسين في القرآن، من تأليف أبي عمرو عثمـان بـن سـعيد الداني، ونشرهما ضمن سلسلة «نشريات إسلامية» وهما:

(١) كتاب «التيسير في القراءات السبع»، استانبول، ١٩٣٠، المجلد رقم (٢).

(٢) كتاب «المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط»، المجلد رقم (٣).

وله بحوث مهمة، منها: مذهب الذرة في مرحلته الأولى في الإسلام، وصـفات الله عنـد المتكلمين الأوائل، ومحمد بوصفه شخصية تاريخية.

(٢) وجمع بالطريقـة ذاتهـا عـالم الآشـوريات هـاينريش فايسـباخ Franz Heinrich Weissbach (١٨٦٥- ١٩٤٤م) إسهاماته في علم عربية العـراق (LSS IV. 1908 und 1930)، نعي من ف. فـ. سودن W. V. Soden فـي مجلـة: ZA 48 (1944). (١٩٤٧) ونعى من ا. بريتش A. Pritsch في WI 18 (1936), S. 1- 11;.

وكان برنهارد مـوريتس Bernhard Moritz (١٨٥٩- ١٩٣٩م) أميناً للمكتبة في معهد برلين لمدة طويلة. وقد أصدر «مجموعة نصوص عربية مكتوبة من عمان وزنجبار» Sammlung arabischer Schriftstücke aus Oman und Zanzibar، ومعجماً لها سنة ١٨٩٢م، وصار سنة ١٨٩٦م مديراً لـدار الكتب المصرية بالقاهرة، فنشر من محتوياتها من مخطوطات مهمة فـي تـاريخ الكتابة مجموعة من ١٨٨ لوحة ضوئية مطبوعة رائعة بعنوان الخطوط العربيـة القديمة Arabic Palaeography (مجموعة الخطوط العربية من القـرن الأول الهجري حتى ١٠٠٠ هجرية) (١٩٠٦م). كما تعرَّف الشرقَ من العـراق حتـى المغرب من خلال مشاهدته الشخصية، وكان لديه ولع بالجغرافيا التاريخية، متأثراً بـ هـ. كيبرت H.Keipert. وقدم في كتابه «شبه الجزيرة العربية» Arabien (١٩٢٣م) دراسات قيمة حول الجغرافيا الطبيعية والتاريخية للبلاد، بـديهياً دون معرفة بالكتاب الذي ظهر في الوقت ذاته «قلب الجزيرة العربية» The Heart of Arabia لفيلبي H. St. Philby (المولود سنة ١٨٨٥م)، الذي كان قـد اجتـاز سنة ١٩١٧- ١٩١٨م جنوبي نجد(*).

ومن حلقة برلين أيضاً فريـدريش كيـرن[1] Friedrich Kern (١٨٧٤- ١٩٢١م) الذي كان قد قام بدراسات متنوعة في لوزان، وبينا، وليبزج، وبـرلين، وكتب في القاهرة رسالته للدكتوراه عن محمد عثمان جلال حول الإعداد العربـي الحديث (التمصير) لرائعة موليير «النساء العالمات»، وحصل بها على الـدكتوراه سنة ١٨٩٨م في بينا لدى فولرز Vollers الذي كان قـد عـالج سـنة ١٨٩١م الإعداد العربي الحديث (التمصير) لرائعة موليير «المنافق». وقد عرف اللهجـة

(*) ومن آثاره أيضاً: التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية لابـن الجيعـان متنـاً وترجمـة ألمانية، وصنعة الحي القيوم في تاريخ الفيوم لابن عثمان النابلسي الصفدي، والبتـراء، والآثار العربية في سيناء.

(١) نعى من ا. متفوخ E. Mittwoch، في مجلة: Der Islam XIV, 89- 91.

القاهرية، وتحدث العربية بطلاقة، وكانت له معارف واسعة وبخاصة في تـاريخ الفكر الإسلامي، إلا أنه قد أعاق بشدة عن إنتاجه الأدبي إصابته بالعُصَـاب. أمـا إنجازه الرئيسي فهو تحقيق لمقتطفات من حجج اختلاف الفقهـاء لابـن جريـر الطبري مزوداً بمقدمة عربية مفصلة(*).

كان مارك ليدز بارسكي أيضاً Mark Lidzbarski (١٨٦٨- ١٩٢٨م) (١) تلميذاً لزاخاو، الذي حصل لديه علـى الـدكتوراه سـنة ١٨٩٣م بعملـه: De propheticis quae dicantur, legendis arabicis prolegomena.

وقد عمل فيما بعد في مجالات الدراسات الآرامية أساساً والنقوش السـامية الشمالية وأثر من خلال تحقيقاته وترجماته للنصوص المندعية تـأثيراً مميـزاً. / وفي المعهد العالي للعلوم اليهودية في برلين عمل منذ سـنة ١٨٩٤م مـارتين [٣١٧] شراينر(٢) Martin Schreiner المجرى الأصـل (١٨٦٣- ١٩٢٧م). وكـان تلميذاً لجولد تسيهر، وألَّف إسهامات جدية عدة حول تاريخ الفقه الإسـلامي، إلا أنه قد أصيب سنة ١٩٠٢ بمرض عقلي.

٨٢- هـ. جريمه

كان هوبرت جريمه Hubert Grimme (١٨٦٤- ١٩٤٢)(٣) الحاد الذكاء، الذي سلك في بحثه طريقاً خاصة وأصلية في الغالب، تلميذاً لزاخاو. وقد عمـل منذ سنة ١٨٨٩ في جامعة فرايبورج (سويسرا) التي أُسست في العـام نفسـه،

(*) ومن آثاره أيضاً نشر العقيدة المختصرة للشافعي (نشرة معهد اللغات الشرقية ببرلين ١٣، ١٤١)، وكتاب الاختلاف للنيسابوري (المجلة الشرقية الألمانية ٥٥، ٦٩، ٥١١)، وتاريخ البوذية في الهند، وشرح النور اللامع لنجم الدين منكبري ..

(١) صور شبابه في الكتاب المجهول المؤلف: على طريق وعر ١٩٢٧.

(٢) المعجم اليهودي ٥/ ٢٦١.

(٣) نعى من تيشنر F. Taeschner في مجلة ZDMG 96, 381- 392.

واستدعى سنة ١٩١٠م إلى مونستر. وقد أسعده الحظ ببضع اكتشافات في بحوثه في النقد وفي حالات أخرى وبخاصة في مشكلات عالجها كثيراً كـان لخـواطره (آرائه) الأصيلة تأثير بالغ، فقد أدرك بشكل صحيح الأهمية الحاسمة التي تُعـزى إلى العلاقات الاقتصادية في مكة في نشوء الاسلام، غير أنـه تجاهـل شخصـية محمد ﷺ تجاهلاً تامًا حين صوره في كتاب (محمد Mohammed) (جـزاءان، مونستر ١٨٩٢ - ١٨٩٥م) مصلحًا اجتماعيًا. وعلى النقيض من ذلك كان ممـا يستحق الذكر أنه قدم في هذا المؤلَّف عرضًا منظمًا للفقه القرآنـي. وقـد أعـاد جريمه فكرته (نظريته) في كتاب محمد «أهمية شبه الجزيرة العربية في التـاريخ العالمي» Die weltgeschichtliche Bedeutung Arabiens، غير أنه أكـد هذه المرة بوجه خاص أن أقدم تاليم محمد تعود إلـى توحيـد جنـوب الجزيـرة العربية. وأخيرًا رجع جريمه مرة أخرى لرأيه الفريد في وعظ محمد ﷺ، حـين ترجم سنة ١٩٢٣م «القرآن، مختارات في ترتيـب الأصـل ووزنـه» Koran, ausgewählt, angeordnet und im Metrum des Originals

٨٣- يوسف هِل

يوسف هِل (١٨٧٥- ١٩٥٠) Josef Hell الذي مثـل منـذ ١٩١١م فـي ارلانجن فقه اللغات الشرقية، عمل بوجه خاص في مجال الشعر العربي القديم. بدأ بتوجيه من أستاذه فريتس هومل Fritz Hommel الذي حمل على عاتقه فيمـا مضي خطة معجم صغير لشعر ما قبل الإسلام (الجاهلي)، (انظر أعمال المـؤتمر العالمي السادس للمستشرقين، المجلد الثاني، القسـم الأول ١٨٨٥، ص٣٨٥ - ٤٠٨) بدأ / هل بدراسة للفرزدق. وكان بوشـيه Boucher قـد عنـي بنسـخ [٣١٨] مخطوط آيا صوفيا ٣٨٨٤، وبدأ بطباعته غير أنه لم يتجاوز الثلاثة آلاف بيـت الأولى (باريس ١٨٧٠ - ١٨٧٥م) فنشر هِل سنة ١٩٠٠م اعتمادًا على الصور التي كان قد قام بإعدادها سنة ١٨٩٨م في استانبول، بقية المخطـوط التـي لـم ينشرها بوشيه، في صورة طبق الأصل، الجزء الثاني من ديوان الفرزدق. وقـد

لاحظ أن خلف القصيدة رقم ٤٦٧ كان هناك خرم في المخطوط. وفي الواقع اتضح من خلال مراجعة النسخة التي كان بوشيه قد انتسخها - وصارت في أثناء ذلك في حوزة مكتبة كمبردج أن في هذه النسخة الأخيرة زيادة مقدارها ٦١ صفحة، نشرها هِل ملحقًا بعنوان ديوان الفرزدق الجزء الثاني ب في صورة طبق الأصل. ثم عالج قصيدة الفرزدق في مدح الوليد بن يزيد في رسالته للدكتوراه سنة ١٩٠٢م، وفيما بعد قصائده في آل المهلب (مجلة ZDMG 59, 589 - 631, 60, L42:) ولكن ما تزال إلى يومنا هذا لم تُجْرَ دراسة فيلولوجية شاملة حول الفرزدق وشعره. وفي سنة ١٩١٠م وفقّ هِل في أن يكتشف في المكتبة الخديوية بالقاهرة كتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجُمَحي، وعددًا من دواوين شعراء قبيلة هُذَيل لم تكن معروفة من قبل(*). ولما كانت وجهة نظره أنه يجب أن تقدم الطبعة الأولى النص المروي أساسًا كما هو في المخطوط، فقد تركت طبعته لكتاب الجمحي سنة ١٩١٦م، وكذلك دواوين جديدة للهذليين الجزء ١، ٢ سنة ١٩٢٦م و١٩٣٣ مساحةً واسعة للنقد التخميني(١).

(*) نشرها متنًا وترجمة في جزءين، وتشتمل على أبي ذؤيب، وساعدة بن جؤية وأبي خراش، والمتنخل، وأسامة بن الحارث (برلين ١٩٢٦ - ١٩٣٣م).

(١) وصف آرثر اربري مخطوطة قديمة من طبقات الشعراء للجمحي في حوزة سير تشستر - بيتي في BSOAS 13 (1949).

يقول د. بدوي عن ذلك: وقد بذل هِل في تحقيقه لـ (طبقات الشعراء) لابن سلام الجمحي مجهودًا عظيمًا خليقًا بكل تقدير على الرغم من سوء المخطوطة التي اعتمد عليها وما بها من تحريفات ومناقص، وهي أمور لم يمكن أحد أن يتلافاها إلا بعد اكتشاف نسخة خطية أخرى في مجموعة تشستر بيتي (دبلن / ايرلندة). وهذه النسخة الخطية الأخرى كتب عنها آرثر اربري J. A. Arberry مقالاً في «مضبطة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية BSOAS (المجلد رقم ١٣، سنة ١٩٤٩م). وفي هذا المقال الممتاز قارن آربري بين نشرة يوسف هِل لكتاب (طبقات الشعراء). وبين مخطوطة تشتستر بيتي هذه. وأثبت الفروق في القراءات وبيّن المناقص ولم يبق بعد ذلك إلا أن يعاد طبع الكتاب=

٨٤- ك. هـ. بيكر

في الوقت الذي خاض فيه مارتن هارتمـــان M. Hartmann فـــي بـــرلين معركة لا أمل فيها من أجل الاعتراف بالدراسات الإسلامية، أُسِّس في هـــامبورج عند إنشاء معهد المستعمرات ســـنة ١٩٠٨م كـــرس لتـــدريس تـــاريخ الشـــرق وحضارته، ومن ثم اعتُرِفَ رسمياً بأهمية البحث الـــواقعي فـــي هـــذا المجـــال. واستدعى كارل هاينريش بيكر Carl Heinrich Becker (١٨٧٦- ١٩٣٣م)(١) إلى كرسي التدريس الجديد، وكان قد تلقى تعليمه الشرقي لدى عالم الآشـــوريات بتسولد Bezold، ولدى ي. بارت J. Barth، غير أنه قد توجه بعد ذلك بتـــأثير من مؤلفات فلهاوزن وجولدتسيهر / وسنوك هورجرونيه إلى بحث الإســـلام(*). [٣١٩]

- بحسب نشرة هل مع إيراد التصحيحات والزيادات التي أثبتها آربري في مقاله... (راجـــع تعليقه أيضًا على طبعة الأستاذ محمود شاكر الأولى والثانية...) موسوعة المستشـــرقين ص٦١١، ٦١٢.

(١) انظر هـــ. ريتر H. Rittel: بيكر مستشرقاً C. H. Becker als Orientalist, Der Islam 24 (1937), 175- 185.

(*) وثمت شيء آخر كان له أخطر الأثر في هذا العهد من حياته، ونعني به عهد التنقل، وأثره أهم بكثير من أثر الرحلات، وهذا الشيء الآخر هو قراءته لأمهـــات كتـــب المستشـــرقين الكبار فإن لبعض هذه الكتب تأثيراً حاسماً في توجيهه، وفي مناهجه في البحـــث. فكتـــاب فلهوزن عن «الدولة العربية وسقوطها» له خطر كبير في تطوره الروحي، وكان موضـــع إعجابه طوال حياته. وقد ظهر هذا التأثير في الناحية التاريخية عند بيكر.

أما الناحية الدينية الإسلامية فكان لكتب جولد تسيهر النصيب الأوفر فـــي تكوينهـــا. ولا عجب فإن جولد تسيهر أعظم مَنْ بحث في المذاهب الإســـلامية فـــي الكـــلام والتفســـير والحديث، من بين المستشرقين جميعاً، ولعله أن يكون أقدر باحث استطاع أن ينفـــذ إلـــى طبيعة الحياة الدينية في الإسلام، وأن يحلل تياراتها ويكشف عـــن جوهرهـــا، والعوامـــل المؤثرة فيها والتأثيرات التي خضعت لها. وفي الفقه على وجه الخصـــوص كـــان لكتـــب سنوك هُرخورنيه أثر كبير في بيكر .. موسوعة المستشرقين ص ١١٤، ١١٥.

ومن خلال تقارير مارت هارتمان وبحوثه تعرف مشكلات الإسلام في العصر الحديث، ولكنه شارك في النفور السائد آنذاك من علم الاجتماع وباشر دراساته الخاصة في تاريخ الإدارة والاقتصاد بمناهج النزعة التاريخية النقدية، ولاهتمامه المتنوع وتقبله لكل جديد، ولرغبة ملكت عليه نفسه نحو نظرة تركيبية مبينة للمغزى طال توجهه وازداد إلى بحث قصد الإسلام الكبرى المتعلقة بتاريخ الأفكار والحضارة(*).

وأسس بالسماحة ذاتها معهداً لتاريخ الشرق وحضارته في هامبورج، أشرف عليه إلى أن استدعى إلى بون. وبدخوله وزارة المعارف البروسية مستشاراً

(*) فهو إذا تناول مسألة من المسائل التي ينظل إليها نظرة تحليلية تتناول التفاصيل، وتُعنى بما جزئي ذي قوام مادي، وإنما ينظر إليها نظرة تركيبية عامة، لا تعنيها التفاصيل إلا من حيث أنها مظاهر ومعارض لتيارات روحية كبرى، ودوافع باطنة قوية، تحكم التطور التاريخي وتسوده وتوجهه؛ وإلى الكشف عنها يجب أن يتبعه البحث التاريخي. ونزعة البحث في تاريخ الأديان هي التي دفعته إلى ناحية الاستشراق من أجل دراسة الاسلام. السابق ص١١٤

وكان بيكر ينظر إلى المسائل التي يتناولها ولها ببحثه، خصوصًا التاريخية منها، نظرة عامة شاملة تحيط بالمسألة الواحدة من جميع نواحيها دفعة واحدة وبوصفها كُلاً ووحدةً في ذاتها، ولها خصائصها ومميزاتها التي لا يمكن الكشف عنها واستجلاؤها في جوهرها بالنظر إليها ككل وكوحدة. ومثل هذا النحو من النظر

يعتمد على البصيرة الحادة النافذة إلى باطن الأشياء وتياراتها القوية الخفية معًا؛ وعلى وجدان مرهف يستطيع أن يكون هو وجوهر الشيء الذي يحاول إدراكه شيئًا واحدًا قدر المستطاع، بأن يكون بينه وبين هذا الشيء نوع من المشاركة الوجدانية والاتصال الحي النابض، بدلاً من أن يعتمد على الفكر التحليلي المنطقي الذي ينظر إلى المسائل على دفعات متعددة محللها إياها إلى أجزاء لأنه لا يستطيع أن يدركها بدون هذه التجزئة وذلك التحليل. لكنه لم يكتف بهذا، بل كان يربط المسألة الواحدة بجميع المسائل الأخرى المرتبطة بها، ناظمًا الكل في سلك تاريخي واحد، ناظرًا إليه بدوره كوحدة لها صفاتها الذاتية، ومدركًا التاريخ كنسيج حي متصل الأجزاء. ص١١٦

مقرراً سنة ١٩١٦م انتهى نشاطه العلمي إلا أنه قد أثر بوصفه مستشاراً شخصياً، وفي ١٩١٩م سكرتيراً للدولة ثم وزيراً (١٩٢١م) تأثيراً قوياً في الاستشراق الألماني.

أما أعظم فضل لبيكر على الاستشراق فضل نلله حينما أحيا سنة ١٩١٠ (الإسلام أي مجلة تاريخ الشرق الإسلامي وحضارته)، فقدم بذلك للبحث الألماني في الإسلام بأوسع محيط له (باستثناء أعمال محض نحوية ولغوية)[1] مجلة متخصصة له.

٨٥- جيورج ياكوب

كان جيورج ياكوب (يعقوب) Georg Jacob (١٨٦٢-١٩٣٧)[2] أحد الشخصيات البارزة بين المستشرقين الألمان في القرن العشرين. فقد بدأ دراساته التي سارت به، ليبزج إلى شتراسبورج وبرسلاو وارلانجن وبرلين وإلى ليبزج مرة أخرى على أنه متخصص في اللاهوت - أقر أن ادوارد رويس Eduard Reuss في شتراسبورج قد أثر في تطوره (العلمي) تأثيراً شديداً - ثم توجه بعد نلك ذلك إلى الدراسات الشرقية، ودرس أيضاً الدراسات الجرمانية وعلم الشعوب البدائية. وقد تطابق مع هذه الاهتمامات المتنوعة نشاط أدبي بالغ الثراء، تتحد فيه بشكل منسجم معارف لغوية واسعة وتمكن راسخ /٣٢٠/ من المنهج [٣٢٠] الفيلولوجي مع معرفة مفصلة في التخصص في مجالات موضوعية شديد التباعد. وهكذا فقد نتج عن تفسيره لمعلومة لدى المُقَدّسي (انظر عن ٣٢٤ في الأصل، نشره دي خويه) مقالة حول السؤال «ما السلع التجارية التي كان يجلبها عرب

---

(١) لم يعد يحافظ فيما بعد بشكل صارم على هذا القيد.

(٢) نعي من ا. ليتمان في مجلة ZDMG 486ff وقائمة مؤلفاته حتى سنة ١٩٣٢م في الكتاب التذكاري لجيورج ياكوب، نشره ت. منتسل Th. Menzel ١٩٣٢، ص٣٦٩ - ٣٨١.

العصر الوسيط من بلدان شمال البلطيق» (١٨٨٦م، ط. ثانية ١٨٩١م) Welche Handelsartikel bezogen die Araber des Mittelalters aus den nordlichen baltischen Landern?. وقد شكلت «تجارة شـمال البلطيـق» أيضًا موضوع رسالة ياكوب للدكتوراه سنة ١٨٨٧م، التي دلت على إلمامه في الوقت نفسه بعلم النُميات (النقود) وعلم الكلمات الدخيلة. وتلتها «دراسات أخرى حول الجغرافيين العرب»[*] Studien in arabischen Geographen، وبعد أن حصل على الأستاذية (رسالة أهلية التدريس) سنة ١٨٩٢م في جرايفسفالد عنـه بالشعر العربي القديم عناية بالغة، حيث أولى مرة أخرى بما في واقـع الحيـاة عناية خاصة، ودرس علم النبات والحيوان دراسة جادة لكـي يسـتطيع تعـرف النباتات الواردة في الشعر (القصائد). وبعد أن أورد في الكراسات الأولى (البحثين الأول والثاني) من كتابه: دراسات حول الشـعراء العـرب عامـة Studien in arabischen Dichtern إسهامات لفهم المعلقات[1]، عرض في الكراس (البحث الثالـث حيـاةَ البـدو فيمـا قبـل الإسـلام (الجاهليـة) Das Leben der vorislamischen Beduinen ، ولكنه قبل ظهور الطبعة الثانية من هذا الكتاب الذي ما يزال جديراً بالقراءة إلى يومنا هذا أيضاً سنة ١٨٩٧م بعناية «حياة البدو

(*) ونذكر له في مجال دراساته عن الجغرافيين العرب ووصـفهم لأوربـا دراسـة بعنـوان: «وصف عربي من القرن العاشر الميلادي لمدن فولدا وشـلزفج وزوسـت وبـادربورن Fulda, Schleswig, Soest, Paderborn ومدن أخرى في الغرب»، وقد طبع هـذا البحث طبعة ثالثة في ١٨٩٦م. وأكمله بكتاب عن «أخبار عربية عن وفود أرسـلوا إلـى بلاطات الأمراء في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين» (ظهر سنة ١٩٢٧م). موسـوعة المستشرقين ص ٦٢٨.

(١) وجهت الكراسة (البحث) الأولى ضد طبعة المعلقات الضـعيفة للـودفيج أبـل Ludwig Abel (١٨٦٣- ١٩٠٠م)، تلميذ هومل وزاخاو، الذي حقق أيضاً قصائد أبـي محجـن ١٨٨٧م، وشرع في نشر البرديات العربية فـي متـاحف بـرلين (الكراسـة ٢ ١٨٩٦- ١٩٠٠م)، غير أن وفاته المبكرة قد حالت دون استكمال هذا العمل.

العرب القدامى بحسب وصف المصادر الأصلية (طبعة مزيدة بعدة فصول وإضافات) Altarabisches Beduinenleben nach den Quellen geschildert. توجه ياكوب، الذي كان قد زار استانبول سنة ١٨٩٥م، إلى الدراسات التركية، وهو فرع علمي، لم يُجعل له وطن في ألمانيا إلا على يديه وأيدي تلاميذه، فقد خصَّه بأفضل سني عمره وأهم أعماله، وعَرَج من خلال مسرح خيال الظل التركي إلى شعر تمثيل خيال الظل لابن دانيال(*)، فكَرَّس لهذه النصوص المهمة من ناحيتي تاريخ الأدب والحضارة على حد سواء – وهي البقية الوحيدة المعروفة إلى الآن من شعر العصور الوسطى المسرحي في الشرق الإسلامي – كثيراً من الوقت والجهد؛ غير أن الصعوبات اللغوية والموضوعية لهذه الأشعار التي كُتِبَ بعضها بلغة فصحى، وبعضها الآخر باللهجة الدارجة، وأحياناً بلغة المتجولين، لم تمكنه من أن يصل إلى طبعة ختامية مع ترجمة وشرح. / ولم يتقيد ياكوب عند اهتمامه بالشعر الشرقي بتفسير للمضمون يجري [٣٢١] بوسائل عقلية، بل سعى إلى أن يقرب القيم الجمالية أيضاً للقارئ الغربي. وقد استعان في ذلك بوصفه من أتباع المذهب الرومانسي – مثل أستاذيه رويس Reuss وآلفارت Alwardt – بمحاكاة النظم. وهكذا فقد صبَّ لامية العرب للشنفري مثلاً – إذ التزم فيها بمحاكاة مؤلفها الشنفري – في أبيات، مكرراً بذلك محاولتي ا. رويس وف. روكرت لترجمتها نظماً، ومن ثم صنع في كتابه:

(*) أدى اهتمامه بخيال الظل عند الأتراك (كتابه المشهور: تاريخ مسرح خيال الظل في الشرق والغرب، ط. ثانية ١٩٢٥م) إلى البحث في خيال الظل عند العرب، فاكتشف أن طبيباً مصرياً يدعى محمد بن دانيال (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) ألف ثلاث مسرحيات من نوع خيال الظل، أو كما يسميه ابن دانيال: «طيف الخيال»، وهذه المسرحيات الثلاث هي البقية الوحيدة الباقية من الشعر المسرحي العربي في العصر الوسيط (لها مخطوطات في الاسكوريال واستانبول، ودار الكتب المصرية). ولم يستطع تحقيق خطته لنشرها وترجمتها إلى الألمانية، فاقتصر على إصدار ثلاث كراسات بعنوان: «مسرحيات من طيف الخيال لابن دانيال. السابق صـ ١٢٨.

دراسات في الشنفري Schanfra Studien (SBBA 1914-1915) ، من القصيدة ذاتها طبعة نموذجية للنص في إتقانها مع ترجمة وشرح ومعجم وفهرس للمراجع(*).

وقد أكسبت هذه القدرة على القيام بعمل ريادي فيلولوجي مضنٍ، والتحليق في آفاق عالمية بعيدة في نشوة رومانسية، أعمال ياكوب طابعاً مميزاً. ووفاءً منه لمبدئه المأخوذ من سفينة الحظ لـ Fischart من زيورخ:

Arbeit und Fleiss, das sind die Flügel,

So führten über Strom und Hügel.

الجد والاجتهاد جناحان

بهما نعبر الأنهار والكثبان

تخطى في رسالته بشجاعة حواجز الفروع المتفرقة وعد التجارة أحد أهم ناقلي الحضارة، وجعل على عاتق التاريخ العام للحضارة مهمة بحث تلك الحقائق التي حددت طبيعة الشعوب وتعد ضرورية بالنسبة للإنسانية الحقة. ونتج عن ذلك مثل ذلك الاتساع الشامل في بحثه، كما يتضح لنا من خلال كتابه الشيق: «أثر الشرق في الغرب ولا سيما في العصر الوسيط» (١٩٢٤م، ترجمه إلى العربية د. فؤاد حسنين علي) Der Einfluss des Morgenlandes auf das Abendland vornehmlich während des Mittelalters، وكذلك في كتابه: تاريخ مسرح خيال الظل في الشرق والغرب (ط. ثانية ١٩٢٥م)، بيد أن

(*) أعاد جيورج طبع ترجمة أستاذه رويس وأعاد معها طبع ترجمة أخرى قام بها قبل ذلك روكرت، وإلى جانب هاتين الترجمتين نشر ترجمته هو – وذلك كله في كتاب بعنوان: «قصيدة الصحراء للشنفري الصعلوك (١٩١٣) Das Wüstenlied Schanfaras des Verbannten ، وقام بعد ذلك بكتابة بحثين عن الشنفري ولاميته، الأول بعنوان: «معجم ألفاظ اللامية مع الترجمة والنص»، (١٩١٤م) والثاني بعنوان: «موازيات وشرح للامية وثبت مراجع عن الشنفري» (١٩١٥).

ياكوب قد قدم لجيله الذي أوشك أن يسلم بشكل متزايد بتخصص جلي للعلم، وقدر لا مفر منه، وليس الإيمان بعالمية كل بحث علمي فحسب، بل صقلته مرة أخرى أيضاً النزعة الإنسانية المنسابة من تلك العالمية. وبديهي أنه من الصعوبة بمكان مواجهة الأحكام المسبقة المتجذرة، مثل الشك الساذج في كل ما هو غريب، وتمجيد شعب بعينه وتاريخه بلا نقد، وعدم التسامح الديني مع معتقدات الآخرين. / وقد أضرَّ ياكوب بأموره الشخصية، إذ شنَّ حرباً وهو متحمس أشد التحمس [٣٢٢] ضد عقيدة (دُجمة) كلاسيكية العصور القديمة، ولكن استمر عمله الذي استغرق كل عمره أكثر قوة في التأثير من نقده وهجومه إذ كان بمثابة أثر مؤثر لبحث يشمل الإنسانية جمعاء يتجاوز حدود اللغة والعقيدة والشعوب، ويقر بلا تحيز كل إنجاز يدعم استمرار التطور الحضاري.

٨٦- دراسة الفلسفة الإسلامية والعلوم العربية في ألمانيا

لقد وجد تاريخ الفلسفة الإسلامية الذي كان أوجست شمولدر August Schmölder (١٨٠٩- ١٨٨٠م) قد بذل جهداً في البحث فيه في ألمانيا في البداية، وإن كان ذلك بوسائل غير كافية، في ماكس هورتن Max Horten (١٨٧٤- ١٩٤٥م) باحثاً مجتهداً وواسع الاطلاع. فقد حاول انطلاقاً من دراية كاملة بالفلسفة اللاهوتية من خلال ترجمات واضحة لمؤلفات عربية أن يقرب قضايا الفلاسفة وعلماء الكلام المسلمين للقارئ الأوربي. وقد اضطر في العادة إلى الاعتماد على نشرات غير مكتملة نقدياً، وهو عيب، لم يبدأ في إصلاحه إلا فيما بعد اليسوعيون في بيروت في مكتبتهم العربية للفلسفة اللاهوتية، إلا أن الأكثر من ذلك مما ألحق الضرر بقيمة أعمال هورتن هو فقدانها الدقة الفلسفية، هذا إلى جانب معالجته قضايا فلسفية متفرقة في مقالات شاملة، فقد أشار على

سبيل المثال خلافاً لـــ س. هوروفيتس S. Horovitz[1] إلى أهمية فلاسفة ما قبل سقراط بالنسبة لأقدم فلسفة إسلامية. وقدم في كتابه: «فلسفة الإسلام في علاقاتها بالنظرات الفلسفية للشـــرق الغربـــي» (١٩٢٤) Philosophie des Islam in ihren Beziehungen zu den philosophischen Weltanschaungen des westlichen Orients عرضاً مختصراً، دون أن يلقى بذلك قبـــولاً عامـــاً. والأهم من ذلك أن محاولته لإثبات تأثير مـــذاهب فلســـفية هنديـــة قـــد قوبلـــت بمعارضة[*].

/ وقد وجد تاريخ العلوم الطبيعية في الإسلام في تلك الحقبـــة الزمنيـــة فـــي [٣٢٣] يوليوس روسكا[2] Juluis Ruska (١٨٦٧- ١٩٤٩) باحثاً متميزاً. فقـــد درس

---

(١) حول سول هوروفيتس (١٨٢٨- ١٩٢١م) انظر المعجم اليهودي ٢/ ١٦٧٢. أصله مـــن المجر، تعلم في المعهد اليهودي - اللاهوتي في برسلاو، ودَرَّس فيه منذ ١٨٩٦م فلسفة الدين. وفي كتاب: حول تأثير الفلسفة اليونانية في تطور علـــم الكـــلام (١٩٠٩) Über den Einfluss der griechischen Philosophie auf die Entwicklung des Kalam ، سعى إلى إثبات تأثيرات رواقية على المعتزلة.

(*) للمؤلف عدد كبير من البحوث الفلسفية الإسلامية وعلم الكلام والتوحيد ذكرها مفصـــلة د. بدوي في موسوعة المستشرقين ص ٦١٨ وما بعدها ثم قال معلقاً عليهـــا: وكمـــا هـــو واضح من عنوانات هذه الكتب، فإن هورت إنما يترجم فيها نصوصاً عربية في الفلســـفة وعلم الكلام، أو يعرضها عرضاً موسعاً، مع شروح وتعليقات، وليس فيهـــا إذن عـــرض منظم للآراء أو المذاهب التي يتناولها، وقليلاً ما يلجأ إلى المقارنات مع الفلسفة اليونانية أو المسيحية في العصور الوسطى، على الرغم من أنه كان واسع الاطلاع علـــى فلســـفة العصور الوسطى الأوربية. وفي مقابل ذلك نجده مولعاً بدعوى تأثير المـــذاهب الهنديـــة سواء في علم الكلام أو في التصوف الإسلامي. موسوعة المستشرقين ص ٦١٩.

(٢) يتضمن الكتاب التذكاري لروسكا فـــي عيـــد مـــيلاده الســـبعين (Abhandlungen z. Gesch. d. Medizin und der Naturwissenschalten (9) 1937 تقـــديراً لإنجازات روسكا من ر. فوندرليش R. Wunderlich (ص ٥- ١٩) وقائمـــة مؤلفاتـــه (ص ٢٠- ٤٠).

الرياضيات والعلوم الطبيعية، ثم انتظم في سلك التدريس لكنه قام قاصدا بقــراءة الكتب المنزلة في الأديان الثلاثة في نصها الأصلي، لــدى برونــوف Brünnow ومن بعد رحيله لدى عالم العهد القــديم أ. ميــركس A. Merx، ولــدى عــالم الآشوريات ك. بتسولد C. Bezold الدراسات اللغوية الشرقية، واختار، بناءً على مشورة صادقة لميركس، بحث العلوم الطبيعية في الإسلام كمهمة لحياته العلمية، وفي سنة ١٩١١م أقلع عن التدريس، وقدم رسالته للأســتاذية فــي هايــدلبرج: «بحوث حول كتاب الأحجار (المنسوب) لأرســطو» Untersuchungen über das Steinbuch des Aristoteles وأعقبها سنة ١٩١٢م بالنص العربي. وقد تجلت في هذه البحوث نظرة تاريخية بعيدة لروسكا، وموهبته النقدية في محاولة إثبات أن هذه الكتابات القديمة ذات الاسم المستعار نشأت في جلسات الدراســات الطبية السريانية - الفارسية (في مدينة الرُّها). أما إجادته لمعالجة قضايا تتعلق بتاريخ الرواية فقد تجلت في «دراسات عن القزويني» (في مجلة الإســلام Der Islam، العدد الرابع)، التي حل فيها معضلة تاريخ نص كتاب القزويني «عجائب المخلوقات» Kosmographie(*).وحفزه اكتشاف كتاب «سر الأسرار» للــرازي في مخطوط جوتنجن للقيام ببحوث عن الكيمياء العربية حيث تعرف فيها مستقلاً عن ستابلتون Stapleton الطبيعة التجريبية في أعمال الــرازي الكيميائيــة(**). وأفضى السؤال عن أسلاف الرازي من الناحية الموضوعية إلى مشكلة السلمياك

(*) لقد بين فيها أن هناك أربعة تحريرات عربية مختلفة للكتاب ... أفضلها التحرير المتمثــل في أقدم مخطوطات الكتاب، وهو مخطوط ميونخ رقم ٤٦٤، وتوجــد منــه مخطوطــات أخرى. وكان من رأي فوستنفلد، ناشر الكتاب (عجائب المخلوقات، جوتنجن ١٨٤٩م، ص ٣: ٧) أن أفضل هذه التحريرات هو الرابع، وما هو إلا إعادة كتابة، تمت في القرن الثاني عشر الهجري، للتحرير الأصلي الذي كتبه القزويني، ويمثل هذا التحرير المخطــوط رقــم ١٠٥٨ في مكتبة جوتا

(**) فقد نشر له الأبحاث التالية: الرازي بوصفه كيميائيا. وفي الوضع الراهن للأبحاث حــول الرازي. وكيمياء الرازي إلخ.

Salmaik[*]، ومن الناحية المرجعية إلى المؤلفات المنسوبة إلى جابر بن حيان، وأخيراً إلى خالد بن يزيد، الذي أنكر روسكا نشاطه الكيميائي بشكل نقدي مبالغ فيه في بحثه: الكيميائيون العرب، الجزء الأول Arabische Alchemisten، وإن كانت القصائد والأعمال المتداولة تحت اسم خالد غير صحيحة بالتأكيد، أما مجموعة الكتب المنسوبة إلى جابر بن حيان Corpus Gabirianum فقد أثبت مساعد روسكا وهو باول كراوس (١٩٠٧- ١٩٤٦م) أنها دليل على أوساط إسماعيلية من القرن التاسع الميلادي؛ وهي معرفة (عمل) أساسية في تاريخ العلوم العربية بني عليها كراوس كتابه الرائع: «جابر بن حيان، إسهام في تاريخ الأفكار العلمية في الإسلام» Jābir ibn Ḥayyān, contribution à l' histoire des idées scientifiques dans l' Islam (في جزءين، القاهرة ١٩٤٢- ١٩٤٣م)، بالفرنسية، منشورات المعهد المصري برقمي ٤٤، ٤٥).

/ واستطاع روسكا نفسه الذي تولى سنة ١٩٢٧ إدارة معهد البحوث الذي أسسه [٣٢٤] في برلين لتاريخ العلوم، من جهته أن يختم بحوثه حول الرازي بترجمة لكتاب «سر الأسرار» (١٩٣٧، نشر في مجموعة مصادر ودراسات في تاريخ الطب والعلوم الطبيعية، رقم ٦).

ونشر روسكا، بالاتفاق مع هاينريش فيلايتنر Heinrich Wieleitner من تركة كارل شُوي Karl Schoy[1] (١٨٧٧- ١٩٢٥م) المهتم بتاريخ علم الرياضيات وعلم الفلك الإسلاميين، كتابَه «نظريات البيروني في حساب المثلثات» ١٩٢٧م Die trigonometrischen Lehren des Biruni وحظي إلى جانب

(*) مادة مركبة تنتج من تفاعل النشادر بحمض الهيدروكلوريك. أما الاسم الكامل للبحث فهو: ملح الأمونياك: النشادر والسلمياك Sol Ammoniacus, Nashadir und Salmaik, Heidelberg, 1953.

(١) نعى من كل من أوتوشبيس O. Spies في مجلة: ZDMG 80, 319- 327.، وي. روسكا J. Ruska في مجلة: ISIS 9, 88- 95. (مع قائمة بمؤلفاته).

روسكا، عــالم الفيزيــاء فــي جامعــة ارلانجــن آيلهــارد فيــدمان Eilhard Wiedemann[1] (١٨٥٢- ١٩٢٨م) بأفضال كبرى جــراء معرفتــه بــالعلوم الدقيقة في الإسلام، فقد جمع بجهد لا يكل المواد المتعلقة بالموضــوع (الســابق الذكر) من المطبوعات والمخطوطات، وقدم حولها الشروح الضرورية المتعلقــة بالموضوع. ويشكل بحثه: إسهامات حول تاريخ العلوم الطبيعية Beiträge zur Geschichte der Naturwissenschft I 78. (في تقارير جلســات الجمعيــة الفيزيائية – الطبيعية، بجامعة ارلانجن، الأجزاء ٢٤- ٦٦، ١٩٠٢- ١٩٢٨م)، وكذلك المقالات والمواد المتخصصة الكثيرة التي ظهرت في أماكن مختلفة، كلهــا تشكل ينبوعاً فياضاً لدراسة العلوم العربية.

وقدم طبيب مهتم بتاريخ الطب، بحثٍ من فيدمان، وهو ارنست زايدل Ernst Seidel[2] (١٨٥٢- ١٩٢٢م) ترجمة شارحة للفصل المتعلق بالطب في «مفاتيح العلوم» (١٩١٥): ويعد عمله الرئيسي أيضاً، وهو الترجمة المُعَدَّة عن الأرمينية لكتاب مِشيتار Mechithar«علاج الحمى (ارتفاع درجة الحرارة)» Trost bei Fiebern(١٩٠٨م)، عملاً قيماً لدارسي العربية بسبب التعليقات المفصلة علــى أسماء الأدوية.

وثمة طبيب آخر، وهو ماكس سيمون Max Simon(١٨٦٣- ١٩٠٩م)، قد حقق النص العربي للكتب السبعة الأخيرة، التي فُقِد أصلها اليوناني، في التشريح لجالينوس، وهو غير كاف تماماً من الناحية الفيلولوجية، غير أنه أُرفِق بمعجــم للمصطلحات الطبية، وترجمة ألمانية (جزءان ١٩٠٦م). وأخيراً وجد طب العيون والصيدلة – بحسب / ما ذكر من قبل في بحوث ي. هيرشبرج J. Hirschberg [٣٢٥]

---

(١) نعي من ي. روسكا في مجلة: Der Islam 17(1928), S. 294f.

(٢) نعي من م. ما يرهوف M. Meyerhof، في مجلة: Der Islam 13, S. 280 f.

- في ماكس مايرهوف Max Meyerhof[1] (١٨٧٤- ١٩٤٥م) باحثاً كفئاً من الناحية الفيلولوجية أيضاً.

٨٧- الدراسات العربية في هولندا في مطلع القرن العشرين

أوتيت هولندا إلى جانب دي خويه وسنوك هورجرونيه سلسلة من المستشرقين الذين عاد نشاطهم بالنفع على الدراسات العربية والعلوم الإسلامية بخاصة. فقد حقق أحد المشاركين في طبعة تاريخ الطبري في ليدن، المدعو مارتن تيودور هوتسما Martin Theodor Houtsma (١٨٥١: ١٩٤٣م) الذي دَرَّس اللغات الشرقية في أوترخت Utrecht من ١٨٩٠- ١٩١٧م، كتاب «الأضداد» لابن الأنباري سنة ١٨٨١م. و«تاريخ» ابن واضح اليعقوبي ١٨٨٣م وكذلك في المجلد الثاني من كتابه: مجموع نصوص تتعلق بتاريخ السلاجقة للبُنْداري[*] Recueil de textes relatifs à l'histoire des Seljoucides تهذيب «زُبدة الفطرة» لعماد الدين الإصبهاني، وأخيراً معجم تركي – عربي (١٨٩٤م). وبعد أن عالج في مؤلفه الأول (النزاع حول العقيدة في الإسلام من خلال الأشعري) (١٨٧٥م) تطور علم الكلام في القرون الثلاثة الأولى، قَدَّم عرضاً جامعاً للإسلام في إسهام حول الكتاب التعليمي في تاريخ الأديان الذي نشره عالم اللاهوت الهولندي ب. د. خانتيبي دي لاسوسيه P. D. Chantepie de la Saussaye (الطبعة الثالثة، ١٩٠٥م)، غير أن أفضاله الخاصة في الدراسات

---

(١) نعى من ا. ليتمان E. L. Ttmann في مجلة: ZDMG 99 (1950), S. 11- 14.

(*) هذه النصوص تقع في أربعة أجزاء: تاريخ سلاجقة كرمان بالفارسية لمحمد بن إبراهيم، وتاريخ سلاجقة العراق للبُنداري، وتاريخ سلاجقة الأناضول بالفارسية مع ترجمة إلى التركية لابن بيبي (ليدن ١٨٨٦-١٩٠٢م) وزُبدة النُصْرة للبُنداري، وقد اختصر به كتاب العماد الأصفهاني.

الإسلامية قد تحصلت بوصفه أحد محرري (إنه في الواقع كان رئيس تحريرها) دائرة المعارف الإسلامية التي ظهرت في ليدن في عام ١٩٠٨م، وكذلك جمعت طبعة ليدن لتاريخ الطبري، في محيط شديد الاتساع خاصةً، علماء من كل أنحاء العالم في عمل جماعي.

وكان تيودور فيلم يونبول Theodor Willem Juynboll (١٨٦٦- ١٩٤٨م) خليفة هوستما (في أوترخت)، تلميذ دي خويه، أحد المشاركين الأكثر تحمساً في دائرة المعارف الإسلامية، وكان قد درس بادئ الأمر القانون، وعمل في مجالات الحديث والفقه بوجه خاص، ونشر سنة ١٨٩٦م كتاب «الخراج» ليحيى بن آدم، ونشر ١٩٠٧- ١٩٠٨م المجلد الرابع من صحيح البخاري، وأتم بذلك النشرة التي بدأها كريل Krehl نهاية محددة، وإن لم يظهر أبداً المجلد الخامس الذي ينبغي أن يتضمن المقدمة والملحقات والتصويبات وكذلك الفهارس ومعجم.

/ والأهم من نشرات النصوص هو كتابه: «المدخل إلى معرفة الشريعة [٣٢٦] الإسلامية بحسب مذهب الشافعي» Handleiding tot de Kennis van de mohammed aanshe Wet volgens de leer der Sjafiitische school (١٩٠٣، الطبعة الرابعة ١٩٢٥م) الذي ترجمه أرتور شاده Arthur Schaade[1] إلى الألمانية بعنوان: Handbuch des islamischen Gesetzes المدخل إلى القانون الإسلامي (١٩١٠م). ففي الوقت الذي كان تفتقر فيه المداخل القديمة إلى القانون الإسلامي في الغالب إلى منهج تاريخي - فيلولوجي؛ قَدَّم يونبول، معتمداً على الأعمال التمهيدية لسنوك هورجرونيه، بادئ الأمر عرضاً نقدياً لدرس مصادر التشريع، ومن ثم الأفرع الأكثر أهمية من الناحية التطبيقية للقانون الوضعي، وأهم تحديدات لقوانين العبادات (الشعائر) والمعاملات بين

---

(1) حول ارتور شاده (١٨٨٣- ١٩٥٢) انظر أ. ديتريش A. Dietrich في مجلة: Der Islam 31, 69- 75.

الأشخاص والأسر والمواريث، والبيوع (قانون التجارة) ومبادئ القضاء وأسس قانون العقوبات، وأخيراً مبادئ السياسة الشرعية.

وكان وثيقَ الصلة بدائرة المعارف الإسلامية أيضاً – في البداية محرراً، ومشاركاً في النشر فيما بعد – آرنت يان فنسينك Arent jan Winsinck (١٨٨٢- ١٩٣٩م)[1].وكان تلميذاً لهوتسما ودي خويه وسنوك هورجرونيه – صار خليفة له سنة ١٩٢٧م – وزاخاو. أما عمله الأول: «محمد واليهود في المدينة» (١٩٠٨م) (رسالته للدكتوراه) Mohammed en de Joden te Medina فقد خُصِّص لقضية علاقات النبي باليهود التي عولجت كثيراً، وتناول أيضاً في مواد كثيرة في دائرة المعارف الإسلامية مسائل بحث القرآن، وفي سنة ١٩١٦م أعلن للمرة الأولى علانية[2] عن وضع معجم مفهرس بحسب الألفاظ وبترتيب هجائي للأحاديث الواردة في كتب السنة الصحاح الستة وفي مسند الدَّارمي ومسند أحمد بن حنبل وموطأ الإمام مالك لجعل كنوز الحديث الإسلامي الثرية متاحة للبحث، واستعان بثمانية وثلاثين باحثاً مشاركاً من بلدان شديدة التباين، وبدعم من أكاديمية العلوم في أمستردام وأماكن هولندية أخرى، ومن أكاديميات بلدان أخرى عدة في إعداد البطاقات لهذه المادة الضخمة من الأحاديث، وأصدر سنة ١٩٣٦م المجلد الأول للعمل (من الحرف الأول إلى حرف الحاء) الذي صار منذ ١٩٣٢م تحت رعاية الاتحاد الأكاديمي الدولي[3]، ثم إلى ذلك

---

(١) نعى من ي. هوزينجا J. Huzinga: الكتاب السنوي لأكاديمية فان فيتنشابن ١٩٣٩، ومن ف. فاكا V. Vacca في الشرق الحديث Orient Moderno ١٩، ٦٧٣- ٦٧٥.

(٢) على سبيل المثال في مجلة: ZDMG 70, 570. ، وقارن أيضاً آر.ي. فنسينك: Over een plan tot ontginning der arabische Traditieliteratuur حول عمل فهرسة لمصادر الحديث العربية (Mededeelingen der K. Akad. van Wet. afd. Letterkunde Deel 53, Serie A, No 12, S. 302 bis 310).

(٣) عنوانه: Concordance et indices de la tradition musulmane (المعجم المفهرس للحديث النبوي وفهارسه لـ أ. ي. فنسينك، المجلد الأول (من الألف إلى الحاء).

/ ظهر بالعربية نتاج إضافي لهذا المشروع وهو كتاب فنسينك: مدخل إلى [٣٢٧] الأحاديث النبوية الأولى مرتب ترتيباً هجائياً (١٩٢٧م) Handbook of early Muhammadan Tradition alphabetically arranged بعنوان «مِفتاح كنوز السُنَّة» سنة ١٩٣٤م، وهو في هذا التهذيب الذي عُنِي به محمد فؤاد عبدالباقي أكثر سهولة في الاستعمال، لأن كل المفردات ظهرت في الصبغة العربية الأصلية، وأخيراً عُنِي فنسينك بإصدار طبعة من كتاب أستاذه سنوك هورخرونيه: «مؤلفات متفرقة» Verspreide Geschriften (في ستة أجزاء من ١٩٢٣-١٩٢٧م). وأنجز حول ذلك فهارس وتراجم تفصيلية. ووجد إلى جانب ذلك وقتاً لأعماله الخاصة في مجالات مختلفة، منها بالنسبة للعلوم الإسلامية إلى جانب عمله عن «فكر الغزالي» La pensèe de Ghazzàli (ظهر سنة ١٩٤٠م بعد وفاته) كان البحث الأساسي بوجه خاص «العقيدة الإسلامية» The Muslim Creed (نشأتها وتطورها التاريخي، ١٩٣٧م) مثمراً في معرفة تاريخ العقيدة الإسلامية، وكان تيتزه ي. دي بور Tjitze J. de Boer (١٨٦٦- ١٩٤٢) أيضاً أحد المشاركين في دائرة المعارف الإسلامية، وقد وجد كتابه: تاريخ الفلسفة في الإسلام: Geschichte der Philosophie im Islam (١٩٠١م) انتشاراً واسعاً.

كان إنجاز دائرة المعارف الإسلامية نتيجة عمل جماعي اشترك فيه علماء من كل البلاد، التي عُنِيت بالدراسات الإسلامية. فقد عمل في المجلد الأول الذي صدر سنة ١٩١٣م قرابة المئة باحث مشارك من بلجيكا والدنمراك وألمانيا وفرنسا وبريطانيا العظمى وهولندا وإيطاليا، والنمسا - والمجر وروسيا والسويد وسويسرا، واشترك إلى جانب الباحثين الأوربيين منذ البداية وبعد ذلك أعداد متزايدة باستمرار أيضاً من علماء من البلدان الإسلامية كانوا قد تلقوا تعليماً غربياً، وبذلك فقد صارت دائرة المعارف الإسلامية رمزاً معبراً لتعاون عالمي، يدفع إلى الاقتداء به، بل إن تاريخ الدراسات العربية في أوربا يبين بوضوح أنه

ما تزال هناك مهام كثيرة للغاية تنتظر الحل، وهي لا تفوق إلى حد بعيد قـدرات باحث مفرد فحسب، بل قدرات الدراسات العربية في بلد بعينه أيضاً. ويعـد مـن أكثر الثغرات إلحاحاً عمل معجم للغة العربية يعني بإنشائه بالتأكيد أكثر من جيل، بل إن إنجاز معجم عربي يفي بالمتطلبات المعاصرة هو مهمة لا يمكن أن القيـام بها إلا بتضافر كل القوى المتاحة، كما أن الخطة التي غالباً ما نوقشت حول وضع كتاب أساسـي فـي فقـه اللغـة العربيـة(*) Grundriss der arabischen Philologie وفق نموذج مؤلفات أخرى في فقه اللغة لا يمكن أن تُحقق مـا لـم تتآزر سواعد أفضل المتخصصين في كل البلاد، ويسري الكلام ذاته على أطلـس إسلامي يفي بالمطالب السديدة، وعلى فهرس جامع منظم يجب أن يسجل بصورة منظمة كنوز مخطوطات الشرق التي تصير متاحة تدريجياً وعلى فهرسة للمؤلفات العربية تستأنف العمل الـذي أنجـزه بروكلمـان(**): «تـاريخ الأدب العربـي» Geschichte der arabischen Literatur فهل يرغب المستشرقون من كـل البلدان في أن يتحدوا باستمرار في إدراكهم هذه المهام؟!

انتهيت من صياغته الصياغة النهائية

ومراجعته وإعداده للنشر

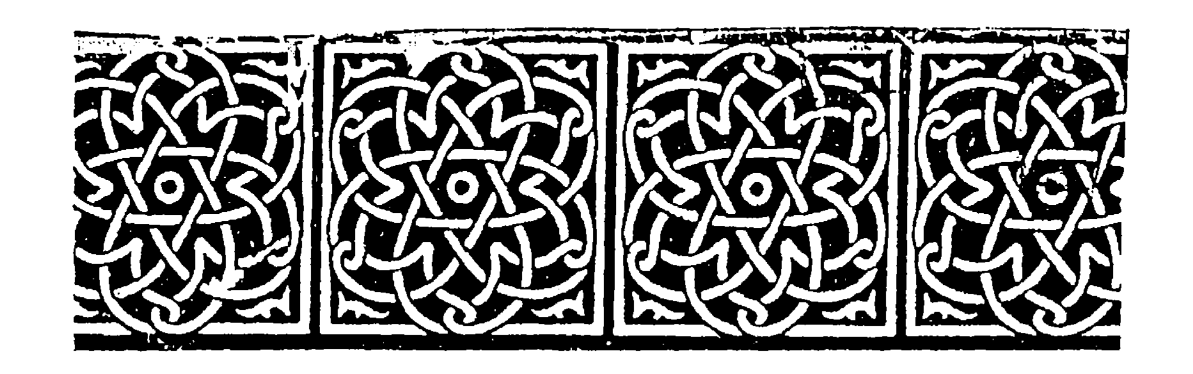
بحمد الله تعالى في أول أيام

عيد الفطر المبارك ١٤٢٦هـ

الموافق ٢٠٠٥م

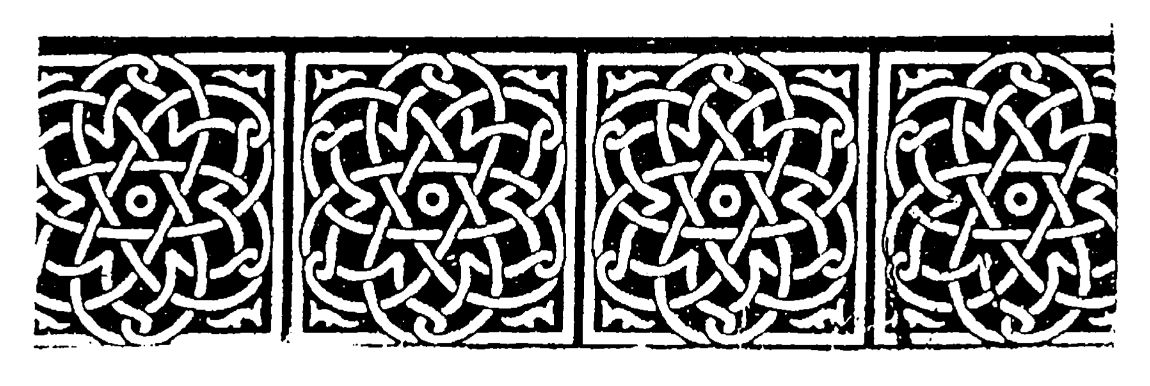
(*) لعل الكتاب الذي أشرف أستاذي د. فيشر على تحريره، وصدر بهذا العنوان، وقـد نقلـت الجزء الأول منه (علم اللغة) إلى العربية، قد حقق هذه الأمنية إلى حد ما.

(**) ولعل الكتاب الضخم الذي أنجز المستشرق التركي الأصل والألماني اللغة فؤاد سَـزجين عـدداً كبيراً من مجلداته، وتُرجم بعض منها (اضطلع بالجزء الأكبر منه أستاذي د. محمـود فهمـي حجازي إلى جانب آخرين) بعنوان: «تاريخ التراث العربي» يسهم في تحقيق هذه الأمنية.



JOHANN FÜCK

DIE ARABISCHEN STUDIEN IN EUROPA



فهرس الأشخاص

محتوى الكتاب

محتوى الكتاب

الموضـــــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

مطبعة العمرانية للأوفست
المنيب الجيزة ت:٣٧٥٦٢٩٩